



جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب والنقد

مضامير الملكة في الشعر العربي القديم في مصر

من ١٧٩٨ - ١٩٤٥

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد



إعداد

عادل محمد محمود أبو عمنسة

إشراف

للكاتب الدكتور سعيد السعيد عباوة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٢١٧ / ٢٦٠٢

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ

الروم: آية «٢١»

شكر وتقدير

الحمد لك اللهم والشكر فقد أعنت ووفقت ، فأوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت ، وتقبل مني عملي خالصا لوجهك الكريم .
وبعد : أرى أنه من الواجب علي أن أقدم خالص شكرى وعظيم امتنانى
وتقديرى وسحبتي لفضيلة استاذى المشرف على هذه الرسالة الدكتور السعيد
السيد عباد ، الذى منحنى من وقته وجهده وتفكيره ونصحه الشئ الكثير ، وقد
كان لموقفه هذا الأثر العميق فى نفسى ، مما دفعنى أن أبذل جهودا مضاعفة
حتى تخرج الرسالة محققة لآماله ، فله منى كل محبة وتقدير ، وأدعو الله
أن يسبغ عليه مزيدا من الصحة وطول العمر والتوفيق فى دنياه وآخرته .
ولا أنسى أن أقدم شكرى لسعادة الدكتور محمد بن سعد الرشيد عميد
الكلية السابق وسعادة الدكتور عليان الحازمي عميد الكلية الحالى وسعادة
الدكتور على الحكيم وكيل الكلية وسعادة الدكتور حسن باجودة رئيس قسم
الدراسات العليا العربية على ما قدموه لي من رعاية أثناء اعداد هذا البحث .
ولا يفوتنى أن أتقدم بالشئ والتقدير للقائمين على شؤون المكتبة المركزية
بمكة المكرمة والمكتبة المركزية فى جامعة الرياض والمكتبة المركزية فى جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية ومكتبة الحرم المكي الشريف ومكتبة دار الكتب
المصرية ومكتبة بلدية نابلس ومكتبة كلية الدعوة وأصول الدين فى القدس
الشريف ، حيث أتاحوا لى جميعا فرصة الاستفادة مما لديهم من كتب .

المقدمة

.....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الذي أنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين وبعد ، فإن الحقبة الزمنية الممتدة من الحملة الفرنسية على مصر الى الحرب العالمية الثانية ، تعد من أخطر الحقب في التاريخ الاسلامي والعربي ، وأكثرها تعقيدا وتشابكا وعموضا بالنسبة للباحثين ، علمى الرغم من قرب العهد بها ، وكثرة ماكتب عنها ، ذلك أن تيارات سياسية واجتماعية وفكرية متعددة الاتجاهات والمويل فاجأت العالم العربي ، وهو يخط في سيات عميق ، فلما أفاق وشاهد ما حوله من أضواء الحضارة الغربية الباهرة نهل عن نفسه ، وأخذ يقتبس منها كل ما وقفت عليه عيناه ، دون أن يتمكن من التفكير فيما يصلح له نياخذة ومالا يصلح له فيرفضه ، وفي ظل هذا الانبهار بدأت تغزو المجتمع العربي المسلم أفكار جديدة ، كان لها أثر كبير في تفسير حياته وتطوره للأمر ، مما جعل أمر السيطرة عليه وتوجيهه من قبل أصحاب هذه الأفكار الطارئة أمرا ممكنا وميسورا ، وهكذا بدأ يعيش غزوا حضاريا شمل كثيرا من جوانب حياته .

وفي بداية هذه الحقبة كان الشعر العربي قد وصل الى درجة من الجمود اضطرته أن ينسحب من العيدان موقتا ، ولكن التطورات المتعاقبة والأحداث الجسيمة التي مرت بها الأمة فيما بعد ، هزت وجدان الشعراء ، وأيقظت احساسهم ، وأعادت الى بعضهم شيئا من وعيهم وادراكهم ، فكان عليهم أن يتجاوبوا مع هذا الواقع ويعايشوه ، فيؤثروا فيه ويتأثروا به مع ما فيه من تناقضات .

ومن ثم بدأوا في نهاية القرن التاسع عشر يعبرون في انتاجهم عن الأحداث والاتجاهات المختلفة التي أوجدها الغزو الحضارى في الحياة العربية ، فاتخذ بعضهم من حياة الأمة الوطنية والقومية والدينية والسياسية والاجتماعية والوجدانية مادة لشعرهم وميدانا ، مدافعين عن القديم تارة ومؤيدين للجديد أخرى ، وعلو ضوء هذا الانتاج الشعري الذي صور العصر من جميع جوانبه بدأ الباحثون في الشعر الحديث ينظرون اليه نظرة

تختلف عن نظرتهم الى الشعر العربي في عصوره السالفة ، فلم يعد هذا الشعر عندهم فنا جميلا فقط ، بل رأوا فيه الى ذلك مادة خصبة تعينهم على دراسة هذه الحقبة من جوانبها المختلفة ، فدرس الدكتور محمد محمد حسين الزاوية الوطنية في كتابه : " الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر " ، ودرس الدكتور عمر الدقان الزاوية القومية في كتابه : " الاتجاه القومي في الشعر العربي المعاصر " ، ودرس الدكتور عبد القادر القط الزاوية الوجدانية لدى الشعراء المحدثين في كتابه : " الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر " ، وخصّ باحثون آخرون بعض المشهورين من الشعراء المحدثين بأبحاث ودراسات مستفيضة ، تناولوا فيها اتجاهها أو أكثر من هذه الاتجاهات عند من درسوهم ، كما فعل الدكتور ماهر حسن فهمي في كتابه " شوقي شعره الاسلامي " .

وعلى الرغم من كثرة تناول الشعراء المحدثين للحياة الاجتماعية ، لم أجسد من أفرد للاتجاه الاجتماعي في الشعر العربي الحديث دراسة مستقلة ، ولمّا كان هذا الاتجاه لم يقابل حتى الآن بما يليق به من اهتمام ، رأيت من المناسب أن أختاره ميدانا لدراستي ، لكنني لاحظت أثناء اطلاعي على كثير من دواوين الشعراء المحدثين والمجلات والصحف التي صدرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية ، أن هذا اللون من الشعر لم يكن نظمه حكرا على المشهورين من الشعراء ، بل ان كثيرا ممن لم يعرفوا بنظم الشعر ، ولم يكن لهم باع فيه قد أسهموا أيضا في التعبير عما كان يدور في عصرهم من تناقضات في الحياة الاجتماعية ، دفعتهم الى القول دفعا ، وعندما ثبت لدى أن استقصاء الشعر الذي تناول الحياة الاجتماعية أمر صعب ، لكثرت وتوزعه بين الدوريات والدواوين ، فكّرت أن أختار جانبا من جوانب الشعر الاجتماعي ، فوجدت أن المسائل المتعلقة بالمرأة والأسرة هي التي نالت القسط الكبير من اهتمامهم ، وذلك أنه اتضح للشعراء المحدثين المحافظين منهم ودعاة الحياة الجديدة ، أن الغلبة في الصراع القائم بين أنصار القديم والحديث ستكون في صالح من يستطيعون أن يكسبوا المرأة الى جانبهم ، فكسان هذا سببا آخر رجّح لدى أن أتخذ من الشعر الاجتماعي الذي تناول المرأة

والأسرة في العصر الحديث ميدانا لدراستي .

وعندما حاولت تحديد المكان والزمان اللذين سأجعلهما ميداناً لهذه الدراسة ، تساءلت : هل أجعل من العالم العربي وحدة متكاملة ، فأتناول المرأة والأسرة في كافة أقطاره ، خصوصا وأن القضايا التي أثيرت في قطر مسن الأقطار قريبة من القضايا التي أثيرت في الأقطار الأخرى ؟ وهنا توقفت قليلا وسألت : هل يمكن لباحث واحد أن يقوم بمسح شامل لكل الشعراء العرب المحدثين الذين يمكن الرجوع الى دواوينهم ؟ فكان الجواب بالنفي ، لأنهم يعدون بالآلاف ، ولو تمكنت من الرجوع الى مئات الدواوين ؟ هل يفني ذلك عن الوقوف على الشعر الذي نشرته الدوريات ؟ وكثيرا ما كانت تنشر ، بل ان ما نشر فيها ربما يكون أكثر فائدة للباحث ، لأنه يصور رد فعل الشاعر نحو الأحداث التي دارت حوله وانفصل بها ، على أن منه ما أسقطه أصحابه من دواوينهم عند طباعتها لرجوعهم عما فيه ، واذ يكون الرجوع الى عشرات الدوريات التي صدرت طيلة ما يقرب من قرن ، وفي عدة أقطار وفي عشرات المكتبات مهمة تحتاج الى فريق من الباحثين .

هذا الى أن الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها العالم العربي لم تكن واحدة في كل أقطاره ، فقد ابتلى بعضه بالاستعمار الانجليزي وابتلى بعضه الآخر بالاستعمار الفرنسي ، وسلمت أقطار أخرى من هذا الغزو ، هذا يعني أن قضايا المرأة التي أثيرت في العالم العربي لم تظهر كلها في وقت واحد ، ففي مصر مثلا أثيرت أول ما أثيرت أثناء حملة نابليون ، وفي العراق أثيرت بعد الحرب العالمية الأولى أو قبلها بقليل ، على حين لم تطرح للبحث في أقطار أخرى الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهذا يدل على أن كل قطر من هذه الأقطار بحاجة الى دراسة مستقلة ، وأن جمعها في دراسة واحدة أمر يصعب تحقيقه ، لذلك اخترت مصر ميدانا لهذه الدراسة في مدة تمتد من الحملة الفرنسية عليها الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وانما اخترت مصر دون غيرها لأسباب منها :

أولا : ان مصر أقدم الأقطار العربية اتصالا بالغرب ، وقد تمثل أول اتصال لها بالحملة الفرنسية ، واستمر هذا الاتصال بعد رحيلها في عهد محمد علي باشا وخلفائه .

ثانيا : ان مصر أكبر الأقطار العربية ، وأقدرها على التأثير فيمن حولها ، بحكم حجمها السكاني من ناحية ، ومكانتها من نفوس العرب ممن ناحية ثانية ، فكل ما يحدث في مصر يجد له صدى في العالم العربي ، وهذا أوضح ما يكون في الشعر .

ثالثا : ان الشعراء المحدثين في مصر هم الذين وجهوا تيار الشعر في العصر الحديث ، وأن كثرة عددهم وتنوع اتجاهاتهم وميولهم تتيح للباحث فرصة اختيار ما يراه مناسباً من النماذج الشعرية التي تغطي كل القضايا ، وتمطي مجالا رحبا للمقارنة والاستبطاء .

رابعا : كانت الصحف والمجلات المصرية أقدم ظهورا وأكثر انتشارا وتنوعا ، وأن كثيرا من الشعراء العرب كانوا يلجأون إليها لنشر أشعارهم ، ويتأثرون بما تنشره ، هذا إلى سهولة الرجوع إليها وتوافرها ، مما يثرى البحث ويرفده بمصادر للمعلومات ، ربما لاتتاح في أي مكان آخر .

خامسا : ان كثيرا ممن أرخوا للحركة النسائية في مصر سواء كانوا من الرجال أو النساء ، تناولوها بحماس منقطع النظير ، وكالوا لها المدح والثناء ، مما أضع على الباحثين فرصة التعرف على الحقائق ، لأن هؤلاء الدارسين أرادوا لك راساتهم هذه أن تخدم اتجاهها ويريدون له الاستمرار والبقاء ، وهذا أدى بهم إلى إخفاء العيوب والمخالاة في الأطرا .

كل هذه الأمور رجحت عندي اختيار مصر موضوعا لهذه الدراسة ، فكان

عنوان البحث :

قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر

من ١٧٩٨م - ١٩٤٥م

وفي ظل ما اجتمع لدى من مادة علمية رأيت أن أقسم الموضوع التمهيد وأبواب ثلاثة وخاتمة .

أما التمهيد : فعرضت فيه لوضع المرأة العربية في الجاهلية والاسلام .

وأما الباب الأول : فكان موضوعه " أثر التطور الحديث في مصر على المرأة والشعر ، وقد جعلته في فصلين :

الفصل الأول : " المرأة المصرية في مواجهة التطور " .

الفصل الثاني : " تطور الشعر العربي الحديث " .

وأما الباب الثاني : فكان موضوعه " مواقف الشعراء المحدثين في مصر من قضايا المرأة " ، وفيه تناولت القضايا التي أثارها الشعراء للمرأة ، ووزعت هذه القضايا على خمسة فصول .

- الفصل الأول : " قضية الحجاب والسفور " .
- الفصل الثاني : " قضية تعليم المرأة " .
- الفصل الثالث : " قضية عمل المرأة " .
- الفصل الرابع : " قضية العلاقات الزوجية " .
- الفصل الخامس : " القيمة الانسانية للمرأة عند الشعراء المحدثين في مصر " .

وأما الباب الثالث والأخير ، فكان موضوعه " الخصائص الفنية لشعر قضايا المرأة " وقد جعلته فصولا ثلاثة :

- الفصل الأول : " خصائص النماذج الخنافية " .
- الفصل الثاني : " خصائص النماذج القصصية " .
- الفصل الثالث : " خصائص النماذج التمثيلية " .

وأما الخاتمة : فقد تعرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

أما منهجي في هذه الدراسة ، فكان أولا بتتبع نواحي التطور الذي تعرضت له المرأة والشعر في مصر ، وثانيا في جمع كافة النصوص الشعرية التي تناولت هذه القضايا من الدواوين والدوريات بنقلها حينما وتصويرها في أكثر الأحيان .

ولم أكتف بالرجوع إلى الدواوين والدوريات ، بل رجعت إلى كثير من كتب التاريخ والأدب والفكر ، التي تناولت الحقبة التي أدرستها ، وكثيرا ما استفدت منها .

على أنني آثرت في كثير من الأحيان عدم التأثير بما قرأت من آراء حول مواقف الشعراء من قضايا المرأة ، وفضلت أن اعتمد في استجلاء مواقفهم على قصائدهم نفسها ، حتى أستطيع من خلالها أن أحدد آراء الشعراء بدقة ، وكنت أحرص دائما على عدم تحميل النص ما لا يحتمل .

هذا وقد اتضح لي أثناء الكتابة أنه ليس من المعقول أن أدرس كل نص من النصوص التي جمعتها عند بحث قضية من القضايا ، لكثرة النصوص حيناً ، ولتشابهها في الدلالة أحيانا أخرى ، فكنت أختار أكثر هذه النصوص دقة فسي التعبير عن وجهة نظر قائلها ، ثم أشير إلى باقي النصوص في الهامش ، حتى لا أحرم القارئ فرصة الاستفادة من النصوص التي لم أقف عندها فيما لو أهب الرجوع إليها .

ولم أكن أنظر أثناء دراسة مواقف الشعراء المصريين المحدثين من قضايا المرأة المصرية نظرة اقليمية ضيقة ، بإقامة حدود فاصلة بين مواقفهم ومواقف الشعراء في الأقطار العربية الأخرى ، وإنما حاولت أن أربط بين هذه المواقف جميعا ولو بإشارات عابرة حتى تكتمل الصورة .

ومن المنطلق نفسه كثيرا ما استشهدت بنصوص شعرية أو أشرت إليها مع معرفتي أن قائلها ليسوا مصريين ، ولكنني كنت أنظر إلى القصائد التي نشرت في الصحف المصرية أو التي عاش قائلوها في مصر على أنها جزء من الشعر المصري بحكم تأثيرها به أو تأشيرها فيه .

وعلى ضوء هذه الملاحظات حاولت أن أدرس مواقف الشعراء المصريين من قضايا المرأة لا على أنها تمثل وجهات نظر فردية فقط ، بل حاولت أن أسلك الشعراء الذين تأثروا في مواقفهم بفكر معين وبيئة معينة واتفقت وجهات نظرهم حول قضية من القضايا في اتجاه واحد ودون تعسف ، واستعنت على هذا الأمر بالدراسات المختلفة التي تناولت بعض هؤلاء الشعراء ، وبينت ثقافتهم وميولهم السياسية والفكرية ، وسيظهر ذلك جليا في الباب الثاني عند ما يلاحظ القارئ أنني صنفت مواقف الشعراء من الحجاب والسفور وتعليم المرأة وعملها والعلاقات الزوجية إلى اتجاهات حاولت أن أربطها بالحياة السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة .

على أنني حاولت في بعض الأحيان أن أتبع المراحل المختلفة التي مرّ فيها تفكير الشاعر نحو قضية من القضايا ، وما لحق آراءه من تغيير أو تبدل عبّر عنه في شعره .

ولم يفتني عند تناول اتجاهات الشعراء أن أبين قربها أو بعدها من قيم المجتمع الأصيلة وتقاليد العريقة ومثله السامية .

ولم تكن دراستي للنص الشعري تقف عند مجرد التعرف على موقف قائله من المرأة فقط ، ولكنني كنت أنظر إلى الجوانب الفنية فيه أيضا ، ومعنسى أدق كنت أنظر إلى النص نظرة شاملة .

وبعد فأرجو الله أن أكون قد وفقت في اتباع المنهج العلمي الصحيح ، ونجحت في القاء الضوء على كافة جوانب الموضوع ، وأضفت حديدا يلقى الضوء على مسيرة المرأة المصرية ، ويوضح ما اكتنفها من أخطاء وأخطار ، ويبين الدور الذي قام به الشعراء المصريون حيال قضاياها ، وبينه المرأة العربية إلى ما أحاط بمسيرتها من مزالق وماعلق بأن يالنها من أحوال ، لعلها تستطيع أن تتخلص منها في مستقبل أيامها بالعودة إلى الله .

تمهيد

وضع المرأة بين الجاهلية والاسلام

موضوع المرأة من الموضوعات التي احتلت حيزاً كبيراً في فكر الأمم قديماً وحديثاً ، ولا غرابة في ذلك ، فالمرأة هي الدعامة الثانية التي تقوم عليها حياة البشر ، ويبدو أنها تعرضت للاضطهاد منذ فجر التاريخ ، ولم يُعترف لها بكثير من حقوقها ، على الرغم من الدور الكبير الذي تقوم به زوجة وأماً ، وعلى الرغم من مشاركتها الرجل متاعه داخل البيت وخارجه ، كما يبدو أن العرب في جاهليتهم كانوا من أكثر الأمم اجحافاً بحقوق المرأة ، لأن الأمر عندهم يقف عند مجرد ظلمها وسلبها حقوقها ، بل تجاوزته الى حد حرمانها من حقها في الحياة نفسها ، وقد ذاع كره العرب لبناتهم ، حتى اشتهروا به وصبروا عنه في أشعارهم ، فكان الزوج يهجر خيمته وزوجته اذا أنجبت بنتاً ، كأنها تعتمد ذلك وتتحكم فيه ، وكان العربي اذا زوّج ابنته الى رجل من قومه قال لها : ((أيسرت وأذكرت ولا أنتت ... وانا تزوجت في غيبة قال لها : لا أيسرت ولا أذكرت ، فانك تدنين البعداء ، وتدنين الأعداء))^١ ، وقد ندد القرآن بمنظرتهم الى البنات في قوله تعالى : ((ويجعلون لله البنات سبحانه ، ولهم ما يشتهون ، وانا بشر أهدم بالأنتى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون))^٢ ، وقال في سورة

(١) البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق محمد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ،

١٨٦/١ ، ٤٧/٤ .

(٢) سورة النحل ، الآيتان (٥٨ - ٥٩) .

أخرى : ((وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت)) "١" ، وبالطبع لم يكن من حق الأم أن تعترض على قتل ابنتها ، وحتى في حالة الفقير كان القتل من نصيب الأنثى دون الذكر في الأم "٢" .

وكان العرب يحرمون الأنثى من الارث ، فالقاعدة العامة عندهم أن يكون الارث خاصا بالذكور دون الاناث ، لأنهم يركبون الخيل ويحملون السيوف ، ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يجعلون المرأة جزءا من تركبة المتوفى يتصرفون فيها كما يتصرفون في المتاع .

ومع ذلك عرفوا أنواعا كثيرة من الأتكة ، منها نكاح المقنت ، فإذا مات الرجل وترك امرأته ، كانت حقا من حقوق ابنة الأكبر إذا لم تكن أمه ، فله أن ينكحها ان شاء أو يزوجهها من غيره إذا لم تكن له حاجة بها ، على أن يأخذ المال الذي يعطى لها "٣" .

ومنها نكاح المتعة الى أجل محدد ، فإذا انقضى وقعت الفرقة ، وفي هذه الحالة كان الأولاد ينسبون الى أمهاتهم ، ومنها كذلك نكاح البدل ، وهو أن يقول الرجل للرجل : (انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي) "٤" ، ومارسوا نكاح الاستهضاع ، وهو أن يقول الرجل لامرأته إذا طهرت : ارسلي الى فلان فاستهضعي منه ، ويمتثلها زوجها

(١) سورة التكوير ، الآيتان (٨ - ٩) .

(٢) جامع البيان للطبري ، مطبعة مصطفى الهادي ، الطبعة

الثالثة ، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ ، ١٥ / ٧٨ .

وربما كان العرب يقومون بؤاد بناتهم خشية وقوعهن في الأسر وخسوف العار والفضيحة ، فكان قيس بن عاصم أول من استن هذه السنة فسي تميم ، لأن العرب كانوا يحرصون على شهن النساء أكثر من حرصهم على الغنائم ، خصوصا في حالات الثأر ، لأن في ذلك انذالا للعدو وقهرا ، وكانوا يتزوجون السبايا ويستولدوتهن دون مهر ، وربما يمرضونهن للبيع أو الاسترقاق . راجع الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، نشر مكتبة المعارف - بيروت (١ / ٢٨٩) ، وانظر مجمع الأمثال ، للميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٤ - ١٩٥٥ ، ٢ / ٤٢٥ .

(٣) روح المعاني ، للألوسي البغدادي ، دار احياء التراث العربي ،

بيروت ٢٤٥ / ٤ .

(٤) بلوغ الأرب ، لمحمود شكري الألوسي ، ضبط محمد بهجت الأثرى ،

مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، الناشر دار الكتب الحديثة ١٤٤٣ .

ولا يلمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل^١ ، ومارسوا نكاح الشغار ، فكان الواحد منهم يزوج أخته للأخر طمأن أن يزوجه الثاني أخته دون مهر ، وعرفوا زواج الرهط ، أى صاحبات الرأيات ، وكان أقصرب إلى البغاة منه إلى الزواج^٢ .

كذلك أباح الجاهليون لأنفسهم الزواج من عدة نساء دون حصر أو تقييد ، فكان بعض رجال قريش يتزوجون عشرا من النساء ، وللرجل أن يفضل منهن من شاء دون أن يطالب بالعدل بينهن^٣ ، وكانوا يجمعون بين الأخوات وربما تزوج بعضهم ابنته .

وجعلوا الطلاق حقا للرجل دون المرأة ، ولم يكتفوا بذلك بل كثيرا ما مارس الزوج سلطته على المرأة حتى بعد طلاقها ، فلا يسمح أن تتزوج من آخر إلا بموافقة ، وكان الرجل في الجاهلية يطلق عشرات ثم يعود إلى زوجته .

هذه صورة موجزة عن حالة المرأة العربية في الجاهلية ، وقد تبين لنا أن بعض العرب كان يعطي لنفسه حق منح الحياة للمولودة أو وأدها ، وإذا حدث وأعفاها من الوأد ، فإنه كان ينظر إليها نظرة احتقار واستخفاف ، فسادت الجزيرة ظروف قاسية كادت تقضي على كثير من القبائل ووصلت فوضى الحياة الاجتماعية إلى درجة لم تعد تتحمل ، ومن هنا لم يكن بد من الإسلام ليعيد الناس إلى رشدهم ، بعد أن بغى القوي على الضعيف ، واشتد ظلم الرجل للمرأة بنتا وزوجة وأما .

فجاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويمد إلى المرأة يد المساعدة ، فيعيد إليها حقها في الحياة والعيش لا فرق في ذلك بينها وبين الرجل ، فساوى بينهما في الإنسانية ، قال تعالى :

(١) صحيح البخارى ، دار الفكر ١٣٢/٦ ، باب من قال لا نكاح الا بولي .

(٢) انظر : المرأة في الشعر الجاهلي ، لمحمد أحمد الحوفي ، مطبعة المدني بالقاهرة ، الناشر دار الفكر العربي

ص ٢٤٥ - ٢٥٠ .

(٣) جامع البيان ، للطبري ٢٣٢/٤

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) (١) ، وجعل عليه الصلاة والسلام المرأة شريكة للرجل وشقيقته ، (إنما النساء شقائق الرجال) (٢) ، وفتح الإسلام المرأة حقوقها في العبادة والتدين ، فلها الجنة إن أحسنت والجار إن أسأت كالرجل سواء بسواء ، (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (٣) ، فليس للرجل أي امتياز على المرأة ، والعمل هو الذي يقرب أحدهما أو يبعد عن خالقه .

ومع تسفيه القرآن لأخلاق العرب بسبب وأدهم البنات ونعته عليهم الشاؤم من ولادة الأنثى ، أمر بإكرام المرأة بنتاً وزوجة ووالدة ، فقد جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعليم الصغيرة وتهذيبها واعدادها الإعداد الصحيح ، كي تكون زوجة وأماً ، وسهلة من الوسائل التنسيجية ، يوجر عليها الإنسان أجزاء مضعفاً حيث قال : (أيها رجل كانت عندك وليدة فعلمها وأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديتها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران) (٤) .

ولم تعد الزوجة مجرد متاع للرجل بل أصبحت ركناً مهماً من أركان الأسرة ، فليس للرجل سعادة ولا طمأنينة إلا إذا كان لزوجته مثل ذلك ، فقد جعلها القرآن شريكة للرجل في صنع الحياة الزوجية ، (وسمن آياته أن يخلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مسودة ورحمة) (٥) ، وأما الرسول - عليه السلام - فقد جعل الزوجة الصالحة خير ما في هذه الحياة بقوله : (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا الزوج الصالحة) (٦) .

-
- (١) سورة النساء ، آية (١)
 - (٢) سنن أبي داود ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، نشر دار احياء السنة النبوية ١/٦١٠ .
 - (٣) سورة آل عمران ، آية (١٩٥)
 - (٤) صحيح البخاري ، ج ٦ / ١٢٠ ، باب النكاح .
 - (٥) سورة الروم ، آية (٢١)
 - (٦) صحيح مسلم ، مكتبة الجمهورية العربية ، القاهرة ج ٤ / ١٧٨ ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة .

ولم ينس القرآن الأم وانما وضعها في المكان الذي يليق بها ويناسب ضخامة مسئولياتها ، قال تعالى : ((ووصيفا الانسان بوالد يسه احسانا ، حطته أمه كرها ووضعته كرها)) "١" وسبب ماتحتسل الأم من مكاره الحمل والولادة والرضاعة ، شدد الرسول - عليه السلام - في التوصية ، فجعل الأم أحق الناس بحسن الصحبة ، عندما سأله أحسن أصحابه : من أحق الناس بحسن صحبتي ؟ ((قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك)) "٢" .

ولم يقف الاسلام عند هذا الحد بل أعاد للمرأة حقها في الارث سواء كانت أما أو زوجة أو ابنة كبيرة كانت أو صغيرة أو حملا في بطن أمها ، وذلك خلافا لما كان عليه عرب الجاهلية وبعض الشعوب في ذلك الوقت ، وقد فرض الاسلام للمرأة أن تأخذ نصف ما يأخذه الذكر ، قال تعالى : ((يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)) "٣" ، وحاول أعداء الاسلام أن يشيروا الشبهات حول اعطاء المرأة نصف ما للرجل في الارث ، ونسوا أن تكاليف الحياة وأعباءها مطلوبة من الرجل وحده ، وأن المرأة غير ملزمة بشيء من ذلك ، فهو الذي يدفع المهر وينفق على بيت الزوجية ، والاسلام الذي فرض لها نصف ما للرجل مع المهر ، أعفاها من النفقة على نفسها وعلى أولادها ولو كانت غنية ، وهذا يعني أن النظام الاسلامي وضع في الحسبان مصلحة الأسرة والمجتمع أمام ناظره فلم يكلف المرأة بالعمل ، لتنفق على نفسها أو على غيرها حتى يمكنها من القيام

(١) سورة الأحقاف ، آية (١٥)

(٢) صحيح مسلم ج ٢/٨ ، باب بر الوالدين .

(٣) سورة النساء ، آية (١١)

بوظائفها الأساسية كالحمل والولادة والرضاع، وتتفرغ لتربية أبنائها—
وتدبير أمور بيتها، بينما في دعوتهم إلى المساواة بين المرأة والرجل في
الميراث دعوة إلى مساواتها به في الواجبات والأعمال، وهذا يعني أنهم
سيحملونها من المشقات ما لا تطيق وما يتنافى مع فطرتها وطبيعتها^(١).
أما بالنسبة لزواج المرأة فإن الإسلام وضع قواعد وأنظمة تكفل
للمسلمين الاستقرار في حياتهم الأسرية، وتكفل السعادة للزوجة كذلك،
فجعل لها الرأي الأول والأخير في اختيار الزوج، قال عليه الصلاة
والسلام: ((لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى
تستأذن، قالوا: يا رسول الله وكيف اذننها؟ قال: أن تسكت))^(٢).
وقد جعل الإسلام موافقة المرأة ورضاها شرطاً أساسياً لصحة الزواج،
فالزواج الناشئ عن التراضي والرغبة والحرية التامة في الاختيار سيكون
أساساً متيناً لإنشاء بيت مستقر وهادئ، وللمرأة أن ترى خطيبها ولسه
أن يراها عند الشروع في الخطبة، ولكن الشريعة قيدت ذلك بالتحفظ
وعدم التبرج، وحرمت الخلوة بين الخطيبين مادام لم يبرما عقد النكاح،
وكان الرسول - عليه السلام - يطلب من أصحابه أن ينظر الواحد منهم إلى
من يخطبها، حتى يكون على هيئة من أمره، فقد أمر أحد أصحابه عندما
أخبره بخطبته لامرأة انصارية أن ينظر إليها حتى لا يفاجأ بصيب في
مظهرها، فقال: ((أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: فانهب
فانظر إليها، فان في أعين الأنصار شيئاً))^(٣)، وقد روى المفسرة

-
- (١) انظر المرأة بين الفقه والقانون، لمصطفى السباعي، المكتسب
الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م ص
٣٣ - ٣٧، وانظر المرأة في القرآن، لعباس محمود العقاد،
دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م ص ٩٩
(٢) صحيح البخاري ج ١٣٥/٦، كتاب النكاح (باب لا ينكح الأب
البكر والثيب إلا برضاها).
(٣) صحيح مسلم ١٤٢/٤، كتاب النكاح (باب ندب النظر إلى
وجه المرأة وكفيها).

أنه خطب امرأة فقال له النبي - عليه السلام - : (انظر اليها فإنه
أحرى أن يؤم بينكما) (١) ، وحينما أتت جارية الى الرسول صلى الله
عليه وسلم ، فذكرت أن أباه زوجها وهي كارهة خيرها (٢) .

وبذلك أتاح الاسلام للمرأة أن تهب من رأيها وأن تحتتم كلمتها ،
أما ما يفعله بعض الناس الآن من اجبار بناتهم على الزواج ممن يريدون أو عدم
السماح للخاطب برواية خطيبته في حدود ما يسمح به الشرع ، فإنه ليس
من الاسلام في شيء .

وأما المهر فهو حق للمرأة في حق الرجل يجب أن يؤم به ،
((وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)) (٣) ، أما مخالفة الناس في المهور
هذه الأيام ، فهي خروج عن حد الاعتدال واعتبات للشباب الذين يخفون
أن يحضنوا أنفسهم ، ومع أن الاسلام طالب بدفع المهر للمرأة لم يحدد
نصابا معيناً ، لكنه دعا الى اليسر ، فانظر الى رسول الله - عليه السلام -
كيف عالج مشكلة المهر ، عندما أراد أحد أصحابه الزواج ولم يكن معه
شيء من المال : (. . . فقال : فهل عندك من شيء ؟ فقال :
لا والله يا رسول الله ، فقال : اذهب الى أهلِكَ فانظر هل تجد
شيئا ، فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ما وجدت شيئا ، فقال الرسول
- صلى الله عليه وسلم : انظر ولو خاتما من حديد ، فذهب ثم رجع ،
فقال : لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد اذهب فقد
ملكتهما بما معك من القرآن) (٤) .

-
- (١) رواه الترمذي والنسائي .
 - (٢) سنن أبي داود ٢٣٢/٢ ، كتاب النكاح (باب في البكر
يزوجها أبوها ولا يستأذنها) .
 - (٣) سورة النساء ، آية (٤) .
 - (٤) صحيح مسلم ١٤٣/٤ ، كتاب النكاح (باب الصداق) .

ومن هنا فان فكرة الغاء المهور مرفوضة ، لأن الغاءها تفرط فيمسا
شرع الله من تكريم المرأة واعزازها ، كما أن المغفلة في المهور من قبل الآباء
واعتبار بعضهم بناتهم سلعة تجارية يبيعونها لمن يدفع ثمناً أعلى أمر مرفوض
أيضاً ، ان تولى هذه المغفلة الى وقوع الأسر الجديدة تحت طائلة
الدين والى عزوف الشباب عن الزواج ، فان من يمس المرأة ويمس
طالعها أن تيسر خطبتها وصداتها ، فقد وضع الاسلام القواعد ومكسب
لها ، ولكن انحراف الناس عنها أدى الى هذه الفوضى في المهور
والزواج ، فأصبح أكثر شبابنا وفتياتنا دون وواج .^(١)

وقد جعل القرآن لهذه الأسرة الجديدة مسئولاً ورئيساً يسيّر دفة
الأمر ، فجعل المسئولية للرجل ، ولكن هذه المسئولية ليست تشریفاً
له ، بل هي تكليف وعبء ثقيل ، فلا يمكن أن تكون الحياة الزوجية
خودة ورحمة وسكناً ، الا اذا وجدت الموجه ، قال تعالى : ((ولهنّ
مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة))^(٢) ، وهذه الدرجة
لا تنجح للرجل أن يظلم ويتعسف ، فللنساء حقوق وعليهن واجبات وكذلك
الرجال ، وحتى تنجح الحياة الزوجية لابد لها من رئيس يتحمل أعباءها
ويتخذ القرارات المناسبة ، أليس هو المسئول عن تدمير شؤون الأسرة
ومطالبها ، وهو المكلف شرعاً بتوفير كل مايلزم ، ((الرجال قوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وما أنفقوا من أموالهم))^(٣) ،
وقد يعترض معترض على هذا الأمر ويحده حوطنا للمرأة من حقوقها ، ولكننا
نذكرهم أن هذه الرئاسة من شروطها أن يكون الرئيس عادلاً وألا يكون
متسلطاً ومن الواجب عليه أن يأخذ رأى أفراد الأسرة فيما يتعلق بهم ،

(١) راجع فيما يتعلق بالمهور فصلاً بعنوان "هدية التكريم للمرأة" في
كتاب ماذا عن المرأة ، تأليف نور الدين حنتر ، دار الفكر دمشق ،

ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ص ٥٩ - ٦٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٢٨) .

(٣) سورة النساء ، آية (٣٤) .

ويدون وجود رئيس للأسرة تفسد أحوالها ، ويوجد رئيسين يسزاد الأمر فسادا .

وعلى الرغم من اختصاص الرجل بالرياسة لا يجوز له أن يفضل نفسه على زوجته ، فقد أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنساء ، فقال : ((أطمعوهن ما تأكلون واكسوهن مما تكتسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن))^١ ولم تترك السنة مناسبة الاودعت فيها المسلم أن ينصف المرأة ويهتم بها وأن يتجاوز عن أخطائها ، فقال عليه السلام : ((استوصوا بالنساء خيرا))^٢ ، والرسول صلى الله عليه وسلم يحلم أن الانسان رجلا أو امرأة لا يمكن أن يكون كاملا ، فالمرأة تحسن وتسي ، ولذا يجب أن لا تكون اساءتها سببا لانكار حسناتها ، يقول عليه السلام : ((لا يفرك مؤمنة مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضي منها آخر))^٣ .

وهكذا وضع الاسلام الاطار السليم للتعاون بين الزوجين ، ودعاهما الى الاحترام هذه الرابطة والبهمة بها عما يسي إليها ، ومع ذلك راعى طبيعة كل من الرجل والمرأة ، فحدد تعدد الزوجات الذي كان مباحا في الجاهلية ، وجعل الحد الأعلى أربع زوجات للرجل ، وعندما شمرع الاسلام التعدد لم يفرضه على أى رجل ، ولم تجبر المرأة أن تقبل الزواج برجل نى زوجة ، وعندما أباح القرآن التعدد للرجل اشترط عليه أن يكون قادرا على الاتفاق على زوجاته ، وأن يعدل بينهم في جميع الأمور المادية التي يستطيع العدل فيها كالمأكل والمشرب والملبس والمبيت ، فاذا خشي عدم القدرة على ذلك اقتصر على واحدة ، قال تعالى : ((فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة))^٤ ، ولم يشترط العدل القلبي

-
- (١) سنن أبي داود ج ٢/٢٤٥ ، كتاب النكاح ، حديث رقم ٢١٤٤ .
 - (٢) صحيح مسلم ١٧٨/٤ ، كتاب النكاح (باب الوصية بالنساء)
 - (٣) المصدر نفسه ١٧٨/٤ .
 - (٤) سورة النساء ، آية (٣) .

لأن هذا الأمر فوق طاقة الانسان ، وليس في امكانه التحكم فيه ، لقوله تعالى : ((ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فسلا تعلموا كل الميل ، فتدروها كالمعلقة)) "١" ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين زوجاته فيعدل ، الا أنه كان يقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك "٢" ، وهذا يعني أن الانسان لا يستطيع التحكم في ميل قلبه منهما بذل من جهده .

ولم يقف الاسلام بالمرأة عند هذا الحد ، بل دعا القرآن النبي الاستزادة من العلم وحض عليه في مناسبات كثيرة ، (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) "٣" ، وجعل الرسول الكريم العلم فريضة على كل مسلم ، ولم يقف عند مجرد الحض على العلم ، بل انه شجع نساءه على تعلم القراءة والكتابة ، فقد تعلمت حفصة القراءة والكتابة قبل زواجها ، وعندما تزوجها عليه السلام ، طلب من الشفاء العدوية وكانت كاتبة في الجاهلية أن تكمل تعليم حفصة ، فقال : (ألا تعلمين هذه رقية النطة كما علمتها الكتابة) "٤" ، وليس هناك مسلم عاقل الا ويرى أن من حق الفتاة أن تتعلم ما يفيدها في مستقبل حياتها ، فما تحتاجه الفتاة يختلف عما يحتاجه الشاب ، فهي مهينة بفطرتها وخلقتها أن تكون زوجا وأما ، ولهذا يجب أن تتعلم ما يتعلق بأمر المنزل ورعاية الطفل ، على أنه يجب الفصل بين الفتى والفتاة حتى لا يكون اختلاطهما في معاينة التعليم سببا لوقوع كليهما في الفتنة .

وإذا كان من حق المرأة أن تتعلم فان من حقها أن تعمل ، ولكن

-
- (١) سورة النساء ، آية (١٢٩)
 - (٢) سنن أبي داود ج ٢ / ٢٤٢ ، حديث رقم ٢١٣٤ ، وعن التعداد راجع كتاب حقوق النساء في الاسلام ، لمحمد رشيد رضا ، المكتب الاسلامي ، بيروت دمشق ص ٦٠ - ٨١ ، وانظر كتاب قولني في المرأة ، لمصطفى صبري ، المكتبة المصرية بحلب ، ص ٢٢ - ٢٦ . وانظر كتاب المرأة في الاسلام ، لطفي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، ط ٢ ص ١٢٤ - ١٤٩ .
 - (٣) سورة الزمر ، آية (٩) .
 - (٤) سنن أبي داود ١١ / ٤ ، كتاب الطب حديث رقم ٣٨٨٧ ، رقية النطة : تحسين الخط وتزيينه .

علينا أن ننبه الى أنه لا يجوز تسخير المرأة في العمل ارضاء لأصحاب الشهوات ، فان المرأة أنيطت بها أعظم وظيفة وهي القيام بتربية أبنائها والعناية ببيتها ، وأن ما تخسره المرأة نتيجة خروجها من بيتها يزيد كثيرا عما تكسبه ، وعلى الرغم من ذلك سمح الاسلام للمرأة أن تعمل وفقا لشروط يجب مراعاتها ، على أنه يمكنها أن تعمل في مهنة تختص بالمرأة ، كتعليم البنات وتمريض النساء وتطبيهن ، أما أن تشتغل فهي كس الشوارع ومسح الأهدية ، فهذه أمور تخالف فطرتها وتتقص من كرامتها ، وإذا توفرت للمرأة أسباب العمل الشريف غير المخالف للشروع ، فلا بد لها من اذن وليها أبا أو زوجا ، وأن يكون العمل بمعيدها عن جو الاختلاط .

على أننا بعد أن عرضنا في هذا التمهيدي للوضع الذي كانت عليه المرأة في الجاهلية ثم الوضع الذي عاشته في ظل الاسلام ، سنحاول في الباب الأول أن نتعرف على مواقف المفكرين المصريين المحدثين من المرأة حتى نتمكن من دراسة الشعر المصري الحديث الذي تتناول قضاياها .

السبب الأول

أثر التطور الحديث

في مصر

على المرأة والشعر

* * * *

الفصل الأول : المرأة المصرية في مواجهة التطور

الفصل الثاني : تطور الشعر الحديث في مصر

الفصل الأول

المرأة المصرية في مواجهة التطور

عندما فكر نابليون في غزو مصر كانت ولاية عثمانية يديرها المماليك بحساب السلطان العثماني ، لكن الدولة العثمانية كانت قد بدأت مرحلة النهاية منذ حين بتسلط الانكشارية^(١) على السلطان ودخولها في حروب مع بعض جاراتها ، الأمر الذي أطمع المماليك في الحكم ، فحاول علي بك الكبير أحد زعماء المماليك الاستقلال بمصر ، لكنه قتل دون ذلك ، واشتد الصراع بعده على السلطة بين ابراهيم بك ومراد بك اللذين سيطرا على مصر واقتسما ايراد البلاد بينهما ، مما اضطر السلطان عبد الحميد الأول أن يرسل عام ١١٩٩ هـ - ١٧٨٦ م جيشا الى مصر لا يقاعهما عند حشد معين ، لكنهما عادا الى اختلاس الأموال من الأهالي ، وضربا على التجار الأجانب في القاهرة والاسكندرية ورشيد ضرائب كثيرة ، وسيطروا على نظام ملكية الأرض ، فكان المقيم يتصرف في القرى تصرف المالك ، مما أزهق الفلاحين ، وكثيرا ما كان المماليك يصادرون أموال التجار خصوصا الأتقيا منهم ، وكسدت سوق الصناعة بما فرضه الحكام على القائمين بها من اتاوات ، ولم يكن أحد من أهل البلاد يعرف شيئا عن الصناعات الآلية ، يقول فولني : ((ان الفنون الآلية ما يزال أبسطها

(١) الانكشارية : فرقة من فرق الجيش العثماني ، كان لها مركز متميز في الجيش ، كان جنودها يؤخذون من الشبان النصارى الذين كانوا يتسابقون على الدخول فيها نظرا للمستوى الرفيع الذي كانت تتمتع به ، وكان هؤلاء ينشأون منذ حداثةتهم على الولاء للسلطان ، وكانت للانكشارية سلطة كبيرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، حتى أنها كانت تنصب السلطان وتخلعه متى تشاء ، ولكن السلطان محمود الثاني قضى على هذه الفرقة عام ١٨٢٦ ، لأن أفرادها رفضوا ادخال أي تجديد على نظام الجيش . راجع الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ط ٢ / ١٩٧٢ م ، ص ٢٤٩ .

في دور نشأته وأشغال النجارة والحدادة والأسلحة بعيدة عن الأحكام
والاعتقان ، وانك لتجهد نفسك لتحصل على من يصلح ساعتك في القاهرة ،
وانا عثرت عليه فهو أجنبي (("١" .

ويبدو أن التخلف كان عاما في المجتمعات الاسلامية وأن العالم
الاسلامي كان مصابا بالجدب العلمي والشلل الفكري ، لأننا نجد أن
كتب المتقدمين رحلت عن حلقات العلم، وحلت محلها كتب المتأخرين المستفيضة
بالمتون والشروح والحواشي والتقريبات ، ولم يكن تخلف المسلمين في
العلوم النظرية والحكومية والمدنية فحسب ، بل تخلفوا في صناعة الحرب أيضا
فسبقهم أوروبا باختراعاتها وقوة ابداعها وحسن تنظيمها "٢" ، مما سيظهر
أثره جليا عند مواجهة العالمك لحظة نابليون ، وما يدل على تخلفهم فسي
ميدان العلوم والصناعات الى حد يصعب تصوره ما يذكر " نيور " أنه
أثناء وجوده في الاسكندرية كان يحاول اعداد خريطة لها، وكانت معه نسخة
" الاسطرلاب " ، فاستبد الفضول بأحد الشجار وصم على النظر خلال
المنظار فلما فعل ((ساوره القلق لرؤية أحد الأبراج مقلوبا ، وسرعان
ما انتشرت شائعة تقول أن " نيور " أتى الى المدينة ليقلبها رأسا على
عقب (("٣" .

وفي هذا الجو من الضعف الذي كانت تعاني منه الدولة العثمانية
استطاعت روسيا والنمسا انتزاع أجزاء من ممتلكاتها بعد أن انتهى الجيش
العثماني الى حالة من التفسخ والفساد ، وبدأت الدول الأوروبية تتطلع
الى مصر ، وبدأ التجار الانجليز والفرنسيون يقيمون بيوتا تجارية فيها

-
- (١) حسن العطار ، تأليف محمد عبد الخفي حسن ، دار المعارف
بمصر ١٩٦٨ م ص ١١ - ١٢ .
(٢) انظر كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " ، لأبي الحسن
الندوي ، مطابع علي بن علي الدوحة ، الطبعة العاشرة ،
١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ، ص ١١ - ١٢ .
(٣) انظر كتاب " رحلة الى مصر " ، لكارستن نيور ، ترجمة مصطفى
ماهر ، المطبعة العالمية ١٩٧٧ م ص ١١٦ - ١١٧ .

بالأمر () اعتماداً على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الأفرنج لا يقفون في مقابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بحيولهم ()^١ .

وبدأ الماليك استمداداً منهم عندما شعروا بأمر النزول الفرنسيين إلى الاسكندرية ، فكان العلماء يجتمعون في الأزهر كل يوم ويقرؤون البخاري ويدعون ، وكذلك كان مشايخ الطرق الصوفية وأطفال المكاتب يذكرون اسم اللطيف وغيره من الأسماء^٢ .

ودخل نابليون الاسكندرية ، ووَزَع منشوراً بيّن فيه الأسباب التي دعت إلى دخول مصر ، وحاول فيه أن يقترب إلى المصريين ووعدهم بإزالة الظلم الواقع عليهم من الماليك واحترام شعائهم ومعتقداتهم ، وأنه سيطبق مبدأ المساواة بين الناس جميعاً وسيسلم للمصريين زمام الأمور على حد قوله في هذا المنشور ، يقول : () ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعداً لا يبأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية ، فالفضلاء والعقلاء بينهم سيد برون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون والفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا مهينين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه . . . طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معاً بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم ، لكن الويل كل الويل للذين يعتمدون على الماليك فسي سحاربتنا ، فلا يجدون بمسند ذلك طريقاً للخلاص ولا يبقى منهم أثر . . .)^٣ .

(١) تاريخ عجائب الآثار في الترا والأخبار ، لعبد الرحمن الجبرتي ،

دار القارس بيروت ١٨٠/٢ .

(٢) المصدر نفسه ١٨٥/٢ .

(٣) تاريخ عجائب الآثار ١٨٢/٢ - ١٨٤ .

عرف نابليون من البداية كيف يتقرب الى المصريين واستطاع أن يضع يده على المشاكل التي يعانون منها ، فهو يطمئنهم أنه ما جاء الا ليصلح ما أفسده الماليك ويخلصهم من ظلمهم واحتكارهم للثروات مسيح التأكيد على احترامه الشديد للقرآن وللنبي - عليه السلام - واخلاصه للسلطان العثماني ورغبته في تسليم المناصب السامية لهم وتوعده كقل سسلك يشاورون مع الماليك بالمقاب الصارم ،

لكن هذا الوعيد لم يبلع الماليك أن يفادوا بالفير العام ، فخرجت الناس الى الشارين وأغلقت الدكاكين والأسواق وخرج الجميع الى بر بسواق وبذل جميع الناس ما في وسعهم ، يقول الجبرتي : () وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور ، وهم يضحون ويضحون ويذكرون بأذكار سخطفة ، وصعد عمر أفندي نقيب الأشراف الى القلعة فأنزل منها بندقية كبيرة فشره بين يديه وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنهايت والمصافي يهللون ويكثرون من الصياح . . .) (١)

ويبدو أن الماليك الذين تمودوا على حياة الترف قد نسوا فنون الحرب ، فلم يفكر أحد من أمراء الحساكر أن يبحث من يستطلع أحوال العدو أو طليعة تناوشه القتال قبل الاقتراب من القاهرة ، وليس هناك قلاع أو حصون يمكن الاعتماد عليها ، ويطلق الجبرتي على هذا الوضع قائلا : ((وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو)) (٢) .

وواجه الماليك الجيش الفرنسي بأسلحة القرون الوسطى ، () فكروا عليهم بخيولهم فزربهم الفرنسيين ببنادقهم المتطامحة الرمي () (٣) ، وهكذا فشل سلاح القرون الوسطى أمام الحقلية الأوروبية الجديدة ، وكانت النتيجة أن هرب الماليك بنساقهم وجواربهم ، وفرر عامة الناس من القاهرة ،

(١) المصدر نفسه ١٨٥/٢ - ١٨٢ .
 (٢) المصدر نفسه ١٨٢/٢ - ١٧٨ .
 (٣) المصدر نفسه ١٨٨/٢ .

وخرجت أغلب النساء حاسرات ماشيات، وأطفالهن على أكتافهن ييكن في ظلمة الليل ، وزاد الأمر سوءاً ، فتلقي الأعراب المهابين فأمنوا فسي سرقتهم وهتكوا أعراض النساء ، فكان لابد لعلما الأزهر أن يفعلوا شيئاً ، فاتفق رأيهم أن يرسلوا الى نابليون كتابا يطلبون فيه الأمان ، فأعطاهم ما أرادوا ، وطلب منهم أن يأتوا اليه كي يرثب لهم ديوانا ، واعترافا بهذه المنة قام وفد من العلما بزيارة نابليون فلقاهم ولا طفهم وعفا عن الفارين منهم ، واتخذ نابليون بيتا من بيوت الأمرء المماليك الفارين مسكنا له "١" ، وكان قد أوصى جنوده قبل نزولهم الى الشاطنسي "٢" ألا يتعرضوا بسوء لعقيدة المسلمين ونهاهم عن الملب والنهب وحذرهم من الاعتداء على النساء "٣" ، وبذلك سهل على نابليون أن يفرض سياسته واستجاب العلما لطلبه وانتخبوا من بينهم عشرة أشخاص ، وجعلوا الشيخ عبد الله الشرقاوي رئيسا عليهم "٤" .

وهكذا استقر الأمر بيد الفرنسيين وبدأت الحياة تعود الى ماكانت عليه شيئا فشيئا ، وأقبل الكثيرون على مماطلة الفرنسيين الذين كانوا يجوبون الأسواق ، (وصاروا يضحكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويحطي صا حبتها في ثمنها ريال فرانسه ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم ، فلما رأى العامة منهم ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكمك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات . . . وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار ، وفتح غالب السوق الحوانيت والقهواوي . . .) "٤" .

-
- (١) المصدر نفسه ١٩٢/٢ - ١٩٢٣ .
 - (٢) الحملة الفرنسية ، لمحمد شكري ، انظر ص ٩٣ .
 - (٣) تاريخ عجائب الآثار ١٩٤/٢ ، ذكر الجبرتي أن أعضاء الديوان عشرة ، ولكنه لم يسم منهم غير ثمانية فقط ، وراجع تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ، مطبعة الهلال ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٢٥ ، ٤٨/٢ .
 - (٤) تاريخ عجائب الآثار ١٩٣/٢ .

ولم يقتصر تعامل الفرنسيين على أعضاء الديوان ، وإنما تجاوزهم إلى العامة الذين رأوا في معاملة هؤلاء الجنود بابا جديدا للكسب بدل معاملة المالك الذين كانوا يحصلون على أكثر حاجاتهم دون ثمن في أغلب الأحيان ، ولم يقف الأمر عند حد البيع والشراء ، بل إن بيعة القاهرة أخذت تستجيب لمطالب الجنود اليومية ، ((وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وخماير وقهاوي ، وفتح بعض الافرنج الهلديين بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم في بلادهم . . . ويعمل على بابها علامة لذلك يعرفونها بينهم ، فإذا مرت طائفة بذلك المكان تهرب الأكل ، دخلوا إلى ذلك المكان وهو يشتمل على عدة مجالس ، دون وأعلى ، وطلو كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التي يدفعها الداخل فيه ، وفي وسطه دكة من الخشب وهي الخوان التي يوضع عليها الطعام ، وحولها كراسي فيجلسون عليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم . . .))^١ .

وما أن استقر الأمر لنابليون حتى بدأ في تنفيذ خطته ، فطلب من أعضاء الديوان أن يجمعوا سلفة له من التجار ، وأعطى نساء أمراء المالك الفارين الأمان على أن يصلحوا على أنفسهم^٢ ، وأراد نابليون أن يخفف من وقع الضرائب على المصريين فدعاهم إلى الاحتفال بيوم وفاة النيل ، فأرسل بطاقات الدعوة إلى القاضي وأعضاء الديوان ليشركوا في الاحتفالات ، وحرص على أن يكون الحفل فخما ، لكن ذلك كله لم يكن مشجعا للناس على الخروج من بيوتهم ، ((فلم يخرج منها أحد تلك الليلة للتتوه في المراكب على العادة سوى نصارى الشوام والقيط والأروام والافرنج الهلديين ونسائهم ، وقليل من الناس البطالين حضروا في صباحها))^٣ .

هكذا شجع نابليون الناس على الاشتراك في الاحتفال بيوم وفاة النيل الذي كان يعد عند جميع الطبقات عيدا عاما يشترك فيه الجميع ، إلا أنهم

-
- (١) المصدر نفسه ١٩٥/٢ - ١٩٦ .
 - (٢) المصدر نفسه ١٩٦/٢ .
 - (٣) المصدر نفسه ٢٠٠/٢ - ٢٠١ .

لم يفعلوا حتى الإيطاليين منهم كما يقول الجبرتي لم يشتركوا الا في نطاق ضيق ، واقتصر الاشتراك في الاحتفال على النصارى بمختلف فئاتهم ، وهم الذين استجابوا قبل ذلك لرغبات الفرنسيين ، ففتحوا الخمرات وهسي مظهر جديد لم يكن مألوفاً ، ولم يكتف نابليون أن يشارك في الاحتفالات بل أدخل بعض العادات الفرنسية التي لم تكن معروفة لدى المصريين ، فأراد أن يلبس مشايخ الديوان طيلسانات طونة وشارة "الجوكار" "١" ونادى في الناس أن يملقوا تلك الشارات فأنف غالب الناس من وضعها ، لكنه ألزم من يريد الدخول عليه بوضعها فأفتى بعض المشايخ أن ذلك لا يخل بالدين مادام الأمر اكراها "٢" ، وأشرك نابليون المصريين معه مرة ثانية فسي الاحتفالات التي أقامها بمناسبة ذكرى قيام النظم الجمهورى في فرنسا ، فدعا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط "والشوام" وأقام لهم مأدبة كبيرة .

وبدأ الفرنسيون مرحلة جديدة تتعلق بالقضاء فأنشأوا ديواناً سموه " محكمة القضايا " وجعلوا أمور التجارة العامة والمواريث والدعاوى من اختصاصه بعد أن كانت هذه الأمور من اختصاص القضاة المسلمين ، فكونوا هذا الديوان من ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من التجار المسلمين وجعلوا قاضيه قبطياً ، وأصدر الفرنسيون أمراً يقضي بقبول شهادة النصراني واليهودى وأمر أن تقام الشكاوى ضد هما عند " صارى عسكر الفرنسيين دون غيره " "٣" .

ولكن كثرة الضرائب التي فرضها الفرنسيون عن طريق هذا الديوان أرهقت الناس ، فقامت في القاهرة ثورة شارك فيها العلماء ودخل الفرنسيون الأزهر بخيولهم فربطوها بقلته ومزقوا المصاحف ، وشارك نصارى الشام والأروام الفرنسيين تنكيلهم بالمسلمين "٤" ، وأصبح الفرنسيون بعد ذلك

-
- (١) الجوكار : علامة أو شعار فرنسي يقال له الورد ، وهي شارة الطاعة والمحبة عند الفرنسيين .
 - (٢) عجائب الآثار ٢٠٠/٢ - ٢٠١
 - (٣) المصدر نفسه ٢١١/٢
 - (٤) المصدر نفسه ٢١١/٢

يتصرفون في مصر تصرف المقيم ، فلبوا في الأزيئة أبنية على هيئة
مخصوصة لأقامة مسرح ومنتزه ، وهي أبنية كما يقول الجبرتي : () يجتمع
بها النساء والرجال للبهو والخلاعة في أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كسل
من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه ، أو يكون مأذونا ويده ورقة ()^١ ،
وعلى هذا يكون الفرنسيون أول من أسس في مصر مكانا يجتمع فيه الرجال
والنساء معا ، وجعلوه مفتوحا أمام جميع الطبقات .

ثم لم يكتفوا بذلك بل أقاموا داخل الأحياء السكنية ، ومنها الأزيئة
حيث أخذوا يتسلقون البيوت بحثا عن النساء لارضاء شهواتهم^٢ ، وقسام
بعض الضباط الفرنسيين بتشجيع يهودى على فتح مقهى وجمع الناس للسهر
فيها ، () فاستأنسوا بالأجتماعات والتسلي والخلاعات ، وم ذلك جهات
تلك الخطة ووافق ذلك هوى العامة ، لأن أكثرهم ملبوع على المجسسون
والخلاعة وتلك هي طبيعة الفرنسية ، فصاروا يجلسون عنده للسمر
والحديث واللعب والمنازحة ، ويحضر معهم ذلك الضابط ومعه زوجته
وهي من أولاد البلد المخلوعين ()^٣ .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أدى عهد الله جاك مينو الاسلام
عند ما كان حاكما على رشيد وتزوج امرأة مسلمة وعاملها معاملة النساء الفرنسيات
فحرضت نساء رشيد أن يحررن عرضا لنابليون يطلبن فيه أن يأمر أزواجهن
ويحطمهم على معاملتهن بنفس الطريقة التي يحامل بها " مينو " زوجته
الرشيدية^٤ .

وهكذا بدأت التقاليد الفرنسية تغزو المرأة المصرية عن طريق
الزواج حينما ، وعن طريق النساء الفرنسيات اللواتي جئن الى مصر بصحبة
أزواجهن ، () وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل

(١) المصدر نفسه ٢٢٠/٢ - ٢٢١ .

(٢) المصدر نفسه ٢٤١/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٢٤٤/٢ .

(٤) لمحة عامة الى مصر ، تأليف كلوت بك ، تحرير محمد مسعود ،

مطبعة أبي الهول ، القاهرة (١) / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

الحرير المطونة ، ، ، ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها مع الضحك والقهقهة
ومداغة المكاريه معهم وحرافيش الحامة ، فعالت اليهم نفوس أهل الأهواء
من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء ، وبذل
الأموال لهن ، وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار
وبالغلة في اخفائه ، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر (يقصد ثورة القاهرة
الأولى) وحاربت الفرنسيين بولاق وفتكوا في أهلها وغنموا أموالها ،
وأخذوا ما استحسنتوه من النساء والبسات صرن مأسورات عندهم فزبوهن
بزي نساءهم ، وأجروهن على طريقتين في كامل الأحوال ، ففعل
أكثرهن نقاب الحياء بالكيفية وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن ممن
النساء الفواجر ، ولما حل بأهل البلد من الذل والهوان وسلب الأموال
واجتماع الأموال في حوز الفرنسيين ومن والاهم وشدة رغبتهم في النساء
وخضوعهن لهم وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته
بتاسومتها^١ ، فطرحن الحشمة والوقار والجمالة وعدم الاعتبار ، واستطن
نظراءهن واختلن عقولهن لميل النفوس الى الشهوات وخصوصاً عقول
القاصرات ، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهم
ونوالهم ، فيظهر حالة العقد الاسلام . . . وصار مع حكام الأخطاط منهم
النساء المسلمات متزييات بزيبهم ، ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أسوار
الرعية والأحكام العادية والأمر والنهي والمعاداة ، وتمشي المرأة بنفسها
أو معها بعض أترابها أو أضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسية
والخدم ويأيد بهم العصي يفرجون لهن الناس مثلما يمر الحاكم ويأمرون
وينهين في الأحكام^٢ .

والواقع أن هذا النص الذي أورده الجبرتي يحتمر من أخطر النصوص،
وقد تعمدنا نقل أكثره لأنه يساعدنا في دراسة ظاهرة اختلاط بعض نساء
مصر بالفرنسيين من جميع جوانبها ، فالجبرتي يحترف أن النساء في مصر

(١) التاسومه : الحذاء ، وهي كلمة عامية .

(٢) عجائب الآثار ٤٣٦/٢ - ٤٣٧

كن في البداية ملتزمات طريق الحشمة والحصون ، وأن وقع شيء من الاختلاط بين الفرنسيين وبعض النساء الساقطات ، لكن هذا الأمر لم يصبح ظاهرة عامة ، وإنما ارتداد الأمر سواً عندما وقعت بعض من نساء بولاق أسيرات لدى الفرنسيين أثناء ثورة القاهرة ، فقد أباح الفرنسيون لأنفسهم ما استحسنا من النساء الأسيرات ، وفرضوا عليهن أن يعشن حسب نظام الحياة الذي عرفوه ، فتأثرت بسلوكهم وطبائعهم وأثرن على خيهرن من النساء ، فكأن هؤلاء الأسيرات كن واسطة لنقل التقاليد الفرنسية إلى عدد كبير من النساء ، ولم يقف الأمر عند حدّ تأثير الأسيرات وتأثيرهن بل اتسع نطاق التداخل بين أعيان المصريين وجنود الحملة ، فتزوجوا من بناتهم وأصبحت النساء المسلمات يخرجن مع أزواجهن من الفرنسيين يشاركنهم في الأمور العامة ، ولهذا نستطيع القول أن التزاوج بين الفرنسيين ونساء الأعيان أصبح تحت قسوة الظروف الجديدة ظاهرة معروفة ، وصار خروج النساء المسلمات مع الفرنسيين أمراً غير مستغرب ، حدث ذلك كله في السنة الثانية من دخول الحملة إلى مصر ، ومعنى هذا أن التفاعل بين المحتلين وبين بعض طبقات المصريين أصبح يسير بخطى حثيثة تدعو إلى الدهشة والمعجب .

واتخذ الفرنسيون من الأعيان ذريعة لهم مرة أخرى كي يشاركوا الناس احتفالاً بهم ويفرضوا من خلالها عاداتهم وتقاليدهم ، فجزوا فيها حسب أهوائهم وانطلقوا أثناءها مع متعمهم وغرائزهم ، فاحتفلوا في السنة الثانية بعيد وفاء النيل ، يقول الجبرتي : ((لما أوفى النيل أذرعه وجزت فيه بعض السفن وقع عند ذلك من تبوح النساء واغتلاطن بالفرنسيين ومصاحبتهم لهم في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل . . . وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة ، وصحبتهم آلات الطرب وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمعجون ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف بسخيف موضوعاتهم . . . فيصرخون ويطلون ويرقصون ويمزجون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ فرنساوية في غنائهم وتقليد كلامهم شيء كثير ، وأما الجوارى السود ، فأنمن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن اليهم أفواجا فرادى وأزواجا ، ففطن الحيطان وتسلقن اليهم

من الطيقان ، ودلّوهم على مخبات أسبادهن وخبايا أموالهم (١) .
وهكذا حاول الفرنسيون بشتى الحيل وكل ما أوتوا من وسائل أن
يوجدوا في مصر جوا أشبه ما يكون بجو باريس ، فلم يتركوا عادة من عاداتهم
الا وأظهروها في احتفالاتهم التي كانوا يقيمونها بمناسبة أعيادهم وفي مواقعهم ،
وقصدوا بذلك افساد أخلاق أهل البلاد وتشجيع العادة على اتيان المخازى
ومشاركتهم في ارتكاب الآثام جهرا ، وازداد عدد الفواخير في نواحي
المدينة ، وراقصت نساء الفرنسيين الرجال في الشوارع أثناء الاحتفالات
فدفعن القاهريين الى الغواية ، لكن كثرة عدد الفرنسيين المصابين بأمراض
معدية اضطرهم الى فرض رقابة صارمة لمنع اختلاط جنودهم بالنساء الساقطات
وأصدروا أوامره بعزل هؤلاء النسوة قبض "أغا الانكشارية" على حوالي
أربعمائة منهن ، ووضعهن في أكياس وقذف بهن في النيل (٢) ، وكان
أعضاء الديوان قد احتجوا قبل ذلك لدى عهد الله جاك مينو ، وطالبوه
أن يصدر تعليمات يمنع بموجبها الموضات من الاستمرار في العيب ، فوافقهم
على ذلك لا حرصا منه على احترام الدين الذي يفتح مثل هذه المعاصي ،
بل حفاظا على صحة جنوده الذين توفي الكثير منهم .

على أن ما ذكرنا من مظاهر الفساد لا يعني أن القاهرة بأكلها قد
تحولت الى حياة اللهو ، ان يبدو أن حرص الجبرتي على سلامة المجتمع
هو الذي دفعه الى ذكر هذه المظاهر والى الدقة في وصفها ، واذنا تمعنا
فيما ذكره الجبرتي وجدنا أن فئات محينة كان لها دور كبير في نشر الفساد ،
وهذه الفئات هي : النصارى الشوام ، والفرنج المقيمون ، والأروام ،
والأقباط ، وسفلة الناس وأرانبهم الذين اندفعوا الى معاملة الفرنسيين
حرصا على الكسب السريع ، وكان النصارى أول من فتح الخمرات ، وكان
لكبار الأعيان دور كبير في اتساع رقعة الفساد ، وذلك عندما قبل بعضهم
أن يزوجوا بناتهم من الفرنسيين ، ولكن وقوع كثير من نساء بولاق أسيرات

(١) المصدر نفسه ٤٣٧/٢

(٢) الحملة الفرنسية ، لمحمد شكوى ص ٥٨١

في أيدي الفرنسيين بعد ثورة القاهرة وزواجهم بهم وتخليقهم بأخلاقهم واختلاطهم بغيرهن من النساء ، دفع عجلة الفساد الى الأمام ، ولولا عودة الأتراك الى مصر بعد ثلاث سنوات من مجي " الحملة ، لحدث تحول خطير في الحياة الاجتماعية ، لأن الضعيف مخوم بتقليد القوى ، وهكذا عرفت مصر القيم المادية التي سادت الحضارة الغربية ، ونقل الفرنسيون معهم الى مصر في هذه السنوات القليلة كثيرا من مظاهر حياتهم وطرحت الحملة على مصر مفهوما جديدا للمرأة ومخالفا لما عرفوه وسعيدا كل البعد عن المضمون الاسلامي فظهرت المرأة سافرة ، تجالس الرجال في المقاهي وتمشي معهم في الطرقات دون رادع من دين أو خوف من ضمير ، وانما كانت الحملة قد فشلت عسكريا فانها قد نجحت في زرع بذور القيم الغربية ، وقد مست الحضارة الغربية للشرق المسلم بوجه سافر ، ومن تلك اللحظة بدأت عملية الموازنة بين القديم الموروث والجديد الطارى بكل أشكاله ومغرياته ، ودخل الشرق مثلا في مصر صراعا حضاريا ضاريا لم يتوقف حتى الآن " .

(١) والدليل على صحة ما ذهبنا اليه أن بعض الباحثين المتأثرين بوجهة النظر الغربية ونعني به لويس عوض قد رأى أن من ايجابيات الحملة ، أنها بلورت فئات اجتماعية على مستويات مختلفة كانت لا ترى أساسا من مخالطة الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة ، ولا ترى أساسا من تفهم وجهة نظرهم عن المرأة في موضوع السفور والحجاب ، ونسي أن يذكر أن هذه الفئات هي النصارى الشوام والأروام والافرنج المقيمون والاقباط وأسافل الناس . وذكر أن زواج بنات الأعيان بالفرنسيين وخروجهم معهم للنظر في أمور الرعية يدل على أنهم بلغن من الشوطين مداه ، وأن هناك فئات عديدة قبلت دعوة الفرنسيين الى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل نظريا وعمليا ، وتناسى لويس عوض أن النساء اللواتي خرجن معهم الى الشوارع كن من النساء اللواتي سيوهن أثناء ثورة القاهرة ، وأن قسما كبيرا من النساء اللواتي اختلطن بهم كن من الجوارى اللواتي كانوا يتخذونهن للتجسس على أسيادهن .

انظر تاريخ الفكر المصبرى الحديث ، لويس عوض ، دار الهلال ١٩٦٩ م ٣٩/٢ - ٤١ . وانظر كتاب : ودخلت الخيل الأزهر لمحمد جلال كشك ، الدار العلمية - بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ م ص ٣٩٥ . حيث وصف جلال كشك ماسماه لويس عوض تحرير المرأة بأنه فجور للنساء مع الفرنسيين ، وذلك في فصل طويل بعنوان : " تحرير المرأة من تحت الزنار " .

لكن اذا كان الاحتلال الفرنسي لمصر قد أحدث خلافا في أخلاق بعض نساء الطبقتين السفلى والعليا ، فان أخلاق أكثر نساء الطبقة الوسطى ظلت كما كانت قبل الاحتلال ، ذلك ملاحظه علماء الحملة وسجلوه ، كما لاحظوا أن كثيرا من الظواهر التي سادت المجتمع المصري خصوصا ما يتعلق بالزواج وغيره كانت مرتبطة بالمبادئ الدينية وأنه ليس هناك شيء يسمى قوانين مدنية^١ ، وسنحاول أن نرسم صورة للمرأة المحافظة من خلال ما كتبه هؤلاء العلماء وبعض الفرنسيين الذين عملوا في مصر بعد رحيل الحملة حتى لا يتبادر الى الأذهان أن المرأة المصرية قد أصبحت أثناء الحملة أقرب الى نساء فرنسا منها الى نساء الشرق ، وحتى يعيننا ذلك على فهم التغييرات التي ستطرأ على حياة المرأة المصرية فيما بعد ، وما لاحظوا وسجلوا أن المرأة كانت تتزوج في سن الثانية عشرة ومن النادر أن تبقى واحدة دون زواج حتى سن السابعة عشرة ، ولا يتم الزواج الا بعد أن تعلن النسوة أن الزوجة الشابة قد بلغت مرحلة النضوج ، وكانت المرأة تعطى موافقتها بنفسها أو من خلال وكيل لها ، وتحتم الشريعة على الزوج أن يقدم مهرا لزوجته ، وهذا المهر عماد أساسي للزواج وهو حق مطلق للمرأة ، وهذا الزواج لا يحتاج الى تصديق ديني أو قانوني ، ان يتمثل فقط في الإرادة التي يعبر عنها الطرفان المتعاقدان بحضور شاهدين ، ويحدث ألا يكون الزوج الشاب قد رأى من قبل المرأة التي تزوجها ، ولكن اذا ألح الرجل على روية تلك التي يعرضون عليه الزواج منها ، فان الشريعة تبيح أن تكشف الفتاة عن وجهها ويديها أمامه ويتم هذا الأمر بحضور أهلها ، وعند تحديد وقت الزفاف تدعى النساء الى منزل والد الزوجة وتقضي الزوجة يوما فسي الحمام بصحبة قريباتها وصدقاتها .^٢

(١) وصف مصر ، تأليف علماء الحملة الفرنسية ، الجزء الأول ، تأليف:

(ج دي شابرول) ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، مطبعة

الجبلاوي ، الطبعة الثانية ١٩٢٩ ، ٦٧/١ .

(٢) المرجع نفسه ٥٦/١ - ٥٧ ، ٨٠ - ٨٤ .

ويقام حفل بهيج لا انتقال الصروس من بيت أبيها الى بيت زوجها ،
وعندما تصل بيت الزوجية يحتفل بقدمها بحمل وجبة بانخة في مسكن
النساء ، بينما يتوجه الصريس الى المسجد في المساء يصبحه أقاربه وأصدقاؤه
وتتلقى الزوجة مهرها عند دخولها الى بيت الزوجية ، ويكون هذا المبلغ
ملكا خاصا بها تستطيع أن تتصرف فيه على النحو الذي يحجبها ، ولا يمكن
للزوج أن يحاسبها عليه مطلقا ، بل ليس لديه مجرد الحق في سوءالمسا
عنه .

ويتكفل أهل الزوجة قبل انتقالها الى بيت زوجها بتعليمها واجباتها
وحقوقها الزوجية ، ويعلق علماء الحملة على هذا الوضع بقولهم : ((ويحسن
بنا أن نلاحظ بأننا سوف نكون قد أخطأنا على نحو كبير اذا ما اعتقدنا أن
المسلات - برغم خضوعهن الى نفوذ أزواجهن - يمكن أن يعاملن
باستبداد وطفيان من قبل أزواجهن ، فان وضعهن على العكس من
ذلك طيب الى حد كبير ، كما أنهن في نفس الوقت الذي تقضي فيه
التقاليد والقوانين عليهن بنوع من الانسحاب والتفوق الدائم يتوصلن لا متلاك
نفوذ لاشك فيه على عقول أزواجهن ، ورغم الولاية التي تعطيهما الشريعة
للرجال على زوجاتهم ، فان النساء سعيدات بقدرهن ولا يمكن لهن أن
يتصورن مجرد تصور ، كيف يمكن أن تكون نساء الغرب في حالة أكثر
امتيازاً ما هن عليه) () ،

وتعنى المرأة باظهار التواضع والاخلاص لزوجها ، وليس لها هم
الا اتخاذ الوسائل لنيل رضاه والقيام بتوفير أسباب السعادة والهناء له ،
وكما يحترم الأبناء آباءهم فانهم يوقرون الأمهات ويتحنون الفرس لاظهار
عواطف الرفق بهن ومخاطبتهن بالقول الكريم . " ٢ "

(١) المرجع نفسه ٨٥/١ .

(٢) لمحة عامة الى مصر ، كلوت بك (١/٥٢٢ - ٥٢٣ .

وكلوت بك : طبيب فرنسي ولد في غرينوبل بفرنسا عام ١٧٩٣ م ،
وجاء الى مصر عام ١٨٢٣ ، حيث عمل طبيبا في جيش محمد علي باشا ،
طبع كتابه " لمحة عامة الى مصر " بالفرنسية عام ١٨٤٠ م ووصف فيه
أحوال مصر في مجلدين ، أسس أول مدرسة طبية في مصر . نقلا ==

أما نظام تعدد الزوجات الذي أصبح من الموضوعات التي شغلت كثيرا من الباحثين ، فان علماء الحملة لم يهملوه ، فقد لاحظوا أنه يمكن للمسلم أن يتزوج من أربع زوجات شرعيات بشرط أن يوفر لهن جميعا حياة طيبة وحقوقا متساوية ، ولفت أنظار علماء الحملة أن المسلمين من كافة الطبقات يحرصون على ألا يفيدوا من هذه الرخصة التي أباحتها الشريعة إلا باعتدال بالغ ، وليس لكبار الشخصيات في العادة إلا زوجة شرعية واحدة ، وقد تدفع أحدهم الرغبة في انجاب الأطفال أو في الحصول على مصاهرة ممتازة إلى الحصول على زوجة ثانية ، وعلى الشخص المتزوج من أكثر من زوجة أن ينام في مسكن كل واحدة من زوجاته بالتبادل ، أما إذا تصرفت بطريقة مخالفة فسوف يلام على سلوكه علنا ، وعند ما لا تكون الزوجات في حالة وفاق فان الزوج ملزم بتخصيص منزل لأي واحدة تطلب منه ذلك ، ومن المسلم به أن متوسط عدد الزواج الذي تتعدد فيه الزوجات في القطر المصري لا يتجاوز خمسة في المائة من مجموعهم "١" .

لكن "كلوت بك" على الرغم من اعترافه بهذه النسبة جعل تعدد الزوجات سببا في شل حركة شعوب الشرق وإيقافها عن التقدم إلى الأمام بما لا يسها من الطبائع البهيمية وغيرها من العلامات العنصرية بهيم الأمام والشعوب ، فتعد الزوجات هو الذي جر عليها بنى أوروبا "٢" ، وهكذا يتخذ هذا المستشرق من نظام تعدد الزوجات سببا لتأخر الشرق وتعلية لاستعمار أوروبا له ، مع أن نظام تعدد الزوجات أصون للمرأة وأحفظ للرجل . فالأفضل للمرأة أن تكون زوجة ثانية لها كل حقوق الزوجة الأولى من أن تكون خلية .

== عن كتاب تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١/٢ - ١٥٠ .
والذي يدعونا إلى الأخذ من كتاب كلوت بك على الرغم أنه متأخرا عن الحملة ، أن كثيرا ما كتبه يوافق ما ذكره علماء الحملة ، مما يدعونا إلى الظن أنه اطلع على ما كتبه وأخذ عنه إضافة إلى مشاهداته .
(١) لمحة عامة إلى مصر ٦٣٨/١ ، وصف مصر ٨١/١
(٢) لمحة عامة إلى مصر ٦٤٢/١ ، ٦٤٩ .

ويمكننا القول أن الأوروبيين اتخذوا من الطحن في عادات الشرق وتقاليد ه وسيلة لهم يهدمون بها أخلاقه التي لم يبق لديه شيء غيرها ، ليحلوا تقاليدهم محلها ، والغريب في الأمر أن "كلوت بك" الذي هاجم نظام تعدد الزوجات وهذه سببا في انحطاط الشرق ، قد وصف العدل الذي تعامل به الزوجات من قبل الزوج ، وحتى وإن كن من الجوارى ، حيث يقول : () وكثيرا ما يشاهد في البيت الواحد الجسوارى السود والجوارى البيض ويتزوج مولاهن بجارية جركسية منهن وأخرى حبشية وثالثة سودانية ، ويرى في هذه الحالة صارفا كل همته إلى العناية بهن وبأبنائهن على وتيرة واحدة ونمط لا يتغير ومحافظة على العدل بينهما)^(١) وإذا كان من حق الرجل أن يطلق زوجته إذا تعذرت سهل الحياة بينهما ، فإن للمرأة أيضا أن تطلب من القاضي هذا الحق ، وإذا اقتنع القاضي بالأسباب التي قدمتها ، فإن المرأة لا تفقد أى حق من حقوقها وتحفظ بكل مهرها وامتيازاتها ، ويعلق علماء الحملة على شيوع الطلاق بقولهم : () ومع ذلك لا بد أن نقرب أن ليس ثمة ما يشين امرأة مطلقة ، فهي تستطيع العثور على زوج آخر بسهولة ، لكن حياة الناس تتأثر على الدوام من مثل هذه الحرية المصيبة ، وإن كان التقدم الحضارى قد جعل مثل هذا الفعل المصعب أقل انتشارا بين الطبقات العليا في المجتمع .)^(٢) ولا حظ علماء الحملة أن مسكن الحريم مكان له حرمة ، والأزواج وحدهم هم الذين يستطيعون التردد عليه بحرية ، ولا تفتح أبوابه لرجل آخر غير الطبيب والكاتب ، وتراعى هذه التقاليد عند الأسر المتميزة والتي تتباهى بنسبها العالي ،

وينبغي القول إن كل العائلات ليست على هذه الدرجة من التزم ، ولسيدات الطبقة الراقية أماء من جنسهن يعهد إليهن بالعناية بأموالهن ، ونادرا ما تخرج المصريات خارج بيوتهن ، وإذا حدث ذلك فإنهن يفضلن

(١) المرجع نفسه ١/٥٣٣ .

(٢) وصف مصر ١/٨٨ .

ساعة قدوم الليل لقضاء مشاويرهن الصغيرة "١" ، ومن الآداب المتبعة أن يستأذن الزوج في الدخول الى حجرة زوجته ، ولكنه لا يظهر مطلقا اذا كان في قسم الحريم غريبا ، ويذكر علماء الحطة أن زوجات "البكوات" يذهبن الى حدّ تقديم الاماء الجميلات كهدايا لأزواجهن ، ولم يكن من النصارى كذلك أن تتزوج أرملة أحد "البكوات" بواحد من ممالك زوجها "٢" .

ومن العادات التي سادت مجتمع المرأة وسجلتها أقلام علماء الحطة تجمع النساء في الحمامات ، ويذكر "كلوت بك" أن الموجود منها في القاهرة سبعون حماما ، بعضها للرجال وبعضها للنساء ، ويضيف قائلا : (ان انتشار الحمامات في الشرق سبب من أهم أسباب نقص الأمراض الجلدية ، واني أتني على الله العفو أن يشحن استعمالها في أوروبا) "٣" .

ولفت انتباه علماء الحطة محافظة المرأة على الخمار ، ذلك أن النساء في كل الظروف لا يخرجن مطلقا سافرات الوجوه ، بل يغطين وجوههن بالبرقع "٤" ، وتعمل نساء مصر على اختلاف الطبقات الى حسب التأنق والتزيي بالحلي ، وتبالغ بعض النساء فيلبسن الخواتم المرصفة بالأحجار الكريمة في أرجلهن ، وليس من العاد أن تتزين زوجة حرفسي بسيط بمجوهرات ثمينة ، لأن المرأة تعتبر ذلك جزءا من كرامتها "٥" .

كما لاحظوا أن المرأة المصرية فخورة بأبوتها وتضع كل اهتمامها في طفلها وتركز حوله عواطفها ، ومن الصعب أن تسلم طفلها لعناية سيدة أخرى غريبة عنه والمرأة المصرية ترضع ابنها من لبنها ، لذلك لا تعرف في مصر هذه الأمراض التي تثير أحزان الأسهات الشابات اللائي يمتنعن عن ارضاع أطفالهن ، واذا شامت الظروف أن لا تشجع طفلها من لبنها ، فانها تطلب معونة سيدة أخرى مرضعة ويطلق علماء الحطة على ذلك بقولهم :

- (١) وصف مصر ١٠٧/١ - ١٠٩
- (٢) المرجع نفسه ١١١/١ - ١١٢
- (٣) لمحة عامة الى مصر ٥٨٩/١
- (٤) وصف مصر ٥٦/١ ، ١٠٩
- (٥) وصف مصر ٥٤/١ ، ١٠١

() وهكذا يبدو أن العناية الالهية تقيم نوعا من التحويض بين المزايا التي توزعها على الشعوب ، فهذا هو المصري الذي ليس له نفس ملذاتنا وماهجتنا يعرف أكثرنا العواطف الطبيعية ، فأطفاله هم كل شيء في حياته وهم مصدر كل سروره وآماله ، وهو يدبر بذلك الى براعة عاداته ونشاطه (تقاليد) " ١ " .

أما بالنسبة للتعليم فقد ذكر علماء الحملة أن الفتيات في مصر لا يتعلمن حتى مجرد القراءة ، ويندر أن يتعلمها بعضهن ، ولكنهن يحفظن بعض الآيات من القرآن ، ويحالجن بعض أصال التطريز والنسيج والوشى ، بالإضافة الى قيامهن بالأمر البيتية جميعها " ٢ " .

وإذا كان الغربيون قد أخذوا على المسلمين نظام الحريم واعتبروه سجنا للنساء ووكرا للشهوات ، فإن " كلوت بك " الذي عاش أكثر حياته في مصر يدحض هذه التهمة فيقول : (في منازل الأتراك قسم مستقبيل للنساء عن القسم الذي يسكنه الرجال ، وهو خاص بسكنى النساء ، والفكرة الشائعة في أوروبا عن الحريم لا أثر لها من الصحة ، فان هذه الكلمة مستعملة في المعنى الذي يؤخذ من لفظ السراي أو القصر ، وليس في القسم الداخلي للحريم ما يعدّ خارجا عن القواعد المألوفة . . . والفكرة السائدة في أوروبا عن الحريم أنه معهد للفسق والفجور وهوة للحمارة اتخذتها أمة فاسقة لتمتعاتها الشهوية العديدة والمضي في تيار الفساد الذاهب بالمقبيل وهذا هو الوهم الباطل بعينه ، فان الحريم مكان يسود فيه نظام أساسية الصيانة الدقيقة) " ٣ " .

ويرى " كلوت بك " أن النساء لا يرين في بقائهن داخل الحريم شقا وعذابا لا يعبأهن هذا الوضع ما قضى به الزمن والعادة ، ذلك أن الرجل المسلم يخصص كل ما يملكه من حسن ونفيس لنسائه ، ولا تستقبل النساء في

(١) وصف مصر ١ / ٥٩ .

(٢) المرجع نفسه ١ / ٦٤ ، لمحة عامة الى مصر ١ / ٦٢١ .

(٣) لمحة عامة الى مصر ١ / ٦١٥ .

الحرم أحدا من الرجال غير الزوج ، وفيما عدا ذلك فإن الحرم مفتوح على مصراعيه لجميع السيدات على اختلاف طوائفهن ، ونساء الحرم لسن منوعات من الخروج فلهن الحرية في زيارة الأهل والأقارب والصدقات ، والواقع أن نساء الحرم - كما أطلق عليهن الأوروبيون - كن يعرفن أوضاعهن جيدا ويعلمن رأى السيدات الأوروبيات ، وقد عبر كلوت بك عن هذا الموقف على السنة نساء الحرم بقوله : ((ماسمعت النساء المسلمات الأوروبيات يرثن لحالهن ، . . . لما حسن فيه من الاحتجاب وعدم البروز للجمهور ، الا وقد اعتراهن الدهش وقابلن عواطف الرحمة والحنان التي لم يكلفن أحدا بالاعراب عنها بالملاحظات المرة القارصة ، واذما ماسئلن عن فائدة التزين والتجمل اذا كن مرغبات على سبترها عن الأنظار ، أجبن : انا اذا تزينا وتجملنا فانما لأجل الزوج ، أما أنتن فلغير أزواجكن ممن الرجال والنساء تتزين وتتجلن))^١

ويبدو أن هذا الرد كان موقفا حيث كشف عن طبيعة المرأة المسلمة التي تعترف حدودها وعن مظاهر الحضارة الغربية التي جعلت من المرأة دمية متنقلة ، أضف الى ذلك أن " كلوت بك " كشف عن المكانة التنسي احتلتها نساء الحرم خاصة وقت الحرب ، عندما ذكر حماية المرأة للمقاتل المغلوب على أمره ، اذا لجأ الى الحرم واحتسى بحماه^٢ .

وقد وصفت " لوسي دوف جوردون " قسم الحرم فقالت : ((أما الحرم فقد دخلته يوما وشمرت كأنما كنت في حفل أقيم في قصر ملكي من قصور إنجلترا ، نساء جميلات يرفلن في الدمقس والديباج وفتيات منعفات . . ليس هناك من شيء ألطف من الحرم التركي ، فهو من هذه الوجهة أرقى ما يمكن أن يتصوره الانسان . . .))^٣ .

وإذا كنا قد استرسلنا في الكلام عن الحرم ووصف حياة النساء فيه ، فليس معنى ذلك أن كل النساء في مصر كن يعشن هذه الحياة ، لأن الحياة الناعمة لم تكن ميسرة الا لطبقة قليلة من نساء أعيان المصريين والأثراك .

(١) المرجع نفسه (١ / ٦٢٣) .

(٢) المرجع نفسه (١ / ٦٢٠ - ٦٢١) .

(٣) رسائل من مصر ، بقلم أحمد خاكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب

ويشير " كلوت بك " الى أن عدم اختلاط النساء بالرجال أدى الى عدم تفرغهن للتدابير والحيل الفرامية ، وبذلك كان شرف الأزواج فسي الشرق آمن منه في الغرب ، وليس بالامكان العثور في مصر على امرأة متزوجة تمشي عيش الخليفة مع رجل غير زوجها " ١ " .

ولو أعدنا النظر ثانية فيما كتبه علماء الحملة وآخرون غيرهم ، لوجدنا أن المرأة في مصر قبل مجيئهم كانت مصنوعة من صلب الممالك على الرغم من فساد ادارتهم وسوء تصرفهم ، فمن الصعب أن نجد كاتبا أو مؤرخا ممن أرخوا للممالك يشير الى سوء معاملتهم للمرأة ، فكأنهم كانوا يرون أن كسل شيء مباح لهم إلا إستهان المرأة والجهت بها ، بل لقد بلغت مكانة المرأة عندهم من التقدير والاحترام حدا يصعب تصديقه ، ذكر " كلوت بك " أنه ((بلغ الأمر في عهد الممالك أن المجرم الذي يساق الى الأعدام كانت تعصب عيناه ، حتى اذا التقى في طريقه بموكب لحوم أحد الأمراء واغتصب هذه الفرصة ليلمس طرف ثوب إحدى النساء السائرات فيه ، فان هذه الحركة التي يقصد بها الاستفائة كانت تؤدى حتما الى المفوعة واغلا . سبيله ((" ٢ " .

وعلى الرغم من اعترافهم بالاحترام الذى كانت تلاقه المرأة والحماية والرعاية اللتين كانت تتمتع بهما رأوا في ثنات أخلاق الشرقيين واعتمادها على الدين مشكلة تواجههم وتعميق محاولاتهم التي بذلونها من أجل السيطرة على الشرق ، فأرادوا أن يحلوا " الموضة " محل النظام الاجتماعى الذى كان يراعى الروح الدينية في كثير من العادات والتقاليد ، وفعلا بدأ الفرنسيون تطبيق هذا المبدأ عند دخولهم الى مصر كما مر معنا ، وقد شكوا علماء الحملة من تمسك الشرقيين بعقيدتهم وحاولوا أن يوهموهم ، بأنهم لن يتقدموا ما لم يتخلصوا من سيطرة الدين ويخلصوا ربقتهم من أعناقهم ان يقول أحدهم : ((ولسوف تظل عقيدته - أى محمد صلى الله عليه وسلم - هذه في أوج فعاليتها في الشرق ، طالما ظلت شعوب هذا الشرق بمعيدة

(١) لمحة عامة الى مصر (١ / ٦٢٥ - ٦٢٦) .

(٢) المرجع نفسه (١ / ٦٢٠ - ٦٢١) .

عن مدارج التقدم والحضارة الحديثة . . . ان فلپس المجتمع هو السبذى
ينظم التقاليد في مصر ، كما أن " الموضه " لا تخير من هذا المجتمع حسب
أهوائها وتقلباتها ، فكل شي " فيه يستند الى النظام الروحي والديني والسبى
أن يحين ذلك الوقت الذى تتفجر فيه ثورة بيد وأنهما ماتزال شديدة البعد ،
فلسوف تظل عادات الشرقيين الأسرية هي هي (. . .) " ١ " ؛

وهذا الموقف يفسر لنا اصرار الفرنسيين على نقل كل مالك بهم مسن
قيم مادية الى مصر وغزوها بالمسارح والملاهي وتهيج النساء واختلاطهن
بالرجال . . . ولكن عودة الأتراك الى مصر وضمت حدا لهذا الفسوز
الحضارى ولو الى حين .

عاد الأتراك الى مصر بعد غياب استمر ثلاث سنوات ، وكان خبير
عودتهم اليها مفاجأة أنهلت الفئات التى انخرست في التعامل مع
الفرنسيين ، فها هو علي الرشيدى عضو الديوان وشقيق زوجة عبد الله جاك
مينو يهرب من رشيد الى القاهرة مع أخته بمجرد سماعه بمقدم الأتراك ،
فيلتجأ معها الى القلعة التى كان يسيطر عليها الفرنسيون " ٢ " ، وهما هسي
" هوى " التى كانت امرأة لأحد الأمراء المماليك ثم تزوجت بنصرانسيسى
يدعى " نقولا " في عهد الفرنسيين تهرب من القلعة وتحاول الاختفاء من
وجه العثمانيين ، ولكن زوجها الذى عاد مع الأتراك يمسك بها ويستأذن
الوزير في قتلها مع غيرها من النساء اللواتي خرجن عن التقاليد " ٣ " ،
وكانت ابنة الشيخ خليل البكرى أحد أعضاء الديوان ممن طلبهن الأتراك
لتبرجها مع الفرنسيين و أحضروها مع والدها ولما سئلت عما كانت تفعل
قالت : () تبت من ذلك ، فقالوا لوالدها : ما تقول أنت ؟ فقال :

-
- (١) وصف مصر ١٠٥ / ١ - ١٠٦ .
 - (٢) تاريخ عجائب الآثار ٤٦٠ / ٢ .
 - (٣) المصدر نفسه ٤٦٢ / ٢ ، ٤٨٦ .

اني برى منها ، فكسروا رقبتها . . .) " ١) .

وسرعان ما عادت النساء اللواتي جرفهن تيار الخلاعة في عهد الفرنسيين الى وضع الحجاب بعد أن كنّ قد ألقينه جانبا ، فتزوج بهن كثير من عساكر العثمانيين ما دفع القائمين على الجيش أن يأمرؤا الأهالي بعدم مصاهرة العثمانيين وتزويجهم النساء " ٢ " .

وأصدر الباشا العثماني أمرا جديدا يقضي بإغلاق جميع المقاهي التي استحدثت في عهد الحملة ، وأمر بعدم بيع المسكرات أو شرائها الا من قبل الكفرة سرا " ٣ " .

وطوت مصر ماضيها الذي عاشته زمن الحملة لتبدأ عهدا جديدا في ظل حكم محمد علي باشا الذي تسلّم زمام الأمور في مصر بعد سلسلة طويلة من المؤامرات والدسائس بينه وبين منافسيه من العماليك والأتراك ، حيث تمكن من الوصول الى الحكم عن طريق العلماء والمشايخ الذين طلبوا من الباب العالي اسناد أمور مصر اليه " ٤ " ، وكان لسفير فرنسا في الاستانة رغبة شديدة في بقاء محمد علي حاكما على مصر ، وسمى لدى الباب العالي في تثبيته والتخلص من منافسه " محمد بك الألفي " الذي كان على علاقة بانجلترا " ٥ " ، ويبدو أن محمد علي كان على علاقة بالفرنسيين قبل قدومه الى مصر ، وكان أول شبابه يتردد على تاجر فرنسي يدعى " ليون " فيقدم له المساعدة ، وكان سمي السفير سببا آخر لوثوقه بالفرنسيين واستخدم اسمه أفرادا منهم في ادارة شؤون البلاد " ٦ " ، وأظهر محمد علي حزما في كسـل

-
- (١) المصدر نفسه ٤٨٦/٢ .
 - (٢) المصدر نفسه ٤٩٠/٢ .
 - (٣) المصدر نفسه ٥١٢/٢ .
 - (٤) عصر محمد علي ، تأليف عبد الرحمن الراجحي ، الطبعة الثالثة ١٣٧٠ - ١٩٥١ م ، مطبعة الفكرة ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ص ١٦ - ١٩ . انظر تاريخ مصر الحديث ، لجرجي زيدان ١٥٤/٢ .
 - (٥) تاريخ مصر الحديث ، لجرجي زيدان ، ١٥٥/٢ .
 - (٦) تراجم مشاهير الشرق ، لجرجي زيدان ٢١/١ .

الأمر ، وبدأ بتطهير البلاد مما علق بها من الفساد الذي أباحه الفرنسيون ، فبادر إلى قطع دابر المتهتكات نفياً وقتلاً ، وإذا علم بارتكاب أحد رجاله منكراً أمر بالقائه مع شريكته في النيل^١ .

وما إن استقرت به الحال في مصر حتى أثنجته إلى إصلاح الجيش وتجديده ليكون قادراً على تحقيق طموحه ، ولم يقصر اهتمامه على الجيش ، بل وجه عنايته إلى التعليم فاهتم بتعليم بنات أسرته وجواريه ، فاستمعان بالسيدة " ليدز " زوجة أحد مبشري الانجليز التي أنشأت عام ١٨٣٥م أول مدرسة افرنجية للبنات في مصر بتشجيع من تلميذتها " الخانم " بنت محمد علي الكبرى^٢ ، فكانت بناته أول بنات درسن على أيدي مدرسات أجنبيات مما سيكون له أثر بالغ ، حيث أصبح تعليم البنات في أيدي الرسائل التبشيرية التي كان لها أهداف خاصة تسعى إلى تحقيقها ، ولن نستغرب من الآن فصاعداً التغيير الكبير الذي سيطراً على سلوك بنات الطبقة العليا .

وأمر محمد علي عام ١٨٣٢ بإنشاء مدرسة القاهلات بمساعدة " كلوت بك " وكانت كل تلميذاتها أول الأمر عشرًا من جواري قصره السودانيات والحبيشيات وكان يشترك في التدريس إلى جانب " كلوت بك " طبيبة فرنسية تدعى " جوليت " علمت تلميذاتها اللغة الفرنسية^٣ ، ولم يكتف محمد علي بما فتحه من مدارس في مصر فأرسل أول بعثة علمية إلى إيطاليا عام ١٨٠٩م ، ثم حوّل وجهة البعثات إلى فرنسا فأرسل أول بعثة كبيرة إليها عام ١٨٢٦م ، وعين الشيخ رفاعه رافع الطهطاوى اماماً لها .

-
- (١) الهلال السنة الثالثة ، الجزء الرابع ، أكتوبر تشرين أول ١٨٩٤ ، ص ١٤٣ .
 - (٢) تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، تأليف الياس الأيوبي ، مطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة ، ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣م ص ٢٠٤ .
 - (٣) تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، تأليف جمال الدين الشيال ، مطبعة الاعتماد بمصر ، نشر دار الفكر المصري ١٩٥١م ، ص ٢٢ - ٢٣ .

لم يقتصر الطهطاوى في فرنسا على مهام امام البعثة ، بل تعلّم الفرنسية واتقن فن الترجمة "١" وتأثر بما شاهدته في المجتمع الفرنسي ، ونستطيع أن نلاحظ فيما كتبه عن فرنسا مدى لتفكير أوروبا في أوائل القرن التاسع عشر ، ونقرأ كلاما كثيرا عن المرأة مستوحى من الحياة الاجتماعية الفرنسية ، والغريب في أمر رفاعه أنه بدأ الباب الأول من كتابه " تخلص الابريز في تلخيص باريز " بوصف فرنسا على أنها ديار كفر وعناد "٢" ، ولكنه بعد ذلك سوغ كثيرا من الأخلاق والعادات الفرنسية ، حتى أن منزلة باريس في نفسه زاحمت منزلة القاهرة ، يقول رفاعه :

لقد ذكروا شمس الحسن طسرا وقالوا ان مطلقها بمصر "٣"
ولكن لورآها وهي تبدو بباريس لخصوها بذكر

ثم تتبع أحوال المجتمع الفرنسي وما يسوده من عادات وتقاليد ، فلاحظ أن الرجال في فرنسا عميد النساء ، وأنهم لا يشعرون بالغيرة على نساءهم اللواتي لا يحرصن على عفافهن ، وذكر أن الزنا عندهم مسين العيوب ولكنه لا يصل الى درجة الذنوب خصوصا في حق غير المتزوج "٤" ، ولم يرفاعة عينا في تبحر الفرنسيات واختلاطهن بالرجال بل اعجب بجمالهن (ونساء فرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاحظة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال في المنزهات ، وربما حسدت التعارف بينهن وبين بعض الرجال في تلك المجال) "٥" .

(١) رفاعة رافع الطهطاوى ، لجمال الدين الشيال ، دار المعارف بمصر

ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، دراسة وتحقيق محمد عمارة

(كتاب تخلص الابريز في تلخيص باريز) ١٥/٢ .

(٣) الأعمال الكاملة لرفاعة (تخلص الابريز) ٦٣/٢

(٤) المرجع نفسه ٧٨/٢ - ٧٩ .

(٥) المرجع نفسه ٨٠/٢

ولا يخفي رفاة اعجابه بملابس النساء على الرغم من خلاعتها ،
((وملابس نساء الفرنسيين لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا اذا تزيين
بأغلى ما عليهن)) ، ويدي اكبارة لملابس الرجال فيقول : ((وممن
العوائد العظيمة انتشار لبس القمصان والألبسة والصدريات . . .))^١ ،
ويبدو أن انبهاره بما شاهده في باريس دفعه الى تهديل اللباس العربي
من الحبة والقفطان والعمامة باللباس الافرنجي عندما عاد الى مصر^٢ .
وكان رفاة يدقق نظره في كل ماتقع عليه عيناه ، حتى أن طريقته
تصنيف الفرنسيات لشعورهن لفتت انتباهه واستحسنها بل عدها خصلصة
حميدة ((ومن خصائصهن التي لا يمكن للانسان الا أن يستحسنها منهن
عدم ارخائهن الشعور كنساء العرب))^٣ .

وعندما يتكلم رفاة عن أماكن الرقص " الهال " فانه يسهب فسي
الحديث ، يقول : ((والرقص عندهم فن من الفنون . . . ويتعلق
بالرقص في فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من الحياة والشلبنة لا من الفسق ،
فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياة ، بخلاف الرقص في أرض مصر
فانه من خصوصيات النساء لأنه لتهييج الشهوات ، وأما في باريس فانه
نقط مخصوص لا يشم منه رائحة العهر أبدا . . . وقد يقع في الرقص
رقصة مخصوصة ، يرقص الانسان ويده في خلاصة من ترقص معه))^٤ .

والواقع أن موقف رفاة هذا يدل على مدى اقباله على المجتمع
الفرنسي وتقبله لعاداته ، فالرقص عندهم فن وليس عهرا كما هو الحال في
مصر ، على الرغم من امساك الرجل للمرأة التي يراقصها من خاصرتها ،
وهذا يعني أن رفاة تقبل فكرة الحرية الشخصية التي سادت المجتمع الفرنسي
بعد الثورة ، ويزداد فكر رفاة وضوحا في تقبله لسفور المرأة الفرنسية ،

-
- (١) المرجع نفسه ١١٧/٢ .
 - (٢) الهلال ، السنة الثالثة ، الجزء الثاني عشر ، فبراير شباط ١٨٩٥ م ،
ص ٤٤٤ .
 - (٣) الأعمال الكاملة ، لرفاعة ١١٨/٢ ، من تخليص الابريز .
 - (٤) المرجع نفسه ١٢٢/٢ - ١٢٣ من تخليص الابريز .

حيث يقول : () وملخص ذلك أن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك في المحبة . . .) "١" ، وهذا يعني أن رفاة لا يومن بأن وجود المرأة في بيئة تتمتع الاختلاط بين الجنسين قد يكون له تأثير كبير على التربية الجيدة أو السيئة .

أما بالنسبة لعمل المرأة ، فقد لاحظ رفاة أول نزوله باريس وجود بائعات في المحال التجارية ، ولم يستغرب الأمر ، بل عدّه هو الأصل إذ يقول : () والعادة أن البيع والشراء بالأصالة للنساء ، وأما الأشغال فهي للرجال ، وكان أول ما وقع عليه بصرنا قهوة عظيمة ، والقهوجية امرأة جالسة على صفة عظيمة . . .) "٢" .

وهو يدعو إلى تعليم المرأة لا لتحسن تربية أبنائها والقيام بواجبها نحو زوجها وأسرتها ولكن حتى () يصلحن لمشاركة الرجال في الكلام والرأى فيعظمن في قلوبهم ، ويمظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش ما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها ، وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجل على قدر قوتها وطاقاتها ، فكل ما يكتسبه النساء من العمل يشارنه بأنفسهن . . . فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة ، وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهي مذمة عظيمة في حق النساء . . .) "٣" .

فالتعليم في رأى رفاة يفسح المجال للمرأة في مجالس الرجل كسي تبدى رأيا فتعظم مكانتها في قلب الرجل والتعليم عنده طريق للاختلاط والعمل ، وهذا الرأى هو الذى تبناه قاسم فيما بعد ، فكان الطهطاوى

-
- (١) المرجع نفسه ٢٥٨/٢
 - (٢) المرجع نفسه ٣٩٣/٢ "المشهد الأمين للهنات والبنين" .
 - (٣) أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى ، دكتور محمود فهمسي حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م ص ٨٣ .

على التقيض من الجبرتي ، فبينما أدان الجبرتي سفور المرأة واختلاطها
بجنود الحملة جملة وتفصيلا ، نجد رفاة لا يقف موقف التأييد من
سفورها واختلاطها وعملها فحسب ، بل يسوغ هذه الأمور ويحسنها كذلك .
ولم يكتف الطهطاوي بانارة ماسبق من قضايا بل أشار الى ضرورة
الاقتصار على زوجة واحدة وعدم التسرى بالاماء " ١ " ، ولم يحاول رفاة فيما
قاله عن المرأة أن يعود الى الاسلام ليحدد موقفه على ضوءه .

وما سبق نلاحظ أن رفاة بسفوره الى فرنسا عاد بفكر جديد يخالف
كل المخالفة مدرسه في الأزهر ، وأبرز في مؤلفاته للمرأة قضايا وأمورا
لم تكن معروفة من قبل ، وكان له تأثير على محاضريه لاسيما الشدياق .

وقد أشار الشدياق الى كتاب رفاة " تخلص الابريز في تلخيص
باريز " وذكر سبقه في وصف باريس ان يقول : ((ولهذا استأذنه
في ذكر ما أضرب عنه بالكلية أو أشار اليه اشارة فقط)) " ٢ " ، فهو يعد
عمله تكملة لعمل رفاة ، ولكن الشدياق كان أكثر وضوحا في رؤيته
للمجتمعين الانجليزي والفرنسي ، فذكر كثيرا من متاعب النساء فيهما
وانتقد عادة اصطحاب الكلاب عند الانجليزيات وترك شعورهن منقوشة ،
ورأى أن اشتراك النساء في الأعمال الزراعية وأجرة رخيصة امتهان للمرأة ،
وأن قسوة الرجال هي السبب في هذا الابتذال ، ورأى أنه لاشي أرخص
من الجمال في انجلترا ، ولاحظ أن عامة الانجليز رجالا ونساء عند هم من
التفاوت والتشاوم ما عند عامة بلادنا " ٣ " ، وشاهد بعض النساء يتكسبن
بالمزف على آلات الطرب " ٤ " ، وهاله ما يحدث في بلاد الانجليز من تسميم

(١) الأعمال الكاملة لرفاة ٢ / ٤٩٩ - ٥٠٣ ، من كتاب المرشد الأمين
للبنات والبنين ، وانظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية ، للدكتور
محمد محمد حسين ، المكتب الاسلامي - بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ

١٩٢٩ م ص ٣٧ .

(٢) كشف المخبا عن أحوال أوروبا ، تأليف احمد فارس الشدياق ، مطبعة
الجوائب في القسطنطينية ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٩ هـ ص ٢٢٢

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٩ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٨ .

الزوجات لأزواجهن وقتل الأولاد من قبل الآباء والأمهات أو العكس ، ويرى الشدياق أن الطمع هو الدافع وراء هذه الحوادث "١" .

ومما أخذته الشدياق على المجتمع الانجليزي حصرهم الارث في الابن الأكبر مع حرمانهم البنت من الارث واللقب حتى لو كانت انكبرى بنات الأسرة أو أبنائها ، ومما استغرب أمره واستهجنه لجوء العامة في إنجلترا الى بيع زوجاتهم لعدم امكان الطلاق ، ولا حظ كذلك أن التقاليد تمنح لسلب الانجليزي أن يجبر ابنته على الزواج بمن شاء قبل بلوغها سن الرشد "٢" .

ومن الأمور التي لفتت انتباه الشدياق أن كراهة الناس في إنجلترا لا يتزوجون عن حب بل عن طمع في زيادة المال ، ولذلك كثيرا ما يتزوج الشاب الجميل بامرأة شوهاء ، وعقل سبب تأخر سن الزواج عندهم بانتشار السفاح "٣" ، ووصف مايومرى اليه الزواج المتأخر من نتائج وخيمة ، فقد شاهد ألوف البنات المشرديات في أسواق لندن وغيرها ، ولا حظ أن أكثرهن لا تزيد أعمارهن عن خمسة عشر عاما وأنهن ممتهنتات ، ويطلق على هذه الظاهرة بقوله : (يعييون علينا هذه العادة - يعني الزواج المبكر - وهي مستعملة عندنا على وجه الحلال وعندهم بالحرام ، فلو كنّ مكفيات المثونة لما فعلن ذلك . . .) "٤"

فهو يرى أن المجتمع الشرقي مصيب في اتجاهه الى تزويج البنات في سن مبكرة صونا لها ومنعا من انحرافها ، على عكس الفرنج الذين يعييون على المسلمين هذه العادة ، فتبقى البنت عندهم في وضع مؤلم هيست لا تجد لها مكانا الا في محلات البغاء التي لاحظ الشدياق وجودها في

-
- (١) المرجع نفسه ١٣٥ - ١٣٦ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٧٠ - ١٧٢ .
 - (٣) الساق على الساق فيما هو القاديان ، دار مكتبة الحياة - بيروت ص ٥٩٤ .
 - (٤) المرجع نفسه ٥٩٣ .

أمكة خاصة ، وهذه الظاهرة نقلها الانجليز محبهم الى مصر عند مسـا
احتلوها "١" .

وكما سجل الشدياق آراءه في نساء الانجليز صور أيضا انطباعه عن
نساء باريس ، فكانت أولى ملاحظاته أن أهل باريس يعيشون مع النساء
عيشة المتعة ويرزقون بالبنين والبنات وهم على هذه الحالة ، ويطلق على
ذلك بقوله : ((وكيف يحب الرجل امرأة ولا يتزوجها ، لاسيما وقد
ولدت له أولاداً)) "٢" ، وهو يرى أن عشق الفرنسيين للنساء
وارضاءهم لهن وتقانيهم في خدمتهن لا يمنحهم من تهديلهن ، فتبدلهم
عندهم أهون من تبديل اللباس ، ولا حظ أن تهافت الفرنسيين على المرأة
ليس لاحترامها بل للتمتع بها ، وأن تهافت المرأة على المراقص جعلها
تظن أن في كل مكان تذهب اليه مرقصا ، يقول : ((ومن ذلك أنه من
طول تردد هن على مواضع الرقص يحسبن كل مكان يطأنه مرقصا فتري المرأة
منهن تمشي في الأسواق والشوارع ، وهي تعيد وتعمل وتتخلع ، ومن
ذلك تحكمن على الرجال وتمززهن عليهم في كل حال ونال ، فتسرى
الرجل يماشي المرأة وقلبه بين رجليها ، وإذا خلا معها في البيت ، فهي
الآمرة الناهية المستعلية)) "٣" .

ولاحظ الشدياق غرام الفرنسيات بالأزواج وتكليفهن الأزواج ما لا
يطيقون ، ذلك أن المرأة المتزوجة في باريس يفتق زوجها على كسوتها
فقط ما ينفقه الانجليز على أسرة بأكملها ، فدأب المتزوج في باريس وهمصه
ارضاء زوجته ، ولكثرة مطالب الزوجة وما تفرضه على الزوج من نفقات ، قلت
نسبة المتزوجين في باريس ، وهذا ما يفسر كون ((ثلاثة أرباع سكان باريس
مسافحين)) وكونهم كما لاحظ لا يفرقون بين الحرة والبنفي "٤" ، وعند

-
- (١) كشف المخبا عن أهوال أوروبا ص ٢٤٥ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 - (٣) الساق على الساق ص ٦٢٤ .
 - (٤) المرجع نفسه ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

أن من أسباب ذلك أيضاً بعدهم عن الدين "١" ، فقد أقاموا في سنة ١٧٩٣ م ، أثناء الثورة () امرأة عريانة على مذبح إحدى الكنائس وسجدوا لها "٢" ، فهولا يرى في الثورة الفرنسية مارآه فيها رفاة ، إذ هي عنده فتنة وخروج على الدين ، ومع أن الشدياق قد عدّ الثورة مسئولة عن هدم سلطة الدين وعدم الاهتمام بالقيم الخلقية رأى أن هناك أسباباً أخرى أدت إلى الفساد في هذه الديار ، ومنها اشتغال النساء () وذلك أنه لما كانت جميع الأشغال في باريس تدبرها النساء ، وكان منهن غسالات وخدمات وخياطات وفرّاشات وبيّعات للتأكل والمشروب والطبوس أمكن للرجل أن يصاحب واحدة فتأتيه . . . بل ربما صاحب امرأة من نفس الدار التي يسكنها ، ولهذا فإن المتزوجين في هذه الديار لا يأمنون على نسائهم وبناتهم . . . ولهذا كان أهل باريس أقلّ غيرة على نسائهم من جميع الناس . . .) "٣"

فعمل المرأة واختلاطها بالرجال أدى إلى فساد حياة كثير من الناس وعدم اطمئنانهم على زوجاتهم وبناتهم لسهولة الاختلاط ، مع عدم وجود أي دافع ديني أو خلقي يمنع الاقربان من إشباع شهواته بطرق غير شرعية ، ورأى الشدياق أن اشتغال النساء بمحلات البيع سهل اتصال الرجال بالنساء ، وزاد في انتشار الفساد ، () فأما أمر النساء فكان أصحاب البيع والشراء لما كانوا قد اتخذوا لادارة أشغالهم نساء حسانا ، فإذا خرجن في الليل بعد انقضاء أشغالهن ترصدنهن الرجال ودعتهن إلى مواضع الأكل والقهوة واللعب ، فتذهب كل واحدة مع من تحب فتمسّي رافقته إلى أحد هذه المواضع ، علم أن حقها عليها صار لازماً . . .) "٤"

-
- (١) كشف المخبا ص ٢٥٦ .
 - (٢) الساق على الساق ص ٦٣١ .
 - (٣) المرجع نفسه ٦٢٩ .
 - (٤) الساق على الساق ص ٦٢٩ .

وقد خرج الشدياق بنتيجة تدل على وهي وصيرة ودقة نظره وهي أن حب النساء من قبل الفرنسيين وتوددهم اليهن ليس له دافع سوى اشباع رغباتهم ، فهم لا يعنون براحتهم () ويدعونهم يحطن الأعمال الشاقسة ليكسبن بعض شي . . . وتراهن يتعاطين من الأعمال الخسيسة ما تأسف منه أخص نساء الأنجليز كتكيس الطرق وحمل الأحمال وتنظيف الأحذية وصيد السمك والمناظرة على المراحيض . . .) (٢) .

ولاريب أن ما شاهدته الشدياق من امتحان لكرامة المرأة في فرنسا وانجلترا هو الذي دعاه الى رفض كثير من القيم الشريفة ، فكان من القلائل الذين تنبهوا الى الامتحان الذي شعرت له المرأة في فرنسا ، خصوصا بعد الثورة الفرنسية فالمرأة عندما شاركت في أحداث الثورة وفي المظاهرات التي أسقطت النظام الملكي لم تكن تطالب بالخروج الى ميدان العمل ، وإنما طالبت بالعودة الى بيتها ، فقد احتجت نساء باريس لدى الطسلك لويس السادس عشر على اغتصاب الرجال لحرفهن ، ان قلن في المريضة التي رفعنها اليه : () لو ترك الرجال لنا الابرة والمغزل استطعننا أن نترك لهم الفأرة والمخراز . . .) (٣) .

فالشدياق عندما يذكر عمل المرأة في حمل أثقال المسافرين على ظهرهن وروءوسهن يستغرب الأمر ويرى أن امتحان المرأة دليل على عدم التدن ، () فكيف يزعم الفرنسيون أنهم متقدمون ؟ . . . الى مصر بلاد الحظ والأدب ، الى الشام مغانسي الفضل والأدب) (٤) ، فهو يرى أن المرأة في مصر والشام أوفر حظا وأكثر احتراما من المرأة في باريس ولندن ، وهكذا كشف الشدياق عما تعانيه المرأة في انجلترا وفرنسا ، وأن المساواة التي أعلنوها بين المرأة والرجل ليست في حقيقتها الا استغلالا للمرأة في أبشع صورة .

-
- (١) كشف المغيا ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ .
(٢) العصور ، العدد الرابع ، ديسمبر كانون أول ١٩٢٧ م ص ٣٤٨ .
(٣) الساق على الساق ص ٦٤٥ .

على أن ذلك لا يعني أن الشدياق لم يتأثر بما شاهده في رحلاته بل نراه يحب بلباس النساء الافرنجيات اللاتي رآهن في مالطة ، وقد رأى أن هذا اللباس أدعى الى الوقار والحشمة^١ .

ويبدو أن ماشا هذه من الظلم الواقع على المرأة في أوروبا جعله يدافع عن جهل النساء في الشرق ، فالنساء في مصر والشام لا يعين بشيء إلا بالجهل ، فأما الجاهلات من الافرنج فانهن يضمن الى الجهل ميكسرا وخبثا ، ولهذا دعا الى تعليم النساء القراءة والكتابة بشرط استعماله على شروطه ، ويعني بذلك مطالعة الكتب التي تهذب الأخلاق ، فان المرأة اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استهطاط المكائد واختراع الحيل ، يقول : ((والأولى عندي أن تشغل اليهت بأحد الفنون أو العلم النافعة ، سواء كان ذلك عقليا أو يدويا فان النساء اذا علمن من أنفسهن أنهن أكفأ للرجال في الدراية والمخارف تترسن دونهم بمخارفهن ، وتحصن بها عند تطاول الرجال عليهن ، بل الرجال أنفسهم يشعرون بفضلهن . . .))^٢ ، وباعتصار كان تعليم اليهت عند الشدياق ضرورة من ضرورات العصر .

وعلى الرغم من تطواف الشدياق في أوروبا ظل يرى أن الحجاب ضرورة تجنب الناس الفتنة ويرى في المتبرقعات سحرا لا تملكه السافرات ، فالقلوب بروية المتبرقعات أولع منها بروية السافرات^٣ .

(١) الوساطة في أحوال مالطة تأليف أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٩ هـ ص ٣٣ ، وهو مطبوع مع كتاب كشف المخيا في مجلد واحد .

(٢) الساق على الساق ص ٤٢٥ - ٤٢٦ ، ١١٥ - ١١٦ .
وراجع أيضا كتاب أحمد فارس الشدياق ، تأليف محمد عبد الفنسي حسن ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، مكتبة مصر ص ١٦٤ -
١٦٥ . وانظر مجلة المرأة في الاسلام ، السنة الأولى العدد الثاني عشر ، ١٥ سبتمبر ايلول ١٩٠١ م ص ١٧٧ - ١٨٧ ، وهي مقالة طويلة عن تعليم المرأة للشدياق منقولة عن صحيفة الجوائب .

(٣) الساق على الساق ص ٢١٥ - ٢١٦ ، ٢٣٤ .

ومن القضايا التي أثارها الشدياق وكثير تناولها بعده ، قضية زواج الفتاة بالكهل ، فالكهل الذي يتزوج بلثا في عمر أقل من نصف عمره يضطر إلى مداهايتها والنفاق لها ، مع علمه أن فارق السن من الأسباب الباعثة على بفضه وفركه " ١ " .

ومن خلال استعراضنا لأراء الشدياق في مختلف القضايا المتعلقة بالمرأة نستطيع القول أنه كان موفقا في دعواته التي تدعو إلى تعليم المرأة ما ينفعها ، ومع ذلك لم يقدح سراب الحضارة الغربية فطلبه إلى المساواة التي تعيشها المرأة الغربية في ظل المدنية الحديثة التي اتخذت من المساواة بين الجنسين شعارا لها .

وهكذا اتجه بعض المفكرين بأبصارهم نحو أوروبا ليتعرفوا على الجديد الذي لديها وكان الشدياق أحدهم ، وكذلك اتجه بعض الذين أرسلهم محمد علي إلى أوروبا أو تخرجوا في المدارس التي أنشأها على النمط الأوروبي وكانت تحت إشراف الأوروبيين وتلاميذهم وجعلت طلابها يتطلعون إلى نواح من الثقافة الغربية وكان رفاة الطهطاوي رائدا لهم ، فاتجهت مدرسة الألسن التي أشرف عليها رفاة نفسه نحو الاهتمام بالأدب الفرنسي ، وكان لخريجي تلك المدرسة دور في الترجمة عن الفرنسية " ٢ " .

وبدأت مصر في عهد محمد علي ترهب بالأجانب الذين اهتموا بإنشاء المسارح في وقت مبكر من عهده ، فأقام بعض الفرنسيين مسرحا لهم في نوفمبر تشرين ثاني عام ١٨٢٩ م ، وعرضوا عليه مسرحية " السحامي باتلان " ومسرحية " النهم المفلس " وذكر جبرار دي نرفال " أنه أمضى في مسرح القاهرة سهرة لطيفة ، () حيث كان بعض ضباط الباشا - أي محمد علي - يجلسون عند مقدمة المسرح ، وأما المقاصير فكانت تعج بالنساء ، وكن في غالبيةهن يرتدين ملابس شرقية ، ولم تكن ثمة امرأة سافرة ، كما لم

(١) المرجع نفسه ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .
(٢) دراسات في حضارة الاسلام ، تأليف هاملتون جب ، ترجمة احسان عباس ورفاقه ، دار العلم للملايين - بيروت ص ٣٢١ .

تكن ثمة امرأة مسلمة لم تعن بمشاهدة التمثيل . . . وعند خروجنا مسسن المسرح كانت النساء جميعا وقد بدت عليهن سيما اليسر يرتدين لباسا موحدًا ، يتألف من عبوة سوداء وبرقع أبيض يغطي الوجه ، ولما كسنت مسلمات ينتمين إلى الطبقة الراقية صعدن إلى (ظهور الحمير . . .) "١"

وهذا يعني أن المسرح الذي عرفته مصر لأول مرة عن طريق الحملة وانتهى أمره بعقوبة الأتراك عاد إلى الحياة مرة أخرى في عهد محمد علي ، ولفت انتباه نساء المسلمين من الطبقة الراقية اللواتي ترددن عليه ، ولم يقتصر انشاء المسارح على القاهرة وحدها ، فقد ذكر الرحالة "رينسو" الذي وصل إلى مصر عام ١٨٥٤ م أنه أعجب في مدينة الاسكندرية بمسرح أقيم في الهواء الطلق ، وقد شاهد فيه "دراما إيطالية كانت بطلتها ممثلة مصرية" "٢" .

ويبدو أن تولية عباس السلطة في مصر كانت إيذانًا بتغيير جذري في سياسة الدولة ، حيث قام بتعديلات واسعة النطاق شملت جميع نواحي الحياة ، فألغى مدرسة الطب والهندسة والألسن وأعاد البعث من باريس ونفى رفاة إلى السودان ، وامتاز عصره بكراهية الأجانب كراهية تنسحب على الحضارة الأوروبية بكل مظاهرها "٣" .

-
- (١) المسرحية في الأدب العربي الحديث ، تأليف محمد يوسف نجم ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧ م ، الطبعة الثانية ص ١٩-٢٢ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٢٣ .
 - (٣) حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، تأليف جاك تاجر ، مكتبة المعارف بمصر ١٩٤٥ م ص ٧٠ . وانظر تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، عبد المحسن طه بدر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ص ٢١ .

وخلف سعيد باشا عباسا فصار في اتجاه معاكس لسياسة سلفه حيث أظهر اهتماما بالغا بالمدارس الأجنبية المؤسسة في مصر بمصرفة الرسائل التبشيرية ، ومنح المساعدات لراهبات الراعي الصالح في الاسكندرية والقاهرة ، وأمد راهبات المحبة بخمسة آلاف فرنك سنويا ليتمكن من الاستمرار في أعمالهن ، ووهب للرساليات الأمريكية في مصر بناء سنة ١٨٥٥ م ، وتبرع لأول مدرسة ايطالية تأسست في القطر المصري في عهد بهلول ألفين وأربعمائة جنيه ، ووهبها ثمانية آلاف ذراع من الأرض في أحسن جهات الاسكندرية^١ .

ولكن سعيد الذي علي بالمدارس الأجنبية ألغى ديوان المدارس في السنة التي تولى فيها الحكم - أي سنة ١٨٥٤ م - واكتفى بفتح مدرستي الهندسة والطب لاحبا في تعليم المصريين ، ولكن انصافا للمدرسين الأجانب - علي حد رأيه - الذين عملوا في هاتين المدرستين في عصر محمد علي ، وفصلهم عباس ، وازدادت حالة التعليم سوءا في عصره ، فبينما كان عدد الطلبة الذين يتعلمون على نفقة الحكومة أيام محمد علي يزيد على عشرين ألفا ، اذاب هذا العدد يتناقص ويقل حتى صار في أواخر حكم سعيد بضع مئات ، وتضاءلت ميزانية التعليم حتى أصبحت عام ١٨٦٢ م ستة آلاف جنيه فقط .

ويبدو أن رغبة سعيد في حكم مصر حكما صارما دعت الي عدم الاهتمام بالتعليم ، فقد قال لسكرتيره ومربيه السويسري " كولنج " الذي حضه علي فتح المدارس التي أغلقها عباس : ((ولم تعلم الشعب ؟ لكي يصبح الحكم عليه والتصرف فيه أعسر مما هو عليه ؟ دعهم في جهلهم فالأمم الجاهلة أسس قيادا في أيدي حاكميها))^٢ .

(١) تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، لالياس الأيوبي ص ٨٤ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٨٥ - ١٨٦ . وانظر كتاب حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، لجناك تاجر ص ٧٥ - ٧٦ .

ولم يقف الأمر بسعيد عند حدّ اهمال التعليم الحكومي وتركيز كل اهتمامه على مدارس الرسائل التشريعية ، بل كان يدعو فرق التمثيل الفرنسية لتسليته بالتمثيل المتنوع والرقص ، وأقام لهذا الغرض صالوناً للتمثيل .^١

على أن ترحيبه بالأجانب جذب أكثرهم الى مصر ، وأغراهم باستغلال رغبته في اقامة المشروعات الاقتصادية ، فعرضوا عليه أفكارهم لكثير منها^٢ ، وعندما نفذوا بعضها وفشلت في اعطاء الثمرة المرجوة ، طالبوه بتعويضات عنها مما أدى الى تورطه في ديون قدرت عند موته بخمسة عشر مليوناً مسن الجنيهات .

وتولى بعده اسماعيل الذي أضمن في اعتماده على الدول الغربية ، وحاول جعل مصر قطعة من أوروبا ، وحصر وراثته العرش في أبنائه مسن بعده .

ويصح القول أن اسماعيل كان راشد مصرفي طريق العلمانية ، وقد أهله لذلك أنه قضى زمناً من طفولته وشبابه في أوروبا ، فأرسله جدّه السي فينا وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ليعالج من مرض ألمّ به ويرى تربيته أوربية ثم أمر جدّه محمد علي باشا أن ينتقل الى باريس ، حيث عاش هناك تحت اشراف رجل أرمني يدعى " اصطفان بك " واتفق اللغة الفرنسية^٣ .

فلما تولى أمر مصر فتح أبوابها على مصاريعها للأجانب ومهد لهم السبيل ، وأخذ يناصرهم ويؤيد مشروعاتهم حتى أن ربح سكان القاهرة فني عصره كانوا من الأجانب ، وقد بدت رغبته في تقليدهم بادخال الزي الأوربي الى مصر فأجبر جميع مستخدمي الحكومة على ارتدائه^٤ ، وتأسست فني

(١) المسرحية في الأدب العربي الحديث ، لمحمد يوسف نجم ص

٢٤ - ٢٥ .

(٢) ومن هذه المشروعات أن سعيد اصنع صديقه الشخصي د يلسبس امتياز حفر قناة السويس بشروط مجحفة بحق مصر ، راجع تطور الروايسة العربية الحديثة ، لعبد المحسن طه بدر ص ٢٣ .

(٣) تراجم مشاهير الشرق ، جرجي زيدان ١/٦٣ .

(٤) مذكرات قليني فهمي باشا ، الطبعة الثانية ١/٧ .

عنده المحافظ الماسونية وانتظم في سلكها نجده توفيق وجماعة كبيرة ممن
أمراء البلاد ووجهائها^١، ويهدو أن اسماعيل فعل ذلك كسبا لتأييد
أوروبا له في محاولته الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية، وكثيرا ما كان
يزدد: ((ان أخلاق المصريين وعوائدهم التي ورثوها ستصبح بمساعيه
بعد قليل مماثلة لعوائد أوروبا وأخلاقها))^٢.

ولم تكن خطط اسماعيل التي أراد بها أن يفرض الثقافة الأوروبية
على مصر ويفصل الدين عن الدولة خافية على رجالا عصره^٣، بل ان
سعيه لدى السلطان عبد العزيز في تعديل نظام وراثه العرش الخديوي
كان المقصود به أن يفوت على الباب العالي أي فرض تتيج له التدخل فسي
شئون مصر، فانفق أثناء زيارته للأستانة عدة ملايين من الجنيهات وحصص
على التعديل المطلوب، وسمح له السلطان أن يمك النقود باسمه، وذلك
بموجب "الفرمان السلطاني" الذي صدر عام ١٨٦٦م^٤.

وبعد أن ضمن اسماعيل عدم تدخل السلطان العثماني بدأ يخطط
على تحويل مصر الى قطعة من أوروبا، فشيّد مسرح "الكوميديا" عام
١٨٦٧م في "الأزكية" وأمر ببناء "دار الأوبرا" عام ١٨٦٨م، وكلف
اسماعيل الموسيقي الايطالي "فردى" بوضع رواية "عايدة" للاحتفال

-
- (١) تراجم مشاهير الشرق ١/٧٤.
 - (٢) تربية المرأة والحجاب، تأليف محمد طلعت حرب، مطبعة المنار،
القاهرة ١٣٢٣هـ ص ١١.
 - (٣) انظر تربية المرأة والحجاب، ص ١٢، ففيه أن أحد أمراء المسلمين
أرسل الى الخديوي اسماعيل يلومه وينهاه عن التفكير في الانفصال
عن الدولة العثمانية ويحذوه من ادخال العادات الأوروبية الى مصر.
 - (٤) علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي اسماعيل، تأليف الدكتور
احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر ص ٦٠.
وانظر عصر اسماعيل، لعبد الرحمن الراقصي، مطبعة دار الفكر،
الطبعة الثانية ١/٧٣-٧٦.

بافتتاح دار الأوبرا وبحضور الامبراطوره " أوجيني " التي دعاها اسماعيل لترأس حفلات افتتاح قناة السويس " ١ " ، حيث أقام على شرفها مرقصا بدل فيه ((مالا يستطيع قلم وصفه من البذخ وصفوف اللذات . . . حتى لم يبق أحد لم يعتبر أنه انتقل الى عالم الخيالات ، فكانت ليلة لم تسر العيون لها مثيلا ولن ترى شبيها الأجيال المقبلة ، ولا غرابة في ذلك ، فلقد بلغت نفقات هذه الحفلة أربعة ملايين من الجنيهات الذهب) (" ٢ " .

ولم يكتف اسماعيل بهذه الاحتفالات ، بل أدخل عادة الليالي البراقصة التي أصبحت موسما سنويا في قصر عابدين ، حيث كان يفتتح اسماعيل الرقص مع عقيلة أقدم القناصل عهدا ، ويفعل أبناؤه ما فعله ، وكان يختم الحفل بالشراب " ٣ " ،

ثم لم يقف اسماعيل عند هذا الحد في تقليد الأوروبيين ، بل ان المدرسة السيوفية التي أشرفت عليها ثالث زوجاته " جشم أفت هانم " والتي كان من المتوقع أن تكون أول مدرسة لللاتات في مصر غير تابعة للرساليات التبشيرية " ٤ " ، لم تتج من محاولات اسماعيل في جعلها على النمط الأوروبي ، فأمر باخراج تلميذات هذه المدرسة مكشوفات الوجوه ، ((وقد رأهن الناس وهنّ على ذلك وعلى روموسهن البرانيط في عرسات كثيرة يتفسحن في أرجاء المدينة) (" ٥ " ، مما كان له أكبر الأثر في احجام الآباء عن ارسال بناتهم الى هذه المدرسة ، فاضطرت زوجته أن تأخذ صفار الجوارى التي عندها وعند غيرها من الأميرات لا كمال العدد اللازم .

-
- (١) تاريخ مصر في عهد الخديوى اسماعيل ، لألياس الأيوبي ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .
 - (٢) مذكرات قليني فهمي بابها ٦/١ .
 - (٣) تاريخ مصر في عهد الخديوى اسماعيل ص ٢٩٥ .
 - (٤) المرجع نفسه ص ٢٠٦ ، وانظر كتاب مذكراتي في نصف قرن ، تأليف احمد شفيق ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م - ٤٩/١ .
 - (٥) تربية المرأة والحجاب ، ص ١٢ .

وسار الخديوي اسماعيل سيرة سلفه سعيد في الاغداق على مدارس
الارساليات ، ففتح الارسالية الأمريكية أرضا ، ووهبها سبعة آلاف جنيهه
لبدء البناء ، وكان يشجع تلك المدارس بإرسال أبنائه لحضور حفلات توزيع
الجوائز في المدارس الأجنبية ، وبلغ نشاط الارسالية الأمريكية الى أسبوط
والصعيد ، ولم يكن فتح المدارس الأمريكية بقصد التعليم فقط وإنما لخدمة
الأهداف الدينية للارسالية أيضا ، وبلغت مدارس الارسالية الأمريكية
وحدها في مصر عام ١٨٩٦ م حوالي ثمان وستين ومائة مدرسة ، منها
ثلاث وثلاثون ومائة مدرسة للبنات ،^١

وبلغ حب اسماعيل للأجانب مبلغا عظيما مما جعله يختار للأميركات
الصفيرات في قصره مربية سويسرية ،^٢

وجريا على سياسته في جعل مصر قطعة من أوروبا أمر بإنشاء مجلس
شورى النواب كما أمر بتشكيل المحاكم المختلطة ، فأوفد نوبار باشا السي
أوروبا كي يمهّد السبيل ، وسمح للأقباط أن يكونوا قضاة في المحاكم
الأهلية التي تشكلت بعد المحاكم المختلطة ، وكان المتبع في المجالس
التي حلت محلها المحاكم الأهلية أن يكون قضاتها وكتّابها وسائر خدمتها
من المسلمين^٣ ، وطبق القانون الفرنسي في هذه المحاكم ، وجعل قضاة
المحاكم المختلطة من الأجانب^٤ .

-
- (١) تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين ،
تأليف جرجس سلامة ، نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب ،
١٩٦٣ م ص ٣٨ ، ٤٨ - ٤٩ . وانظر مقالة عن التعليم في مصر
نشرتها مجلة مصر الحديثة المصورة ، السنة الثانية ، العدد الاول
٢٩ أكتوبر/تشرين أول ١٩٢٨ م ص ١٧ - ٢٢ .
 - (٢) المستقبل ، السنة الثانية ، العدد ٥٨ ، ٢٤ يناير/كانون
الثاني ١٩٢٩ م ، ص ١٣ .
 - (٣) مذكرات قليني فهمي باشا (١/١٠) ، ١٣ .
 - (٤) انظر حديث عيسى بن هشام ، تأليف محمد المويلحي ، الطبعة
الرابعة ، مطبعة مصر ص ٤٠ - ٤٣ .

وعندما تولى علي مبارك نظارة المعارف في عهد اسماعيل سار سيرته،
فما ان عينه الخديوى وكيلًا للمعارف عام ١٨٦٨ م حتى بدأ يطلع على
برامج التعليم والكتب المقررة في المدارس الفرنسية^١، وهكذا اتخذه
من النظم الفرنسية في التعليم نموذجًا . . يحتذى . وكان لعلي مبارك دور
كبير في انشاء مدارس للبنات الى جانب زوجة اسماعيل . فأنشأ بمساعدتها
المدرسة السيوفية . ثم المدرسة القريبه^٢ . وألف كتابها أسماه
" طريق الهجاء والتمرين على اللغة العربية " . أشار في فصل منه الى
أهمية تعليم البنات . وأن من جملة الاحسان اليهن () أن يجعل لهن
حظ في التربية العمومية . ومشاركة فيما يليق بهن من العزايما العلمية فضلا
عما يجب تمرينهن عليه من أصول حسن تربية الأطفال وأشغال الخياطة
والتدريس وحسن تدبير المنازل والمحال . فان ذلك يزيدهن جمالا
وعفة وكمالا . وهو وصف مدح لهن . كما هو حقهن في ضمن الشروع
البشرى . . .)^٣ .

وعلى الرغم من احتياط علي مبارك في دعوته لتعليم المرأة نراه معجبا
بشخصية المرأة الأوروبية ومحادثتها للرجال . يقول : () وكان من حضر
على المائدة بالقرب من الشيخ شابة طليانية . . . كانت بديمة الجمال نادرة
المثال ثابتة الجأش فصيحة اللسان . . تأتي بمحاسن الألفاظ اللطيفة
والنكات الظريفة وتدفع الرجال في المباحث العلمية والسياسية . . .)^٤ .
ويبدو أنه كان لهذا الموقف أثره في نفسه . فعاد يبحث في ذهنه عن
مزايا الاختلاط . فرأى أن من فوائده تلذذ النساء بما يرينه ويسمعه من

-
- (١) المعرفة . السنة الثانية . العدد ١٣ . مايو / أيار ١٩٣٢ م ص ٤٢ .
 - (٢) تراجم الأعلام المصارعين في العالم الاسلامي . تأليف أنور الجندى . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٠ م . ص ٣١٤ .
 - (٣) صورة المرأة في الرواية المحاصرة . تأليف طه وادى . مركز كتب الشرق الأوسط ١٩٧٣ م . ص ٢٩ .
 - (٤) علم الدين . تأليف علي مبارك . طبع مطابع جريدة المحروسة بالاسكندرية ١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م . ١/١٩٨٠ .

الحوادث ، ولكنه رأى أن كثرة الاختلاط بين الرجال والنساء قد تفضي
الى نتائج غير محمودة "١" .

وأثناء اقامته في باريس اعجب بعمل النساء في المحلات التجارية ،
(وفي كل دكان نساء حسان متجملات بأحسن الملابس وألطف الهيئات
مستعدات لعرض مايلنم عرضه وبيع مايلنم بيعه) "٢" .

ولكن عندما يقف على مايدور في الملاهي والمسارح من اختلاط ،
يرى أن شدة هذا الاختلاط لا تكون الا فسادا في الأخلاق ، فالمرأة بالنسبة
الى الرجال كالنار بالنسبة الى الحطب "٣" .

ولفت انتباه علي مبارك طريقة تربية الفرنسيين لأبنائهم واهتمامهم
بألعابهم وخروجهم بهم الى الحدائق ، فلاحظ أن الألعاب تحبط بالأطفال
مع نظافتهم وسلامة أبدانهم ، وتدكر أطفال القاهرة مع ما هم فيه من أحوال
وخيمة وطباع ذميمة ، فتمنى أن تكون تربية الأطفال في مصر مثلما هي عليه في
فرنسا "٤" .

وبحث علي مبارك في تعدد الزوجات عندما لاحظ استهجان
الفرنسيين لهذه العادة ، فرأى أن التعدد أصون للمرأة والرجل على العكس
من رفاة الذي دعا الى ترك التعدد "٥" .

ويبدو أن علي مبارك كان يؤمن بأن العادات والأفكار لا تزول بمجرد
الدعوة الى التجديد ، فهو يرى أن من الخير للمصلح أن يتبرص ثلاثة أجيال
حتى ينقرض الجيل الذي يعترض على التجديد لأنه غير مستعد له أو راض
عنه "٦" .

-
- (١) المرجع نفسه ١/١٩٩ - ٢٠٠ .
 - (٢) المرجع نفسه ٣/٨١٨ .
 - (٣) المرجع نفسه ٣/٩١١ - ٩١٢ .
 - (٤) المرجع نفسه ٣/٩٦٣ .
 - (٥) المرجع نفسه ٣/٩٧٣ - ٩٨٢ .
 - (٦) انظر تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، لأنور الجندی
ص ٣٠٣ .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها علي مبارك في مجال التعليم
أخطأ في أواخر حياته خطأ جرّ على اللغة العربية متاعب كثيرة ، ونعني
بذلك قبوله تدريس العلوم كلها في المدارس الثانوية وبعضها في المدارس
الابتدائية باللغة الانجليزية ، مما دعا بعض الباحثين الى اتهامه بمؤالة
الانجليز ضد الثورة العربية^(١) .

وإذا كنا قد عرضنا لمواقف بعض المفكرين الذين يجوز لنا أن نطلق
عليهم لقب الرواد فيما يتعلق بالمرأة ، واستطعنا أن نميز لهم آراء واضحة
فيما يخصها من أمور مثل التعليم والاختلاط والسفور والزواج وتعدد الزوجات
.... فأننا حاولنا كذلك أن نعرف ميول الحكام والأسباب التي دفعتهم
الى السير في طريق النهضة .

على أننا يمكن أن نميز اتجاهها واضحاً لدى المفكرين والحكام الذين
عرضنا لهم ، وهو الرغبة في التخلص من الجهل الذي كانت تعاني منه
كافة فئات المجتمع المصري ، وأنهم أي المفكرين والحكام رأوا أن لهم
الحق في سلوك أي طريق يخلصهم من الجهل ، ونسوا في غمرة حماسهم
أنهم ينتمون الى حضارة عريقة فيها كل مقومات التقدم الانساني لو أنهم
استطقوها وبحثوا في ثناياها ، ولكن انهماجهم بها رأوا من تقدم مبادئ
عند أوروبا جعلهم يأخذون كل ما يلاقون في طريقهم ، وربما كان الجبرتي
من بين قلة من المفكرين الذين تنبهوا في وقت مبكر الى خطر القيم المادية
التي سادت الحضارة الأوروبية ، ولكنه تقبل الحقائق العلمية التي عرضتها
الحملة الفرنسية ودعا الى الأخذ بها على العكس من الخديوي اسماعيل
الذي تصوّر أن بإمكانه أن يجعل مصر قطعة من أوروبا بنقله لمظاهر الحضارة
الأوروبية فقط ، ففشل فيما سعى الى تحقيقه .

(١) تيارات أدبية بين الشرق والغرب ، تأليف ابراهيم سلامة ، مطبعة
احمد مخيمر ، مكتبة الأنجلو : مصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥١ م
ص ٢١٧ ، وانظر تراجم الأعلام المعاصرين لأنور الجندی ص ٣١٢

وهكذا جرت سياسة اسماعيل الولايات على مصر وأغرقتها فسي
الديون التي بلغت في نهاية حكم اسماعيل مائة مليون جنيه . فاستغلت
الدول الأوروبية الفرصة وتدخلت في شؤون مصر الداخلية ، وعينت فسي
الحكومة المصرية ناظرين ، أحدهما انجليزي للمالية والأخر فرنسي للأشغال ،
وزاد اسماعيل من الضرائب المفروضة على الفلاحين ، ويهدو أن الظروف
الجديدة في عهد اسماعيل أوجدت شيئا من الوعي عند بعض الطبقات
خصوصا بعد هجرة كثير من الأجانب الى القاهرة^١ ، ووفود جماعات
كبيرة من نصارى سوريا الى مصر على أثر الفتن التي اشتعلت هناك ، فوجد
هو^٢ فرض العمل متاحة ، فعمطوا في الصحافة والتجارة والترجمة .

ولزل جمال الدين الأفغاني مصر سنة ١٨٧٠ م ، بعد أن دعاه
رياض باشا اليها عندما اجتمع به في الأستانة ، فقررت له الحكومة المصرية
راتبا شهريا مقداره عشرة جنيهات^٣ ، وقد حاول الأفغاني أن يدرس في
الأزهر فلم يوفق ، فاتخذ له بيتا في حارة اليهود ماليت أن صار منتسدا
للعلماء والطلاب ، ثم اتخذ من مطبخ قرب الأنيكية مجلسا له يلتقي فيه
مع طلابه حتى الفجر ، حيث كانوا يلقون عليه أدق المسائل^٤ .

وكان محمد عبده وعهد الكريم سلمان وابراهيم اللقاني وسعد زغلول
وابراهيم الهلباوى ممن يلقي عليهم دروسه في بيته ، أما في المطبخ فقد
كانت تتسع حلقاته فتشمل مع هو^٥ محمود سامي البارودي ، عهد السلام
المويلحي ، ابراهيم المويلحي ، علي مظهر ، سليم النقاش ، وأديب
اسحاق^٤ .

-
- (١) رسائل من مصر لأحمد خاكي ص ١٣٥ .
 - (٢) زعماء الاصلاح ، تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة الرابعة ١٩٢٦ م ص ٦٩ .
 - (٣) جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسالاته ومبادئه ، تأليف محمود
أبورية ، اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ،
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ص ٤٥ .
 - (٤) زعماء الاصلاح ص ٧٠ ، ٧٣ .

وقد حُبب الى رواده الكتابة والخطابة وشجعهم على انشاء

الصحف ، فأنشأ أديب اسحاق جريدة " مصر " وبعدها " التجارة " ،

وكان جمال الدين يهدف من وراء ذلك الى خلق جماعة تهتم بالسياسة ،

واتصل الأفغاني ببيمقوب صنوع فأصدر صحيفة " أبو نضارة زرقا " وكان

صنوع يضمنها محاورات بالعامية ينتقد فيها الأحوال العامة ويندد بالحكومة ،

وكان يسمى الخديوى اسماعيل " شيخ الحارة " (١) .

وانضم جمال الدين الأفغاني الى المحفل الماسوني الاسكتلندي فسي

القاهرة ، وكان يضم كثيرا من علية القوم (٢) ، فأراد كما يقول رشيد رضا :

((أن يربي فيها - أى في المحافل - رجالا يتصرفون كيف يحفظون

بلادهم وأنفسهم ، فوجه همه الى استخدام الماسونية في تعليم تلامذته

ملا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية ، فدخل في الماسونية ودخل معه

تلامذته النابغون ، فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس محفلهم ، ولكنه

كان غالبا في مضادة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ، ولما كان

يمتد من طمعهم في مصر . . . فقاوموه حتى اضطرروه الى ترك الماسونية

مع كبار حزبه . . .)) (٣) .

ويذكر رشيد رضا في مكان آخر أن الأفغاني لم يطرد ، وانما

انشعب هو وخواص مرديه ، ويعلل سبب انشعبه من المحفل الاسكتلندي ،

((بأنه عندما جاء الى مصر رئيس الشرق الأعظم الانجليزى وهو يومئذ

ولي العهد للدولة الانجليزية ، فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة بسببه

وذكر أحد رؤسائها ولي العهد بهذا اللقب ، فاعترض السيد جمال الدين

الأفغاني وقال : انه لا يسمع أن يحتفل بأحد على أنه ولي العهد لدولة

من الدول . . .)) (٤) .

(١) مذكراتي في نصف قرن ، لأحمد شفيق (١١٠/١ - ١١١) .

(٢) زعماء الاصلاح ص ٧٩ .

(٣) المنار ، الجزء الخامس ، مايو / أيار ١٩٠٣ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٤) المنار ، الجزء الحادى عشر ، أغسطس / آب ١٩٠٥ م ص

٤٠٢ - ٤٠٣ .

ولما ترك المحفل الاسكتلندي أنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للششرق
الفرنساوي ، دعا اليه مردييه من العلماء والوجهاء ، وبلغ عدد المشتركين
فيه نحو ثلاثمائة ، من بينهم توفيق ولي عهد اسماعيل الذي سمى لسه
الأفغاني ومريدوه عند قنصل فرنسا من أجل عزل والده وتوليته مكانه ، وكان
توفيق وثيق الصلة بالأفغاني وحسن الظن به ، فكان يقول له : ((انك
أنت موضع أمني في مصر أيها السيد)) " ١ " .

ويبدو أن الماسونية كانت في تصور الأفغاني شيئاً مثالياً ، ولكنه
لاحظ أن القائمين عليها يستغلونها لأهدافهم الخاصة ، فالماسوني في
رأيه يجب أن يتصف بالشجاعة وأن يحمل على هدم القديم وتشديد حرية
صحيحة واخاءً ومساواة ، يقول الأفغاني عن الماسونية : ((كنت أنتظر
أن أسمع وأرى كل عجيبة وغريبة ، ولكن ماكنت لأتخيل أن الجبن يمكنه
أن يدخل بين اسطوانتي المحافل الماسونية ، إذا لم تدخل الماسونية
في سياسة الكون وفيها كل بناء حر وإذا آلت البناء التي في يدها لم
تستعمل لهدم القديم ولتشديد معالم حرية صحيحة واخاءً ومساواة وتذك صروح
الظلم والعتو والجور فلا حملت يد الأحرار مطرقة حجارة ولا قامت لبنائتهما
زاوية قائمة . . .)) " ٢ " .

ويعبر الأفغاني عن خيبة أمله في المحافل الماسونية التي كانت قائمة
على الرغم من الشعارات البراقة التي كانت ترفعها ، بأن القائمين عليها

-
- (١) تراجم مشاهير الشرق ، تأليف جرجي زيدان ، ٧٧/٢ ،
وانظر مذكراتي في نصف قرن ، لأحمد شفيق ١٠٩ / ١ ،
وانظر الهلال ، السنة الخامسة ، الجزء الخامس عشر ،
ابريل / نيسان ١٨٩٧ م ، ص ٥٦٧ .
 - (٢) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ،
تحقيق محمد عماره ص ٥٢١ ، ((مقالة بعنوان " نقد
الماسونية " وهي منقولة عن كتاب خاطرات جمال الدين
الأفغاني)) .

تسيطر عليهم الأنانية وحب الرئاسة والأهواء ، وأنهم لم يتورعوا عن استعمال التهديد والوعيد مع كل من يحاول نقدهم ، ويذكر الأفغاني أنه على الرغم من كونه ماسونياً لم يستطع أن يحدد مفهوماً واضحاً للماسونية أو وصفاً دقيقاً لمن يدخلها : ((أما نحن معشر الماسون فيقولمني أنني للآن ما عرفت لنفسي بصفتي ماسونياً ولا لمطلق الماسونية تحريفاً . . . يجعل لها صورة في الذهن ، أو وصفاً ينطبق على من ينخرط في تلك العشيبة ، وأول ما شوقني للعمل في بنائية الأحرار عنوان كبير خطير (حرية أخاء مساواة) غرض منفعة الإنسان ، وسمي وراء ذلك صروح الظلم وتشديد معالم العدل المطلق ، فحصل لي من كل هذا وصف للماسونية ، وهو همة للعمل وعسرة نفس وشم واحتقار الحياة في سبيل مقاومة من ظلم ، وهذا ما رضيت من الوصف للماسونية وارضيت له ، ولكن مع الأسف أرى أن جرائم الأثرة والأنانية وحب الرياسة والعمل من جماعات بعقنصي أهوائهم ، وخضوعنا لشرق عن بعد سحيق يعتوره تهديد ووعيد وغير ذلك من الأمور التي ماتأسست الماسونية الحرة الالملاشاتها . . .)) .

وبدلاً من هجر الماسونية ومهاجمتها وتحذير الناس من مغبة الوقوع في شركها أصرّ الأفغاني أن يبقى ماسونياً عاملاً ، على الرغم من اعترافه بأنها عبارة عن رموز غير مفهومة وأنها من أساطير الأولين التي تخل بمقيدة الداخل فيها ، وأنها لا تزيد عن كونها أوامر من رئيس إلى مرؤوس وشخص يأمر وآخرينفذ وأنها جمع للمال ، يقول : ((دعوني أن أكون عاملاً ماسونياً نزيهاً إذا لم يكن حرصاً على شرف شخصيتي فخوفاً من أن تعاب الماسونية بي ، فيتخذني غداً غيار سهماً للطعن بها وهي براء منه ، وما ذنب الماسونية إلا أنها قبلتني بين أفرادها دون اختيار صحيح وأبقت عليّ من غير تبصر ؟ لا أرى بعداً عن الحق من هذا القول ، فالماسونية على شكلها هذا وتقاليدها ليست فقط قديمة العهد بل هي لم تزل فسي العهد ولسوف إذا أصرت وأصرّ أبناؤها على الوقوف عند حد رموز أكثرنا

لا يفقه معناها ولا المراد من وضعها أنها ستختلق في العهد ولا تدرج منه ، ماسونيتكم أيها الاخوان لا تتجاوز " كس أعمال وقبول أخ " يتلى عليه من أساطير الأولين ما يهمل ويخل في عقيدة الداخل ويسقط مكانة الماسونية في عينيه ، أنتم اليوم بين رئيس ومرووس ، تابع ومتبوع ، شرق يأمر ومستشرق يرضخ ، مال يجمع ، وجزبة للشرف توهى ، ولييس من عمل يدل على أدنى أثر من الحياة للماسونية في الشرق . . .) " ١ .

على أن خروج الأفغاني على المحفل الاسكتلندي وتأسيسه محفلا آخر تابعا للشرق الفرنسي ، لم يرق قنصل انجلترا ، فاستغل القنصل ضعف توفيق وشكّه فأوعز اليه بطرد الأفغاني الذي كان أمه في مصر . " ٢

وإذا كانت حقيقة الماسونية قد خفيت على الأفغاني ، على الرغم مما يتلى في محافلها من أساطير الأولين وعلى الرغم من أخلالها بعقيدة الداخل فيها ، فإنه ظل على اتصال بها وداعية من دعاتها حتى بعد خروجه من مصر وعودته ثانية الى ايران ، حيث تمكن من نظم كثير من الأمراء والكبراء في ايران كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق في سلكها " ٣ .

ولكن رشيد رضا تنبه الى خطرها وعدّها مخالفة للاسلام من وجوه متعددة وأن الافرنج استعانوا بها للسيطرة على المسلمين ان يقول :
(ثم ان الافرنج عندما تغلغلوا في الشرق ورأوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل له مشاركا في حكمه ، فهو يجيش أنفعال المسلمين لتهد سلطة كل من يحاول السيادة عليهم ، استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصاري بلادهم ويهودها) " ٤ .

-
- (١) المرجع نفسه ص ٥٢٢ .
 - (٢) جمال الدين الأفغاني ، لمحمود أبوديه ص ٩٥ .
 - (٣) الصروة الوثقي ، تأليف جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٢٠ م ، ص ٢٥ .
 - (٤) المنار ، الجزء الخامس ، مايو / أيار ١٩٠٣ م ص ١٩٦-١٩٧ .

وذكر رشيد رضا أن اليهود أسسوا الماسونية لآزالة الظلم والاضطهاد الذى كانوا يلاقونه في أوروبا ، وأن غايتها اضعاف الرابطة الدينية واحلال الرابطة الوطنية محلها وازالة السلطة الدينية ، وأشار الى دور الماسونية في الثورة الفرنسية والانقلاب العثماني ، والحرب الأهلية في اسبانيا^(١) .

ويظهر أن انغماس الأفغاني في السياسة وأخذهم يبدأ الحرية السندي نادت به الماسونية لم يتح له أن يتشدد مع تلاميذه ويهجم ثوية خلقية متينة فكان كثير من المسلمين منهم غير متدينين^(٢) ، وكان توفيق أحمد تلاميذ الأفغاني المقربين يقيم الحفلات الراقصة في قصره عندما كان وليا للعهد ، تقول الكاتبة الألمانية " لويز ميلباخ " في وصف حفلة أقامها توفيق ، وقد هالها ما فيها ، ((حقا ان بمصر كل شيء ماعدا الأخلاق ، وماشأن الأخلاق في بلد يتصارحون فيه بما نتهامس به في أوروبا . . .))^(٣) واذ كان هذا وضع توفيق عندما كان وليا للعهد ، فلماذا كان الأفغاني يسمى الى توليته عند قناصل الدول ؟ فهل كان للأفغاني أطماع في مصر يريد أن يحققها عن طريق توفيق ؟ أم أنه كان يعد هذه التصرفات أمورا خاصة لا دخل له فيها وأنها جزء من حرية توفيق الشخصية ؟! وهذا الموقف يتفق مع مبادئ الماسونية .

وكان الأفغاني أول من نادى بأن مصر للمصريين^(٤) ، فجذب اليه هذا الشعار عددا من مريديه النصارى واليهود ، وهذا يعني أن الأفغاني أهلّ رابطة الوطن محلّ رابطة الدين ، والى جانب ذلك كان الأفغاني يؤمن

-
- (١) المنار ، الجزء الثالث ، مارس / آذار ١٩١١ ، ص ١٧٩ - ١٨١ ، وانظر المنار ، الجزء الأول يناير / كانون ثاني ١٩١١ ، ص ٨٠
 - (٢) الاسلام والتجديد ، تأليف تشارلز آدمز ، ترجمة عباس محمود ، مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م ، هامش صفحة ١٠ ، ص ٩٥
 - (٣) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد ٤٩ ، ٢ نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٢٨ ، ص ٩ - ١٠ .
 - (٤) جمال الدين الأفغاني ، لمحمود أبوريه ، ص ١٢٣ .

يوحدة الأديان الثلاثة واتفاقها وعدم تخالفها كما يبدو من قوله : ((وأما ما نراه من اختلاف أهل الأديان ، فهو صنع رؤساء بعض تلك الأديان الذين يتجرون بالدين)) "١" ، وهكذا أخذ بالشعار الثاني للماسونية وهو الاخاء .

أما بالنسبة للمرأة فقد جعلها شريكة للرجل "٢" ورأى أن دورها في تربية الأطفال على حب الوطن والصدق والعمل من أعظم واجباتها "٣" ، لكنه توقف فيما أثير عن حقوقها وحجابها ومساواتها بالرجل وذلك في قوله : ((أما أمر مساواة المرأة بالرجل والحجاب وهنك وحقوق المرأة . . . فقد قرع أذني مرارا وقرأت في هذا الموضوع مقالات ورسائل ولكن لا أكتكم أنني لم أعثر في كل ذلك على مقال صريح أو تحديد لمطلب المساواة أو على بيان الغاية من هنك الحجاب أو الفائدة التي تترتب عليه ، وعندى أن لا مانع من السفر إذا لم يتخذ مطية للفجور . . .)) "٤" .

فالأنفاني لا يبيح السفر طرفة وانما يدعو الى الثاني على الرغم من اعترافه بأنه ليس هناك ما يدعو اليه .

والحجاب في رأيه ستار اذا رفع طرفة ظهر من تحته شتات الخلاعة والتبرج ، ويرى أن النساء لو اكتفين بمجرد السفر لما كان في الأمر ما يحتاج الى أخذ ورد ، ولكنهن لا يقفن عند هذا الحد فللسفور متمات لا تظهر الا خارج البيت حيث تقلد المرأة الشرقية النساء الأوروبيات في تبرجهن واسرافهن في الخروج على الأخلاق الفاضلة ، ولهذا يرى أن بقاء المرأة في بيتها هو القاعدة "٥" .

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين ، ص ٢٩٢ ، وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٧٩ .

(٥) المرجع نفسه ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

وأما المساواة بين المرأة والرجل فيرى أنها من حيث التكوين مستحيلة ، ولهذا لا مناص أن تبقى المرأة كما هي امرأة والرجل رجلا ، وهذا التباين في تكوينها يؤدي الى وجوب اختلاف عملها ، وكلا التكوينين من زائد وناقص لا يعد بالنظر الى الفطرة نقصا أو كمالا ، لأن الطبيعة أحكمت صنعها وأجادت في تكوينها .^١

ويرى الأفغاني أن مشاركة المرأة للرجل في عمله خارج البيت تؤدي الى اهمال تربية الطفل وترك البيت دون تدبير ، وترك المرأة لبيتها وخروجها للحصل مع الرجل جنبا الى جنب امتهان لها وحط من قدرها وينزل بها الى درجات الابتذال ، وأن من يفرها بمزاحمة الرجل في شقائه ليس الا طائشا مفرورا ، لأن الخسارة التي تكون من وراء تركها المنزل وتدبيره والطفل وتربيته أعظم بكثير من تلك المنفعة .^٢

على أن الأفغاني وان عدّ المرأة شريكة الرجل في الحياة ، وأنها سبب هنائه لم يتزوج في حياته كلها ، وقد عرض عليه السلطان عبد الحميد الزواج بجارية من جواريه ، فرفض واعتذر بأنه غير كفء لها ، وكان موقفه يدعو الى التساؤل والاستغراب ، فقد أجاب من نقل اليه رغبة السلطان فسي تزويجه بأنه سيقطع آلة التناسل اذا أكرمه السلطان على هذا الأمر ، وكان ذلك منه وهو يهاجم موقف أبي العلاء بقوله : (ان كيف يصح لعاقسل أن يعتبر التأهل والازواج جناية)^٣ ، وقد علل الأفغاني عدم زواجه بقوله : (. . . أما أنا فمعرفتي بما تتطلبه الحكمة الزوجية من معاني العدل وعجزى عن القيام بأمره دفعتني أن أتقي عدم العدل ببقائسي عزيا)^٤ .

ويبقى السؤال مطروحا لماذا لم يتزوج الأفغاني ؟

- (١) المرجع نفسه ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .
- (٢) المرجع نفسه ص ٥٢٥ ، ٢٧٩ .
- (٣) المرجع نفسه ص ٥٣٠ - ٥٣١ ، ٢٦٥ .
- (٤) المرجع نفسه ص ٥٣١ .

وإذا كان الأفغاني قد أجمل القول في قضايا المرأة اجمالاً ، فإن تلاميذه وتلاميذ تلاميذه توسعوا من بعده في هذا الموضوع .

- ٤ -

تطورت الأمور بعد طرد الأفغاني حيث انقسم تلاميذه الى مداخلين عن الوحدة الاسلامية عن شعور ديني كمحمد عبده وحمد الله النديم ، والسى مفضلين للوحدة . الوطنية عن الوحدة الدينية كالمهاجرين من نصارى الشام الذين تساهلوا في موقفهم من الأوربيين^١ ، على أن تلاميذ الأفغاني الذين كانوا يأملون خيراً في توفيق قد خاب أملهم ، لأنه لم يحقق رغبتهم في انشاء حكم نيابي^٢ ، وقبل المراقبة الثنائية ولم ينصف ضباط الجيش ، فطلب الجيش عزله ، فتدخلت إنجلترا واحتلت البلاد عام ١٨٨٢ ، وحوكم زعماء الثورة ونفي أكثرهم الى سرنديب .

وحين احتل الانجليز مصر لم يضيعوا وقتهم بل عملوا منذ البدايسة على تثبيت الاحتلال وتوجيه كل مافي مصر لمصلحتهم ، واهتموا بنشر اللغة الانجليزية التي بدأت تنافس اللغتين العربية والفرنسية ، حتى أن كثيراً من المصالح الحكومية لم يكن يتعامل بالعربية^٣ ، واستمالوا الصحف الصادرة في مصر كالمقطم من أجل خدمة مصالحهم^٤ .

(١) تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، عهد المحسن طه بدر ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) تاريخ مصر الحديث ، لجرجي زيدان ٢٤٥/٢ .

(٣) حركة الترجمة بمصر ، جاك تاجر ، ص ١٢١ ، وانظر تيارات أدبية ، لابراهيم سلامة ص ٢١٧ .

(٤) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر ، أنور الجندي ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦١ م ص ٦٢ .

وضاعف الانجليز عدد المدارس الأجنبية مرات عديدة بالنسبة الى ماكانت عليه قبل الاحتلال ، فمثلا وفد الى مصر قبل الاحتلال خمس ارساليات كاثوليكية نسائية ، لكنها زادت بعد الاحتلال حتى بلغت ثمانى عشرة ارسالية ، وكان لهيئة الفرير خمس مدارس ، فأصبح لها ثلاثون مدرسة بعد الاحتلال ^١ ، وكان لهذه المدارس أثر سيء في توجيه أفكار الطلاب ، لأن مناهجها تمجد الأفكار الاستعمارية وتهتم بتاريخ بلادها ، هذا الى اهمالها للغة العربية ، حتى أصبح تخرج طلابا عاجزين عن الكتابة بها فضلا عن القراءة .

أما من الناحية الاجتماعية فان الانجليز شجعوا انتشار الخمرات ، ومحلات البغاء ، ليس في المدن فحسب ، بل في القرى أيضا ، ووقف الأوروبيون ضد أى محاولة من جانب الحكومة المصرية لاغلاق الملاهي والمراقص مستغلين قوانين الامتيازات الأجنبية . ^٢

ولاحظ عبد الله النديم مائراً على العادات من تغيير ، فطال السب المصريين بعدم الافتتان بالأجانب وعدم الاشتغال بتقليد المظاهر الأوروبية ، ورأى أنه لا يليق بهم القعود على المقاهي والخمرات ، وحذرهم من اتخان الأجانب لهم وسيلة لتنفيذ مآربهم ودعاهم الى الوحدة الوطنية ^٣ ، وهو يرى أن الأمر قد ساء حتى (صرنا الى زمان فتحت فيه المواخير في الشوارع بلا نكران ، وصارت مجامع الوجها والأعيان ، وعم

-
- (١) تاريخ التعليم الأجنبي في مصر ص ١١٢ - ١١٣ .
(٢) مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ، حققه وقدم له روف عباس حامد ، مطبعة الجبلاوى ، الناشر : عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٢١٠ ، وانظر الهلال ، السنة الثانية ، الجزء الثالث والعشرون ، أغسطس / آب ١٨٩٤ م ص ٧٢٩ .
(٣) سلافة النديم في منتخبات عبد الله النديم ، جمع شقيقه عبد الفتاح النديم ، مطبعة هندية بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٢ - ١٩١٤ م .
٨٠ / ١ - ٨٢ .

الأمر حتى شربها النساء والأولاد ، وقد ثقلت من المدن الى الأرياف ، واجتمع عليها مشايخ القرى والحمد والأجلاف (١) ، وكلما زاد تهالك الناس في مصر على الخمر واصلت أوروبا إرسالها ، ووجدت المومسات في مصر سوقا رائجة فارتحلن من أوروبا اليها ،

وحمل النديم أوروبا مسئولية انتشار المومسات في مصر ، فقد كانت النساء محافظات ، وكان المسلمون لا يمزقون الخمر ، وحتى الميهود والنصارى في مصر ما كانوا يشربونها الا في الأعياد ، وأن الحكومات الشرقية كانت تعاقب البهايا ، وتحافظ على الآداب الشريفة ، وظل الأمر كذلك حتى أدخل الأوروبيون معهم نظام البغاء ، فافسدوا أخلاق النساء والرجال ، وأصبحت لدى النساء الجرأة على الخروج من البيوت ، وشرب الخمر فزاد التهلك ، ثم ترقى الفجور فصارت النساء تحضر مجالس اللهو وتشرب الخمر في المواخير. (٢)

والواقع أن هذا الداء عم وانتشر وظل ينخر في المجتمع المصري مدة طويلة من الزمن ، وقد تناولت الصحف هذا الموضوع وحدّثت من مخاطره ، وعدته بعض المجلات جناية من أوروبا على نفسها وعلسى العالم (٣) ، وطالب الاتحاد النسائي المصري فيما بعد بتطهير البلاد منه (٤) .

وتتبعه عبد الله النديم كذلك الى خطورة الدور الذي تلعبه المدارس الأجنبية ، فحث على انشاء مدارس وطنية ، يقول : ((أفلا يحسن في أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم ، تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم

(١) سلافة النديم ١/٨٤ ، ٦٦ .

(٢) الأستان ، السنة الأولى ، ١٧ يناير / كانون ثاني ١٨٩٢ م ، ص ٧٧٩ - ٧٨٥ .

(٣) المنار ، الجزء السابع ، سبتمبر / ايلول ١٩٠٧ م ص ١٥٣ - ١٥٦ .

(٤) المرأة الحديثة وكيف نموسها ، تأليف عبد الله حسين المحامسي ، الطبعة الثانية ، المطبعة المصرية ص ١٥٢ .

وبين الوجهة الأوروبية ، تداركهم قبل أن تفقدوهم ، عرفوهم أنكهم
آباؤهم قبل أن ينكروكم ، لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم ،
حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم ، رثوهم الى الوطنية
قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدمائكم الى من ربوهم) (١) ، ولم
تعجب مواقف النديم هذه " اللورد كرومر " ، فسعى لدى الخديوي
عباس الثاني ، لينفيه من مصر . " ٢ "

وكانت المدارس الأجنبية في مصر وتعددت اتجاهاتها باختلاف
أخلاق أصحابها ومعتقداتهم ، فهناك مدارس للفرير ، وأخرى للجزويت ،
وثالثة للأمريكان ، ورابعة للانجليز وغيرهم ، وهو لا الجانب لهم قيمهم
وأهدافهم التي يزرعونها في نفوس الطالبات ، (فهم يعلمون الفتاة
قبل كل شيء ، أن تحتقر مبادئ قومها وترفض معتقداتهم فتخرج من
المدرسة ، وهي الى الدين المسيحي أقرب منها الى الاسلام والسلي
الأخلاق والعادات الانجليزية أو الفرنسية . . . أقرب منها الى الأخلاق
والعادات العربية الاسلامية ، فاذا رأت أمها تلبس " الحبرة والبرقع "
هزأت بها وضحكت منها ، لأنها لم تلبس قبة ولم تخرج بـ
نقاب . . .) (٣) .

هذا مع اهمال المدارس تعليم ما يوهل الفتاة ، كي تكون زوجة وأما
ومع التركيز على تعليمهن الموسيقى ، ولذا كانت هذه المدارس من أعوان
الزمان على هدم الأمة وافساد أخلاق بناتها ونشأتها ، فدعا بعضهم كسبا
دعا النديم الى أخذ زمام المبادرة من أيدي المدارس الأجنبية بتأسيس
المدارس الأهلية وتأليف الكتب المناسبة . " ٤ "

-
- (١) سلافة النديم ٢٨/٢ .
 - (٢) المحافظة والتجديد ، لأنور الجندي ص ٨٦ .
 - (٣) مجلة المجلات العربية ، السنة السابعة ، العدد الأول ، يناير /
كانون ثاني ١٩٠٧ م ص ٢٦ .
 - (٤) المرجع نفسه ص ٣٦ - ٤٠ .

ويبدو أن الأجنب لم يسيطروا على التعليم فحسب ، بل تعدى الأمر إلى سيطرة المربيات الأوروبيات على بيوت الأعيان ، وربما كُن قبل ذلك من الساقطات أو العاملات في الملاهي "١".

وأدى إهمال اللغة العربية في بعض المدارس الأجنبية ببعض المجلات أن تعلن عن استعدادها لترجمة ما يصلها من القارئات لعدم قدرتهن على الكتابة بالعربية ، تقول مجلة " فتاة الشرق " : ((ومن المعلوم أن أكثر سيدات الشرق يتعلمن في مدارس أجنبية ، فيذخرن منها العلوم ، ويبقنهن في صدد وهن لجهلهن العربية ، لذلك فإن " فتاة الشرق " تعلمهن أنها مستعدة لخدمتهن ، ونشر ما يورد منهن من الرسائل بعد تصحيحها أو ترجمتها ، بحيث تستفيد الأمة من مدخرات آدابهن المدفونة)) "٢" ، وقد تنبه كثيرون لخطر انتشار اللغات الأجنبية ، فدعوا إلى ضرورة إتقان اللغة العربية قبل تعلم اللغات الأخرى ، حتى لا تكفي الفتيات باللغات الأجنبية التي تعد عندهن لغات التمدن "٣".

ونهدت مدارس أخرى طريقا يفضي بها إلى القضاء على المشاعر الدينية ، فكان بعض خريجي هذه المدارس بعد ترك الصلاة تقدموا ورقيا ، وبعد المحافظة عليها من الخرافات ، بل قد يترقى به الحال إلى أن يعتقد أن الدين حجر عثرة في طريق المدنية والأخلاق الفاضلة "٤".

وعندما لاحظ القائمون على هذه المدارس صعوبة تنصير أبناء المسلمين اتجهوا نحو التعليم العلماني الذي يلائم حاجات العصر ويخلصهم على حد تعبير مجلة " فتاة الشرق " من التعصب الذمير "٥".

(١) انظر كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم ، تأليف محمد عمر ، مطبعة المقتطف ، ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ ، ص ٢٠ - ٢٦ .

(٢) فتاة الشرق ، السنة الأولى ، الجزء الرابع ، ١٥ يناير / كانون ثاني ١٩٠٧ ، ص ١١٣ .

(٣) المرأة في الاسلام ، السنة الأولى ، العدد الرابع عشر ، نوفمبر / تشرين ثاني ، ١٩٠١ ، ص ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٤) مجلة الحقائق ، دمشق ، الجزء التاسع ، إبريل/مايو/ نيسان أيار ١٩١١ ، ص ٣٣٣ .

(٥) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر/ تشرين ثاني ١٩١٠ ، ص ١٦٥ - ١٦٧ .

ويبدو أن هذا النمط من المدارس وخاصة الأمريكية لقيت تشجيعا كبيرا ، فقد زار " روزفلت " الذي كان رئيسا للولايات المتحدة كلية البنات الأمريكية في القاهرة ، وانتقد عدم جلوس الطالبات في صدر القاعة ، ودعا طالبات المدرسة أن يقتدين بنساء المشركين ، ونحو على المسلمين تعصيمهم - على حد تعبيره - ودعا الفتيات أن يقمن بدور فعال فسي الهيئة الاجتماعية " ١ " .

وكان تأثير المدارس الأجنبية كبيرا بين نساء الأفتياء خاصة من أتقن في هذه المدارس اللغات الأجنبية والعزف والرقص ، وقلدن الأفرنجيات في الأزياء ولعب القمار . " ٢ "

والواقع أن الشكوى من المدارس الأجنبية بدأت في وقت مبكر ، خصوصا ما يتعلق بإهمال المدارس الأجنبية أعداد الفتاة لمستقبل حياتها ، فقد لاحظت مجلة اللطائف أن هذه المدارس تسعى إلى هدم القواعد التي تعلمتها الفتاة في بيتها دون أن تقدم لها شيئا يتعلق بتدبير شئون المنزل والاقتصاد وفن الطبخ والقواعد الصحية " ٣ " ، كما لاحظ المويلي أنها تخرج أجيالا فقدت صلتها بالدين ، واقتصرت مضاعفتها على ما تلقتسه في المدارس من العلوم الآلية والفنون الصناعية دون أدنى اهتمام بالترجمة النفسانية والفضائل الدينية ، ويرأى أن هذه المدارس أصابت الآباء فسي أبنائهم ولم يزد هم تعليمهم في هذه المدارس الا وقاحة وكبرياء . " ٤ "

وانما أطلنا الحديث عن المدارس الأجنبية ، لأن هذه المدارس بما كانت تزود به الطالبات من ثقافة قد أشرت تأثيرا كبيرا على اتجاه النساء ، وأسرت في اخراج المرأة من بيتها لتقذف بها في لُج الحياة ، ثم ان خريجات هذه المدارس ربيبن فيما بعد أجيالا ثقيلت الحضارة الأوروبية

(١) المحيط ، السنة الثامنة ، الجزء الخامس ، يوليو/ تموز ١٩١٠ ،

ص ٢٢٠ - ٢٢٦ .

(٢) الجامعة ، السنة الخامسة ، الجزء السابع ، سبتمبر/ أيلول ١٩٠٧

ص ٤٥٣ - ٤٥٥ .

(٣) اللطائف ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، فبراير/ شباط ١٨٨٨ م

ص ٤٣٣ - ٤٣٨ .

(٤) انظر حديث عيسى بن هشام ، ص ١٦٤ - ١٦٦ ، ١٨٩ .

بسيئاتها قبل حسناتها ، وحتى نتصور المثل العليا التي كانت تقدمها المدارس لطالباتها ننقل بايجاز الصورة التي رسمتها * المقتطف * للاحتفال الذي أقامته مدرسة البنات الانجيلية الأمريكية بمناسبة منح الشهادات للمنتهيات من تلميذاتها ان تقول : (. . .) ومن أبداع ماجرى في هذا الاحتفال باللغة الانجليزية ، أن المنتهيات مثلن شهيرات النساء في كل العصور ، فمئلت احدهن الملكة " فكتوريا " والثانية " جان دارك " والثالثة ملكة اليابان " أستير " . . . والسابعة " كليوبتره " ثم تغدت الطالبات أغنية مطربه وانصرفن () . ")

وإذا كنا نعد المدارس الأجنبية مسئولة الى حد كبير عما أصاب القيم الاجتماعية من تغيير ، لتصبح قريبة من القيم السائدة في الغرب عند طبقة الأغنياء والأعيان ، فان المجالات والصحف كان لها دور كذلك لا يقل عن دور تلك المدارس ، حيث أكثرت من تسليط الأضواء على المرأة الغربية ، وجعلتها المثل الأعلى للمرأة المسلمة ولم تشر ولو اشارات طفيفة الى الاحترام الذي تمتعت به المرأة المسلمة في عهدها الأولى ، فخذ مثلا مجلة " الجنان " ان تقول عما وصلت اليه المرأة الغربية من تقدم في ظل الحضارة الأوروبية : () ولما أشرق نور التمدن في ممالك أوروبا . . . سلك الرجال باعطاء الاكرام الواجب للجنس النسائي . . . الى درجة لا يكون معها تمييز لهن عن الرجال حتى في الجلوس على التخت الملوكة . . .)^٢ . واهتمت كثير من المجالات بالمرأة الأمريكية ، وأشادت بفائدة التعليم المختلط الذي طبقته بعض الولايات الأمريكية في مدارسها^٣ ، ودعت بعضها الى اعطاء المرأة حقها في الانتخابات السياسية والوظائف العامة

(١) المقتطف ، الجزء الثالث ، مارس / آذار ١٩٠٣ م ص ٢٧٣-٢٧٤

(٢) الجنان ، الجزء الثالث عشر ، تموز / يوليو ١٨٧٠ م ص

٤٠١-٤٠٢

(٣) المقتطف ، السنة الخامسة ، الجزء الثالث ، أغسطس / آب

١٨٨٠ ص ٧٤-٧٥ .

أسوة بالنساء في احدى الولايات المتحدة الأمريكية ، مع أن الرجل فسي الشرق لم يكن قد حصل على شيء من حقوقه السياسية بعد ، وربما كان أسوأ حظا من المرأة "١" .

واهتمت مجلات أخرى بنشر أخبار المعنيات في أوروبا وأمريكا والثروات الطائلة التي يجمعونها عن طريق هذه المهنة "٢" .

وعنيت مجلة اللطائف بتقديم احصاءات عن أعمال النساء في الولايات المتحدة ، فذكرت أن هناك ((مليونين من النساء تأكل خبزها بحرق جبينها ، ومنهن : ستمائة ألف يعملن في الزراعة ولا سيما حقول القطن ، وستمائة وأربعون ألفا في المحامل ، وثلاثمائة وخمسون ألف غسالة . .)) "٣" ، وذكرت نفس المجلة خيرا عنوانه " حكومة النساء " ، قالت فيه : ((تولت النساء هذه السنة حكومة مدينة " ستكتون " في ولاية " كنساس " فكانت الحاكمة وكل أعضاء الشورى سيدات لارجل بينهن)) "٤" .

ان هذا الاعجاب بالمرأة الأمريكية في هذه المجلات ، يعني أن تنظر المرأة في مصر حولها فلا تجد شيئا من ذلك ، والنتيجة ، أن تصبح المرأة الأمريكية مثلها الأعلى ، أليست تأكل خبزها بحرق جبينها ؟ أليست تكسب الثروات الطائلة من وراء الخفا ؟ مما جعل مجلة أنيس الجليسي تطلق على " مرغريت برنت " أول أمريكية طالبت بحقوق النساء لقب " الجدة الكريمة " "٥" .

وهكذا أصبح الاستشهاد بأحوال النساء في أمريكا وأوروبا قاعدة متبعة لدى المجلات اذا عرضت لموضوع حقوق المرأة أو عملها أو تعليمها ، وأشارت

(١) مجلة العصر الجديد ، السنة الأولى ، العدد الثالث عشر ١٨٨٠

ص ٤٠

(٢) الانسان ، السنة الأولى ، العدد العاشر ، ١٥ ذى الحجة ١٣٠١

ص ٢٣٠

(٣) اللطائف ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، فبراير / شباط ١٨٨٨ ص ٤٧٦

(٤) المرجع نفسه ص ٤٧٦

(٥) أنيس الجليسي ، السنة الأولى ، الجزء الثامن ، (٣ أغسطس / آب

١٨٩٨ م ص ٢٤٢

الهلال موضوع حقوق النساء في مقال بعنوان ((هل للنساء أن يلبسن كل حقوق الرجال؟)) ، ويرى الكاتب أن هذا الأمر من حق النساء، ولكن بعد القيام بأعمال الرجال ، فتساوي الأعمال يقتضي تساوي الحقوق ، ثم يضيف : ((ولا حاجة بنا الى البرهان المحيد ، بل يمكننا النظر الى النساء عصرنا الحاضر بأمريكا وأوروبا ، وفيهن الطهبة والمحامية والمحترفة والمخترعة ، ومن تعاطين المصالح العامة وغير ذلك من الأعمال التنسي نظنها تختص بالرجال فقط)) (١) ، ومن المجلات من استشهدت بأحوال المرأة الفرعونية اذا اقتضى الأمر (٢) .

ثم ان المجلات بقيت فترة طويلة تكتب عن المرأة وحقوقها ومساواتها بالرجل ، دون أن تصرح بوجوب تقليد الشرعيين حتى ظهرت مجلة " أنيس الجليس " التي أصدرتها " الكسندرة أغريفو " فدعت الى الأخذ بالطريقة الأوروبية في معاملة المرأة وتطبيقها في الشرق ، فقالت : ((وهذه السياسة وهي السير بالمرأة مع الحال الحاضرة انما هي السياسة التي نتقاضها الآن في بلادنا ، ونطلب تدبير المرأة على موجبها ، فنحن قد عرفنا عن أوروبا التي هي قدوة الدنيا وقائدتها أنها كانت مثلتنا ، وكان الرجل والمرأة فيها كلاهما بأقصى درجات الجهل والبدأة ، بحيث كانا والبهايم سواء ، ولكن لما أخذ الرجل يرتقي ويتعلم شرع يشارك المرأة في علمه وعمله وتعلمت منه ما علم . . . أما نحن أبناء الشرق فالمرأة عندنا عبء ثقيل ، وهي عالمة على الرجل ، ان لا تشاركه في شئون الحياة بسوى أنها تلد . . . فهسي بذلك والحيوان سواء)) (٣) .

ولو حاولنا أن نتصفح أكثر المجلات والصحف الداعية الى تقليد المرأة

-
- (١) الهلال ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، يناير / كانون ثاني ١٨٩٤ م
ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .
 - (٢) المقتطف ، السنة السادسة ، الجزء التاسع ، فبراير / شباط ١٨٨٢ م
ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
 - (٣) أنيس الجليس ، السنة الأولى ، الجزء الأول ، (٣ يناير / كانون ثاني ١٨٩٨ م
ص ٩ .

المسلمة المصرية للافرنجية لما عثرنا على سبب واضح سوى حب التقليد ،
فالمرأة الشرقية في منزلة الحيوانات ، لأنها لا تقلد المرأة الأوروبية التي
هي قائدة الدنيا وقدوتها ؟ والمرأة التي تقوم بواجباتها نحو أسرتها
عالة على الرجل .

- ٥ -

ذكرنا أن هناك عوامل كثيرة كان لها تأثير كبير على التطور الذي أصاب
القيم المتعلقة بالمرأة ، ومن هذه العوامل " صالون الأميرة نازلي فاضل "
والواقع أن سبب اهتمامنا بنازلي فاضل وصلونتها يعود الى العلاقات القوية ،
التي ربطتها بجمال الدين الأفغاني وتلاميذه ، فقد كانت خليفة الأفغاني
في الجمع بين تلاميذه ، لتكون منهم مدرسة كبيرة ، سيكون لها شأن كبير
في التأثير على سير الأحداث في مصر من ناحية ، وعلى قضايا المرأة من
ناحية أخرى ، وكانت نازلي فاضل أول امرأة شرقية تجالس الرجال سافرة ،
وهي بنت مصطفى فاضل أخي اسماعيل وولي عهده ، غير أن اسماعيل كما
قدمنا سعى لدى السلطان حتى جعل وراثة العرش لأكبر أبنائه وذلك حرم
أخاه من هذه الوراثة " ١ " ، فانضم الى الأحرار العثمانيين نكاية فـ
السلطان ، وانفق عليهم بسخاء حتى سمي أبا الأحرار ، وكان مصطفى
فاضل قد اهتم بتربية ابنته نازلي ، فدرست على أيدي جماعة من الأساتذة
الأوروبيين ، ولما رافقت والدها الى الأستانة أعجب بها " مراد " ولي عهد
السلطنة فمنعه عمه السلطان عبد المجيد من الاقتران بها ، لأن التقاليد
كانت تمنع السلاطين وأولياء عهدهم الزواج الا من الجوارى .

(١) علاقات مصر بتركيا في عهد الـ يوى اسماعيل ، لأحمد عبد الرحيم

فتزوجت نازلي من خليل باشا وزير خارجية السلطان ، الذي عين بمعد ذلك سفيرا للدولة العثمانية في بعض العواصم الأوروبية^(١) ، وكانت نازلي تتقن الانجليزية والفرنسية والألمانية والتركية الى جانب العربية^(٢) ، فأفسحت لها الصالونات الأوروبية في مجالسها والتقت من خلالها بكبار رجال السياسة^(٣) ، ولكن موت زوجها وافلاس والدها الذي كان يقيم فسي باريس ، جعلها تعود الى مصر في عهد الخديوي توفيق ، وكان الأفغاني ما يزال موجودا ، وعمودتها الى مصر نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة ، حيث فتحت صالونها لرجال السياسة والوزراء وكبار القوم ، وأفسحت كذلك المجال للأفغاني وتلاميذه أمثال محمد عبده ، سعد زغول ، فتحي زغول ، محمد ابراهيم المويلحي ، أديب اسحاق ، وسعيد البستاني وغيرهم^(٤) ، مادعا مجلة " فتاة الشرق " أن تطلق عليها لقب زعيمة حزب السفور^(٥) .

وما يؤيد صلتها بالأفغاني أن محمد عبده بعث برسالة الى الأفغاني ، وهو في الأستانه يسأله فيها عما اذا كانت موجودة في الأستانة أم لا ، وكان الأفغاني يسعى لدى السلطان كي يمنحها وساما ، فرد الأفغاني على محمد عبده بقوله : ((وأما تمثال الكمال والجمال حضرة " البرنسس " التي لها من قلبي المنزل الأسنى والمقام الأبهى ، فلا أعلم من أمرهنا شيئا))^(٦) .

-
- (١) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧ ص ٧٠
 - (٢) انظر فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الرابع ، يناير / كانون ثاني ١٩١٤ م ، ص ١٥١
 - (٣) المقتطف ، يونيو / حزيران ١٩٣٧ م ص ٢٩ - ٣٠ ، وانظر المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧ م ص ٧
 - (٤) مذكرات قليني فهمي ١/١٣١ ، وانظر المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧ م ص ٨٠
 - (٥) فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الرابع ، يناير / كانون ثاني ١٩١٤ م ص ١٥١
 - (٦) تاريخ الأستان الامام محمد عبده ، تأليف رشيد رضا ، الطبعة الأولى ، مطبعة المنار ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١ م ، ١/٨٩٧ .

ويبدو أن نازلي فاضل كانت مولعة بالسياسة ، وهذا وجه الشبه بينهما وبين الأفغاني ، كما قال الشيخ محمد عبده في حديث له مع رشيد رضا :
((فاشتغال هذه المرأة بالسياسة كاشتغال السيد جمال الدين بها . . .))^١
ولم يطل الوقت بالأفغاني إذ سرعان ما طرده الخديو توفيق من مصر ، ولكن تلاميذه ظلوا على صلة بنازلي ، وفي هذه الأثناء قام عرابسي يطالب بتصحيح الأوضاع فاشترك محمد عبده في صياغة مبادئ الحزب الوطني بمساعدة المستشرق " بلنت " ، وقد وصف هذا الحزب نفسه بأنه حزب سياسي لاديني^٢ ، وعندما هزم الجيش المصري

-
- (١) المرجع نفسه ١/٨٩٥ .
(٢) الأعمال الكاملة لمحمد عبده جمع وتحقيق محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٢ م ،
١/٣٦٧ - ٣٧٠ . والواقع أن هذا الوصف للحزب الوطني في البيان الذي شارك محمد عبده في صياغته يوافق مبادئ الماسونية التي كان محمد عبده أحد أتباعها ضمن المحفل الذي أسسه الأفغاني ، حتى أن رشيد رضا في مقالة له في المنار لا ينكر أن محمد عبده كسنان عضوا فيها ، لكنه يذكر أنه تركها بعد عودته من المنفى لا لأنه عرف حقيقتها بل لأنه اعتقد أن عملها في البلاد انتهى ، وهو مقاومة سلطة الملوك والبابوات الذين كانوا يحاربون العلم والحريية ، وهو عمل عظيم كان ركنا من أركان ارتقاء أوروبا ، ويذكر رشيد رضا أن محمد عبده أخبره أن دخولها مع السيد كان لفرض سياسي اجتماعي وأنه لن يعود إليها لأنها ابتدلت ابتداء لم يكن من قبل .
انظر المنار ، الجزء الحادي عشر ، ٢ أغسطس / آب ١٩٠٥ م ص ٤٠١ - ٤٠٣ . ولمزيد من المعلومات عن الماسونية راجع الماسونية تأليف : محمد علي الزعبي ، وكتاب أسوار الماسونية ، تأليف : جواد رفعت أتلخان ، ترجمة نور الدين رضا الواعظ ، وسليمان محمد أمين القبلي ، وكتاب أحجار على رقعة الشطرنج تأليف : وليم غاي كار ترجمة سعيد جزائري .

نفي زعماء الثورة مدى الحياة ، ونفي محمد عبده ثلاث سنوات التمسني بيروت "١" ، وفيها كان يعقد دروسا دينية في التفسير يحضرها بعض من اليهود والنصارى الى جانب المسلمين ، وكان يحض قس الكنائس فنسني بيروت يعرضون عليه مواعظهم . ولقي هناك البهايماس زعيم البهايمية فكان يحتفي به "٢" ، ومن بيروت ارتحل محمد عبده الى باريس ، حيث أصدر مع أستاذه الأفغاني مجلة " الصروة الوثقى " ، ولكنه عاد ثانية الى بيروت ، وظل فيها حتى عام ١٨٨٨ م ، وفي هذه الأثناء وطد اللورد " كرومر " أقدامه في مصر وصار من رواد صالون نازلي فاضل "٣" ، وكان سعد زغلول وكيلها "٤" .

وقد ظل سعد علي اتصال بمحمد عبده أثناء نفيه ، فذكر أستاذه في مجلس نازلي فاضل التي كانت مقبولة الرجاء عند كرومر ، فضغط علي الخديوي توفيق وأرغمه أن يصدر عفوا عن محمد عبده علي الرغم من اتهامه للخديوي توفيق بالخيانة أثناء نفيه "٥" .

واشترط الانجليز علي الشيخ محمد عبده ألا يشتغل بالسياسة ، لهذا عندما عاد من المنفى أصدر تصريحاً لمن فيه السياسة "٦" ، ثم عمل علي تقريب

-
- (١) الامام محمد عبده ، تأليف عبد الحلیم الجندی ، سلسلة أعمال الاسلام ، دار المعارف بمصر ص ٢٣ - ٢٥ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٤٤ . وأنظر كتاب الاسلام والحضارة الغربية ، تأليف دكتور محمد محمد حسين ص ٩٨ - ١٠٠ .
 - (٣) انظر كتاب سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، تأليف عبد الخالق لاشين ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ص ٣٥ ، ينقل المؤلف عن مذكرات محمد فريد أن نازلي فاضل : (كان لها شغف بالضباط الانجليز ، وكأنت تحي ليالي موسيقية في دارها وتكثر من شرب الخمر) .
 - (٤) انظر مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ص ١٢٨ .
 - (٥) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، لأحمد أمين ص ٣٣٦ .
 - (٦) المحافظة والتجديد في النثر الحاضر ، لأنور الجندی ص ٤٦ . وانظر تاريخ الأستان الامام ١/٨٩٥ .

الشريعة الإسلامية وتطويعها كي تتقبل الحضارة الأوروبية عندما صار فسي منصب الافتاء .

وقد أشار اللورد كرومر الى الفتوى التي أجاز المفتي بموجيها للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير ، وجعل الدور الذي قام به محمد عبده في مصر شبيها بدور " السير احمد خان " في الهند " ١ " ، ان كان يرى عدم استقلال الهند عن الانجليز الا بعد العلم بكل شيء أتت به المدنية الحديثة ، والواقع أن محمد عبده كان مقلدا لأحمد خان وكان ينسوي تأسيس مدرسة للقضاء شبيهة بمدرسة العلوم في " عليكرة " تلك المدرسة التي أنشأها أحمد خان ، ولم يكتب لمحمد عبده أن ينفذ رغبته في حياته ، فنفذها تلميذه سعد زغلول الذي أسس مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٠٧ ، على الرغم من اعتراض الخديوي عباس الثاني وكثير من علماء الأزهر .

ونظرا لمواقف الشيخ محمد عبده وتلاميذه غير المتشددة من الانجليز ، وجدوا كل تشجيع من اللورد كرومر الذي كان يرى أنهم حقيقيون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوروبيين . " ٢ "

ويمكننا القول أن الشيخ محمد عبده وتلاميذه انتهجوا بعد الاحتلال الانجليزي لأنفسهم نهجا لا يتعارض مع السياسة الانجليزية ولا يهدد مصالحها ، فوجهوا عنايتهم الى الاهتمام بالقضايا غير السياسية ، وبذلك خالفوا منهج الأفغاني .

ويبدو أن جلوسه في مجالس مختلطة أثر على سمعته ، فنشرت بعض الجرائد صورة وقحة له أثارت دهشة الجمهور ، وكانت سببا في قضية جنائية ، كذلك نشرت له صورة أخرى ، وهو واقف مع امرأة في ثياب الرقص ، وحصل بعض خصومه على صورة شخصية له مع بعض نساء الأفرنج . " ٣ "

-
- (١) المنار ، الجزء الرابع ، مايو / أيار ١٩٠٦ م ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
وانظر زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ١٢٩ ١٣٣٤ .
 - (٢) المنار ، الجزء الرابع ، مايو / أيار ١٩٠٦ م ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
 - (٣) مذكرات أحمد شفيق ٤٠ / ٢ .

أن النساء كانت تحضر مجلس الشيخ أحيانا ، فقد ذكر اللورد كرومر في معرض دفاعه عنه ، ((ان الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه " ليدي كرومر " وغيرها من عقائلنا ، فهل يصح أن نعد هذا اهانة له أولنا))^١ ولوعدنا نبحث في مؤلفات محمد عبده ومقالاته ، لوجدنا أنه كتب أكثرها بعد تتلمذه على الأفغاني وأثناء عمله في الوقائع المصرية ، وأنه تناول في مقالاته الزواج وهمد الزوجات والطلاق ، وتناولها بطريقة مخالفة لآراء معاصريه ، وسنجد قاسم أمين يتأثر به ، ويضمن كتابه تحرير المرأة بعض مقالاته بأكملها .

كتب محمد عبده مقالة عن الزواج ، بدأها بالاعتراض على التعريف الذي وضعه الفقهاء للزواج ، ورأى ان هذا التعريف يوحي بأن رابطة الزواج ليست غير التمتع بقضاء الشهوة الجسدية ، لأنه لا يشير الى واجبات الزوجين الأدبية ، فهو تعريف ناقص لا يفي بتوضيح العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الزوجين ، وحتى تتصف العلاقة الزوجية بالمودة ، يقترح محمد عبده على الزوجين ألا يقدموا على الزواج الا بعد التأكد من ميل كل منهما للآخر .^٢

وحتى تستطيع المرأة أن تشارك برأيها في اختيار زوجها عن روية وتفكير واقتناع ، يقترح أن تتعلم المرأة ، لأنها اذا تعلمت وشعرت بقيمة نفسها ، عند ذلك يكون الزواج الوسطة الطبيعية لتحقيق سعادة الرجل والمرأة معا ، وتؤسس الزوجية على انجذاب شخصين يحب أحدهما الآخر ، فتتخبط المرأة من بين الرجال ، من تحبه وتميل اليه .^٣

(١) المرجع نفسه ٣٩ / ٢ .

(٢) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، جميعها وحققها محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٢ م ، ٢ / ٧٢ . ويرى المحقق أن الفصل الذي كتبه قاسم أمين عن الزواج في كتابه " تحرير المرأة " هو من انشاء محمد عبده .

(٣) المرجع نفسه ٧٣ / ٢ - ٧٦ .

أما بالنسبة لموقف محمد عبده من تعدد الزوجات ، فهو يرى أن الشريعة أياحت للرجل الاقتران بأربع نسوة ، ان علم من نفسه القدرة على العدل بينهن ، والا فلا يجوز الاقتران بخير واحدة ، وعنده أنه لا يجوز الجمع بين الزوجات عند توهم عدم القدرة على العدل ، (فكيف يسوغ لنا الجمع بين نسوة لا يحملنا على جمعهن الا قضاء شهوة فانية ، واستحصال لذة وقتية غير مبالين بما يشأ عن ذلك من المفساد ومخالفة الشرع) (١) .

ويحدد الشيخ محمد عبده موقفه من التعدد في مكان آخر في معرض رده على سؤال عن موقف الاسلام من التعدد وعن جواز ابطال هيبته المادة ، ويمكن تلخيص اجابته فيما يلي : ((فاذا كان العدل غير مستطاع ، والخوف من العدل يوجب الاقتصار على الواحدة ، فما أعظم الحرج في الزيادة عليها ، فالاسلام قد خفف الاكثار من الزوجات ، ووقف عند الأربعة ، ثم انه شدد الأمر على المكثرين الى حد لو عقلوه لمسا زاد واحد منهم على الواحدة . . .) (٢) .

ويرى محمد عبده أنه يجوز للحاكم أو القائم على الشرع أن يبطل عادة التعدد ، لأن شروط التعدد هو التحقق من العدل ، وهذا الشرط مفقود حتما ، فان وجد في واحد في المليون فلا يصح أن يتخذ قاعدة ، ومتى غلب الفساد على النفوس ، وصار من المرجح أن لا يعدل الرجال في زوجاتهم جاز للحاكم أن يمنع التعدد ، أو للمالم أن يمنع التعدد مطلقا مراعاة للأغلب . . . وبالجملة يجوز الحجر على الأزواج عموما أن يتزوجوا غير واحدة الا لضرورة تثبت لدى القاضي ، ولا مانع من ذلك في الدين البتة ، وانما الذي يمنع ذلك هو المادة فقط) (٣) .

-
- (١) المرجع نفسه ٨٠ / ٢ ، وانظر مقالة للشيخ محمد عبده بعنوان " حكم الشريعة في تعدد الزوجات " الوقائع المصرية ، العدد ١٠٥٦ ، ٨ مارس / آذار ١٨٨١ م .
- (٢) الأعمال الكاملة ، للشيخ محمد عبده ٩٣ / ٢ ، وانظر المنار ، الجزء الأول ، ٣ مارس / آذار ١٩٢٧ م ، ص ٢٩ - ٣٥ .
- (٣) الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، ٩٤ / ٢ ، ٩٥ - ٩٤ .

ورأي محمد عبده هذا قريب من رأي السيد أمير علي الهندي الذي يرى أن الإسلام قيّد عادة تعدد الزوجات بقيود هي عين النهي المطلق، ويعلق رشيد رضا على كلام أمير علي بقوله : ((ان الشريعة ضيّقت من شروط التعدد بحيث يتمدّد الا في حالة الضرورة واقامة المصلحة دون قصد التمتع)) "١".

وأما الطلاق ، فقد أوضح رأيه فيه عندما وضع له نظاما فصل فيه الشروط التي يجب أن يكون عليها ، وأهم ما فيه أنه لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته الا أمام القاضي ، ورأي أن تخول النساء حق الطلاق حسبما تقتضيه العدالة والانسانية ، ((لدرء الظلم الواقع عليهن من فئة غير قليلة من الرجال)) "٢".

وأما الحجاب فيرى أن المصروف في عصره ليس على حسب ما جاءت به الشريعة ، لأن الشريعة أباحت للمرأة أن تظهر بعض أعضاء جسمها للأجنبي ، ((وأنها وكلت تعيين هذه الأعضاء للعادة)) "٣".

هذه هي الآراء التي عرض لها محمد عبده فيما يتعلق بالمرأة ، وهي التي عدّها معاصروه خروجاً عن المألوف. والواقع

والواقع أن كثيرا من هذه الأمور كانت مطروحة للبحث في المجالات ، والصحف من وجهة نظر اجتماعية ، على أننا نلاحظ أن قاسم أمين تبني هذه المواقف في كتابه " تحرير المرأة " حتى أن محمد عمارة الذي قام بتحقيق أعمال محمد عبده وقاسم أمين ، قد نسب كل ما كتبه قاسم عن العائلة في كتابه " تحرير المرأة " الى الشيخ محمد عبده .

(١) المنار ، الجزء الثاني عشر ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩١٣ م
ص ٩٣٨ - ٩٤١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، لمحمد عبده ١٢٥/٢ - ١٢٧ .

(٣) المرجع نفسه ١٠٧/٢ - ١١٥ ، وقد وردت مقالة محمد عبده " حجاب النساء من الجهة الدينية في كتاب " تحرير المرأة " لقاسم أمين ، ويرى محمد عمارة أنها من كتابة محمد عبده .

التقى محمد عبده بقاسم أمين في باريس حوالي سنة ١٨٨٣ م ، واتخذهُ مترجماً له وجعله عضواً في جمعية " الحروة الوثقى " " ١ " ، وعمل قاسم أمين بعد عودته الى مصر في سلك القضاء ، وكان تعيينه نائب قاض في الاستئناف مع سعد زغلول وقرار واحد عام ١٨٩٢ م " ٢ " ، وكان تعيين سعد من الحوادث الغربية في القضاء " ٣ " .

ومن هذا التاريخ بدأت صلة قاسم بسعد تزداد وثوقاً على حد قول سعد : ((فاختلفنا مع بعض اختلاطاً شديداً وتلازماً تلازماً عظيماً ، فلم يمرَّ يومٌ لم نأكل فيه معاً ، وكلما عرض لأحد أمر أو فعل مهما كان حادث فيه الآخر عند أول اجتماع معه ...)) " ٤ " .

وعرف قاسم الطريق الى صالون نازلي فاضل الذي كان فيه سعد ركناً مهماً ، نظراً لصلته القوية بنازلي ، وفي الصالون التقى بالشيخ محمد عبده ثانية ، وفي هذه الآونة ظهر كتاب بالفرنسية للدوق " داركور " تناول فيه مختلف مظاهر الحياة في مصر بالنقد والتجريح ، فعاب على نساء مصر استعمالهن الحجاب ، ورأى أن نظام تعدد الزوجات والطلاق قد

-
- (١) قاسم أمين ، تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر القاهرة ، وزادة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ص ٤٧ .
 - (٢) سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ، ص ٢٥٢ .
 - (٣) انظر مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ص ١٢٧ - ١٢٨ ، يقول عن حادثة تعيين سعد في القضاء : ((صدرت الأوامر بتعيين قاضيين وثلاثة نواب في محكمة الاستئناف الأهلية : ، وما أغضب كثيراً من قضاة المحاكم الابتدائية ، أن عين سعد زغلول المحامي نائب قاض في الاستئناف مرة واحدة ، مع وجود المستحقين من رجال المحاكم ، والشائع أن السبب في ذلك مساعي البرنسس نازلي فاضل المعين هو وكيلاً لها ، ويقال أنه يعيش معها بصفة غير شرعية ...))
 - (٤) سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٣ .

أضعف الأسرة "١" ، ولما كان قاسم أكثر أعضاء الصالون فهما للفرنسية ،
كُلف برد الاتهامات التي ألصقها الدوق "داركور" بمصر والمصريين ،
وهال قاسما مارأى في الكتاب من الكذب ، فكال للمؤلف الصاع صاعين ،
وردّ هجومه على الحضارة الاسلامية ، والنظام الاجتماعي في مصر. "٢"

ولكن من يقرأ ما كتبه قاسم في ردّه لا يشعر أن دافع قاسم عن الحضارة
الاسلامية والنظام الاجتماعي في مصر ، كان عن اقتناع بهما ، والدليل على
ذلك أنه عندما يدافع عن عدم اختلاط النساء بالرجال ، لا يرى في عدم
الاختلاط أمرا ساميا يجب الحفاظ عليه ، بل يرى أن الرجال كذلك
منوعون من الاختلاط بالنساء ، يقول : ((ولما كان محرما علينا نحن
الرجال أن ندخل الى مجتمع النساء ، فيبدو لي من الطبيعي أن يقيع
نفس التحريم على نساتنا ، وانني أكرر من وجهة النظر هذه ، أن وضع
الرجل هنا مشابه لوضع المرأة تماما ، ورغم ذلك فإن أحدا من
الأوروبيين لم تحركه طيبة قلبه الى أن يرضى لوضعنا نحن الرجال ، ولهذه
الحياة التعيسة التي نعيشها)) "٣" .

فكيف نتصور أن قاسم أمين دافع في ردّه عن القيم السائدة في مصر ،
وهو يعد حياة الرجال في مصر تعيسة لعدم اختلاطهم بالنساء ؟ ، وعندما
يقارن قاسم بين المرأة الأوروبية والمرأة المسلمة ، يقول : ((حقا ليست
لدينا سيدات بلاط ولا نساء سياسيات ولا متحدثات ... ولكن هل يعيد
هذا شيئا سيئا ؟ انني أجهب على استحياها كلاً)) "٤" . فقاسم مقتنع
بالنموذج الأوروبي للمرأة ، وهو يمتدّر باستحياها لعدم وجود هذا النوع
من النساء ، كأنما كان في ردّه على الدوق داركور يقصد الدافع عن الذات
فقط .

(١) قاسم أمين ، تأليف ماهر حسن فهمي ، ص (١٠١ - ١٠٥) .

(٢) الاعتصام ، السنة ٤٢ ، العدد التاسع ، أغسطس / آب ١٩٢٩ م

ص ١٨ .

(٣) الأعمال الكاملة لقاسم أمين ، دراسة وتحقيق محمد عماره ، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٢٦ م من كتابه (المصريون

رد على الدوق داركور) (٢٧٩ / ١) .

(٤) المرجع نفسه (٢٨٠ / ١ - ٢٨١) .

وعلى الرغم من حماسة قاسم في موقفه هذا رأى زملاؤه أن ردّه لم يكن في صف النهضة النسائية التي تتزعمها نازلي فاضل ، ذلك أن قاسما اضطر ازاء هجوم " داركور " على الحجاب أن يرفع من شأنه ويعدّه دليلا على كمال المرأة ، حتى عدّوا موقفه هذا تنديدا بالداعيات الى السفور^١ ، وخصوصا نازلي ، وأرادوا أن يكلفوا فارس نمر صاحب المقطم أن يرد على قاسم ، ولكن الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما توسطوا في الأمر ، على أن يتقدم قاسم بالاعتذار الى نازلي ، فقبلت اعتذاره ، وعاد يتسرد على صالونها^٢ .

وفي هذه الأثناء تزوّج من فتاة تركية كانت تحت رعاية مربية انجليزية^٣ ، وكانت النساء التركيات أسبق من غيرهن الى السفور ، فكان لهذا الزواج أثره على تفكير قاسم ، وتوسط قاسم لسعد فزوّجه من ابنة استاذة مصطفى فهمي الذي كان رئيسا للنظار^٤ ، فأصبحت زوجة سعد وزوجة قاسم صديقتين ، حتى أن زوجة قاسم كانت لا تجد مكانا أقرب اليها من بيت صديقتها صفية زغلول عندما تغضب من زوجها^٥ .

وعندما تصدى قاسم أمين لموضوع المرأة ثانية ، وجد من الشيخ محمد عبده كل تشجيع ، وربما يكون قد أشرف بنفسه على ما كتبه قاسم ، ووضع بين يديه ما كان كتبه في هذا الموضوع ، فقد اجتمع قاسم أمين بمحمد عبده وسعد زغلول واحمد لطفي السيد ، وتلا عليهم بعض فصول كتابه " تحرير المرأة " في جنيف عام ١٨٩٧ م^٦ ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل

-
- (١) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧ م ، ص ٠٨ .
 - (٢) الاعتصام ، السنة ٤٢ ، العدد التاسع ، أغسطس / آب ١٩٢٩ ص ١٩ .
 - (٣) قاسم أمين ، لماهر حسن فهمي ، ص ٠٦٩ .
 - (٤) سعد زغلول سيرة وتحية ، تأليف عباس محمود العقاد ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، مطبعة حجازي بالقاهرة ص ٥٢٨ .
 - (٥) قاسم أمين ص ٧١ ، ٨٠ .
 - (٦) المرجع نفسه ص ١٥٨ - ١٥٩ .

بل اتخذ الشيخ محمد عبده من المنار مجلة تؤيد آراءه وآراء تلاميذه ، وكان يعهد الى رشيد رضا بكتابة بعض المقالات تأييدا لآرائه وتفنيدا لحجج معارضية^١ ، مما دعا " تشارلز آدمز " أن يطلق لقب " حزب المنار " على الذين تأثروا بتماليم محمد عبده^٢ ، ومما يؤيد ذلك أن الشيخ تناولت أكثر من مرة كتابي قاسم بالمدح والتقريظ ، وهذا يعني أن الشيخ محمد عبده كانت له اليد الطولى في تأليف كتاب " تحرير المرأة " .

ويبدو أن انشغال نازلي فاضل بأمرها الخاصة لم يتح لها أن تقسم بدور مباشر ، ذلك أنها سافرت عام ١٨٩٩ م الى المغرب واسبانيا^٣ ، واقرنت أثناء رحلتها بشاب تونسي^٤ ، على أن ذلك لا يمنعنا من القول أن كتاب " تحرير المرأة " كان ثمرة من ثمرات صالونها .

وفيما يلي نعرض أهم القضايا التي طرحها قاسم أمين في كتابه " تحرير المرأة " وأثارت نقاشا طويلا ، على أن نتجاوز موقفه من الزواج وتعدد الزوجات والطلاق ، فقد ذكرنا أنه تابع فيها مواقف الشيخ محمد عبده ، بل نقل آراءه نقلا ، ولهذا لن نعود الى عرضها ثانية .

ذكر قاسم في بداية كتابه أنه ليس ممن يطمح في تحقيق آماله في وقت قريب ، لأن تحويل النفوس الى وجهة الكمال في شهورها مما لا يسهل تحقيقه ، وإنما يظهر أثر العاملین فيه ببطء شديد^٥ ، وهو يتوقع أن

-
- (١) السيد رشيد رضا أو اخاه أربعمين عاما ، تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ، الطبعة الاولى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م ، ص ١٧٧ .
 - (٢) الاسلام والتجديد ، لتشارلز آدمز ص ١٩٦ .
 - (٣) المنار ، السنة الثانية ، العدد (٣) ، اكتوبر / تشرين أول ١٨٩٩ م ، ص ٤٨٠ .
 - (٤) المنار ، الجزء الخامس ، (٢١ ابريل / نيسان ١٩٠٠ م) ص ١٢٠ ، وانظر مذكرات قليني فهمي ، ص ١٣٢ .
 - (٥) تحرير المرأة ، تأليف قاسم أمين ، مطبعة عين شمس ، الطبعة الثالثة ، ص (١-٢) .

يلاقي عننا وارهاقا نتيجة تصديه لهذا الموضوع ، ولكنه يذكر أن نموذج
الفكرة عنده فيما يتعلق بحالة النساء المصريات دفعه أن يعلنها ، وان كان
بعض معاصريه سينظر الى رأيه على أنه بدعة "١" ، كذلك دفعه الى الكتابة
مارأى من رقي النساء في البلاد التي تقدمت ، حيث بدأ في تلك البلاد
بقطع المسافات التي كانت تهمدهن عن الرجال ، وعنده أن المرأة الأمريكية
أرقى النساء وبمدها الانجليزية ، ثم الألمانية وتليها الفرنسية . "٢"

وهكذا جعل قاسم المرأة الأمريكية مثلا أعلى دون أن يفكر في
الالتفات الى نموذج المرأة المسلمة ، لأن الدين في رأيه لاسلطة له على
العادات ، () ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد ، لكنت المرأة
المسلمة اليوم في مقدمة نساء الأرض) "٣" .

ويرى أن تربية المرأة الغربية لأبنائها تفوق تربية الرجال ، وأن
أحسن الناس حظا في الغرب من ساعدتهم الدهر في أن تتولى تربيتهم
امرأة ، ولهذا نلاحظ أن قاسما عندما رزق بابنتين أتى للأولى بمربية
فرنسية وللصغرى بمربية انجليزية . "٤"

وقد فضل نساء الافرنج على النساء المصريات المعفيات ، ذلك أن
الافرنجيات يمتزن بالوقار والسكينة والجد ويفضضن أبصارهن عن الرجال ،
أما المعففة من المصريات فمتى رأت رجلا نظرت اليه وتألمته ولوت عنقها
اليه . "٥"

ولثقتة بالقيم الغربية ، يرى أن الصحابية الانصارية أم عطية
بمداواتها للجرحى في المعارك التي اشتركت فيها أقرب ما تكون الى امسرة
غربية من الممرضات اللائي وهبن حياتهن لخدمة الانسانية "٦" ، كما أنه

-
- (١) المرجع نفسه ص ٤ ، ٦ ، ٧ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٠ - ١١ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ١١ .
 - (٤) قاسم أمين ، ص ٧٧ .
 - (٥) تحرير المرأة ، ص ٥٩ .
 - (٦) المرجع نفسه ص ١٣٨ .

لهذه الثقة تقبل الاحتلال الانجليزي ، وأشاد بالحرية التي تمتعت بها مصر في عهده ان يقول : (نحن اليوم متممون بحمدل وحرية لا أظن أن مصر رأت مايمثلها في أي زمن من أزمانها) (١) .

وسلك قاسم بالنسبة للحجاب مسلكا حذرا في البداية ، ان رأى أن التغلب على هذا الأمر لا يتم الا بالتدرج فقال : (ربما يتوهم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرة ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فأنني لا أزال أذفع عن الحجاب ، وأعتبره أصلا من أصول الآداب التي يلزم التمسك بها ، غير أنني أطلب أن يكون منطبقا على ما جاء في الشريعة الاسلامية) (٢) ، ولكن انتهى حذره بعد هذا الكلام ، ورأى أن الحجاب دور من الأدوار التاريخية التي تلاشت طوعا لمقتضيات الاجتماع وجريا على سنة التقدم (٣) .

وكما يحول الحجاب بين المرأة وارتقائها وبين الأمة وتقدمها ، يمنع المرأة أن تتمتع بحريتها وأن تملك نفسها وتحقق وجودها (٣) ، وحتى يمكن تحقيق رفع الحجاب ، رأى أنه لا بد من اعداد نفوس البنات في زمن الصبا ، فيعودن بالتدرج على الاستقلال ، حتى يعتقدن بأن العفة ملكة في النفس لا ثوب يختفي تحته الجسم ، فتسهل عليهن مخالطة الرجال (٤) ، وهذا يعني أن دعوة قاسم للتخلص من الحجاب هي دعوة للاختلاط في الوقت نفسه ، لأن عدم اختلاط المرأة بالرجل ينسبها حسب رأيه ما تعلمته في زمن قليل كأنها لم تتعلم شيئا من قبل ، وحتى لا يضيع من الفتاة ما تعلمته ، يرى أن يستعر الاختلاط حتى بعد المرحلة الابتدائية ، لأن السن الذي تحجب فيه الفتاة عن الرجال ، هو السن الذي تظهر فيه حاجة كل من الرجل والمرأة الى اختبار العالم ، وهو السن الذي تظهر فيه الملكات (٥) .

(١) المرجع نفسه ، ص ١١٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ٦٤ - ٦٧ .

(٣) المرجع نفسه ص ٨٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ١١٢ - ١١٣ .

(٥) المرجع نفسه ص ٨٦ - ٨٧ .

وعنده أن أغلب نساء نصارى الشرق يعرفن لوان الحياة ، لكثرة
ماسمن ورأين باختلاطهن بالرجال ، فارتفعن بفضل هذا الاختلاط
الى مرتبة أعلى من مرتبة المرأة المسلمة^١ ، لكن المرأة الأمريكية هي مثل
أعلى في ذلك كما يبدو من قوله : (ومن المشاهد الذي لا جدال فيه
أن نساء أمريكا هن أكثر نساء الأرض تمتعا بالحرية ، وأكثرهن اختلاطا
بالرجال ، حتى البنات في صباهن يتخلطن مع الصبيان ، . . . ومع هذا
يقول المطلعون على أحوال أمريكا ، ان نساءها أحفظ للأعراض ، وأقوم
أخلاقا من غيرهن ، وينسبون صلاحهن الى شدة الاختلاط بين الصنفين من
الرجال والنساء في جميع أوار الحياة) .^٢

وبينا عدّ قاسم اختلاط النساء بالرجال في أمريكا مقوما للفضيلة
نشرت احدى المجلات العربية نقدا للمرأة الأمريكية يمين أن الحرية التي
حصلت عليها كانت سببا في فسادها ، والنقد عبارة عن حديث لكاتبة
أمريكية تحدث فيه عن شيوع الطلاق في جميع الولايات الأمريكية ، حتى أن
المرأة الواحدة تزوجت وتطلقت خمس مرات ، وتذكر هذه الكاتبة أن ثمانين
في المائة من حوادث الطلاق ، كانت بناء على طلب من النساء ، وتضيف
الكاتبة الأمريكية ، أن المرأة هناك تزدرى المحيضة المنزلية والزواج فلا
تستعد لهما ، لأنها تسترجل سعيا وراء الحياة وطلبا للترقى .
ووصفت الكاتبة نفسها المرأة الأمريكية بأنها فوضوية تكره النظام ، ولا اشريعة
لها تسيرها غير شهواتها ، وهي عاطلة من الفضائل الشريفة كالصبر على
المكاره ، كما أنها عاطلة من التدين ، تحب لذاتها وتبيع من أجلها ماعز
وغلا بأبخس الأثمان . . .^٣

- (١) المرجع نفسه ص ٩١ - ٩٢ .
- (٢) المرجع نفسه ص ٩٣ .
- (٣) أنيس الجليس ، السنة الأولى ، الجزء التاسع ، ٣١ أغسطس / آب
١٨٩٨ م ص ٢٨٠ - ٢٨٥ . وانظر رأي مجلة الريحانة في المرأة
الغربية ، فقد علقت المجلة سبب عدم اقبال المرأة على الزواج أنها
تتهرب من وظيفتها في الحمل والولادة كي تتفرغ لاشباع شهواتها .
الريحانة ، الجزء السادس ، أغسطس / آب ١٩٠٧ م ص ١٦٧ - ١٦٨

هذه هي المرأة الأمريكية كما صورتها واحدة من بنات جنسها ، وهي التي أراد قاسم أن يجعل منها مثلا أعلى تقتدى به نساء مصر .

أما بالنسبة لتعليم المرأة ، فيرى قاسم أن المرأة المتعلمة تخشى عواقب الأمور أكثر مما تخشاها الجاهلة التي تتصف بالخفة والطيش ، وأن اعتقاد معاصريه بأن التعليم يفسد أخلاق الفتاة اعتقاد باطل وسخيف .^١ وأما عمل المرأة ففي رأيه أن لا شيء يمنع المرأة المصرية أن تشتغل بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة مثل المرأة الغربية إلا جهلها وإهمال تربيتها ، ولو أخذ الرجل بيدها ، لصارت تتج بقدر ما تستهلك ما يورثها من الثروة العامة .^٢

ويستهزئ قاسم برأي بعض المسلمين الذين يقولون : أن النساء ربات الخدور يحمرن المنازل وأن وظيفتهن تقتضي عند غيبة البيت ، ويرى أن هذا قول من يعيش في الخيال .^٣

هذه هي أهم الآراء التي عرض لها قاسم في كتابه " تحرير المرأة " فأثارت كثيرا من المفكرين في عصره وشغلت الصحافة ، ويبدو أن السبب يعود إلى كون قاسم أول كاتب مسلم تصدى لقضايا المرأة وحاول أن يعالجها من وجهة نظر غربية ، ومن ضمن النظر في كتابه يلاحظ أن همه كان منصبا على التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية ، ومعنى آخر أراد أن يضيء الصبغة الشرعية على دعوته ، ويتضح ذلك من سخطة على رجال الدين ، وزعمه أنهم يصدرون فيما يحلون وما يحرمون عن التقاليد والأوهام ، التي ورثت عن الأسلاف على أنها دين .^٤

-
- (١) تحرير المرأة ص ٥٧ - ٥٨ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٢٢ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ٢٣ - ٢٨ .
 - (٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ، تأليف الدكتور محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ٢٩٣/١ .

وكان رد الفعل تجاه كتابه متفاوتا ، فبينما أيده بعض المفكرين ندد آخرون بما جاء فيه ، وعلى رأسهم الخديوي عباس الثاني لأنه كان متحمسا لفكرة الجامعة الاسلامية التي تبناها مصطفى كامل .

ومن هؤلاء الشيخ محمد حسنين البهلاوي الذي ألف كتابا في الرد على قاسم أسماه "الجلس الأنيس في التحذير عما في تحرير المرأة من تلبيس" ، فنقص كثيرا من آراء قاسم في القضايا التي أثارها ، وذكر أن استحسان الناس لدعوة قاسم واعجابهم بهاد فحده إلى مراجعة كتب الشرع المعتمدة ، ليعلم الناس " (فساد مفتعله وتقلوه على الشرع بما لم يوجد فيه بما يدل عليه أدنى دلالة ، دعائي ذلك إلى أن أجمع في هذا الكتاب ما جاء به الشرع الشريف مما يدل على طلب الاحتياط في شأن المرأة وسترها ، جميع بدنها عن نظر الرجال الأجانب ، وعدم مخالطتها للرجال غير المحارم ، ومنعها من الذهاب إلى الأندية ، ،) " (١)

وذكر البهلاوي أن كتاب قاسم مليء بالخرافات ، وأن كاتبه يزخرف الباطل ، ويصف دعوة قاسم بأنها طلب لتغيير ما جاءت به الشرائع ، ورأى أنه بما دعا إليه إنما يريد التشريع برأيه . " (٢)

ووضع محمد فريد وجدي كتابه " المرأة المسلمة " ردا على دعوة قاسم ، وهو مع ايمانه بأن المرأة ذات شأن كبير في تكميل الأمة وتحسين حالها ، يخالف قاسم في احتذاء أي أمة من الأمم في كل الشؤون الحيوية وخصوصا شأن النساء " (٣) ، لأن التقليد يعني استعداد الأمم الضعيفة لقبول موهنات الأمم القوية والاستسلام لها ، ومحنى ذلك أن النصيحة بالتقليد

(١) المجلس الأنيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس ،

تأليف محمد أحمد حسنين البهلاوي ، مطبعة المحارف الأهلية ،

١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م ص ٣

(٢) المرجع نفسه ص ٦٠ .

(٣) المرأة المسلمة ، تأليف محمد فريد وجدي ، الطبعة الأولى ،

مطبعة الترقى ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م ص ٥ - ٦ .

نصيحة بالاستسلام ، ويرفض محمد فريد وجدى تهذيب المرأة المسلمة
باقتفاء أثر المرأة في المدنية المادية ، ولهذا يخالف قاسم فيما يتمسك
بالحجاب ، ويعتقد ضرورته ليس لعدم الثقة بالمرأة ، بل لكونه
الضمانة الوحيدة لاستقلالها وحريتها .^١

ويرى أن القدرة الالهية خصمت المرأة بتكثير النوع الانساني ، وأن
هذا الاختلاف في الوظيفة والخلق لم يترك لهما مجالاً للتسابق ، وأن
اشتغال المرأة في أعمال الرجال قتل لنواهيها وانها لطكاتها ومفسدة
لتركيبها ، وأن عمل المرأة الضريبة خارج بيتها هو أثار أسوأ
الرجال لها .^٢

ويذكر أنه ألف كتابه ثقوية لأنصار الحجاب ، وانتصاراً للفتنة
السليمة ، وتعصيماً للحق ، ورداً لكل الاعتراضات التي وجهت إلى
المدنية الاسلامية ،^٣

ومن الكتاب الذين تعرضوا لآراء قاسم بالنقد ، محمد طلعت حرب
الذي أصبح فيما بعد من ألمع رجال الاقتصاد في مصر ، فقد ألف كتابه
" تربية المرأة والحجاب " وذكر أن الناس انقسموا حول كتاب قاسم
قسمين ، قسم يرى رأى قاسم ، وهم قلائل ، وقسم آخر وهو أعظم
عدداً ، وقد أجمع أفرادها على استهجان ماورد في الكتاب ، وقالوا
بأنه يدعو إلى بدعة في الدين والموائد .^٤

ويرى طلعت أن كلا الحزبين مسلم بأن الدين لا يمنع من تطعيم المرأة
وتهذيبها ، بل يحض على ذلك ويأمر به ، ولكن اختلفا في دور حول

-
- (١) المرجع نفسه ص ٨ - ١٣ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٤ ، ١٩٨ - ٢٠١ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
 - (٤) تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ص ٩ - ١٠ .

ما ينبغي أن تتعلمه المرأة وطريقة تعليمها وتهذيبها ، ويمتدح حرب أن سبب هياج الرأي العام ضد قاسم ناجم مما هو راسخ في أذهانهم من أن رفع الحجاب والاختلاط أمران تتعناهما أوروبا لخاية يعرفها كل من وقف على مقاصدها نحو العالم الاسلامي ومطامحها فيه "١" ، وهو وان كان يؤيد قاسما فيما ذهب اليه من ضرورة تربية المرأة وتهذيبها يخالفه في غيره . "٢"

ويلاحظ حرب أن قاسما متأثر فيما كتب عن المرأة بأمر علي الهندي وكتاب " الرحلة الأصمعية " "٣" ، واعترض حرب على تسمية قاسم لكتابه " تحرير المرأة " ، وتمنى لو أنه أسماه " تربية المرأة والحجاب " ، لأن المرأة المسلمة حصلت على حقوقها منذ زمن بعيد . "٤"

ويرى حرب أن للرجل القوامة على المرأة ، فله عليها السيادة ، ولها منه حسن المعاملة والاحترام ، وأن وظيفة المرأة في البيت ليست أقل أهمية من عمل الرجل خارجه ، فعملها في البيت يستغرق كل وقتها ، والمرأة تنزولها الى ميدان العمل حلت محل الرقيق ، وأن النساء اللواتي يتعاطين أشغال الرجال ، ويتركن الزواج تصح تسميتهن بالجنس الثالث "٥" ، وأن حصول المرأة الأوروبية على حريتها في العصر الحديث كان في جوهره الالحاد والمادية ، فالت الى الشهوات البهيمية ، واثارت على

-
- (١) المرجع نفسه ص ١٠ - ١٤ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٥ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ١٦ . وكتاب الرحلة الأصمعية طبع باللغة التركية في مصر عام ١٨٩٣ م ، والكتاب يتحدث عن المرأة من وجهة نظر غربية ، وما يجدر بالذكر أن قاسما كان يتقن التركية ، وقد ذكر فيه مؤلفه المأخذ التي يأخذها الأوروبيون على المرأة الشرقية ،
 - (٤) تربية المرأة والحجاب ص ١٦ .
 - (٥) تربية المرأة والحجاب ص ١٨ - ٣٥ . وانظر في موضوع الجنس الثالث كتاب حصوننا مهددة من داخلها تأليف الدكتور محمد محمد حسين ، المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ط ٤ ، ص ١١٢ - ١٣٥ .

الزواج ، واعتبرته من آثار الوحشية الأولى . "١"

وحتى لا تقع المرأة فريسة لطرق التربية المادية يقترح أن تقوم تربية البنات والبنين على الطريقة التي يقتضيها الدين ، وأن تقوم المدارس الأهلية بتصحيح ما أفسدته المدارس الأجنبية . "٢"

وأما الحجاب فان حرها يصّر على ضرورته ، لأنه أعظم قائد للحفة ، فاجتماع الرجال والنساء بلباس الزينة ، يجعل مخالفة الانسان لشهواته من الأمور الصعبة ، "٣"

هذه هي أهم الكتب التي عارضت دعوة قاسم الى السفر والاختلاط ، ولكن أصحابها كانوا مع قاسم في دعوته الى تربية المرأة وتعليمها بشرط أن يكون هذا التعليم وهذه التربية متفقين مع أصول الأخلاق الاسلامية .

أما موقف الصحافة ، فكان يتراوح بين التأييد الذي لا حد له ، وبين المعارضة لبعض جوانب دعوته ، وكانت صحيفة اللواء من الصحف التي حملت على قاسم ، فكتب مصطفى كامل يعلق على دعوة قاسم ، أنه اطلع على أحوال المرأة في دول أوروبية كثيرة ، فوجد أن الحرية قد أفسدت على المرأة ادابها ، ومحت كثيرا من الأخلاق الفاضلة عندها ، حتى عمت الشكوى هناك ، ونظرا لاختلاف العادات والتقاليد ، فان ما يوافق في البلاد الأوروبية غير ما يوافق البلاد الاسلامية ، ولكنه لم يعترض على وجوب الالتفات الى تعليم النساء وتربيتهم ، ورأى أن الحرية التي نادى قاسم أمين بضرورة اعطائها للمرأة ستكون عاقبتها سيئة ، وقال : ((والرجل منا أهون عليه أن يموت من أن يرى من أهله أو من بيته امرأة فاسدة ولو كانت بهجة العلم وحليته)) "٤"

-
- (١) تربية المرأة والحجاب ص ٣٨ - ٤١ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٤٤ - ٤٥ ، ٥٤ - ٥٥ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ٦٧ - ٧٧ .
 - (٤) اللواء ، ٣١ يناير كانون ثاني ١٩٠١ م .

وفتحت اللواء صفحاتها لأقلام المعارضين فاتهموه بأنه خدع بزخارف التمدن الأوروبي فرأى المحاسن ولم ينصر المساوي ، وأنه أخذ بأراء الدوق داركور ، ولم يأخذ بأراء كثير من كتاب الغرب الذين عابوا على المرأة الأوروبية عبثا بحريتها "١" ، وتساءل بعض معارضيه عن موقفه من اليابان التي ارتقت الى مستوى الدول العظمى على الرغم أن نساءها لم ينلن شيئا من حرية المرأة الغربية ، وأن المرأة هناك تربي كي تكون زوجة مطيعة . "٢"

أما صحيفة "الموئيد" فقد نشرت كتاب "تحرير المرأة" ، نظرا للعلاقة الطيبة التي كانت تربط علي يوسف صاحب الموئيد بكل من محمد عبده وسعد زغلول ، الا أنها اضطرت تحت الحاح من الرأي العام أن تفسح للمنتقدين علي صدر صفحاتها "٣" ، حيث نشرت مجموعة من المقالات لمحمد فريد وجدي . "٤"

ومن المجلات التي وقفت موقفا غير متشدد من قاسم مجلة "المرأة في الاسلام" حيث دعت القراء أن يتأملوا كتاب قاسم قبل أن يتسرعوا في الحكم عليه ، ولكنها رأت أن قاسما تطرف عندما حكم على الحضارة الغربية أنها مبرأة من العيوب . "٥"

أما مجلة المنار فكانت على رأس المجلات المويدة والمتحمسة ، ورأت أن التنديد بكتاب قاسم ليس انتصارا للدين ، وانما هو انتصار للهوى ، والوجدان ، ودعت الى مساعدته في عمله . "٦"

-
- (١) اللواء ٢٤ فبراير / شباط ١٩٠١ م .
 - (٢) اللواء ٢٧ فبراير / شباط ١٩٠١ م .
 - (٣) تراجم الأعلام المعاصرين ، لأنور الجندي ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .
وانظر سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ، ص ٤٠ .
 - (٤) الموئيد ، ٣٠ سبتمبر / أيلول ١٨٩٩ م .
 - (٥) المرأة في الاسلام ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، مايو / أيار ١٩٠١ م ص ٣٧ .
 - (٦) المنار ، السنة الثانية ، العدد ١٨ ، ١٥ يوليو / تموز ١٨٩٩ م ص ٢٨٢ - ٢٨٨ . وانظر المنار ، السنة الثانية ، العدد ٢٤ ، ٢٦ أغسطس / آب ١٨٩٩ م ص ٣٦٩ - ٣٧٣ .

وعدت مجلة الموسوعات ماكتبه قاسم عن المرأة دورا ، لأنه على حد تعبيرها أفصح عن احترام الدين للمرأة .^١

وأما المجلات التي كان يحررها النصارى ، فانها فضلا عن موقف التأييد نهجت نهجا آخر ، فكتبت مجلة " الضياء " التي كان يحررها ابراهيم اليازجي ، أنه لم يكن من الصعب الفصل بين حجج الفريقين (لولا أن دخلت المسألة أخيرا في داور ديني محض ، وعاد الحكم فيها من خصائص الدين)^٢ ، فالدين في رأى مجلة الضياء زاد مشكلة الافراج عن المرأة تعقيدا .

ونصح يعقوب صروف صاحب " المقتطف " قاسم أمين أن يعيد موضوع المرأة بحثا علميا لاعلاقة له بالأدلة الدينية ، وطالبه أن يتترك الشواهد الدينية ، حتى لا يتروك المجال مفتوحا لمن يريدون مناقشته من زاوية دينية ، لأنهم سيجدون الأدلة متوفرة لديهم لنقض آرائه كما وقع فعلا .^٣

وعدت " الكسندره أفريغو " في مجلتها " أنيس الجليس " المرأة أن تخرج من بيتها الى حياة المدنية الحقيقية ، بتقليد نساء الافرنج ومسيحيات الشرق ، وذلك في معرض تقريبها لكتاب " تحرير المرأة " ، تقول :
(. لقد كانت المسيحيات في الشرق الاسلامي من ستوات معدودة يحتجبن ويلزمن بيوتهن كالمسلمات ، فأخذن يقلعن عن هذه العادة بالتدريج حتى صرن - يخرجن حاسرات ويحاذثن الرجال ، ثم ما ترتب على ذلك شيء فقد دخلن في حياة جديدة من المدنية الحقيقية ومصونة الرجل ، فاذا خسرن شيئا موهوما ، فقد كسبن أشياء موهوبة

-
- (١) مجلة الموسوعات ، السنة الأولى ، العدد ١٤ ، ٢٥ مايو/أيار ١٨٩٩ م ص ٤٩ .
(٢) الضياء ، السنة الرابعة ، ١٩٠١ - ١٩٠٢ ص ١٦٨ .
(٣) المقتطف ، الجزء السادس ، ١ يونيو / حزيران ١٩٠٨ م ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

محسوسة . . . ولقد يقول البعض أن للافرونج لنا ولما دين . . . ولكننا
نعلم أننا قلنا الافرنج كثيرا فيما هو ليس من عاداتنا فنجحنا . . . حتى لقد
قلدناهم في شرب الخمر المحرمة فنجحنا ، فمادا يجرى لو قلدت امراتنا
امراتهم فتجح نجاحها ؟ أم نحن نكتفي بمجد الدنيا بأن نساءنا
مصونات وراء ستار . . .) (١)

ولم يكتف النصارى بذلك ، بل كانوا يبحثون الى قاسم رسائل
التهنئة والتشجيع ، فقد ذكر محمد طلعب حرب أنه أرسلت الى قاسم أمين
خص وسيمون رسالة يهنئه فيها أصحابها ، ولكن ليس بين هؤلاء المهنتين
سوى ثلاثة مسلمين والباقي من النصارى الذين يفضلون مساواة المسلمين
لهم () في هذا الأمر مادام الابتدال مقدورا عليه واحتجاب المبتذلات
ضرب من المحال () " ٢ " .

ويبدو أن المواقف المتباينة التي ووجه بها كتاب تحرير المرأة ،
والتي تراوحت بين التجريح والتشجيع زادت صاحبه عنادا ودفعت الى أن
يستمر في دعوته ، ولكنه هذه المرة أخذ بنصيحة من نصحوه بالابتعاد عن
الخوض في الأدلة الدينية ، فألف كتابه الثاني () (المرأة الجديدة) .

أصر قاسم في كتابه المرأة الجديدة على الأخذ بالقيم الغربية ، وذكر
أن غرضه من تأليف هذا الكتاب ، هولفت أنظار النساء في مصر الى وضع
المرأة الغربية الجديدة ، التي تعدّ ثمرة من ثمرات تمدن الحديث ، حيث
بدأ ظهورها في الغرب على أثر الاكتشافات العلمية ، التي خلصت العقل

(١) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء الحادي عشر ، ٣٠ نوفمبر /

تشرين ثاني ١٨٩٩ م ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٢) تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ص ١١٤ .

الانساني من سلطة الأوهام والظنون وأبطلت سلطة رجال الكنيسة ، ونسخت معظم ما كان الرجال يرونه من مزاياهم التي يفضلون بها النساء .

والمتمعن في كتاب قاسم يستطيع أن يميز أموراً متعددة ، منها عدم رضاه عن موقف العلماء والمشايخ الذين وقفوا في وجه دعوته ، ويسرى أن المعترضين عليه والساخطين والساخرين منه ، إنما يفعلون ذلك ارضاءً لعامة الناس والجهال منهم ، وأن المشايخ الذين تدبوا بأرائه هم أجهل الناس بأمور دينهم ، وأقلهم معرفة بكتاب الله ، ورأى ان الجرائد التي تسأل المشايخ عن آرائهم فيما يختص بالمسائل الاجتماعية وتستفتيهم في أمور المرأة مخطئة في ذلك ، لأنهم يقفون في وجه الاصلاح ، ولأن قضايا المرأة ينبغي ألا تبحث من زاوية دينية .^١

وقد جرته خصومته لرجال الدين الى القسوة في الحكم على الحضارة الاسلامية ، وكان خصومه يرون أن النهضة الحديثة ينبغي أن تستمد من التراث الاسلامي ، دون الاعتماد على حضارة الافرنج^٢ ، ولهذا حاول في كتابه أن يثبت عدم صلاحيتها في أن تكون نموذجاً يحتذى ، فالحضارة الاسلامية شيدت في رأيه على أساسين ، الأساس الديني الذي جعل من القبائل أمة واحدة ، والأساس العلمي الذي ارتقت به عقول المسلمين ، ولما كانت أصول العلم في ذلك الوقت ضرباً من الظنون سيطر رجال الدين على زمام الأمور ، ووضعوا رجال العلم تحت مراقبتهم ، ورموهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجره .^٣

فهو يرى أن القائمين على الدين كانوا سبباً في اهمال العلم وتعطيل مدارك العلماء ، وأن التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل أن يكشف الفطاة عن أصول العلم ، وهذا يعني أن قاسماً لا يحترف للمسلمين بأى دور علمي ،

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ١/٣٠٨ .

(٢) المرأة الجديدة ، ص ١/١ - ١٧٥ .

ويرى أن التمدن الاسلامي لا يمكن أن يكون نموذجاً للكمال البشري ، بل يعتقد أن كل الفضل يعود الى الأمم الأوروبية التي ورثت علم اليونان والرومان ، وأحلت سلطة العلم محل سلطة رجال الدين بعمد جهـاد طويل .^١

ويرى قاسم أن كثيراً من مظاهر الحضارة الاسلامية لا يفيد في نظام المعيشة الحالية ، ولا يجد في هذه المظاهر ما يستحق أن يسمى نظاماً ، وأن شكل الحكومة الاسلامية عبارة عن خليفة أو سلطان غير مقيد ، وأن سلطة الشعب في ظلّ هذا النظام كانت لفظية فقط .^٢

أما الناحية العائلية عند المسلمين فهي مجردة من كل نظام ، حيث كان الرجل يكتفي في عقد زواجه بأن يكون أمام شاهدين ويتزوج عدة نساء . . . أين هذه الفوضى من النظم والقوانين التي وضعها الأوروبيون ؟ وأي شيء من هذا يمكن أن يكون صالحاً لتحسين حالنا اليوم ، ان المدنية الاسلامية القديمة غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه ، ولا يستغرب أن تكون المدنية الاسلامية قد أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها ، فالتمسك بها الى هذا الحد من الأهواء التي يجب أن تحارب ، لأن الميل اليها يجر الى التقهقر .^٣

والحلّ عند قاسم أن نربي أولادنا على معرفة شؤون المدنية الغربية والوقوف على أصولها وفروعها ومجاراتها المتعددة ، لأن التمدن يعني سوق الانسانية في طريق واحدة ، وهذا يعني أن قاسم يدعو الى الأخذ بالقيم الغربية دون التفات الى الخصائص التي تميزها عن أخرى ، والغريب في أمر قاسم أنه يدعو الى تقليد الأوروبيين تقليداً تاماً على الرغم من معرفته

-
- (١) المرجع نفسه ص ١٧١ - ١٧٣ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٧٦ - ١٧٧ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ١٨٢ - ١٨٣ .

بفساد عامتهم وخاصتهم ، ويعتذر عن هذا الفساد بأن هذه المدينة مؤسسة على الحرية الشخصية ، وأن الفساد لاحق طبيعي من لواحق الحرية ونتيجة من نتائجها . "١"

وعلى الرغم من وضوح موقفه من المرأة الغربية " في تحرير المرأة " زاده وضوحاً في " المرأة الجديدة " فدعا المصرية أن تجرى على نسق الأوروبية والأمريكية وتحذو حذوهما ، كما دعا الرجل إلى ترك المرأة حرة لارادتها واختيارها في زواجها وإياها ، ورأى أن أول عمل تخطوه المرأة في سبيل حريتها هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره ، ويرى أن من حرية المرأة ألا يفتح الأب الخطابات التي ترد إلى ابنته ، ويرى كذلك أن سلطة الزوج لا تبيح له أن يطلع على أسرار زوجته ، لأن هذا العمل يعد تجسسا مهيناً على حرية المرأة ، ويهدى قاسم أمين إعجابه بالرجل الغربي الذي بلغ احترامه لحرية المرأة درجة كبيرة ، لأنه لا يمترض عليها أن تسافر وحدها إلى أبعد مكان في الأرض ، ولأنه لا يمترض أن يكون لزوجته أصدقاء غير أصدقائه . "٢"

ويرى قاسم أن عمل المرأة ضروري لاستقلالها بمعيشتها ، ولا يتم استقلالها إلا إذا دخلت فيما دخل فيه الرجال من المهن ، وتعلمت ما يمكنها تعلمه ، حتى تتغلب على مزاحمة الرجال ، على الرغم من أنه يرى أن نزول المرأة إلى ميدان العمل سيخلق طبقة من النساء عاطلة عن الزواج أسوأ بما حدث في فرنسا . "٣"

وليس من الصواب عنده أن تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل ،

(١) المرجع نفسه ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) المرأة الجديدة ص ٣٢ ، ٣٨ ، ٦٧ - ٦٨ .

(٣) المرجع نفسه ص ٧ ، ٦٧ .

فيجب أن تتعود على الرياضة كما تفعل النساء الغربيات ، وتشترك الرجال في أغلب الرياضات البدنية "١" ، وحتى تحافظ المرأة على ما اكتسبته من علوم ينصحها ألا تقيم في البيت ، بل لابد أن تشارك الرجل حياتها ((وما يلزم أن نضع يدينا في يدها ، ونسير معها في الأرض . . . وتحضر مجالسنا . . . اننا نريد أن تتحسن حال المرأة المصرية ، بحملها على تقليد المرأة الغربية . . .)) "٢"

وهذا وبعد أن استعرضنا معظم الآراء التي وردت في كتاب " المرأة الجديدة " ، يمكننا القول أن قاسم كشف فيه عن رأيه في الحضارتين الإسلامية والأوروبية ، وأنه لم يخف إعجابه الشديد بالقيم الأوروبية بينما حاول في " تحرير المرأة " أن يوفق بين الاتجاهين ، ويقرب المسافة بين الحضارتين .

وسار قاسم في كتابه الثاني على منهج يختلف عن منهجه في الكتاب الأول ، فبينما أكثر في الأول من الأدلة الثقلية المستمدة من الآيات والأحاديث والحوادث التاريخية ، حاول في الثاني أن يأخذ بمنهج البحث الحديثة ، فأكثر من إيراد الإحصائيات ، ورفض كثيرا من المسلمات ، وفي الجملة حاول اتباع أسلوب علماء الاجتماع الغربيين الذي لا يمكن تطبيقه بدقة إلا فيما يتصل بالعموم التجريبية "٣" ، وهذا يعني أنه أخذ بوجهة نظر يعقوب صروف بتروك الاستدلال بالنصوص الشرعية "٤" .

-
- (١) المرجع نفسه ص ١٥٧ ، ١٦١ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٦٩ - ١٧٠ .
 - (٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ، ٣٠٢/١ - ٣٠٣٤ .
 - (٤) المقتطف ، الجزء السادس ، ١ يونيو / حزيران ١٩٠٨ م ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

وإذا كان كتاب تحرير المرأة قد ووجه بمعارضة شديدة من بعض المفكرين ، فان كتاب " المرأة الجديدة " لم يواجه بنفس التشدد ، ولم يقف في وجهه أحد غير طلعت حرب الذي ألف كتابه " فصل الخطاب في المرأة والحجاب " وكرر فيه موقفه الأول ، وأصر على رأيه في أن الحجاب أصل من أصول الشريعة الاسلامية ، وأنه لا يحق تعليم المرأة وتربيتها . وقد تعرض كتاب حرب هذا الى حملة شديدة من بعض المجلات كالمقتطف ، التي دافعت عن التناقض الذي وقع فيه قاسم عندما دافع عن الحجاب في رده على " الدوق داركور " وبين هجومه عليه في كتابيه الأخيرين ، ووجهت اللوم الى طلعت حرب (الذي ينسب كل تأخير تأخرناه الى اختلاطنا بالأجانب) (١) .

كما دافعت مجلة أنيس الجليس عن قاسم أمين ، ورات أنه مسلم عريق في اسلامه ، وطالبت الباحثين في أمر الحجاب أن يجتهدوا في تأويل النصوص الشرعية حتى يمكن الأخذ بأراء قاسم بحد أن ملأت آداب أوروبا اسامنا وقلدناها على الدوام ، وترى أن نساء المسلمين المحجبات قد صرن يلبسن لباس الباريزيات () فاذا نضون اللثام بعض الشيء فلا يكون هذا الخطب العظيم بمذكور ، لأن نساء المسلمين يصبحن به مثل الأوروبيات ، وليس في ذلك ما يشين (. . .) (٢)

أما مجلة " الهلال " التي أصدرها جرجي زيدان ، فأطلقت على قاسم أمين لقب " محرر المرأة المسلمة " ، ووصفت ما قام به ، وأنه شجاعة أدبية يندر مثالها ، ولا يتم الإصلاح الا بها ، وأن فضل قاسم ليس في معرفة حقوق المرأة فقط ، بل في التصريح بذلك على رؤوس الملأ (٣)

-
- (١) المقتطف ، الجزء الثامن ، ٢٦ أغسطس آب ١٩٠١ ص ٧٥٥ . وانظر مجلة المرأة في الاسلام ، السنة الأولى ، العدد السادس ١٥ يونيو / حزيران ١٩٠١ ص ٨١ .
 - (٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء السادس ، ٣ يونيو / حزيران ١٩٠١ م ص ٦٨٠ - ٦٨٢ .
 - (٣) الهلال ، السنة التاسعة ، العدد ١٢ ، مارس / آذار ١٩٠١ م ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

ووصفت مجلة " الجامعة " التي كان يصدرها فرح أنطون قاسما بأنه " ديكارت جديد " ، لأنه على حد قولها هدم السور الذي أقامته المدنية الاسلامية ، والذي كان يحول بين المرأة والعالم الخارجي ، وأن كتابي قاسم سيحدثان انقلابا في الشرق يقتضيه الحقل منذ زمن بعيد^١ واعتذرت المنار عن مقالة قاسم في بيان مضار الحجاب ، وادّعت أنه لا بد من شيء من الباطل لأجل الوصول الى الحق ، كما اعتذرت عن الشيخ محمد عبده عندما رفض أن يدلي برأيه في كتاب " المرأة الجديدة " ، وعلت ذلك بكثرة مشاغله ، وأن وقته لا يسمح بقراءة الكتاب^٢ وكانت المقتطف أكثر حماسا من غيرها فأطلقت على قاسم لقب " لوثر الشرق " ودعت أهل الاسلام الى القيام بثورة اسلامية اصلاحية ، وجعلت قاسما من زعماء هذه الثورة ، ودعت غير قاسم أن يجرى على طريقته في الدعوة الى افعال المدنية الاسلامية والاتجاه الى الحضارة الغربية^٣ . على أنه لم يؤيد من المجلات والصحف فقط بل لقد أيدته في دعوته رئيس النظار مصطفى فهمي ، وربما كان هذا من دواعي جرأة قاسم وتماديته^٤

-
- (١) الجامعة ، السنة الثانية ، الجزء المباشر ، عدد يناير ونصف فبراير ١٩٠١ ص ٦٢٦ - ٦٢٨ .
 - (٢) المنار ، الجزء الأول ، ٢٠ فبراير / شباط ١٩٠١ ص ٢٦ - ٣٤ .
 - (٣) المقتطف ، الجزء الثاني ، ١ فبراير / شباط ١٩٠١ م ، ص ١٧١ - ١٧٣ .
 - (٤) المقتطف ، الجزء الثاني ، ١ فبراير / شباط ١٩٠١ م ص ١٧٣ - ١٧٤ . ومصطفى فهمي هذا ، صديق كرومر ورئيس نظار مصر أكثر من ثلاثة عشر عاما ، وقد امتدحه كرومر في خطبته التي تعامل فيها على المصريين ، وعده مع سعد زغلول من عقلاء مصر ، وهو من أصل كردي عمل في أول حياته محاميا ، وكان استانا لقاسم أمين ، وكان من أوائل المصريين الذين تعاونوا مع الانجليز عند احتلالهم مصر .

ويبدو أن دعوة قاسم لتقليد الغرب لم تكن محصورة في مجال المرأة ، لأنه فيما ذهب اليه عدد الايمان مسألة شعور صرف ، وأن اختصاص الدين لا يتعدى دائرة المجهول " ١ " ، كذلك انتقد المهالفة في تقدير اللغوية العربية ، ورأى أنه لا ضرورة لاستبدال الكلمات الأجنبية بأخرى عربية ، فمثلا كلمة " أوتوبيل " تقوم عنده مقام كلمة " سيارة " واقترح تسكين أواخر الكلمات خلا لمشكلة اللحن وتقليد اللغات الأوروبية . " ٢ "

وعندما عمل قاسم رئيسا للجنة تأسيس الجامعة بالنيابة اهتمته مجلة المجلات العربية باخفاء نشاطات أعمال اللجنة بقولها : ((فسي الأسابيع الأولى من حياة لجنة المشروع . . كانت محاضر أعمالها ترسل الى الجرائد ، ولكن احتجبت أعمال اللجنة عن الأمة بالمرءة ، فهل أصبحت اللجنة الآن من اللجان الماسونية السرية ؟) " ٣ "

ويبدو أنه ظل حريصا على تحقيق مبادئه في الاختلاط حتى أخسر لحظة من حياته ، فحضر احتفالا أقيم في نادي " دار العلوم " بمناسبة زيارة وفد من الطالبات الرومانيات لمصر ، وخطب في هذا الاحتفال قائلا : ((قرب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المسلمات المصريات جالسات بجانب طلبتنا كجلوس زائراتنا بجانبهم)) " ٤ " ، وحتى تتحقق أمنية قاسم اقترح " أخنوخ فانوس القبطي " في حفلة اقامها نادي النيل في أسيوط ، لتأبين قاسم تطبيقا عطيا لمبادئه ، وهو أن يأخذ الكبراء والأدباء والقضاة وغيرهم ((كل بذراع امرأته ويمشي معها في طرق رقي

-
- (١) المحيط ، السنة السادسة ، العدد الخامس ، أول مايو / أيار ١٩٠٨ ص ١٩٧ .
 - (٢) المحيط ، السنة السادسة ، العدد الخامس ، أول مايو / أيار ، ١٩٠٨ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
 - (٣) مجلة المجلات العربية ، السنة السابعة ، العدد الثاني ، فبراير / شباط ١٩٠٧ ص ١٦٠ .
 - (٤) الجامعة ، السنة السادسة ، الجزء الخامس ، يونيو / حزيران ، ١٩٠٨ ص ١٢٠ . والواقع أن خطبة قاسم أمين أمام ==

الأمة المصرية ... "١"

وإذا صح ما ذكره سعد زغلول في مذكراته تحت عنوان (موت صدقي قاسم) أن موت قاسم كان نتيجة الانتحار ، لأنه كان عاشقا لزوجته أحسن أصدقائه ، فان قاسما كان أول جان لشمرات الاختلاط الذي دعا اليه . "٢"
وفي ظننا أن الضجة التي أثيرت حول آراء قاسم ما كانت تصل الى هذا الحد ، لولم يحاول أن يلبس دعوته ثوب الدين ، لأنه بهذا كان أول مسلم يطرح لمشاكل المرأة المسلمة في مصر حلولا ليست مستوحاة من حضارة المسلمين وتقاليدهم .

ومهما يكن فقد وجدت الصحف والمجلات في دعوته زادا لحملتها على التقاليد ، فمثلا ترى مجلة " الضياء " أن على المرأة المسلمة أن تطالب بالفاء الحجاب والسماح لها بالاختلاط ، لأنهما من دواعي تأخير المرأة ، (وبالاختصار فإنها حائزة جميع الحقوق التي تتمتع بها سواها ما خلا الحجاب والملح من مخالطة الرجال ، وهو مهمل قليل في وجوده لاشك أنه من دواعي تأخر المرأة وانحصار معارفها في حدود ضيقة) "٣"

-
- ==
وفد البنات الرومانيات تنفي مقاله الأستاذ أنور الجندى ، بأن قاسم أمين عدل عن دعوته ، وتبين له أنه أخطأ في الطريق ، وقد نقل الأستاذ الجندى هذا الخبر عن مجلة " الظاهر " التي كان يصدرها محمد ابوشادي ، حيث صرح قاسم بهذا التصريح " للظاهر " في أكتوبر ١٩٠٦ م . انظر الاعتصام ، السنة ٤٢ ، العدد ٩ أغسطس / آب ١٩٢٩ م ص ١٩ .
(١) المحيط ، السنة السادسة ، العدد السادس ، أول أغسطس / آب ١٩٠٨ م ص ٢٧٣ - ٢٨٢ .
(٢) سعد زغلول ، لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، نقلًا عن مذكرات سعد زغلول ، كراس ١٢ ص ٦٣٠ - ٦٣٣ .
(٣) الضياء ، السنة الرابعة ، ١٩٠١ - ١٩٠٢ ، ص ٢٥٦ - ٢٦٦

وعند ما وجدت المجلات أن محاولاتها الدائبة مع المرأة المصرية لتقليد الأوروبية لم تؤت ثمارها المرجوة بالسرعة المطلوبة ، اتجهت نحو المرأة التركية ، عسى أن تقتنع المصرية باتخاذها نموذجاً يحتذى ، فقالت مجلة الحكمة (١) ، وهاكم النساء في الأستانة العلية دار الخلافة الإسلامية ، فانهن يشجولهن في الشوارع ويدخلن المقاول ويشترين ماشين حاسرات الوجوه مظهرات السواعد . . . وأن النشأة هي الصول عليها في صيانة المرأة وليس الصول على الحجاب . . .) (٢)

حتى اذا أشبعت المجلات مسألة الحجاب بحثاً وتفصيلاً ، انتقلت الى التركيز على موضوعات أخرى مثل عمل المرأة واختلاطها ، فدعت مجلة أنيس الجليس المرأة العربية الى العمل بعد أن تحرر وتعتق على حد زعمها ، (لأن الشيء الذي كان يطلب من المرأة صنعها في بيتها ويدها صنعا خاصا لها ولأسرتها قد صارت تصنعها في غير بيتها بمشاركة سواها ، فيكون لها وللجميع . . . وعلى هذا انقطعت الخدمة البيتية وقامت مقامها خدمة الأسواق ، وأصبح تحرير المرأة كأنه تحرير لها من منزلها ، حتى نسيت كل أشغال البيت المطلوبة) (٣) ، فالمجلة تدعو المرأة المصرية الى التخلص من عبودية البيت كما فعلت المرأة الغربية ، لتجعلها حرة عند أصحاب المصانع .

ودعت مجلة فتاة الشرق المرأة المصرية الى ترك بيتها أسوة بالأمريكية التي لم تعد تحتل أن تبقى ضمن جدران البيت ، وأن تبقى معارفها محصورة في ترتيب أثاثه وفي الطبخ والغسل وغير ذلك من الأشغال النملة التي تسبب الضيق النفسي والعقلي ، والتي ماتزال نساء الشرق تتماطأها ، وحضت النساء أن ينزلن الى ميدان العمل بحجة أن أكثر الأشغال أصبحت آتية لا تحتاج الى جهد ضلي ، وهذا ما تستطيع النساء أن تفعله بسهولة (٤) .

-
- (١) الحكمة ، السنة الأولى ، العدد التاسع ، أول فبراير شباط ١٩٠٥ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
 - (٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء التاسع ، ٣٠ سبتمبر / أيلول ١٩٠١ ص ٧٨٧ - ٧٨٩ .
 - (٣) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الرابع ، ١٥ يناير / كانون الثاني ١٩١٣ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

ودعا شبلي شميل الى القيام بثورة عتيقة لاقتلاع العادات الراسية في المجتمع كالحجاب وغيره ، ورأى ((أن تحرير المرأة الى الغاية القصوى لا يتم بدون تحرير الجسم الى الغاية القصوى أيضا ، فطالب تحرير المرأة لا يسعه أن يطلبه من جهة واحدة)) ، ولهذا فهو يعتبر الحجاب كفتا وبقية باقية من ضروب الظلم ، وهو يرى أن المرأة المصرية لو تخلصت من حجابها لتخلصت من أكثر عيوبها . " ١)

وهكذا اتخذت بعض الصحف والمجلات من هدم الحجاب وسيلة لفتح باب البيت المسلم على مصراعية للراهبات والعشرات ، كي ينفذن اليه بعد أن تعذر عليهن ذلك بسبب الحجاب ، فقد اشتكى الفيلسوف الفرنسي " جول سيجون " في كتابه " المرأة في القرن العشرين " ، ((أن أرباب الدين يبعثون المرسلين الى الشرق ، لكن هؤلاء المرسلين لا يدخلون بين الرجال الا بصعوبة ، فضلا عن كونهم لا يستطيعون مخالطة النساء والنفوذ اليهن ، أما الراهبات فانهم ينفذن الى النساء ، ولكنهن لا يخالطن الا النساء المهجورات أو المتألمات . . .)) " ٢)

ومن الموضوعات التي خاضت فيها الصحف والمجلات موضوع الزواج ، فدعا بعضها الى الزواج المدني أسوة بما يحدث في أمريكا وأوروبا ، فمثلا كتب مرقص فهمي المحامي رواية بعنوان ((المرأة في الشرق)) طالب فيها مع رفع الحجاب والسماح بالاختلاط وحجر التحديد بضرورة ((الترخيص بحل الزواج بين المسلمين والأقباط ، فيجوز لقبطي أن يتزوج مسلمة ، كما أباح الشرع عكسه ، حتى يمتنع التحصب وينتفي التصور المستحکم بين الجهتين ، وتم الحضارة والمدنية)) " ٣) ، فالحضارة لا تدخل مصر الا اذا أسفرت المرأة وتزوجت المسلمة من القبطي على حد زعم الكاتب .

-
- (١) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الأول ، ١٥ اكتوبر / تشرين أول ١٩١٠ ص ١٤ - ١٨ .
 - (٢) الجامعة ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، يناير / نصف فبراير ١٩٠١ م ص ٥٩٣ .
 - (٣) المقتطف ، الجزء السادس ، ١ يونيو / حزيران ١٩٢٨ م ص ٦٨٥ .

وهكذا أصبح الزواج المدني من العروضات التي تطرقها المجلات باستمرار^١ ، وبعد أن كان الكلام عن الزواج المدني مجرد تعريف به ، أصبح له أنصاره ودعاته والمدافعون عنه ، فكتبت مجلة أنيس الجليس مقالا عن الزواج المدني بينت فيه أن أمريكا والدول الأوروبية قد آثرت الزواج المدني المنسوب الى نابليون ، حيث حدد هذا القانون سن الثامنة عشرة للرجال والخامسة عشرة للنساء^٢ ، وهذا ما طالبت به الجمعيات النسائية في مصر فيما بعد .

أما مجلة الاستقلال فنشرت مقالا بعنوان (هل الزواج الدائم مفضل عن الزواج المؤقت)^٣ ، وكتب بولس مصويح في مجلة المستقبل داعيا الى الزواج المدني بقوله : (. . . أوليس من نكد الدنيا على الحر في شرقنا أن يتقيد بالزواج الديني في حين أن الزواج عقد من صميم العقود المدنية ، وأنه عند الأم المتقدمة زواج مدني . . .)^٤ .

ولم يقف أمر تقليد نساء أوروبا عند هذا الحد بل دعت بعض المجلات السيدات الى استعمال التبغ أسوة بنساء أوروبا فقالت : (. . . وأصبح الجميع - تعني في أوروبا - يستعملونه حتى النساء والأولاد ، وأصبح ماكان عارا على النساء بالخصوص ، وهو كأنه من مكملات مدنيتهن ومتممات محاسنهن ، ولهذا صار شيئا مألوفا أن تقدم تهفك لكل امرأة تزورك . . . وهو وان لم يكن جاريا كل هذا المجرى هنا ، فجار في أوروبا ، وسيجرى عندنا بعد حين

-
- (١) الضياء ، السنة الرابعة ، ١٩٠١ - ١٩٠٢ ، ص ٢٢٩ .
 - (٢) أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء الثامن ، ٣١ أغسطس / آب ١٩٠٣ م ص ١٤٦٥ .
 - (٣) الاستقلال ، السنة الثانية ، الجزء الخامس ، ٣١ مايو / أيار ١٩٠٣ ص ١٥٥ - ١٥٨ .
 - (٤) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد ١٤ ، ٩ أغسطس / آب ١٩١٤ م ص ٣٠٨ .

مدفوعا بنفس السبب . . . وهو كون المرأة صارت حرة تشتغل لنفسها ، كما يشتغل هو تماما فكان لا بد لها مما لا بد منه . . .) " ١ "

وبدأت البدنية الغربية تفرز مصر في كثير من نواحي الحياة ، ولسم تعد المجالات تجد ضيرا في الكتابة عن الجمعيات المختلطة ومسابقات الجمال بين النساء ، فقد كتبت مجلة فتاة الشرق مقالا بعنوان " مرض الحسان " ذكرت فيه أنه ((أنشئت جمعية مختلطة في الاسكندرية في أوائل هذه السنة للسمر بين الأسر وأحياء الحفلات الراقصة ، وقد أعلنت هذه الجمعية أنها ستفتتح حفلات هذا الشتاء بمعرض للحسان تتسابق فيه الغييد لاطهار ما أودع فيهن من أسرار الجمال . . .)) " ٢ "

وهكذا أصبح المجتمع المصري مضطرا أن يتقبل كل بدعة تصدّر اليه من الغرب ، وأصبح سيل جارف من العادات يدخل مصر ، والمرأة المسلمة تنظر حولها فلا تجد من ينقذها ، بل على العكس من ذلك تجد كل شي حولها يفري بالخروج على ما ألفت من العادات والتقاليد .

ويبدو أن الحاج المجالات والصحف على النساء ، كي يخرجن من دائرة البيت الضيقة قد أثمر ، وبدأت بعض نساء أغنيا مصر يحاولن القيام ببعض النشاطات ، فمثلا دعت زوجة محمود رياض عام ١٨٩٨ م ببعض النساء الى بيتها ، واقترحت عليهن أن تقشن في منزلها ميدانا للعب كرة الطاولة ، ولكن استجابة النساء اللواتي عرضت عليهن الفكرة لم تكن مشجعة رغم محاولاتها المتكررة " ٣ " ، ويمكن وصف هذه الدعوة بأنها كانت أول محاولة نسائية في مصر لتكوين تجمع نسائي وملاحظ أن هذه المحاولة كانت متجهمة من البداية نحو النشاطات الرياضية ، وهكذا أخفقت المحاولة الأولى .

-
- (١) أنيس الجليس ، السنة التاسعة ، الجزء التاسع ، ٣١ أغسطس / آب ١٩٠٦ م ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
 - (٢) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر / تشرين ثاني ١٩١٠ م ص ٧٠ - ٧١ .
 - (٣) الأسبوع ، السنة الأولى ، العدد الرابع والعشرون ، ٩ مايو / أيار ١٩٣٤ م ص ٢٢ .

وحاولت ألكسندره أفرينو^١ صاحبة مجلة أنيس الجليس أن تقوم بدور نسائي نيابة عن نساء مصر ، دون أن يكلفها أحد بذلك ، فأهدت للجمعية الباريسية راية مطرزة بالذهب باسم نساء الأمة المصرية ، وألقت في باريس خطبا عديدة عن المرأة الشرقية ، والذي لاشك فيه أن صاحبة أنيس الجليس قامت بدور واسع في سبيل اقتناع المرأة المصرية بالسير على خطوات المرأة الغربية من خلال مجلتها ، حتى ليمكننا القول أن مجلتها قامت بسد دور مماثل لدور صالون نازلي فاضل ، وحتى كان من آثار ذلك النشاط أن ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجوه نسائية كان لها رأى فيما يدور حولها .

ومن هؤلاء عائشة التيمورية^٢ التي عهّرت عن رأيها في نساء عصرها ورجالها ، فهي ترى أن الله تعالى فضل الرجال على النساء بما أنفقوا من أموالهم ، ولكن الرجال والنساء انصرفوا عن هذا الطريق ، فأصبح هم كل رجل من الاقتران بامرأة البحث عن المال والضيق والعقار ، دون

-
- (١) الكسندرة أفرينو : هي ابنة قسطنطين نعموخورى ولدت في بيروت ، ثم قدمت الاسكندرية في العاشرة من عمرها ، تزوجت من رجل يوناني يدعى " ملتياى دى أفرينوه " ، نظمت الشعر وأنشأت مجلة " أنيس الجليس " في الاسكندرية عام ١٨٩٨ م ، منحها نابليون الثالث عشر وسام القديس بطرس ، وضحها بطريزك القدس صليب القبر المقدس ، وزارت البابا " بيوس العاشر " مرتين في روما . انظر مجلة " فتاة الشرق " ، السنة العاشرة ، الجزء الأول ، ١ أكتوبر / تشرين أول ١٩١٥ م ، ص ٣ - ١١ .
- (٢) ولدت في القاهرة عام ١٢٥٦ هـ ، درست علوم العربية والفارسية والتركية ، وكتبت الشعر بهذه اللغات ، لها ديوان حلية الطراز ، وكتاب نتائج الأحوال ، كانت بينها وبين نساء عصرها مراسلات توفيت عام ١٩٠٢ م في القاهرة . انظر كتاب المرأة في عالمي المرب والاسلام ، تأليف عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ٢٩٨/٢ - ٣٠١ .

أن يسأل عن العفاف والنسب والتدين فيمن يقتنن بها ، وليس له مسن هم سوى الاستيلاء على أموال زوجته ، لينفقها خارج البيت على لذائذه ، ليعود في آخر الليل مخمورا ، وواضح من موقف عائشة الثيوريه أنها لا ترضى عن هذه التصرفات من قبل الرجل ، وأنها تريد منه أن يحل خارج بيته ، ليسد حاجات أسرته ، وأن على المرأة أن تدبر شؤون منزلها ، فإذا اختلف الحال واعتمد الرجل في تدبير أمور مجاشه على زوجته فان الأمور تختل ، ويؤدي ذلك الى اضطراب معيشة الزوجين وفسادها ، وحتى تدلل على وجهة نظرها ساقط قصة الأسد الذي اعتمد على أنثاه في طعامه وأطاعته الزوجة بعض الوقت ، ثم صارت تعطيه ما تبقى من طعامها ، فلما ثار الأسد على هذه الحالة ، وطالب أن يتناول الطعام قبلها أجابته أنثاه ، (كان ذلك منذ كنت أنت أنت وأنا أنا ، أما الآن وقد انعكس الحال وصرت أنا أنت وأنت أنا ، فلك علي ما كان لي عليك ، ولي عليك ما كان لك علي) . وهذا عبرت عن رفضها فكرة عمل المرأة خارج بيتها لأنها تعرض مقاييس المجتمع للخطر ، كذلك رأت أن سبب فساد أخلاق بعض النساء ناجم عن سوء التربية وعدم التهذيب ، وحتى تستقيم حياة الأسرة وتنتظم أمورها فان على الزوجة أن تتقاد لأوامر الزوج ، وعليه أن يتحمل القيام بكل حقوقها ، أما إذا انقلب الموضوع ، وصار لها الولاء ، فان الزوجة تلقي وشاح الحذر ، وترهب بوقع الحياة .^١

ودعت التيمورية الى ضرورة تربية البنات وتعليمهن ، لأن العائلات لا تصلح الا بذلك^٢ ، وعلى الرغم من دعوتها الى تربية البنات وتعليمهن ظلت متمسكة برأيها في ضرورة المحافظة على الحجاب ، ولم توافق على آراء^٣ قاسم أمين بضرورة تركه ، فقالت :^٣

- (١) الحركة النسائية الحديثة (قصة المرأة العربية على أرض مصر) تأليف الدكتور اجلال خليفة ، المطبعة العربية الحديثة ص ٣١ - ٣٢ .
- (٢) المرأة في عالمي العرب والاسلام ٢ / ٣٠٠ .
- (٣) حلية الطراز ، لعائشة التيمورية ، مطبعة دار الكاتب العربي ١٩٥٢ م ، الطبعة الأولى ص ٢٦٥ .

بيد العفاف أصون عزّ حجابي ومصممتي أسمو على أترابي

وكانت زينب فواز^١ من النساء اللواتي ساهمن في الحركة النسائية في مصر ، وكانت معاصرة لعاشرة الثيورية ، وكان لها تأثير على نساء عصرها ، وعلى الرغم من أن زينب فواز لم تكن ممن يطالبن بإلغاء الحجاب ، وجهت اللوم إلى الرجل لتشدده ((بإغلاق الحجاب وسد أبواب التعليم في وجه المرأة وعدم الخروج من المنزل ومحرماتها من حضور المحافل النسائية العامة إلى حدّ أنه كان يخيل إليها أن تلك الأفعال من الموبقات . .))^٢ وتهيب زينب بنساء عصرها أن يتعلمن الآداب والعلوم ، ويشمرن عن ساعد الجد ، من أجل سعادتهن التي لا تتم إلا بالأخلاق الحميدة المهدية والعفة والذكاء والرصانة وحسن السلوك^٣ ، وترى أن الحضارة والتقدم اللذين وصل إليهما الإنسان بحاجة إلى الشريعة ، كمرشد يدعو كل واحد إلى الوقوف عند حدّه^٤ .

(١) ولدت زينب فواز عام ١٨٦٠م في صيدا ، وارتحلت في العاشرة من عمرها إلى الاسكندرية ، حيث تعلمت القراءة والكتابة على أحد المشايخ في الاسكندرية وكتبت الشعر ، أنفت كتاب الدر المنثور ، وترجمت فيه لكثير من شهيدات النساء ، قالت في مقدمة كتابها : ولم أرضن أفرد لنصف العالم الانساني بابا باللغة العربية جمع فيه من اشتهرن بالفضائل مع أنه نهج منهن جملة سيدات لهبن المؤلفات . . . فلحقتني الحمية والخيرة النوصية على تأليف سفر يسفر عن محيا فضائل ذوات الفضائل .

انظر الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور تأليف زينب فواز ، الطبعة الثانية ، دار المعرفّة - بيروت . وانظر في ترجمة حياة زينب فواز ، كتاب بلاغة النساء في القرن العشرين ، جمع فتحية محمد ، القسم الأول ص ١١٦ .

(٢) بلاغة النساء في القرن العشرين ، القسم الأول ص ١٢٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٩ .

وتخالف زينب فواز قاسم أمين فيما يتعلق بالاختلاط ، فهي ترى أن لا ضرورة للاختلاط لأن الشرع نهى عنه ، ولكن لا حجاب بين المرأة ودرس العلوم واكتساب المعارف ، ولهذا تدعو الى تشييد المدارس لتعليم البنات على مقتضى القواعد الدينية. "١"

ويبدو أن زينب فواز بما دعت اليه من آراء كانت متأثرة بمبادئ الحزب الوطني الذي رفض دعوة قاسم الى الاختلاط ، ولكنه دعا الى تربية الفتاة وتعليمها ، ولذلك وقفت تخطب في السيدان في الذكرى الأربعين لوفاة مصطفى كامل. "٢"

على أن محاولات النساء لتأسيس جمعيات نسائية كانت ماتزال تداعب أذهانهن ، على الرغم من فشل المحاولة الأولى التي أشرفنا اليها ، ويبدو أن التقليد كان هو الدافع وراء ذلك ، فقد دعت الأميرة "عين الحياة" الى تكوين جمعية من السيدات المصريات على غرار الجمعية التي أنشأتها زوجة "كرومر" ، وقد فشلت هذه الجمعية أيضا ، لكن مؤسسيتها نجحت في عقد أول اجتماع نسائي في الجامعة الأهلية عام ١٩٠٨ م لسماع محاضرة ألقتها امرأة فرنسية متخصصة في الآداب ، وكان هذا أول اجتماع من نوعه تلقى فيه محاضرة على مسامع السيدات في مصر. "٣"

ثم كانت محاولة أخرى عام ١٩٠٩ م حيث أنشئت جمعية المرأة الجديدة ، التي انضمت اليها هدى شعراوي وأصبحت رئيسة فخريّة لها "٤" ، ولكن الجمعية لم تواصل عملها .

-
- (١) المرجع نفسه ص ١٣٥ .
 - (٢) المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم ، تأليف لدرية شفيق ، الناشر مطبعة مصر ، ١٩٥٥ م ص ١١٣ .
 - (٣) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير/ شباط ١٩٣٧ م ص ١٣ .
 - (٤) المرأة المصرية ، لدرية شفيق ، ص ١٤٤ .

وفي هذه الفترة بدأ حزب الأمة يتغلب شيئا فشيئا على الحزب الوطني بعد موت مصطفى كامل ، وكان اتجاهه غربيا أوروبيا ، وكان يدبر ظهره للخلافة ، وينادي بالاصلاح على الطريقة الأوروبية ، ويفصل الدين عن الدولة ، واستبدال الرابطة الوطنية بالرابطة الدينية ، ولما كان أحمد لطفي السيد هو مفكر الحزب والمسئول عن جريدته ، بدأ يوجه الحركة النسائية فوضع قاعة صحيفة " الجريدة " تحت تصرف النساء أيام الجمع ، كي يستمعن الى محاضرات تلقى عليهن " ١ " ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أنشأت الجامعة الأهلية قسما ليليا تلقى فيه المحاضرات على النساء ، وبدأت الجامعة ترسل الدعوات الى النساء بواسطة خطابات باسم كل مدعوة ، وقامت باحثة البادية بالقاء بعض المحاضرات ، فكانت أول خطيبة نسائية في حزب الأمة " ٢ " ، ولكنها أصرت على أن الوقت ما يزال غير مناسب لترك الحجاب ودعت الى المحافظة عليه ، لأن ازالة الحجاب واختلاط النساء بالرجال سيجر على المرأة مطعب لا حصر لها . " ٣ " ورفضت الدعوة الى تقليد الغرب في اللباس والأزياء ، لأن ما عند الغربيين لا يوافق روح الشرق ، وتقليد الشرق للغرب يفقده مقوماته ، لأن الضعيف اذا قلّد القوى فني فيه ، ولهذا ترى () أنه لا بد من ايجاد مدنية خاصة بالشرق تلائم غرائزه وطبائع بلاده ، ولا تحوقنا عن اجتهاد شمرات التقدم الحديث (. . .) " ٤ "

- (١) المنار ، الجزء الرابع ، مايو / أيار ١٩٠٦ ص ٢٧٦ - ٢٨٢ ، وانظر الاسلام والتجديد لتشارلز آدمز ص ٢١٤ . وانظر تطور الأدب الحديث في مصر ، تأليف أحمد هيكل ص ١٠٢ وما بعدها .
- (٢) الحركة النسائية الحديثة ، لأجلال خليفة ص ٨٤ . المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير / شباط ١٩٣٧ ، ص ١٣ . وانظر صورة المرأة في الرواية المحاصرة ، د . طه وادي ص ٣٣ .
- (٣) النسائيات بقلم باحثة البادية (ملك حفني ناصف) مطبعة التقدم بمصر ص ٩ .
- (٤) المرجع نفسه ص ٢٩ .

وحملت باحة البادية على المصريين الذين يتزوجون بالأجنبيات ،
ورأت أن أكثرهن () ان لم نقل كلهن من فريق الراقصات والخاد مات وأضربهن
، ، ، أليس من العار أن تقدر على أن تجعل ابنتك شريفا من أم ذات حسب
فتختار أن يكون ابن راقصة أوروبية . . .) (" ١ "

ولم تكتف بذلك بل حملت على خريجات مدارس الراهبات " ٢ " ،
وعلى النساء اللواتي يستعملن الأصباغ " ٣ " ، وأبكرت على النساء تعاطي
التبغ والخمر ، () انهن والأسف ملء فؤادى يتعاطين الخمر سورا وجهرا ،
أعوز بالله من شر المدنية الحديثة ومن شر التقليد الأعصر ، الرجل أبشع
ما يكون حين يسكر ، والمرأة أبشع ما تكون حين تشرب الخمر . . .) (" ٤ "

على أن باحة البادية قامت بالموازنة بين المرأة الغربية والمرأة المصرية ،
ودعت الى التمييز بين ماهو ضار ومفيد ، () وإذا أردنا أن نكون أممة
بالمعنى الصحيح تحتم علينا أن لا نقتبس من المدنية الأوروبية الا الضروري
النافع بعد تمصيره . . .) (" ٥ "

وإذا أعدنا النظر في مواقف النساء التي ذكرناها ، وجدنا أنهن
كن أكثر حذرا من الرجال في الاندفاع نحو التقليد .

وحرصا على انشاء جمعية خاصة بهن ، وهذا ما نحن فيه بمسند
ذلك ، تألفت " جمعية اتحاد النساء التمهديي " ، حيث اجتمعت فئة
من النساء في دار الجامعة المصرية ، وافتتحت الاجتماع السيدة " بنسج "

-
- (١) المرجع نفسه ص ٣٠ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٣٢ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ٥١ .
 - (٤) المرجع نفسه ص ٩٨ - ٩٩ .
 - (٥) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، الجزء التاسع ، يونيه / حزيران
١٩١٠ م ص ٣٢٧ - ٣٤٠ .

قرينة قائد الاحتلال الانجليزي ، فألقت على النساء خطبة بالانجليزية
أبانت فيها عن الغاية التي تألفت من أجلها الجمعية ، وهي تشجيع
الفتيات اللواتي أنهين دروسهن في المدارس على متابعة التعليم ، بتردهن
الى الجامعة واستماع المحاضرات . "١"

وهكذا شكلت أول جمعية نسائية في مصر بتشجيع وتوجيه من
سلطات الاحتلال الانجليزي ، حتى أن الانجليزية كانت لغة التخاطب
في جلسات هذه الجمعية ، كذلك كان أكثر عضوات مجلس الادارة غير
عربيات ، حيث تألف مجلس الادارة من السيدة " بنج " رئيسة ، والسيدة
" دفونشير " سكرتيرة عامة ، وباحثة البادية سكرتيرة اللغة العربية ، والسيدة
" روبرتسون " سكرتيرة للغة الانجليزية . "٢"

ولو استعرضنا أسماء عضوات الجمعية ، لوجدنا أكثرهن كذلك
من الأجنبيات أو من السوريات المسيحيات ، حيث كانت زوجة فارس نصر
صاحب المقطم ، ومارى زياده ولبييه هاشم من السوريات ومن المصريات
برز اسم هدى شعراوي وباحثة البادية .

وقد نص قانون الجمعية ألا تتعرض لأي نقاش ديني أو سياسي "٣" ،
وهذا يعني أن الجمعية أبدت الدين عن نشاطها ، ويبدو أن هذا
الهدأ سيصبح قاعدة تسير عليها الجمعيات النسائية فيما بعد ، ولكن هذه
الحركة أيضا من قبل النساء لم يطل بها العمر ، إذ سرعان ما هبت رياح
الحرب الأولى سنة ١٩١٤ م ، ففضت على المشروع "٤" .

-
- (١) فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الخامس ، فبراير / شباط
١٩١٤ م ص ١٨٣-١٨٤ .
 - (٢) فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الخامس ، فبراير / شباط
١٩١٤ م ص ١٨٣-١٨٥ .
 - (٣) المرجع نفسه . ص ١٨٨ .
 - (٤) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير / شباط
١٩٣٧ م ص ١٤ .

وظل الأمر كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وخشي المصريون أن تتحول الحماية الانجليزية الى ضم نهائي ، ومن ثم كان اجتماع احمد لطفي السيد وسعد زغلول ومحمد محمود باشا وعلي شعراوي ، حيث دعا محمد محمود باشا الى ضرورة السمي (للحصول على حقوق البلاد وتأليف وفد للعمل لهذه الغاية ، فأبى سعد زغلول موافقته على هذه الغاية قائلا : (ان الوقت غير مناسب الآن ، الانجليز مفتشرون وعددهم ، ومعداتهم كثيرة تملأ البلاد ، وهذا وضع لا أمل معه في الحصول على شيء منهم ، ثم استطر سعد قائلا : أرى الأولى من ذلك أن تؤلف جمعية يساعد أعضاؤها بعضهم بعضا . . .) (١) .

ولكن سعدا عاد فغير رأيه ، وذهب مع عهد العزيز فهمي وعلي شعراوي لمقابلة " السير وينجت " لاستصدار تصريح منه لسفر الوفد الى أوروبا للمطالبة بحقوق مصر ، لكن (وينجت) عدّ مقابلتهم مجرد زينة ليس لها طابع رسمي ، ولهذا فكر بعض المصريين في تعيين وفد للمطالبة باستقلال مصر ، بشرط أن يحصل هذا الوفد على توكيل من الناس بنيابته عنهم " ٢ " ، وأدى ذلك الى نفي الزعماء الذين طالبوا برفع الحماية عن مصر ، ومنهم سعد زغلول ومحمد محمود باشا وغيرهما ، وفي هذه الأثناء استغل حزب الأمة غضب الجماهير واشتراكها في المظاهرات تعبيرا عن سخطها على الانجليز ، فدفع بالمرأة كي تشترك في العظاهرات ، تحقيقا لجأدي لطفي السيد الذي كان يرى أن ترقية الفتاة المصرية وتعليمها (اتيان للاستقلال من بابها ودخول الى التقدم من نهجه الواضح) (٣) .

وهكذا اشتركت المرأة المصرية في المظاهرات ، فخرجت بعض

-
- (١) خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ م ، مؤسسة الأهرام ، مركز الوثائق والبحوث التاريخية ، مطابع الأهرام التجارية ص ١٢٨ .
 - (٢) خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ ص ١٢٧ - ١٢٨ .
 - (٣) انظر مجادي لطفي السيد كتاب الهلال العدد ١٤٩ ص ١٥٦ .

السيدات في ١٦ مارس / آذار ١٩١٩ م في مظاهرة طافت شوارع القاهرة ، وحملت المتظاهرات الأعلام الصغيرة ، وهتفن مطالبات بالحريسة والاستقلال وسقوط الحماية ، ويبدو أن زمام المبادرة انتقل الى أيدي النساء ، حيث كان هتافهن يعلو ، وكان الرجال يرددون الهتافات وراءهن ، ووزعت النساء احتجاجهن ضد الانجليز على السفارات ، ثم قصدن " بيت الأمة " أى بيت سعد زغلول ، وعند وصولهن الى هناك طوقتهن قوة من البوليس مدة ساعتين حتى تدخل القنصل الأمريكى لدى القيادة البريطانية التسي أصدرت الأوامر بفك الحصار "١" .

وهكذا اتخذ حزب الأمة (الوفد) من ثورة ١٩١٩ م فرصة لاجتماع مايفي من تغييرات في بناء الأمة الاجتماعى ، فاستغل انشغال الناس بالثورة وتأييدهم له ، فدعا الى اسهام المرأة في السياسة المصرية ، فتكونت لجنة الوفد المركزية للنساء من زوجات وقربيات أعضاء حزب الوفد ، وظهر أول تجمع نسائي سياسى في مصر على يد حزب الوفد ، وأصبحت هذه اللجنة فيما بعد نواة للاتحاد النسائي المصرى .

ورأست هدى شعراوى اللجنة المركزية للسيدات الوفديات على أثر اجتماع نسائي عقد في الكنيسة المرقسية حضرته خمسمائة سيدة مسلمة ومسيحية "٢" ، وكان لأستر فهمي وبصا دور كبير في عقد هذا الاجتماع ، فكانت لجنة الوفد المركزية للسيدات وليدة الكنيسة المرقسية "٣" ، وبعد اجتماع الكنيسة توالى اللقاءات

(١) ثورة سنة ١٩١٩ م تأليف عبد الرحمن الرافعي ، مطبعة دار الشعب القاهرة ١٩٢/١ . وانظر كتاب خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ م ص ١٤٢-١٩٣ . وانظر المرأة المصرية ، لدربة شفيق ، ص ١٢٧-١٢٩ .

(٢) الحركة النسائية الحديثة ص ١٦٠-١٦١ .

(٣) انظر تحرير المرأة في الاسلام ، تأليف مجد الدين حفني ناصف ،

الطبعة الأولى ، مطبعة أبي الهول ، ١٣٤٢ - ١٩٢٤ م

ص ٧٩ .

يذكر المؤلف أن لجنة الوفد المركزية للسيدات انتخبت فسي كنيسة الأقباط الكبرى ، حيث انتخبت هدى شعراوى رئيسة للجنة ، ويبدو أن الكنيسة الموقسية هي نفسها كنيسة الأقباط الكبرى .

بين السيدات المصريات مسيحيات ومسلماك ، فزار وفد من السيدات
المسلماك دار البطريركية القبطية ، لمشاركة زميلاتهن المسيحيات في العيد
وتهنئة البطريرك به ، وألقين الخطب داخل الكنيسة ، وتلاه وفد النساء
القبطيات الى المسجد الزينبي للتصميم عن شكرهن لوفد النساء المسلمات
وتدعيما لمرى الاتحاد الوطني ، وهكذا أصبحت دعوة حزب الأمة
لاستبدال الرابطة الوطنية بالرابطة الدينية مبدأ من مبادئ اللجنة المركزية
للسيدات الوفدات ، ولم يقتصر الأمر على نساء القاهرة ، بل اجتمع
وفد من النساء المصريات القبطيات والمسلماك في مسجد أبي العباس بالاسكندرية
تعبيرا عن غيبتهن بالنهضة النسائية وتضامن المصريين والمصريات. (١)

وهذا يعني أن المرأة المصرية خرجت من عزلتها ، لتضع نفسها تحت
تصرف الأحزاب السياسية التي لم تتوان عن استغلال النساء في سبيل
تأييد مصالحها الخاصة ، وقد عبر سعد زغلول عن رأيه في اشتراك النساء
في الحياة السياسية ، فأثنى على دورهن وطالب بالاهتمام بهن حيث قال :
(انني أرى أن التربية السياسية للنساء يجب أن تعدها الشمسوب
كأول دور من أدوار الحضارة) (٢) ، هذا الى أنه دعا زوجته الى مشاركته
الحياة السياسية (٣) ، فلما نفي هو وبعض زملائه عام ١٩٢٢ م ، أصدرت
بيانا دعت فيه الأمة المصرية الى الالتفاف حول حزب الوفد ، وقد نسبت
إليها بطولات ، منها أنها كانت تدخل المعتقلات سرا لتقوية الروح المعنوية
للمسجونين . (٤)

وربما كان لسعد زغلول دور في تشجيع المرأة المصرية على السفر ،
فقد عاد سعد عام ١٩٢٣ م الى مصر وعاد معهن على نفس الباخرة همدى

-
- (١) الهلال ، الجزء الماشر ، يوليو/ تموز ١٩١٩ م ص ٨٨٧ .
من مقال لسعد الفتاح صادة .
 - (٢) تحرير المرأة في الاسلام ص ٣٧ .
 - (٣) المقتطف ، يونيو/ حزيران ١٩٣٧ م ص ٣٠ .
 - (٤) أسرار ثورة ١٩١٩ م لمصطفى أمين ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤ م
٣٧٧-٣٧٦/١ . وانظرا الهلال ، أول أغسطس/ آب ١٩٦٨ م
ص ١٢٥ .

شعراوى ؛ (. . .) ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتي سيزانيراوى ، وقرأنا الفاتحة ثم خطونا على سلم الباخرة مكشوفتي الوجه لثرى تأثير الوجه الذى يبدو سافرا لأول مرة بين الجموع ، فلم نجد له تأثيرا أبدا ، لأن كل الناس كانوا متوجهين نحو سعد متشوقين نحو طلوعته () .^١

والظاهر أن سعدا أراد أن يكمل سيرة قاسم ، فتعنى أن تكون المرأة الى جانب الرجل في الاجتماعات العامة ، فقال في خطبة من خطبه : (سادتي . . كنت أود أن أقول سيداتي سادتي ، وكنت أود أن أقول ذلك ، لأن للنساء دخلا كبيرا في نهضة الأقسام عموما ، وفي نهضة مصر خصوصا ، وأتعشم أن يأتي يوم أرى فيه خطبا مما يبدأون بتلك البداية . .)^٢ كذلك نجد أنه يحاول استغلال المناسبات كي يلغى الحجاب ، ولذلك عندما وقفت فكرية حسن تخطب في احتفال عام بمناسبة عودته من المنفى ، رفع الحجاب عن وجهها معلنا بداية عهد السفور .^٣

ولا ريب أن المرأة التي شاركت في المظاهرات قد تهيأت لهذا الاعلان بدليل قول فكرية حسن نفسها عما فعله سعد ؛ (وكان اليشمك يضايقني ، وسعدت جدا عندما رفع سعد وظل الحجاب من فوق وجهي أثناء خطبة من خطبي . .)^٤ .

وفي سنة ١٩٢٤ م وهو رئيس للوزراء عمر عن رأيه بصراحة فسي

-
- (١) المرأة المصرية ، تأليف درية شفيق ، ص ١٣٧ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٣٣ .
 - (٣) المحلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد الخامس ، أول مارس / آذار ١٩٣٠ م من مقال بعنوان : النهضة النسائية في مصر ص ٥٢٠ - ٥٢٢ .
 - (٤) المصور ، العدد ٢٣١٧ ، ١٧/٣/١٩٦٩ م ، عدد خاص عن ثورة ١٩١٩ م . وانظر كتاب صورة المرأة في الرواية العربية ص ٣٩ .

ضرورة تحرير المرأة ، وذكر أنه شارك قاسم أفكاره ، فقد زار سعيدا وفد من طلبة مدرسة الحقوق ، وخاطبته طالبة من الطالبات نيابة عن وفد الطلبة من الجنسين ، فردّ عليها قائلا : أيتها الأنسات ، اني مبتهج بزيارتكن وأعجّب لكنّ بدورى عن سرورى برويتكن وانجات في المعاونة فسي العمل الاجتماعي والفكرى المفروض على الجميع ، اني من أنصار تحرير المرأة ومن المقتنعين به ، لأنه بغير هذا التحرير لا نستطيع بلوغ غايتنا ، ويقيني هذا ليس وليد اليوم بل هو قديم العهد ، فقد شاركت منذ أمد بعيد صديقي قاسم أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه الذي أهداه اليّ (. . .)^١ ويبدو أن تصرفات سعد هذه وأمثالها هي التي جعلت رشيد رضا يصفه بالتفرنج في قوله : (ثم ان سعدا دخل في أطوار التفرنج في معيشته وأفكاره الاجتماعية والقانونية ، وغلقت التركة الوطنية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية . . .)^٢ .

لكن الغريب أن سعدا الذي لُقّب بلقب الزعيم السفورى الجليل^٣ ، أحجم بعد توليه رئاسة الوزارة عن اعطاء النساء شيئا مما كان يعدهن به ، وكان الخلاف قد دبّ بين سعد وبين هدى شعراوي على أثر قبول سعد تصريح ٢٨ فبراير / شباط عام ١٩٢٢ م والقاضي بترك قضية السودان دون حلّ ، وحقّ بريطانيا في حماية الأقليات ، ومنح بريطانيا وحلفائها امتيازات في الأراضي المصرية في حالة الحرب أو التهديد بالحرب ، وبقاء

-
- (١) آثار الزعيم سعد زقلول ، جمع وترتيب محمد ابراهيم الجزيري ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ - ١٩٢٧ ، ٦٨/١ - ٧٣ .
 - (٢) الاسلام والتجديد ، لتشارلز آدمز ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ . وانظر المنار ، المجلد الثامن والعشرون ص ٧١١ .
 - (٣) صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة ص ٤٠ . وانظر مجلسنة الطليعة ، القاهرة ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٦٩ م ، السنة الخامسة ، العدد الحادى عشر ، ص ٦٦ - ٧٣ . وانظر : مقالة بعنوان : " الجذور التاريخية لنضال المرأة في مصر لوديع أمين " .

جنود الاحتلال في المدن ، فاتصلت هدى شعراوي بمحمد وأبلغته بضرر هذه الشروط ، ودعت النساء الى القيام بمظاهرات ضد لجنة منتر ، وأدى بها الأمر الى المطالبة باستقالته قائلة : ((التمس منك مادمت لم توفق وأنت في الحكم لتحقيق عمل ايجابي ، ألا تكون على الأقل حجر عثرة في سبيل جهاد أمتك للتخلص من الحالة الحرجة التي وصلت اليها ، لا أقول بسبب سياستك بل يكفي أن أقول أثناء حكمك ، وذلك يحمل سلبى هو التخلي عن الحكم .)) "١"

وزادت شقة الخلاف بين سعد وهين النساء الوفديات ، عندما افتتح البرلمان المصرى لأول مرة في ١٥ مارس / آذار عام ١٩٢٤ م ، فقد توفقت النساء الوفديات أن يتضمن خطاب العرش الاشادة بجهود النساء ضد الاحتلال الانجليزى ، لكنه لم يشرالى دور المرأة بشيء ، وبالإضافة الى ذلك أخذ الاتحاد النسائي طوى الحكومة التي ألفها سعد عدم تلبيةها لمطالب الشعب الحقيقية ، فحقدت بعض النساء اجتماعا فسي بيت هدى شعراوى وأصدرت مذكرة بالمطالب التي ينهضى على الحكومة أن تتبناها "٢" .

وهكذا انفصلت هدى شعراوى بالاتحاد النسائي عن اللجنة المركزية للسيدات الوفديات ، ومالت به نحو العمل الاجتماعي ونحو المؤتمرات النسائية العالمية ، حيث حضر الاتحاد النسائي المصرى مؤتمرا لاتحاد النساءى الدولي ، وشكت هدى شعراوى في هذا المؤتمر من تأثير الحجاب على

(١) ثورة في البرج العاجي ، لمبيرة ثابت ، طبعة دار المعارف ص ٢ .
(٢) الحركة النسائية الحديثة ص ١٦٢ - ١٦٥ .

((بقاء المرأة في درجة من العلم لا متأخر عنها ولا متقدم)) ، وتعرضت لقضية تعدد الزوجات ، ورأت أن من حق النساء أن يطالبن بالفاء هذه العادة ، التي توجد الشقاق في الأسر ، وختمت هدى شعراوي خطبتها أمام المؤتمر بقولها : ((ولنا الأمل الكبير أن فصل بفضل نساءهكن التي هي لنا نعم الهادي ، والاهتداء بمثلكن التي نجد فيها خير مشجع للنسوة لتحقيق رغباتنا وبلوغ القصد ، وأنظ نضع أنفسنا تحت تصرفكن لخدمة مهامكن ونشر أفكاركن ...)) "١"

وبذلك وضعت المرأة الغربية مثلا أعلى تقتدى به في نشاطاتها التسوية ، وعادت تطالب بتحقيق المساواة السياسية والاجتماعية بين المرأة والرجل أسوة بالأوروبيات ، وطالبت بضرورة اصلاح الحادات المتعلقة بالزواج حتى يتيسر للطرفين التعارف قبل التعاقد ، ومعنى آخر طالبت بالاختلاط ، واعتبرته ضرورة من ضرورات الزواج ، وطالبت الاتحاد بسن قانون يجعل سن الزواج عند البنت ستة عشر عاما الخ ... "٢"

على أن جمعية الاتحاد النسائي برئاسة هدى شعراوي تقدمت عام ١٩٢٤م بمطالب سياسية واجتماعية ونسوية ، للمساواة بين الجنسين في التعليم ، وشارك النساء في حق الانتخاب أسوة بالرجال ، وسن قانون يمنع تعدد الزوجات الا للضرورة ، كعقم الزوجة ويتم ذلك بشهادة مسن الطبيب الشرعي ، والزام الزوج اذا أراد طلاق زوجته ألا يفعل ذلك الا أمام القاضي الشرعي . "٣"

فاننا علمنا أن هدى شعراوي كانت تشكو ظلم زوجها لها بحكم التقاليد لأنه كان يمنعها عزف بعض القطع الموسيقية على " الهجانو " أو تخييم

-
- (١) فتاة الشرق ، السنة السابعة عشرة ، الجزء الثامن ، ١٥ مايو/أيار ١٩٢٣م ص ٢٩٦ - ٣٠٠ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
 - (٣) المرأة الحديثة وكشف نسوسها ، تأليف عبد الله حسين المحامي ، ص ١٤٦ - ١٥٦ .

سجارة لتمهدة أعصابها - أثناء وجود الرجال عنده في البيت - أدركنا سرّ حملتها على التقاليد ، وهدّها البيت سجناً^١ ، واشترآكها في المظاهرات والنشاطات النسائية ، فهي ترفض أن تقوم المرأة بسدور المربية والطاهية فقط ، وترى أنه لا بدّ لها من الاشتراك في الحياة العامة ، وهي تؤمن بالاختلاط ، وترى فيه وسيلة لتوسيع عقل المرأة ، (فالتجاريب وليدة الاحتكاك والاختلاط ، لأنها بقدر ما تكسب من الرجل يكسب منها ، ولا مندوحة من التعاون بينهما)^٢ ، وتدعو إلى الاختلاط بين الجنسين منذ نعومة الأظفار حتى يألفاه ، وهذه الألفة في نظرها أمان من الفطرة .

ويبدو أن هدى شعراوي أصبحت رمزاً للسفور ، لأنها لم تتعد تمارسه فحسب ، بل تدعو إليه كذلك ، فاستحقت لقب " المجاهدة " على حد زعم " المحلة الجديدة " التي كان يصدرها سلامة موسى^٣ ، فحققت بذلك ما كان يدعو إليه قاسم ، وكانت مطية لحزب الأمة الذي حقق على أكتافها وأكتاف غيرها ، ما كان يدعو إليه من ترويج للقيم الغربية .

على أن هدى شعراوي لم تكن وحدها في مجال العمل النسائي بل شاركتها كثيرات ، كانت منهن ماري زيادة التي كان لها نشاط في الحقلين الاجتماعي والأدبي ، كانت من أوائل النساء اللواتي شاركن في الحياة العامة ، حيث ألفت عام ١٩١٣م خطاباً في حفل أدبي أقيم لتكريم خليل مطران^٤ ، ثم التقت عام ١٩١٤م بهدى شعراوي في

-
- (١) المرأة المصرية ، لدوية شفيق ص ١٣٩ .
 - (٢) مجلتي ، السنة الأولى ، العدد الأول ، أول ديسمبر / كانون أول ١٩٣٤م ص ٥ ، حديث لهدى شعراوي مع المجلة المذكورة .
 - (٣) المحلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد الخامس ، أول مارس / آذار ١٩٣٠م ص ٥٢١ .
 - (٤) مي زيادة التوهج والأفول ، لروز غريب ، مؤسسة نوفل ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م ص ٣٣ .

الجامعة المصرية وعرضت عليها أن تشاركها نشاطها ، فأصبحت ميّ عضوة نشيطة في اتحاد النساء التهديبي الذي لم تكتب له الحياة .^١

كانت مي تعلن تأييدها لآراء قاسم أمين وثرى رأيه في أنه لا يجوز للأهل أن يفتحوا رسائل بناتهم وتعتبر ذلك من قهول الأهل أشبه مايكون بقلم مراقبة ، وكانت مي من أوائل من نادوا بحق المرأة في الانتخاب.^٢

على أن تأثير مي لم يقف عند حدّ الجمعيات النسائية والكتابة في موضوع المرأة ، بل تعداه إلى كثير من أدباء مصر الذين وجدوا في صالونها الأدبي ضالتهم ، ومنهم لطفي السيد ، ولي الدين يكن ، اسماعيل صبرى ، عباس العقاد ، مصطفى صادق الرافعي ، طه حسين ، أحمد زكي باشا ، يعقوب أطروفي ، خليل مطران ، وغيرهم كثيرون ، حتى أن العقاد في مقالة له بعنوان (رجال حول مي)^٣ ثلاثين من رواد ندوتها^٤ وكان لندوة مي أثر على إنتاج بعض أعضائها ، فقد بحث إليها ولي الدين يكن بأبيات غزلية عند ما علم بمرضها ، يقول :^٤

أتسقم ميّ وأبقى صحيفا ألا ائني الصاحب الخائبن
فياربّ هب لي مواجع ميّ بأضفاف ما يزن الـوازن
وهب من حياتي لها واني لأمثالها ضامن

-
- (١) مي في حياتها المضطربة ، تأليف جميل جبر ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٣ م ص ٧٢-٧٣ . وانظر مجلة فتاة الشرق ، الجزء الخامس ، فبراير / شباط ١٩١٤ م ص ١٨٢-١٨٥ .
 - (٢) مي زيادة ، لروز غريب ص ٣٦-٤١ .
 - (٣) انظر مي زيادة ، لروز غريب ص ٣٦-٤١ . وانظر مي لجميل جبر ص ٧٤ .
 - (٤) مي زيادة في حياتها وآثارها ، تأليف وداد السكاكيني ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ص ١٢٦ .

كذلك أحب الرافعي ميًا حبا روحانيا استوحى منه كتاب أوراق
الورد ، حتى أن الرافعي استأذن زوجته في حبه لي^١ ، ولا بد من
القول أن تأثير مي على رواد ندوتها كان كبيرا ، لأنهم كانوا يجدون
عندها مالا يجدون عند غيرها ، ألمست هذه الندوة هي متفهم الوحيد
الذي يرون فيه وجه شابة جميلة ؟ وما يؤكد عمق تأثير مي عليهم أن أكثر
رواد ندوتها كانوا من دعاة الاختلاط ، ولا عجب في ذلك ، فقد استمرت
ندوة " الثلاثة " في الاعتقاد عشرين عاما .

وانا كان لي هذا الدور في التأثير على سرعة انتشار الاختلاط
عن طريق ندوتها ومحاضراتها ومقالاتها وصلتها بجمدى شعراوى ، فان
شخصا آخر ونقصد به سلامه موسى دعا المرأة المصرية أن تلبس اللباس
الافرنجي وتخرج سافرة ، وهاجم كل من ناشد المرأة الاعتدال ، يقول :
(تغيب علينا أمة الشيوخ والرحميين أننا نريد تحرير المرأة المصرية
وفرئجتها بحيث تلبس اللباس الافرنجي وتخرج سافرة الوجه . . لأن هذا
في نظرهم تهتك يجب أن نقي منه نساءنا المحصنات . . .)^٢ ، والتهتك
عنده أن تقوم المرأة بواجباتها نحو زوجها ، لأن القيام بهذا الواجب
ترفع عنه أخط البغايا الافرنجيات ، وقد سلامه موسى الحجاب علامة
المبودية ، (هل ثمة امرأة مصرية متحجبة تستطيع أن تقول عن نفسها
أنها حرة ؟ ان الحجاب والمبودية كلمتان ليعنى واحد . . . يأنف
الحر ألا يرى في زوجته غير بخي تلبس شهواته . . .)^٣ فالمرأة التي
تلبس حاجات زوجها ، ولا تسفر ولا تلبس اللباس الافرنجي من البغايا .

-
- (١) من رسائل الرافعي ، لمحمود أبو ربه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م
الطبعة الثانية ص ١٠ .
 - (٢) المستقبل ، السنة الأولى ، العدد الخامس عشر ، ١٦ أغسطس
/ آب ١٩١٤ م ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

وعنده أن " الزار " " ١ " خاص بالمرأة المحجبة دون غيرها ،
وأينما يكون الحجاب يكون " الزار " ، والواقع أن هذا الرأي لا يقصد به
سلامة موسى سوى أن تتخلص النساء المسلمات من الحجاب ، لأنه جمعل
الزار ملازماً للمرأة المسلمة دون المسيحية في مصر .

وتحامل سلامة موسى على المجلات ذات الاتجاه الإسلامي ، لأنها
لا تدعو إلى تهتك المرأة ، وهو يريد من الصحفي السوري في مصر أن يفار على
مصر ، بأن يدعو إلى السفور بين نساءها ، ويفتخر سلامة بمصر الفرعونية
لأنها لم تعرف الحجاب . " ٢ "

ويقترح على المرأة أن تنزل إلى ميدان العمل الحر ، فتعمل فسي
المخازن والمتاجر أسوة بالأمريكيات ، ويرى في نزول المرأة إلى ميدان
العمل فرصة لها ، كي تتخلص من الحجاب الذي فصل الناس في مصر
شطرين ، ولأنه أضر من أي مخترعات ضارة . " ٣ "

ولم يكتف سلامة موسى بهذه المواقف ، بل انه حرّض هدى شعراوي
أن تطالب بمساواة المرأة بالرجل في الميراث ، على الرغم من أن قضايا
الميراث في الإسلام أمور مفردة واضحة ، ولكن هدى شعراوي رفضت أن
تستجيب لرأيه . " ٤ "

وعبر سلامة موسى عن فرحه لما يحدث في تركيا من تمزيق للحجاب ،
فالمحجبة في رأيه تعيش معيشة سلبية وتستجيب للعالم بلفظة " لا " .

-
- (١) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد التاسع ، أول يوليو/ تموز
١٩٣٠ ص ١١٠٣ - ١١٠٦ .
 - (٢) المجلة الجديدة ، السنة الثانية ، العدد العاشر ، أول أغسطس/
آب ١٩٣١ م ص ١١٧٨ .
 - (٣) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد التاسع ، أول يوليو/
تموز ١٩٣٠ م ص ١١٠٧ - ١١٠٩ .
 - (٤) المرأة بين الفقه والقانون ؛ لمصطفى السباعي ص ٢١٩ - ٢٢٢ .

وأظهر سلامة سروره البالغ للاجرامات التي اتخذتها روسيا لتزييق حجاب المسلمات في مدينة بخارى التي خرج منها الامام البخارى ، () ومهما قيل في ضرر الشيوعية ، فانه ليس أقل شك في أن روسيا وتركيا قد أحسنتا بالفاء الحجاب وتقرير السفور للمرأة المسلمة . (١) .

ولكي ندرك الفرق بين حال المرأة المصرية قبل خروجها من بيتها وتعددها على التقاليد ، وحالتها بعد تحررها ، حسب زعم بعض دعاة الاختلاط ، نقل ماقالته الكاتبة الايطالية " دينا دالديريه " : () كانت المرأة المصرية هادئة مطيعة قائمة ، بيتها المحراب وزوجها العطل الأعلى ، واذ اعدنا الى بيتها في أواخر القرن التاسع عشر . . . رأينا فيه روحا عميقا يحكي لنا صدى تلك النفس الهادئة الوادعة . . . وقد وُلدت لنا ثورة ١٩١٩ م ثورة نسوية كبرى ، فثارت المرأة على ذلك التراث من تقاليد الأولين ، ومستمتها سنة ذلك التطور الذي بعثت به تلك الحياة الجديدة التي اصطلحوا على تسميتها " حياة ما بعد الحرب " ، تشبهت بالمرأة الغربية في كثير من المظاهر والأساليب والشئون ، فهدت سافرة الوجه حاسرة الرأس أو عليه قبعة مناسبة ، عارية الذراعين متجردة الساقين ذات ثوب قصير دقيق التفصيل ، بدت كأختها الغربية وقد تحاول أن تبرزها في بعض مظاهرها . . . مزقت عن وجهها القناع تعزيقا ، ومحت من محالم حياتها ذلك المعنى الشرقي القديم الذي سرى في النفوس مسرى الدين والذي يرمز الى فضيلة انسانية سامية ويدفع عن النفس طغيان الشهوة ، الذي اذا صادف تهاونا لا يقف عند مدى معلوم ، ذلك المعنى الروحي الذي يرمز له الحجاب ،

(١) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد العاشر ، أول أغسطس /

آب ١٩٣٠ م ص ١٢١٢ - ١٢١٤ .

ولم يكتف سلامة موسى بذلك بل أعجب بنفسه الغرب اللواتي يرين في الزواج قيلا لابد من التخلص منه ، ويرى أن ذلك دليل على التقدم الذي وصلت اليه الحركة النسائية في الحالم المتمدن .

وانظر البيان ، السنة الثانية ، الجزء الثامن والتاسع ١٣٣١ هـ

ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .

تحاول مصرية اليوم بما ملكت من حيلة أن تكون كأختها الغربية وبخاصة في المظهر الخارجي المزخرف . . . تسافر المرأة المصرية في ظل زوجها الى بلاد الغرب ، وهناك بعيدا عن العنات والطرابيش تطلق لنفسها العنان . . . تختلف الى المقاهي وتدخن السجائر . . . وتتعرف الى أصدقاء زوجها وتساكن الفنادق . . . وثأتي كل ما تأتي فتاة الغرب . . .) (١)

وهل نحن بحاجة أن نضيف شيئا الى ما قالته الكاتبة الإيطالية عما كانت تتمتع به المرأة المصرية من عفة وترفع ووقار ، وما آلت اليه من سقوط في أحضان المدنية الغربية دون تأن ؟ ان المرأة التي سمعت الى تقليد الغرب وطالبت برفع سن الزواج ، ونادت بمنع تعدد الزوجات وأباحت لنفسها الاختلاط ، بدأت تجني ثمرة سعيها فانخفض اقبال الشبان على الزواج ، وكثر عدد الفوانس وأصبح الحش على الزواج من الموضوعات التي اضطرت الأقلام أن تتناولها ، فكتب محرر " مجلتي " مقالا بعنوان " اللواتي ينتظرن " قال فيه : (ما أكثر أخواتنا اللواتي ينتظرن ، لا يعلمن متى ينتهي الانتظار ، انهن ينتظرن السعادة والسعادة تتمثل لهن في البيت . . .) (٢) .

كذلك كتبت " المجلة الجديدة " عن مشكلة الزواج في مصر ، فمزت تأخيرها الى أسباب اقتصادية ، والى ضعف الفضيلة القومية ، وعدم الاكتراث بالقواعد الخلقية السامية ، والى التمهك والخلاعة في المدن الكبرى لأن الشباب يجدون من التسهيلات ما يجعل الدافع الطبيعي للزواج عندهم أقل شأنا ، وحلا لهذه المحضلة يدعو الكاتب الى مداواة الداء بنفس الأسباب التي أوجدته ، فيقترح أن تتاح للشباب فرص تجمعهم في الحفلات العائلية . (٣)

-
- (١) مجلتي ، السنة الثانية ، أول مارس / آذار ١٩٣٦ م ص ٥٢٣-٥٣٢
 - (٢) مجلتي ، السنة الأولى ، العدد الأول ، أول ديسمبر / كانون أول ١٩٣٤ م ص ٤٢-٤٣ .
 - (٣) المجلة الجديدة ، السنة الثانية ، العدد الأول ، أول نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٣٠ م ص ٣٦-٤٠ .

لكن الدعوة الى التفرنج لم تكن مقصورة على مصر فقط ، بل كانت المحاولات لفرنجة العالم الاسلامي تسير جنباً الى جنب ، فقد زار ملك الأفغان " أمان الله خان " مصر وكان يلبس " البرنيطة " ما جعل رشيد رضا يقول : (ان حاشية هذا الملك مصابون بحدوى الالحاد الكمالي ، ورأيت ملكهم وملكتهم مفتونين بالتفرنج) (١) ، وكان والده " حبيب الله خان " عند عودته من أوروبا قد أمر النساء برفع الحجاب ، فابتدأ بزواجه ونساء القصر الملكي ، وقتل بعض العلماء الذين عارضوا دعوته وحلق لحى بعضهم الآخر ، وهدد باستعمال السياط لتطبيق هذه العادات ، ولكن الأفغانيين أسقطوه عن العرش . " ٢ "

أما في تركيا فقد جعل أتاتورك السفور اجباريا للنساء ، والقبعة جزءاً من ملابس الرجل ، وأنزل المرأة الى ميدان الحمل للقضاء على الحياة العائلية الشرقية ، التي اعتادت بها الأسر التركية ، وأدخل المرأة في الشرطة واستغل النساء في عمليات التجسس ، ويظهر أن هذه الأمور كانت تسوق الداعين الى السفور في مصر ، فكانوا ينشرون أخبار المرأة التركية ويحضون المصرية على اتباعها ، فكتبت الصحف في التنويه بذلك كما أسلفنا . " ٣ "

وكان أتاتورك قد جعل التعليم مختلطاً ، فقالت المجلة الجديدة : (ان المسجد لم يعد شاخصاً ببنائه كما كان سابقاً ، فقد جلت محلته المدارس المختلطة) . " ٤ "

-
- (١) السيد رشيد رضا أو اخاه أرمحين سنة ، لشكيب أرسلان ٥٠٨ - ٥١١
 - (٢) الجامعة الاسلامية ، حلب ، السنة الأولى ، العدد العاشر ، ١٧ ديسمبر / كانون أول ١٩٢٩ م ص ٧ - ٩ .
 - (٣) المجلة الجديدة ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير / كانون ثاني ١٩٣٤ م ص ٩٢ - ٩٣ .
 - (٤) المجلة الجديدة ، السنة الأولى ، العدد السادس ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٠ م ص ٧٤٠ - ٧٤١ .

الى المحافظة على الأخلاق ، وتغلب تيار السفور والاختلاط ، وأصبحت قضية المرأة في حكم المنتهية ، بانتصار السفوريين الذين نجحوا في اخراج المرأة من بيتها وأطلقوها في الطرقات والأماكن العامة ، وأصبح الحديث عن الحجاب والسفور حديثا قديما لا يثير غير الذكريات ، وصار مادعا اليه قاسم ومن بعده حقيقة مجسمة ، فهاهي المرأة قد أسفرت واختلطت بالرجال ونزلت ميدان العمل . "١"

ولكن هل تستطيع المرأة أن تعود الى بيتها ثانية ؟ وهل وجدت ماوعدها به قاسم حقا ، أم أنه مجرد زخرف خادع ؟ وهل تحررت المرأة بالفعل أم أنها قد جنت على نفسها بتركها بيتها ، وأصبحت أمية لأناس كثيرين بعد أن كانت ربة البيت وسيدته ؟ . .

الفصل الثاني

تطور الشعر الحديث في مصر

في العصر التركي كسدت سوق الشعر والشعراء في مصر ، لأن أكثر الحكام من الأتراك أو الصاليك الذين حكموا مصر لم يحسنوا النطق بالعربية ، وإنما راج الشعر منذ كان في كنف الحنظم من الملوك والوزراء والأمراء ، فإذا كان الحكام لا يحسنون نطق العربية فكيف نتوقع منهم أن يشجعوا الشعراء ، أو كيف نتوقع من الشعراء أن يكونوا كأسلافهم ؟ لقد عزّ عليهم اللفظ الجزل والأسلوب القوي ، فلدجأوا إلى الزخرف والمحسنات يخفون بها ضعفهم ، حتى استخلق كلامهم .^١

وظل الشعر في مصر هكذا أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر من حيث الأغراض والمصاني والأساليب لعدم توفر المثل الفنية المليئة لديهم ، فلا نقرأ ديواناً لشاعر من شعراء هذه الفترة حتى تظالمنا الألفاظ والتخميسات والتشطيرات والتطريز والتأريخ من خلال الموضوعات التافهة ، والشعر في هذه الحقبة لا يصور عاطفة قوية ولا خيالاً سامية ، وإنما هو ضرب من التكلف في الصداقة ، يقال في مدح أو تهينة بملود ، أو تعزية بوفاة عزيز أو تأريخاً لبناء أو ولادة أو وفاة ، وكل ذلك أثر من آثار انهيار الحياة الفكرية والأدبية في العصر التركي .^٢

ولا نذهب بعيداً إذا قلنا إن آثار الصنعة ظلت تلاحق الشعراء حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فيها هو خليل اليازجي بمدح الخديوى توفيق بقصيدة ضمن كل شطر منها تاريخاً هجرياً لسنة ١٢٩٩ هـ .

-
- (١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ، الطبعة الثامنة ، الناشر دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ١٣/١ .
 - (٢) تطور الشعر الحديث في مصر ١٩٠٠-١٩٥٠ ، لماهر حسن فهمي ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٨ م ، ص ٣٢ .

وافتح صدور أبياتها بحروف اذا جمعت على الترتيب خرج منها بيتان
يتضمن كل واحد منهما أربعة تواريخ للسنة المذكورة ، وجعل الأبيات
المصدرة بحروف البيت الأول تسمية ، والأبيات المصدرة بحروف البيت
الثاني مديحا ، والبيتان هما : "١"

راقت بتوفيق / مصر عزة فزهت في نفسها بأريض / الفخر والشان
١٢٩٩هـ ١٢٩٩هـ ١٢٩٩هـ ١٢٩٩هـ

راقي ذرى المجد / في الاسماء مرتبة خدا فريد / خلال مالها ثاني
١٢٩٩هـ ١٢٩٩هـ ١٢٩٩هـ ١٢٩٩هـ

والقصيدة حوالي تسعين بيتا ، وهذا يعني أنها تضمنت مالا يقل عن
مائة وثمانين تاريخا .

ويبدو أن التاريخ كان صنعة محببة لدى الشعراء ، فخليل اليازجي
نفسه أرخ جلوس الخديوى توفيق على أربعة مصرعيتين من الشعر يتضمنان
ثمانية وعشرين تاريخا ، وتؤخذ من أشطرها الأربعة ومن ضم مهمل كل شطر
الى مثله من غيره وكذا من المعجم والخلاف ، وهما هذان :

عزيز مصر الخديوى بالعهد سمي

رفيع جاء سنو في المجد والرتب "٢"

نراه جلّ بأوج قد رقى شرفا

توفيق جد جمال النور للعرب

سنة ١٢٩٦هـ

(١) ديوان نسمات الأوراق ، لخليل اليازجي ، مطبعة دار المعارف ،
الطبعة الثانية ، ١٩٠٨ ص ٣٤ - ٣٩ . وانظر ترتيب حروف الهجاء
والقيمة العددية لكل حرف ، وهذا ما يسمى بحساب الجمل

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

(٢) المرجع نفسه ص ٣٩ .

ومهما بذل القارىء من جهد في حل هذه الرموز ، فلن يجد الى ذلك سبيلا ، فقد أصبح الشعر حسابا وأرقاما وتمازينا هندسية عسيرة الحل ، وانا ابتعد الشاعر عن حساب الجمل ، فلا بد أن يبحث عن مسألة أخرى يستعرض من خلالها قدرته ، نظم الشيخ علي الدرويش قصيدة في المديح التتم فيها ثلاث قواف ، ان يقول :

أمين لطفه في كل معنى له من نعمته ون / انتهارى / انتها / انتهالى "١"
لقد عجز المشابه عنه مجدا ويا من فضل طيابه / الميارى / الجاه / البالي

فألتم نفسه بقافية الراء والمهزة واللام ، وهذا يعني أن أية كلمة من الكلمات الثلاث في نهاية البيت يمكن أن تتخذ قافية للقصيدة .

وانظر هذين البيتين من الشعر لعلي الدرويش نفسه ، نظمهما فسي الغزل وجعل كل كلمة منهما تبدأ بحرف الحين ، يقول :

علي على عينيك عدل عوانل سيسي
عذاب عليها عند طاشقها عذاب "٢"
عدارك عذرى عجب عطفك عدتسي
عيونك عضبو عاد طاعها عضيب

ولم يتخلص شعراء النصف الثاني من القرن التاسع عشر من هذه المقاييس ، بل ظل لها بعض قوة وتأثير على شعرهم ، فها هو عهد الله فكري يورخ بنساء مدرسة البنات بالسيوفيه ، تلك التي أنشئت تحت رعاية الزوجة الثالثة للخديوى اسماعيل " جشم أقت هانم " مطروحا أوائل الأبيات بلفظ " جشم " يقول :

(١) ديوان علي الدرويش ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ ص ٥٨ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٧ .

- ج جادت يد الحوم العالي بما افتخرت
مصر به وتباهت سائر المسدان^١
- ش شادت على الخير والاحسان مدرسية
تزهو بأبداع شكل محجب حسن
- م مجل مجد لتعليم البنات سميها
٧٨ ٤٧ ٥٨٠ ٤٨٤ ١٠١
- بمصر في سالف الأعصار لم يكن

سنة ١٢٩٠ هـ

وظل التطريز من الأغراض التقليدية التي بقي لها وجود في الشعر حتى مطلع القرن العشرين ، وكان حفني ناصف من اهتمامه ، يقول في تطريز اسم " صفيه " :

- ص صدق الذي قال : الخرام ضبا
فلقد رثي لصابتني الاعداء^٢
- ف في كل يوم منك تبدو قسوة
ويلوح صهيد قاتل وجفنا
- ي يامن تعلمت الفصون دلالة
وحكمت وخيم عديته الورقنا
- ه هلا شفيت ببرد ثغرك عاشقنا
ان الشفاء كما علمت شفنا

ويظهر أن اهتمام حفني ناصف بأغراض الشعر التقليدية ومعالجته لها لمجرد النظم ، هو الذي جعل العقاد يفتي عنه صفة الشاعرية ، ومن قوله عن شعره : ((انا رجينا التي قصائد حفني ناصف جميعها لم نجد

(١) الآثار الفكرية ، لعبد الله فكري ، للطبعة الكهري الأميرية ببولاق ، الطبعة الأولى ١٣١٥ - ١٨٩٧ م ، ص ٤٦ - ٤٧ .
(٢) شعر حفني ناصف ، جمع مجد الدين حفني ناصف ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

بينها بيتا واحدا يدل على سليقة مفضولة على استحباب المحسوسات أو نكتة تخرج عن مفارقات الألفاظ واللعب بالأوضاع والأشكال ((" ١ " .

وكانت الألفاظ من الأغراض التي شاعت وانتشرت بين الشعراء ، وحتى أن بعض المجلات التي صدرت في نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر أفردت لها أبوابا خاصة بها ، يقول داود الهستاني في لغزله حول كلمة " عطار " :

يا من بدا ملغزا في كل مضمار
وداع صيتا بأقطار وأمصار " ٢ "
ما اسم مبانیه في رسم مريحسنة
حروف ذات اجمال السى القارى
ان رمت تصحيف أو تحريف صيغته
يوما فلم تجن منه طيب أثمار
لكن اذا شئت حذف الشئ منه ففسى
حذف " لثالثة " من طيب اعطار
أو تحذف الذيل تلفيه بدا كرمسنا
بالهذل من ماله في ألف دينار
أو تقطع الرأس منه سار فسي عجل
وغادر الصب من وجد على نار
وان تشأ حذف ثانية ترى عجيبا
ياتيك طوعا بقيد الهذل والعمار

(١) مجموعة أعلام الشعر ، لعماد محمد الحقاد (شعراء مصر وبنياتهم فسي القرن الماضي) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ١ ، ص ٢٤٣ .
(٢) الشربا ، السنة الثالثة ، الجزء الثالث ، (انتهر تشرين أول ١٨٩٨ م ص ١٠٤) ، وقد ذكرت المجلة حل هذا اللغز في العدد الصادر فسي ١ نوفمبر / تشرين ثاني ١٨٩٨ م ص ١٤١ ، حيث أجاب أحد القراء بقوله :

أخا الفضل قد ألغزت لغز بجملته اذا تليت بيد ولرقتها العطر
تريد به أن تصلح الشعر بيننا وهل يصلح (العطار) ما أفسد الدهر ؟

ورده اليازجي زوجها متوفى على لسان زوجته. "١"

وكان من عادة الشعراء أن يقرظ بعضهم دواوين بعض بشعر يعجبون خلاله عن اعجابهم وتقديرهم ، وامتدت هذه الظاهرة حتى شملت المجلات ، فقد قرّطت عائشة التيجورية مجلة " الفتاة " التي أصدرتها هند نوفل عام ١٨٩٢م في القاهرة. "٢"

وإذا كنا قد استعرضنا نماذج متعددة لبعض أنماط الشعر التي سادت ، فنحن لم نذكر حتى الآن نماذج لشعر المديح والتهنئة ، وهذا الغرضان لا يخلو منهما ديوان شعر من دواوين القرن التاسع عشر ، حيث كان الشاعر يقدح على مدوحيه كثيرا من المحامد دون قصد أو اعتدال ، مدح محمود صفوت الساعاتي سعيد باشا مهنئا له بولاية مصر ، وقد جعل في البيت الأول من القصيدة تاريخين ، كل شطر تاريخ لسنة ١٢٧٠ هـ ، وقد وصف سعيدا بأنه كوكب تجلى في سماء مصر ، وأن الدين سيزداد عزة ومنعة في عهده ، وسيزداد المسلمون رفعة ، وأشاد الساعاتي بعدله وأمانته وجوده وسداد رأيه الذي أعاد للملك هيئته ، فقال :

تسابقك البشرى بملك مؤيد	تقول تهني بالسعيد محمد
لقد أطلع الرحمن في مصر كوكبا	تجلى عليها فاخفق كل فرق
وقد قلّد الدين الحنيف بمرهف	له قائم منه منصر الموحّد
وتوجّ هام الملك بالملك الذي	بدولته تحتز ملّة أحمد
وأسفروجه الكهر عن غرة المنا	بأهيب بسام عزيز مؤيد
أنارت به الدنيا ودان لملكه	برغم الأنوف الشمّ كلّ مسود
أنام الرعايا تحت ظل أمانه	فلا روع نى ظلم ولا خوف معتدى

-
- (١) حديقة الورد لورده اليازجي ، مطبعة هندية بمصر ، الطبعة الثالثة ص ٥٤ - ٥٥ .
 - (٢) انظر حلية الطراز ص ١٧٥ . وانظر تقريرا ورد في اليازجي لحلية الطراز في ديوانها حديقة الورد ص ٤٣ .
 - (٣) ديوان محمود صفوت الساعاتي ، جمعه مصطفى رشيد ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م ص ٢٧ - ٣٠ .

وكان الشعراء يرون أن من واجبه تقديم التهناني للحكام الذين يعاصرونهم
لا عند تولي زمام الأمور فحسب ، بل في كل مناسبة تجد أو تطراً على حياتهم ،
فقد قدم صالح مجدي تهانيه لتوفيق بمناسبة زواجه عندما كان ولياً للعهد ،
ورأى أن زواجه عيد ملأنفوس الناس بالبشر والفرح .

يا صاح خلّ سهيل الراهبين ولا

ثرب عن النسل أو تركن لتعويق^١

فما بدأ رّ ثغرا لدهر مبتسما

الا بأعياد تفریح وتشریق

أو في مواسم تأهيل أهلتها

مضيئة بين هسالات وتطويق

أو في زواج ولي العهد من طهعت

له القلوب علسى ود وتوميق

وهكذا كان الشاعر أداة من أدوات التشريف في بلاط الملوك والأمراء
وحفلات التآبين ومناسبات المواليد والوفيات ، يومى مهمته كما حددت
له أو كما تصورها ، وهذا يعني أنه لم يكن حراً ليقول ما يشاء ، لذلك قل
الاتجاه الى الشعر النفسي والذاتي ، وغلب الشعر التقليدى الذى لم يكن
يصدر عن احساس مثفل أو شعور أصيل الا فى القليل النادر .^٢

ولكن عودة البعثات التي أرسلها محمد علي وأحفاده وتسلمها بعض
المناصب الهامة ، بالإضافة الى انشاء الحياة النيابية فى عهد اسماعيل ، وتدفق
جماعات من السوريين الذين تأثرت حياتهم بالاداب الأوروبية تحت تأثير
البعثات الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية ، كل هذه عوامل دفعت الشعب
الى الاحساس بكيانه والدفاع عن وجوده أمام الضغط الواقع عليه من الأجنبي
كما أن الصحافة قامت بدور كبير فى ترقية الحياة الاجتماعية بمصر ، مما دفع
الحياة الأدبية دفعة قوية الى الأمام ، وبدأ الشعراء يتطلعون للتخلص من

(١) ديوان صالح مجدي ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر ،

١٣١١ هـ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه ١٨٧٥ - ١٩٤٠ م ، لأنسور

الجندى ص ٨ .

الأساليب المتينة التي كتبت قرائحهم ، وفي هذه الأثناء بدأت المطابع في اخراج دواوين الشعر القديم الى عالم النور ، فتلحق هؤلاء الشعراء نماذج لم يكونوا قد سمعوا بها من قبل الا نادرا ، فأحسوا أن القدماء كانوا يصدرون فيما ينظمون من أشعار عن عاطفة صادقة ، وكان شعرهم يصور حياتهم تصويرا دقيقا ، ورأوا أن البديع كان عند شعراء العصر العباسي وسيلة لا غاية ، فبدأ الشعراء في نهاية القرن التاسع عشر يحاولون التعبير عن أنفسهم ، أو على الأقل تقليد نماذج من الشعر القديم نجح أصحابها في التعبير عن أنفسهم .

وكان البارودي رائدا لهؤلاء جميعا ، فقد اتخذ من شعر العباسيين ومن سبقوهم نماذج يقلدها ويمارضها دون أن يفقد شخصيته ، ووصف حياته وتمعن قبل منفاه وآلامه وهمومه بعد ذلك ، وكان أبو الطيب من أغرم البارودي بمعارضتهم ، فقصيدته التي مطلعها :

أمن ازديادك في الدجى الرقيا

ان حيث أنت من الظلام ضياء^١

عارضها البارودي قائلا :

صلة الخيال على البعاد لقيا

لو كان يملك عيني الاغفاء^٢

ولاريب أن ثقافة البارودي وتجاربه كانت بعيدة المدى في شعره ، فقيد كان فارسا ممتازا ومحاربا شجاعا ذاهمة عالية ، صور في شعره مشاهد الحرب التي خاضها ، ووصف ساحة القتال خلال الحرب التي خاضتها تركيا ضد روسيا في قصيدة طويلة ، منها قوله :

(١) شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، الناشر دار

الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠/١ .

(٢) ديوان البارودي شرح وتحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف ،

- وأصبحت في أرض يحاربها القطسنا
وترهيبها الجنان وهي سوارح^١
بعيدة أقطار الدياميم ، لو عسدا
سليك بها شأوا قضى وهورازح^٢
تصبح بها الأصداء^٣ في غسق الدجى
صياح الثكالى هيبتها النوائح^٣
ترانا بها كالأسد ترصد غسارة
يطير بها فتق من الصبح لامح^٤
مدافعا نصب المدا ومشاتسنا
قيام تليها الصافنات القوارح^٥
فلست ترى الا كاة بواسسلا
وجردا تخوض الموت وهي ضوايح^٦
نغير على الأبطال والصبح باسم
وتأوى الى الأذغال والليل جانح^٧

وإذا كان البارودى قد وصف الحرب التي غاضها وصفا حيا يذكرنا
بمشارك سيف الدولة التي وصفها المتنبي في شعره ، فانه أيضا شارك في

-
- (١) ديوان البارودى ١٦٠/١ ، والجنان : جمع جان ، السوارح :
جمع سارحه وهي السائرة المطلقة .
(٢) الدياميم : جمع ديمومه وهي الأرض القفر ، سليك : أحد صماليك
العرب ولصوصهم ، الشأو : الفأية ، رزح : سقط من شدة
الاعيا .
(٣) الأصداء^٣ : جمع صدى وهو طائر يصوب بالليل ، أو رجع الصوت في الغلاء
(٤) فتق الصبح : انشقاق الفجر ، لامح : لامح .
(٥) الصافنات : جمع صافن وهو من الخيل التي تقف على قوائم
ثلاثة ، القارح : ما بلغ الخامسة من الخيل .
(٦) الضوايح : ضبح الخيل ، صوت أنفاسها عند العدو .
(٧) ديوان البارودى ١٨/٣ - ٢٦

الحياة السياسية عند عودته الى مصر حتى وصل الى مرتبة الوزارة في عهد
توفيق ، ثم رئاسة الوزارة بعد ذلك ، واشترك في الثورة المصراية لأنه لم
يكن راضيا عن الظلم الذي كان يعم مصر ، فالحياة في رأيه أصبحت لا تطاق
لأن الأمر قد غدا في أيدي أهل الزور والنفاق ، ولأن الظلم خيم على
سائر الأرجاء ، حتى أضحي الإنسان عاجزا عن حماية مرضه ، ولكي يتخلص
المجتمع من هذا الوضع نصح له أن يتدارك أمره ، فالوقت لم يعد يسمح
بالترث :

بئس العشير وثبتت مصر من بلنسد

أضحت مناخا لأهل الزور والخطل "١"

أرض تأثل فيها الظلم ، وانقدت

صواعق الغدر بين السهل والجبل

وأصبح الناس في عيبا مظلما

لم يخط فيها امرء الا على ذلل

أصوحت شجرات المجد أم نهست

غدر الحمية حتى ليس من رجل

لا يد فمون يدا عنهم ولو بلنسد

من الحفاقة من جبن ومن خزل "٢"

١. الشعر

فهذا الشعر السياسي ، وهذه النفس المتوثبة الطموح ، وتلك الثورة
المتأججة في نفسه على الظلم والظالمين والتي انتهت بالبارودي الى النفسي
والتشريد ، هي من الجديد في معاني البارودي وشعره ، وهي جديدة في
الشعر العربي الحديث ، انها الروح الجديدة التي أمد بها البارودي
الشعراء المحدثين ، فأصبحوا من بعده أكثر اهتماما بآمال أمتهم والأمم
وأكثر ميلا الى التعبير عن طموح الشعب الى الاستقلال والحرية ، فأصبح

(١) ديوان البارودي ١٨/٣ - ٢٦

(٢) الخزل : الطلوع في المشي .

للهارودي مدرسة شعرية اقتفى أفرادها أثره ، واتخذوه اماما لهم كشوقي وحافظ والرافعي واسماعيل صهي وعبد المطلب واحمد محرم "١" ، وهكذا انتقل الشعر على أيدي هؤلاء وغيرهم خطوة جديدة ، تتجلى في تحوله الى الاهتمام بالشعوب والاكتثار من الموضوعات الوطنية والاجتماعية ، مثل المطالبة بالاستقلال ومحاربة الاستعمار والمستعمرين ، والعطف على المظلومين والمنكوبين ، وظهر التجديد في الشعر عندما بدأ الشعراء يتعرضون للموضوعات الجديدة كالقول في المخترعات الحديثة ، مثل وصف القطار والطائرة والمنطاد والكهرباء والمذياع وغيرها . "٢"

ومن الطبيعي أن يكون الشعر في الحقبة الأولى من هذه النهضة شديد الاهتمام بحاجة الناس الى اقتباس المخترعات الحديثة ، فقد وصف الرافعي الصور المتحركة المصروفة (بالسنوغراف) فقال :

وما (السنوغراف) وما مثلت
الا الصدى ينقله الثاقب "٣"
تبعت فيها أم قد خلست
وتجتلي في "لندن بايبل"
كم مثلت من طلل المائل
فكاد يحيى الطلل المائل

ووصف حسن القاياتي الهاتف ، ورأى أنه قد يكون فيه الشقاء
لبعض بني الانسان ، لكن نعمه كثيرة ، فهو يقرب المسافات بين بني
البشر :

-
- (١) في الأدب الحديث (١/٢٣٧) .
 - (٢) قصة الأدب في العالم ، لأحمد أمين وزكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م ص ٣٠٨ .
 - (٣) ديوان الرافعي ، لمصطفى صادق الرافعي ، المطبعة العمومية بمصر ، ١٣٢١ هـ ٦٠/١ .

هو مثل الحباب والجرس الما
وهو غل الرقاب منهم ونعمسا
قرب الموقف الذي أنت فيه
ان يكن للطفاة سوط عذاب
ثل فيه شبهه صوت الحباب "١"
ه على الناس طوق كل الرقاب
للمكان القصي كل اقتراب
فهو للمهند بين ماء شواب

ووصف أحمد شوقي الباخرة في هزيمته التي أهدّها لمؤتمر المستشرقين
في جنيف ، وقابل بينها وبين النياق ، فقال :

همت الفلك واحتواها المناء
ضرب البحر ذو العباب حواليا
وحداها بمن تقل الرجاء "٢"
هنا سماء قد أكبرتها السماء

.....

يا زمان البخار لولاك لما تفرد
فقد يما عن وخذها ضاق وجهه الا
جع بنحى زمانها الوجناء "٣"
رض وانقاد بالشرع الما "٤"

ورأى شوقي أن الغربيين يستغلون علومهم في سبيل السيطرة على العالم ،
فدعا شباب أمته أن يجاروهم في هذا الميدان ، فانه لا سبيل الى التخلص
من سيطرتهم الا بالسعي في طلب ما لديهم من وسائل القوة ، ونعى على
المسلمين تأخرهم وسبق الغربيين لهم عندما قدم طيارات فرنسيات الى مصر
عام ١٩١٤ م ، فقال :

أرى طيارهم أوفى عليئنا
وأنظر جيشهم من نصف قرن
فلا أمناؤنا نقصوه رمحنا
ملكنا مارن الدنيا بوقنت
وحلق فوق أروئنا وحامنا "٥"
على أهباننا ضرب الخياما
ولا اخواننا زادوا حسامنا
فلم نحسن على الدنيا القياما

- (١) ديوان حسن القاياتي ، مطبعة كردستان العلمية بمصر ١٣٢٨ هـ -
- ١٩١٠ م ، ٣٢/١ - ٣٣ ، الحباب : الحية .
- (٢) الشوقيات ١٧/١ .
- (٣) الوجناء : الناقة الشديدة .
- (٤) الوخذ : السير السريع وسعة الخطو .
- (٥) الشوقيات ٨٨/٢ - ٩١ ، وراجع كذلك وصفه للطائرة ١/٢

فرطوا في الوحدة ، التي تجمعهم تحت ظل التاج العثماني .

"١" يا آل عثمان من ترك ومن عرب وأي شعب يساوي الترك والعرب
صنوا الهلال وزيدوا مجده علمنا لا مجد من بعد هان ضاع أونها
ياتج عثمان ان اليوم موعدنا فجدد العهد والحق الحب والرغبنا
لوضاع عهدك أو حام الرجاء بنا على سواك لقينا الحين والمطبا

وعند ما أعلن السلطان عبد الحميد الثاني الدستور ، رأى علي الغاياتي
أن من حق مصر أن تنعم بالحرية ، التي منحها السلطات لشعوبه ،
وأن مصر تنتظر نصيبها من الحرية ، مؤمنة أن يمد لها السلطان يــــد
المساعدة ، وذلك في قصيدته التي وجهها الى السلطان عبد الحميد
بمناسبة عيد الدستور عام ١٩٠٨ م ، يقول :

"٢" أمير المؤمنين مضت قلسوب اليك يحثها الحب المكين
توهمل أن تراك لها معيننا وأنت لها على الدهر المصين
رأتك أمامها الأمل المرجى وفيك لدائها البرء المبين
فيا أمل القلوب اليك مصر تشير ، وبين جنبها حنين

وأما عندما ألغى عبد الحميد الدستور ، وثار عليه الاتحاديون ، وأجبروه
على التسليم ، فقد ارتفعت أصوات الشعراء في مصر بين مشفق عليه يرثي له
في بلواه ، وعاتب عليه سوء سياسته وشامت به يشنع بما لقي خصومه على يديه
من نكال ، وقصيدة شوقي في هذه المناسبة مشهورة :

"٣" سل يد زادات القصور هل جاءها نهأ البدور

-
- (١) ديوان أحمد محرم ، مطبعة الفتوح بدمنهور ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ -
١٩٤٠ م ، ٤/٢٠ .
- (٢) ديوان الغاياتي وعلي الغاياتي ، مطبعة عطايا بمصر ، الطبعة الثانية
١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م ص ٥٥ .
- (٣) الشوقيات ١/١١٩ ، وقد رت ولي الدين يكن على قصيدة شوقي هذه
بقصيدة سماها " عبرة الدهر " ، مناقضة لما جاء في قصيدة شوقي
ومطلعها :
- هاجتك خالية القصور وشكتك أفلة البدور
راجع هذه القصيدة في ديوان ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف
والمقظم في مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ص ٢٦-٣٠ .

على أن ذلك لا يعني أن الشعراء في مصر لم يلتفتوا الى ما يدور فيها ،
فقد سجّل شعرهم كثيرا من الحوادث التي اهتز لها الوجدان المصري ،
وكانت حادثة دنشواى من أهم الأحداث التي صورها الشعراء حيث وصفوا
قسوة الانجليز وظلمهم وتعسفهم ، وكان صوت حافظ ابراهيم من أقوى الأصوات
وأكثرها جرحا على الضحايا ، فقال مخاطبا المحتلين :

أبيها القائمون بالأمر فينا	هل نسيتم ولا لنا والوداد
خفّضوا جيشكم وناموا هنيئنا	وابتخوا صيدكم وجوبوا البلاد
وان أعوزتكم ذات طسوق	بين تلك الرهاقصيد والعباد
لا تظنوا بنا المعقوق ولكن	أرشدونا اذا ضلنا الرشاد
لا تقيدوا من أمة بقتيل	ضادت الشمس نفسه حين صاد

وندد شوقي بفظائع الانجليز في دنشواى ، ولكن بعد مرور عام
عليها ، فقال :

ياد نشواى على رباك سلام	ذهبت بأئس ربوعك الأيام
شهداء حكمك في البلاد تفرقوا	هيئات للشمل الشتيت نظام
مرّت عليهم في اللهود أهلية	ومضى عليهم في القيود العام
عشرون بيتا أقفرت وانتابها	بعد البشاشة وحشة وظلام

وحادثة دنشواى واحدة من أمور عديدة ، عانى منها الشعب على يد
" كرومر " الذى حكم مصر مالا يقل عن عشرين عاما ، كان خلالها يعمّل
لمصلحتة الانجليز ، ولهذا فان خروجه من مصر عام ١٩٠٧ كان فرصة
للشعراء كي يعبروا عن سخطهم وغضبهم على الاحتلال ممثلا في " كرومر "
يقول حافظ بمناسبة استقالته :

(١) ديوان حافظ ابراهيم ٢٠/٢ .
(٢) الشوقيات : ٢٤٤/١ .

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى

فلا تكذب التاريخ ان كنت منشدا "١"

لقد حان توديع العميد وانسسه

حقيق بتشبيح المحبين والمداد

وينتقل حافظ بعد هذه المقدمة الى تحديد العاسى التي لحقت بمصر

في عهده ، فقد أزرى بالعلماء وأغلق معاهد العلم ، وجعل الانجليزية

لغة للتدريس بدلا من العربية ، وأراد فصل السودان عن مصر ، وضيق على

الصحف ، يقول حافظ موجها حديثه الى " كرومر " :

يناد بك قد أزريت بالعلم والحجا ولم تهق للتعليم يا لرد " معهدا "٢"

وانك أخصبت البلاد تعمدا وأجدبت في مصر العقول تعمدا

قضيت على أم اللغات وانسه قضا علينا أو سبيل الى الردى

ووافيت والقطران في ظل راية فما زلت بالسودان حتى تمردا

هجيت ضياء الصحف عن ظلماته ولم تستقل حتى هجبت المؤيدا "٣"

ولما كان شوقي قبل رحيل كرومر مقيدا بعض الشيء نظرا لارتباطه بعماس

الثاني الذي حاول في أخريات حكمه أن يهادن الانجليز ، استغل فرصة

هجوم كرومر " على المصريين واساءته في خطبة وداعه للخديوى اسماعيل ،

نصب على الاحتلال غضبه ، ان يقول :

(١) ديوان حافظ ابراهيم ٢٦/٢ .

(٢) المرجع نفسه ٢٨/٢ - ٢٩ .

(٣) صحيفة كان ، صدرها الشيخ علي يوسف .

أيامكم أم عهد اسماعيل
أم حاكم في أرض مصر بأمره
يا مالكا رقّ القلوب ببأسه
لما رحلت عن البلاد تشهدت
أوسعتا ييم الوداع أهانسة
أم أنت فرعون يسوس الشيلا^١
لا سائلا أبدا ولا مسئولا
هلا اتخذت الي القلوب سبيلا
فكأنك الداء الحيا رحبلا
أدب لعمرك لا يصيب مثيلا

وإذا كانت الروح الوطنية قد أخذت تجد لها صدى على ألسنة الشعراء ، فإن هذه الروح تجلت على حقيقتها بعد أن بثها مصطفى كامل في نفوس المصريين ، فاحتل بذلك مكانة عظيمة ظهرت في قصائد الرثاء التي أقيمت في حفلات التأبين تخليدا لذكراه ، فرثاه شوقي بقصيدة تعد من أروع قصائد الرثاء في الشعر العربي ، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم ، بأسلوب تجلت فيه حكمة الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان ، فصبرت عن الرزء الفادح الذي أصاب مصر بوفاة زعيمها ، يقول شوقي :

المشرقات عليك ينتحيبان قاصيها في ماتم والدانسي^٢
يا خادم الاسلام أجر مجاهد في الله من خلد ومن رضوان
لما نعمت الي الحجاز مشى الاسي في الزائرين وروع الحرمان

ونظم خليل مطران قصيدة تزيد على تسعين بيتا ألقاها في حفلة الأربعين لوفاته ، وجعلها بعنوان : ((حق الوطن وحق الأعداء)) وفيها عرّعن مشاركة النصارى للمسلمين في مصابهم بـمصطفى كامل ، الذي كان ينفس قلبه بحب مصر ، يقول :

(١) الشوقيات : (١) / ١٧٣ - ١٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ١٥٧ / ٣ .

أعلى مكانتك الإله وشرفنا فانعم بطبيب جواده يا مصطفى "١"
جزع النصارى واليهود لمسلم هو خير من والى وأوفى من وفى
بكوا المرّجى في خلاف عارض ليزيل ذاك العارض المتكشفا

وكانت الدعوة إلى الحياة الدستورية مما هتف به الشعراء منذ زمن مبكر ،
وذلك على أثر منح السلطان عبد الحميد الثاني الدستور لرعاياه عام ١٩٠٨ م ،
ما استتبع مطالبة المصريين بالدستور ، فقام الحزب الوطني يجمع توقيعات
المواطنين على عرائض تطالب بالدستور تبعاً لذلك ، وتقدم بها محمد فريد
إلى الخديوى عباس الثاني "٢" ، ومن ذلك قصيدة لاسماعيل صبرى باشنسا ،
وجهها إلى عباس الثاني في عيد جلوسه عام ١٩٠٨ م ، يدعو فيها إلى
الأخذ بنظام الشورى :

سدد سهام الرأى بالشورى يحسب

بك منسه في ظلم الحوادث فيلستسق "٣"

واسبق به واضرب به وافتتح بسسه

ماشئت من باب أمامك يفلسق

(١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ، الناشر دار الكاتب العربي بيروت ،
الطبعة الثالثة ١٩٦٧ م ، ٣٠٨/١ - ٣١٢ . وراجع في نفس
الغرض رثاء حافظ ابراهيم لمصطفى كامل ، حيث رثاه في قصائد ثلاثة ،
انظر ديوان حافظ ١٤٩/٢ ، ١٥١/٢ ، ١٦٠/٢ . وراجع
كتاب شعراء الوطنية لعبد الرحمن الرافعي ، الناشر مكتبة النهضة
المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ،
١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ص ٢١٧ ، حيث رثى أحمد نسيم مصطفى
كامل بقصيدة مطلعها :

ما بال دمك لاهام ولا جارى هلا اكتفيت بما للقلب من نار
وكذلك رثى أحمد الكاشف مصطفى كامل بقصيدة بلغت نحو مائة بيت ،
راجع شعراء الوطنية ص ٢٣٧ .

(٢) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين ٩٦/٢ .

(٣) ديوان اسماعيل صبرى باشا ، صححه وضبطه أحمد الزين ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م ص ٥٦

ودعا شوقي في كثير من قصائده الرعاة الى النزول على حكم
الرعية ، ونبه الملوك الى قوة الشعب ، والى ضرورة التخلص من حكم
الفرد ، يقول :

زمان الفرد يافرعون ولسى ودالت دولة المثجبرينا^١
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

كما حث حافظ ابراهيم مواطنيه أن ينتخبوا المصلحين والمخلصين من
صفوة أبناء أمتهم ، وحذر أولي الأمر من مخبة اسكات صوت الشعب أو نفسي
ممثليه ، ودعاهم أن يكونوا حذرين صابرين حتى يفلحوا فيما سموا اليه ، وعلى
الرغم من ذلك ، فهو لا يثق بتصريح ٢٨ فبراير / شباط ١٩٢٢ م السدى
منحت بموجبه انجلترا مصر استقلالاً مقيداً ، فقال :

أصبحت لا أدري على خبيرة أجدت الأيام أم ترح ؟^٢
أموقف للجد نجتازه أم ذاك كلالهي بناسرح ؟
ان تسألوا العقل يقل عاهدوا واستوثقوا في عهدكم ترحوا
وأسسوا دارا لنوابكم للرأى فيها والحجا أفسحوا
ولتذكر الأمة ميثاقها ألا تترى عزتها تجرح ؟
ولتتخب صفوة أبناءها فمنهم المخلص والمصلح
وليتقوا الله أولو أمرها أن يسكتوا الأصوات أو يرفحوا^٣
أو تسألوا القلب يقل حانروا وصابروا أهداكم تفلحوا

على أن شعراء مصر وان تخنوا بالدستور ، وصدقوا وعود الانجليز لهم
برغبتهم في ارساء حياة نيابية في مصر سواء قبل الحرب الأولى أو بعدها ، لم
يصمتوا عندما اشتد الحال باعلان الحماية والأحكام الحرفية في ظل الحرب ،
فانبروا ينددون بفظائع الانجليز ابان الحرب ، يقول أحد محرم :

-
- (١) الشوقيات : ٢٧٤/١ . وانظر الشوقيات : ٢٩/٤ - ٣١ ، حيث تكلم
شوقي عن الحياة الدستورية .
(٢) ديوان حافظ ابراهيم ٩٤/٢ - ٩٧ .
(٣) يرفحون : أى ينفون من خالفهم الى رفح ، وهي مدينة مصرية على حدود
فلسطين .

أيها الجند ظافرا يتمشى في الجماهير محجبا مختالا ^١
يوم غاب الحماة واستصرخت مصر رتادي الرجال والأبطال
أقتلت الكماة في الحرب غلبا ؟ أم قتلت النساء والأطفالا ؟

وذكر الكاشف أن ما قدمته مصر لاجلنا أثناء الحرب كان سببا من أسباب
انتصارها مع أن هزيمتها كانت أمرا محققا لولا هذه المساعدات ، وهويرى
أن مصر دفعت ثمن استقلالها ، فلماذا تحرم منه ؟ يقول :

يانائلين من الحرب العوان سوى ما كان منتظرا منها ومظنونا ^٢
نجوتم من رزاياها وما لكسبم لا تذكرون رفاقا غيرنا حيننا
مدوا الحد يد لكم في كل مرحلة وذلكوا لكم أطوارها ليننا ^٣
جربتمو مصر في تقييدها زمننا فجربوا مصر في اطلاقها حيننا

وهكذا أصبح الناس في مصر لا يثقون بوعود انجلترا ، فما أعطتهم وعدا
الا عادت بعد ذلك ونقضته ، وتبته الشعراء لهذه المراوغة من قبل
الانجليز ، حتى لقد حذر حافظ ابراهيم سعدا من مخبة خداعهم له ،
وكان سعد زغلول يهتزم السفر الى لندن لمفاوضتهم ، فقال :

لا تقرب التاميز واحذر ماءه ^٤ ميمما بدا لك أنه معسول
الكيد مزوج بأصفي مائه والختل فيه مذوب مصقول ^٥
كم وا رياسعد قبلك مائه قد عاد منه وفي الغوان غليل

ولم يقتصر الشعراء على خوض معترك السياسة ، والتعبير عن آماني الأمة
في الحرية والاستقلال والحكم النيابي ، بل تناول جميع جوانب الحياة في
مصر ، حتى الحياة الاقتصادية وجد تلمها متسعا عند الشعراء ، فطالبوا
بالغاء الامتيازات الأجنبية ، التي منحت للأوروبيين ، فاتخذوها وسيلة
للعدوان ، يقول اسماعيل صبرى :

-
- (١) شعراء الوطنية ص ٢٠٠
 - (٢) شعراء الوطنية ص ٢٤٠ - ٢٤١
 - (٣) يعني بذلك أن المصريين مدوا خطأ حديديا في سيناء لخدمة الحلفاء .
 - (٤) ديوان حافظ ابراهيم ١/ ١١٠ - ١١١
 - (٥) الختل : الخداع والمكر .

ويحهم ما صنعهم أبطر القوم ، فحقوا ما كان من احسان ؟^١
ولماذا تمخض السلم عن حرب لظاها يشوى الوجوه عوان ؟
منح قد بذرت في شرأييد كن مذ كن منبت الكفران

ويقول شوقي من قصيدة له بمناسبة الاحتفال بتأسيس " بنك مصر " دعا
فيها الى الاكتتاب في رأس مال هذا المصرف ، ونوه فيها بفضل المال
في حياة الأمة ونهضتها ، فقال :

قف بالممالك وانظر دولة السنال

وانكر رجلا أذ الوها باجمال^٢

يا طالبا لمالي الملك مجتهدا

خذا من العلم أو خذا من المال

بالعلم والمال يهني الناس ملكهم

لم بين ملك على جهيل واقبال

ويشير حافظ ابراهيم في قصيدة له بعنوان " البورصة " الى المضاربات
التي تجرى فيها ، وحذق اليهود لاكتساب الثروات عن طريقها ، والسوق
الريح والخسارة التي تصيب المشتركين فيها نتيجة ارتفاع الأسعار أو هبوطها
المفاجيء ، مما يسبب الدمار لبعض المضاربين ، ويضطرهم الى الانتحار ،
يقول :

بيابك النحاس والسمود وموقف اليأس والرجاء^٣

وفيك قد حارت اليه سود ياملح السعد والشقاء

.....

مضاربات هي المنايا ورسلمها أحرف البروق

صباح أصحابها الرزايا ومالم دونها غبوق

قد أتلقت أنفوس البرايا بأسهم الخدر والعقوق

(١) ديوان اسماعيل صبرى باشا ص ١٨٣ - ١٨٥ .

(٢) الشوقيات : ١٨٤/١

(٣) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢١٣ - ٢١٥ .

فليحفظ منكم البعير
وليتقوا الله ذو الثراء
فذلك التاجر الشهير
قد ظاف من أجلها البقاء

ويلتفت أحمد محرم إلى الفلاح ، فيجده محروما من ثروة أرضه ، وقليل
تلقفها آلاف المترفين من بين يديه ، وبقي هو محاصرا بالفقر والاملاق ،
زيادة على ما هو فيه من غت وارهاق ، فيقول :

ويلي على فلاح مصر أما كفى
ما ذاق من غت ومن ارهاق^١
يغني ألوف المترفين بماله
ويحيي في فقر وفي املاق
سبحان من شرع السبيل لخلقه
أكذا يكون تفاوت الأرزاق

وعندما أصبح العمال قوة في الحياة الاقتصادية التفت الشعراء اليهم ،
يستنهضون همهم ، ويطالبونهم بالكف من أجل كسب رزقهم ، واعمار الأرض
التي لولا سواعدهم لتحولت إلى قفر ، ويدعونهم أن يمثلوا أجدادهم ،
وما خلدت لهم الأرض من آثار أتقوا صنعها ، طمعا في ثواب الله ثم
الناس ، يقول شوقي :

أيها العمال أفنوا العبد
ر كذا واكتسابا^٢
واعمروا الأرض فـلـولا
سعيكم أمست يابا
أين أمتم من جـدود
خلستوا هذا الترابا
قلدوه الأثر المعجز والفسن العجايبا
وكسبوه أبد الدهر من الفخر ثابا
اتقنوا الصنعة حتى
أغسذوا الخلد اغتصابا
إن للمتقين عند الله والناس ثوابا

وإذا كان شوقي قد نصح العمال بالكف واتقان الصنعة ، فإن أحمد زكي
أبو شادي رأى فيهم أصحاب شرف يننون للناس حياتهم ، ويدين لهم

(١) شعراء الوطنية ص ٢١٢

(٢) الشوقيات ١/٩٠ - ٩٢

المجتمع بوجوده ، فهم يحولون بحرقهم التراب تبرا والفحم نورا ، وهم الذين يزرعون الحقول ، ويقهرون البحار بهأسهم على الرغم مما يقابلونهم من العنت والعناد ، يقول :

أنتم بنو الشرف العظيم بنفعمكم للناس تبنون الوجوه جديدا "١"
التراب أنتم من بعمثتم تسره يختال ما بين الوري معبودا
والأرض أنتم من نشرتم فحمها فأنازل بل أحيا البلاد السودا
والحقل أنتم من خلقتم نبتته فأغاث محروما وردّ شهيدا
والبحر أنتم من قهرتم بأسه ولكم تمرّد عاتيا وعنيدا

ومن الأمور التي استحققت عناية الشعراء والمصلحين مشكلة الفقر ، فقد كان المصريون بين غني ينفق باسراف ويكدس الثروات ، وبين فقير لا يملك قوت يومه ، وكان أكثر أفراد المجتمع من هذه الفئة ، فحث حافظ ابراهيم الأغنياء على البذل والمطاء ، وودع أموال الزكاة لمن يستحقها ، لأنهم لو أنفقوا بعض ما يشترون به الأثاث والرياش ما بقي في مصر معدم أو جانح نحو الشرور والآثام :

وعلمنا أن الزكاة سبيل الله به قبل الصلاة ، قبل الصيام "٢"
خصها الله في الكتاب بذكر فهي ركن الأركان في الاسلام
لو وفق بالزكاة من جمع الدنـ يا وأهوى على اقتناء الحطام
ماشكا الجوع معدم أو تصدى لركوب الشرور والآثام

وعند ما بدأ التفكير في انشاء جامعة وطنية في مصر ، وتكونت لجنة لجمع التبرعات ، كان حافظ ممن تحمسوا لهذه الدعوة ، حتى تقوم الجامعة بدورها في احياء العلم والأدب ، وبناء الرجال الذين سيكونون سبيل أمتهم السبيل المعالي ، قال :

(١) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادي ، المطبعة السلفية بمصر ،

١٩٢٦ م ص ٢١٦ - ٢١٨ .

(٢) ديوان حافظ ابراهيم (١/٢٨٧)

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا ان تنشروا العلم ينشر فيكم العربيا^١
ولا حياة لكم الا بجامعة تكون أما لطلاب العلاء وأبنا
تبنى الرجال وتبني كل شاهدة من المحالي وتبني العز والغلبا

وانا كان حافظ قد دعا الى تأسيس الجامعة ، فان محمد عبد المطلب
هاجم سياسة " دنلوب " " ٢ " التلميمية ورأى أنها سياسة فاسدة ، وكشف
عن هدف الانجليز من افساد التعليم وحرمان المصريين منه ، ووصف
" دنلوب " بأنه داء أبتليت به وزارة المعارف مدة ثلاثين عاما ، مما
جعل العلم في مصر يهبط الى أدنى مستوى ، فقد كان ينفذ سياسة
اللورد " كرومر " التي كانت تهدف الى تخريج أفواج من الموظفين فقط .

فأصبح داء في المعارف قاتلا يسد فيها كل سهم موقوق^٣
فواها على تلك العقول التي ثوت ينقيه في لحد من الجهل ضيق
ثلاثين عاما يسكب النيل حسرة على العلم مع الواله المتشوق
وماورد وامن عذبه غير لا مسع من الآل في بيدائها متريق
ولولا ه كانت مصر بالعلم روضة تلالاً بالأتوار للمتأنق

من هذه النماذج التي سردناها يمكننا القول أن الشعراء كانوا متحمسين
للدفاع عن قضايا أمتهم ، ولا يرون بأسا في الاقتباس من بعض جوانب الحضارة
الغربية ، لكنهم سرعان ما اكتشفوا أن هذه الحضارة ليست نعما كلها ، لأن
منها ما يؤدى الى الانحطاط والتقهر ، خصوصا فيما يتعلق بألوان الترف
والخلاعة^٤ ، وقد هال الشعراء ما رأوا من تخيانات الفساد في الحياة
الاجتماعية ، ذلك أن الغرب أثناء اتصاله بالشرق أدخل معه كثيرا من
الموبقات ، فاندفع وراءها كثيرون ممن لم يدركوا المعنى الحقيقي للحضارة ،

(١) المرجع نفسه ٢٧٢/١ . ينشر فيكم العربيا : أى مجد العرب .

(٢) انجليزى كان يحمل مستشارا في وزارة المعارف المصرية في عهد كرومر .

(٣) ديوان عبد المطلب ص ١٧٣ .

(٤) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، لأنيس الخورى

المقدسي ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٧٧م

راجع البحث الذى كتبه المؤلف بعنوان " في الحملة على المفاسد

الاجتماعية " ص ٢١٦ - ٢٢٣ .

فجر فمهم تيارها حتى عمت مفاصلها ، وقد لمس مصطفى لطفي المنفلوطي هذه الظاهرة ، فكتب مقالا بعنوان " العذنية الخريبة " بين فيه أن المصري لا يقلد الغربي الا في المظهر ، حيث يقول : (يريد المصري أن يقلد الغربي في نشاطه وخفته ، فلا ينشط الا في غدواته وروحاته وقعدته وقومته ، فاذا جدَّ الجد ، وأراد نفسه أن يحمل عملا من الأعمال المحتاجة الى قليل من الصبر والجلد يبّ الملل الى نفسه يريد أن يقلده في رفاهيته ونعمته ، فلا يفهم منها الا أن الأولى التأنث في الحركات ، والثانية الاختلاف الى مواطن الفسق ومخابي الفجور أما شأنه في رذائلها ، فانه أقدر الناس على أخذها كما هي ، فينتحسرها كما ينتحسرها الغربي ، ويلحد كما يلحد ، ويستعثر في الفسوق استعثاره ، ويترسم في الفجور آثاره) (١)

وهذا التيار الفاسد الذي قدم اليها نتيجة الاختلاط بالضرب حاول الشعراء مقاومته والتصدي له ، فتهبوا المجتمع الى مايجره هذا الوباء من خطر على الأمة قد يودي بحياتها ويدفعها الى الدرك الأسفل ، ولا غرابة أن نجد بعض الشعراء قد عدّ هذا العصر عصر ضلالات في قوله :
تظنون هذا العصر عصر هداية وأجد رلوت دعوه عصر ضلالات (٢)

ومن الشعراء من وصف حياة الفساد في الحرب ، وما فيها من مفارقات ، فهناك الغني الذي يحيط نفسه في جو من الرفاهية الزائدة ، والفقير الذي يحيا حياة الحيوان ويستف العلقم ، يقول الدكتور ابراهيم شردى في قصيدة له بعنوان " السماء وجهنم في باريس " :

-
- (١) النظرات ، لمصطفى لطفي المنفلوطي ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ودار الثقافة بيروت - ١٣٢٧/١ - ١٣٦ .
(٢) ديوان الشبيبي ، لمحمد رضا الشبيبي ، القاهرة ١٩٤٠ م ، ص ١١٣ .

ياقائلا صف لي جهنم والسما
أجد الغني مرفها يأوى الس
دور تدوس الخبز في عرصاتها
ومنازل الفقراء شبه زرائب
تلقى بها عن الهوى ومزايلا
وأرى بباريس القني يعيش في
انني بباريس أرى كلتيهما "١"
دور بمثل بهائها لن تحلما
وبريك نور الكهرا الأنجما
يستقبلون بها القضاء المبرما
ومهاولا فاضت وجوا مظلما
خفض ويستف الغفير العلقما

ويشير الدكتور شدي الى جانب آخر من حياة الغربيين ألا وهو
الدين ، فيذكر أن المعابد أصبحت خاوية الا من بعض العجائز اللاتي
جئن يكفون عما ارتكبن من آثام ، وانا مررت على الحانات رأيتها مرتعسا
للفسق يقضي فيها الشباب زهوة عمرهم ، ورأيت بائعات الهوى يسمين
وراء الفاحشة ، ولا يجدن في ذلك أى فضاضة ،

وانا دخلت هنا المعابد لا ترى
وانا العشية زرت حانات الهوى
ورأيت ربّات الخنا يسعين للـ
غير العجائز عابدا متدما
ألفيت للفسق الشبية مغنما
فحشا ومافيهما يرين محرما

هذه هي الصورة التي كانت عليها باريس في نهاية القرن التاسع
عشر ، وهذا هو الجانب الذي عني الغرب بنقله الى الشرق ، فكثرت المفاسد
وعمت ، حتى ان الشعراء اضطروا أن يرفموا عقيرتهم منهيين الى عاقبة
هذه الشرور ، وخطرها على الدين والأخلاق ، فقد شكّا محمد عبد المطلب
غربة الدين في مصر ، وقلة احتفال المسلمين به حتى لانت قناته ، وتضعف
حال أهله ، فأحمل بعد خصب وذلّ بعد عز ، يقول على السان الدين :

بكيّت بواد طابه لك راحم
كأنك دين الله في مصر باكيما
تضعف أهلوه وصوح نبتسه
ولانت لكف الغامزين قناتسه
تراه الى ما ترجيه مجيبا "٢"
وقد صار بين المسلمين غريبا
وأحمل ما قد كان منه خصيبا
وقد كان ممنوع الجناب مهيبا

(١) الثريا ، السنة الرابعة ، الجزء الثامن ، ١٥ يوليو / تموز ١٩٠١

ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٢) ديوان عبد المطلب ، ص ١٩ .

وهاجم محمد رفيق اللهايدي من يتحدون حدود الأخلاق والقيم
بدعوى التجديد ، وأوضح أن مايسمونه تجديدا ليس في حقيقته الا تماينا
في ارتكاب القبائح ، وأن التجدد الصحيح لا يكون الا بالرجوع عن التمرد
الى الهدى ونور الحق ، ففي ديننا مايدعونا الى الرشاد ، يقول من
قصيدة له بعنوان (التجدد الباطل والتجدد الصحيح) :

اذا كان هدم الدين والخلق والحجى
تسمونه يا قوم فينسا تبسدا " ا"
لهمركم انا رضينا جمودنا
دعونا ، وقولوا : جامدون وازهدنا

.....

دعوتى الى ذاك التجدد ليتكلم
يجدد كل عقله المتسردا
ولو أن هاتيك العقول تبصرت
على نور حق ماتستمر أرسدا
اذن كنتوا أدركتم أن ما بكم
جنون تهادى فيكم وتمسدا
تجددنا يا قوم رجعى الى الهدى
نحطم من صخور الضلالة جلمدا
نمض على آي الكتاب بناجدا
وما ضرنا أنا نحض طس الهدى
لنا ديننا يا قوم يدعوا الى الحللى
فما بالكم تمشون يا قوم للردى

ويرى ابن دواحة في قصيدة له بعنوان : " أعوان الضلالة " أن الداعين
الى التجدد والتحديث لا يرمون من وراء دعوتهم هذه الا افساد الشباب الغض
وارهاقه بمبادئ الحضارة ، وأن هجومهم على القديم لا يقصد به الا هدم

الدين ، حتى يفسحوا الطريق للمحرمات كي تنتشر ، ولن يتم لهم ذلك الا اذا نزعوا الدين من الصدور ، يقول :

اني لأطمع أن أكو
الفاسد من المفسدين على الشباب الغض حاله
يدعونه للنكر في
قول تنمته الجهالة
باسم الحديث ، وما الحدي
ث وما القديم سوى هلاله
هم يتفنون حرام هذا العيش
صرفنا لا حلاله
ويرون هذا الدين مخزبهم
لذا طلبسوا زواله
وتقاسموا نفت السمو
م بكر آونة مقالسه
اني لأرجو أن يذلهم
المهين ذو الجلاله
يرميهم بالحق بيد
مخيم ويهتك ما حلاله

وحذر جبران يوسف من مغبة منادمة أراذل الناس وأندالهم ، ودعا الى هجر أحاديثهم حتى لو كانت تقطر عسلا ، لأن السقوط في هاوية الرذيلة يكمن في تعدد طرق الاغراء التي يتمنونها ، ويرى أن المصاف والفضيلة هما خير سياج يحيط بهما الانسان نفسه ، والا فانه سيكون ريشة في مهب الريح ، يقول من قصيدة له بعنوان (العفاف سياج الصمران) :

دع عنك حب منادم الأندال
وما هجر سماع حديثهم حتى ولو
ومزخرف الألفاظ دعه لشأنه
يأتي بسامعه وهاد رذيلة
فطرائق الاغراء عد وافسر
فاكح جماع رذيلة بفضيلة
وملامم لجماعة الارذال
عذبا يسيل برقة الجربال
أني حكى في فيه ضر مقال
وهناك يرميه بأسوأ حال
متباين الأنواع والأشكال
تدعي العفاف عروسة الأميال

(١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٣٠ ، ١٠ يناير / كانون ثاني ١٩٢٩ م (ص ٩

(٢) الهلال ، السنة الثالثة ، الجزء الحادي عشر ، فبراير / شباط ١٩٢٥ م

وهاهو حسن القاياتي يرى أن العصر الذي يمحش فيه قد عمسه الكذب ، وجانبه الصواب والمنطق ، فقد خرج أكثر الشباب عن جماعة الصواب ، فأصبحوا مزهوين بأنفسهم ، يقضون أوقاتهم في اللهو ، وهو يشكو عصره لأن أعف نساكه ذئاب ، وهو يشكو ضياع الحسن الذي كانت له قداسته في النفوس ، فأصبح نهبا مشاعا ، بعد أن تهرجت النساء ، وأصبحن يتصددين بجمالهن للناس ، كي يقصوا في الفتنة والفواية ، يقول :

شمائل كلها كذاب	ومنطق خصمه الصواب "١"
من يخبأ العصر من خلال	كما طوى الجيفة التراب
سما شباب، أجل ، ولكن	شد ما عويد الشباب
تألق اللهم في وجوه	كما تصدى لك السراب
وهز عطف الشباب زهو	كان أخاذه شراب
شكائنا أن يسود عهد	أعف نساكه الذئاب
تبرج الحسن وهو قدس	وصد للخبي وهو عاب
علام والشهد ليس فينسا	يشيع في جونس الذباب

كذلك من الشرور التي لاحظها الشعراء ونددوا بها ، عيد شمّ النسيم ، وما يحدث فيه من أعمال ذميمة منافية للدين والخلق ، وكان هذا العيد قد اتخذ مناسبة للقضاء على البقية الباقية من الفضيلة ، حيث يخلع بعض الناس فيه ثوب الحياء ، ويأتون الفسق والمنكر نهارا جهارا ، حتى أصبح لا ينفع معهم نصيح ، يقول محمد صادق عرنوس :

وبعد فقد أتى شمّ النسيم	معيدا خطة العهد القديم "٢"
أتى بأحط أنواع المخازي	وأثراهنّ بالعمل الذميم
وأقسم ما أتى الا ليقتضي	على الآداب والخلق الكريم

(١) الفتح ، العدد (٢٧) ، ٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ص ٩
(٢) الفتح ، السنة الرابعة ، العدد ١٩٦ ، ٢٤ أبريل / نيسان ١٩٣٠ م
ص ١

يشدّ على الفضيلة أين حلت
ورثنا عادة فيما ورثنا
ففاسقة وفاسق استباحا
وراحا يأتيان الفسق جهرا
لقد ذهب نصائحنا هباء
ويطمح كل نصيح في الصميم
بلا تذمر ولا فهم سليم
مخالفة الصراط المستقيم
بوجه لم يقدر من الأديم
فمن للقوم بالروح المقيم

وبه عزوس الى أهمية الوقت في حياة الانسان ، والى ضرورة الاستفادة منه ، وعدم تضييعه بما لا يعود على المرء بالنفع ، فان نقد الرجال الذين يقضون أوقاتهم مرابطين على المقاهي وسألهم : الى متى تظلون هكذا لا تقدرن للزمن قيمة ، ولا تستفيدون من أعماركم ؟ هل أدبتم كل ما عليكم من واجبات ؟ ألا تطمح نفوسكم الى المعالي ؟ ألا ترون الأطماع المحدقة بنا حتى أصبحنا كالشياه بين الأسود ؟ هل قضيتم ما عليكم من حقوق الله والناس ؟ هل راقبتم أبنائكم حتى لا يضلوا ؟ وهل أتقنتم العلوم وطالعتكم كل جديد فيها ؟ اذا قمتم بكل ذلك وأدبتم ما عليكم فاعكفوا على ملاحيتكم ؟ ولكن أشفق عليكم من فعالكم هذه ، وليس عندي الا زفرات حرى أطلقها شفقة عليكم ، يقول :

الومّ ترود أندية المقاهي
أوقتك من صفار الشأن حتى
أمالك دافع نحو المعالي
وحتام التسكع في المقاهي ؟
غدوت بقطعه هدارا تهاهي ؟
أمالك للهدى أي اتجاه ؟

.....

ألست ترى بعينك كيف صرفنا
قضيت حقوقك الأخرى جميعا
وخفت على عيالك أن يضلوا
وبيتك صنته من كل رجس
قطعت الى العلوم مدى بعيدا
نعم أدبتم طوعا كل هذا
اذا رادوت لك الآهات راء
بمأسدة المطامع كالشياه ؟
حقوق الناس أو حق الله ؟
فلست عن استقامتهم بساهي
فركن الخلق فيه غير واهي
تطالعها بفحص وانتباه
اذن فاعكف على تلك الملاهي
فأه من فعالك ثم آه

وكان الانتحار من الأمراض الاجتماعية التي تسلكت الى الشرق ، فقد
يقدم بعض الناس على الانتحار ، اذا ما فشلوا في تحقيق غاياتهم ، وقد نجى
ذلك عن ضعف العقيدة في النفوس وعن انتشار الجشع بين بعض الأفراد ،
يحدثنا محمد صادق عرنوس عن طالب انتحر اثر رسوبه في الامتحان خشية
أن يلحق به العار ، ويرى الشاعر أن الانتحار هووب ما كتب الله ، وليس
هذا شأن الطالب وحده "١" ، بل ان بعض من سددت في وجوههم سبيل
الرزق يقدمون على الانتحار تخلصا مما هم فيه من ضيق ،

رسب التلميذ يوما فتولاه اندحسار "٢"
ورأى أن رسوبا يلحق التلميذ عار
فاهتسى المسكين سما أو تخطسياه قطار

ومع الانتحار أو قبله تسلل القطار ، حتى اننا نجد بعض الشعراء
قد حذر من مغبة الاقدام عليه في نهاية القرن التاسع عشر ، فيها هو أنطون
داود البستاني يدعو الى الحذر من الوقوع في شرك المقامرین الذين نزلوا مصر
واتخذوه وسيلة لسلب الأموال ،

فكم من خاسر في اللعب أسى بعيد الحز في وادي الشنار "٣"
وكم صفر اليدین غدا وأضحى يحض يمينه قبل اليسار

-
- (١) انظر كتاب النظرات ، لمصطفى لطفي المنفلوطي ص ١٥٥ - ١٥٢ ،
حيث كتب مقالة بعنوان " الانتحار " نصح فيها على الأرباب
والمدرسين لعدم تربية أبنائهم تربية دينية وأدبية تضمنهم من احتقار
الحياة وافهامهم أن العلم صفة من صفات الكمال ، وليس سلعة من
سلع التجارة ، ورأى أن السبب يعود الى أن الطلاب يرون في
الشهادة وسيلة من وسائل العيش جريا على القاعدة الفاسدة التي
تقول : " ان الشهادة بلا علم خير من العلم بلا شهادة " .
- (٢) الفتح ، السنة الثانية ، العدد ١٥٢ ، ٢٠٤ يوليو / تموز
١٩٢٩ م ص ٤ .
- (٣) الثريا ، السنة الثالثة ، الجزء الثاني ، ١ سبتمبر / أيلول
١٨٩٨ م ص ٥١ .

ويصف عرنوس ما أصاب بعض الشباب من جراء تعلقهم "بالكوكابين"
وكيف تحولت أجسامهم من بعد الفضارة خطاما ، وكيف ذلت نفوسهم بعد
أن كانت عزيزة ، يدون أيديهم الى غيرهم طلبا للاستجداء أو يختلسون
المال أحيانا أخرى ، ويتساءل الشاعر ، على من تقع مسئولية هذه الضحايا؟
ونفس ذل صاحبها فذللت وصارت لا ترى في الهون هونا "١"
تد يد الاستجداء حينما وتختلس الذي حرته حينما
وأى كرامة بقيت لديهنما تميز بها المشرف المشينما
إذا انحصرت أمانها جميعا بوافدة تسمى "الكوكينا"

.....

من المسئول عن تلك الضحايا جريرتها علينا أجمعينا

هكذا تغنى الشعراء بأحاسيس الأمة وآمالها وصبروا عن الأمها ،
وظهرت في شعرهم نزعة الى الاصلاح الاجتماعي ، وإلى انقاذ مصر من
كل تدهور سياسي أو ثقافي أو خلقي ، فاستطاعوا أن يحافظوا على تقاليد
الشعر القديمة في الوزن والقافية من جهة ، وصبروا عن عواطف الجمهور ،
ومشاعره من جهة ثانية .

وهكذا زواج جيل حافظ وشوقي بين القديم والحديث ، فأخذوا من
القديم صياغته وأوزانه ، ومن الحديث موضوعاته ومخانيبه ، فأعادوا للشعر
نضارته ، بعد أن كان يجف عوده ، ولم يكتف شوقي بذلك بل أبدع فنا
جديدا من الشعر لم يكن محروفا في الأدب العربي ، ونقصد به الشعر
التمثيلي ، وقد حاول شوقي أن يخوض هذا الميدان في فترة مبكرة من
حياته ، ولكن انتاجه المسرحي ظهر في آخر فترة من حياته ، فاجتمعت
في فن شوقي آثار دراسته العربية ودراسته الغربية الفرنسية "٢" ، ولم تقتصر

(١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٥ ، ٢٥ ابريل / نيسان

١٩٢٩ م ص ٤٠

(٢) الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث ، لمحمود حامد شوكت ،
مطبعة عابدين ، الناشر دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ١٩٢٠ م

ص ٦٨ - ٦٩ .

محاولات التجديد في الشعر العربي على محاولات شوقي ، فقد قام خليل مطران الذي يعد من جيل شوقي وحافظ بمحاولات أخرى للتجديد ، حيث دعا الشعراء الى الاهتمام بوحدة القصيدة ، واتجه في اتجاهه النفسي الشعر القصصي ، ومن ذلك قصيدته " الجنين الشهيد " (١) ، و " فتاة الجبل الأسود " (٢) ، و " حكاية عاشقين " (٣) ، و " نبرون " (٤) .

وأعقب جيل شوقي وحافظ ومطران جيل آخر من الشعراء درس الأدب الانجليزي والآداب الغربية دراسة عميقة من أمثال العقاد والمازني وشكري ، وقد رأوا أن شعراء النهضة وعلى رأسهم شوقي وحافظ لا يبسطون شعرهم على حياتهم النفسية وحياة الكون من حولهم ، بل انهم يبسطونه ويمدونه على الحياة العامة ، ولما يقفون عند الحياة الانسانية في عواطفها ودوافعها وظواهرها وبواطنها ، ثم انهم يباليون في التقيد بصورة الشعر العربي القديم في صياغته وأوزانه . (٥)

أما هم فقد جعلوا من الشعر وسيلة للتعبير عن النفس لا بمعناها الخاص ، ولكن بمعناها الانساني العام ، وما تضررب به من ألم ولذة وخير وشر ، وهجروا عن الطبيعة وخصائصها وأسرارها المبهوثة فيها ، فليس الشعر عندهم تسجيلا لحوادث الأمة حسب وقوعها ، وانما هو تصوير لعواطف انسانية تزدهم بها نفس الشاعر ، فكانوا في نثرتهم هذه الى الشعر متأثرين بالشعر الفنائي الانجليزي ، وكان ديوان عهد الرحمن شكري " ضوء الفجر " أول محاولة لهذه المدرسة ، لكن شعر هذا الديوان اصطبغ بروح التشاؤم وسيطرة النزعة الذاتية ، وفيه جدد شكري في القوافي ، ثم أصدر المازني الجزء الأول من ديوانه وتبعه العقاد .

-
- (١) ديوان خليل ١/٢٢٣ - ٢٤٥ .
 - (٢) المرجع نفسه ١/١٧٩ - ١٨٣ .
 - (٣) المرجع نفسه ١/١٨٤ - ١٩٢ .
 - (٤) المرجع نفسه ٣/٥٠ - ٧٣ .
 - (٥) الأدب العربي المعاصر في مصر ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٦ م ، ص ٥٨ .

وحتى تتضح أسس المذهب الجديد ، أصدر العقاد والمازني كتابهما " الديوان في النقد والأدب " ، وفيه كشف عن العيوب التي وقع فيها شعراء الجيل الماضي وكتابه ، ووصفا مهمتهما بأنها : ((اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، وأقرب ما يميز به مذهبننا ، أنه مذهب انساني مصرى عربي ، انساني لأنه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة ، ومصرى لأن دعائه مصريون ، تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربي لأن لفته العربية . . . وقد مضى التاريخ بسورة لا تتبدل ، وقضى أن تحطم كل عقيدة أصناما عبت قبلها)) " (١)

ولأن المازني نقد شكوى في هذا الديوان تفرقت الجماعة وانفـسـرط عقدها ، فهجر المازني الشعر الى الصحافة والسياسة ، وترك شكوى نظم الشعر الا في حالات نادرة ، وظل العقاد وحده يستلهم في شعره مبادئ مدرسة الديوان . " (٢)

على أن شعراء الديوان الذين عابوا شعراء النهضة لاهتمامهم بتسجيل الأحداث السياسية والاجتماعية قد اضطروا في بعض الأحيان أن يسلكوا سبيلهم ، وهذا يعني أنهم تناولوا قضايا مجتمعيهم ، وهجروا عن الروح العامة في عصرهم ، ومن الملاحظ أنهم عنوا بالمعنى والفكرة عناية فائقة ، ولم يهتموا باللفظ المونق والأسلوب الرائق ، وقليل منهم من جمع الى جدة المعنى رشاقة اللفظ وحلاوة الموسيقى . " (٣)

-
- (١) الديوان في الأدب والنقد ، لعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني ، الطبعة الثالثة ص ٤٠ .
 - (٢) الشعر العربي المعاصر تطور وأعلامه لأنور الجندى ص ٢٤٤ .
 - (٣) في الأدب الحديث ، لعمر الدسوقي ٢٤٩/٢ .

ولأنكاد نضحي في العقد الثالث من القرن العشرين حتى تظهر مجموعة جديدة من الشعراء حاولت أن تميز عن نفسها مستوحية النماذج الشعرية التي أبدعها جيل حافظ وشوقي وشعراء مدرسة الديوان ، التي نموذج ثالث جاءهم عن شعراء المهجر الذين تأثروا برومانسية الغرب ، فأكثرنا من ذكر الطبيعة والحنين إلى الوطن والتأمل الواسع للحياة وما فيها من الآم .^١

وقد أحدثت هذه النماذج وما رافقها من الاطلاع الواسع على الآداب الغربية نزعات شتى لديهم ، ومن هؤلاء أحمد زكي أبوشادي ، وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي وحسن كامل الصيرفي وغيرهم ، وحاول أبوشادي عام ١٩٣٢ م تأسيس جمعية أدبية ، فدعا الشعراء التي تأسيس رابطة أدبية توحد جهودهم ، وتكون وسيلة للتفاهم فيما بينهم ولتقريب آرائهم بعضها من بعض وتبادل الخواطر والترغبات الإصلاحية ، دون أن يضحوا في سبيلها بمذاهبهم الخاصة .^٢

واقترح أبوشادي في دستور الجمعية أن يطلق عليها اسم " جمعية أبولو " وأبان بأن الجمعية تسعى إلى تحقيق أغراض عدة ، هي : ((السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهها شريفاً ، وترقية مستوى الشعراء أدبياً ومادياً واجتماعياً ، والدفاع عن صوالحهم وكرامتهم ، ومناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر))^٣

وأسندت رئاسة الجمعية إلى شوقي ، ولكنه سرعان ما توفي ، فأسندت الرئاسة إلى خليل مطران ، ويلاحظ على أعضاء هذه الجمعية أنهم لا ينتمون إلى مذهب أدبي بعينه على العكس من جماعة الديوان ، الذين حاولوا في إنتاجهم الأدبي أن يحققوا أهداف مدرستهم ، ففي جمعية أبولو شعراء

-
- (١) الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف ص ٧١ .
 - (٢) أبولو ، العدد الأول / سبتمبر / أيلول ١٩٣٢ ص ٤٥ .
 - (٣) أبولو ، العدد الأول ، سبتمبر / أيلول ١٩٣٢ ص ٤٦ .

من عصر النهضة مثل شوقي ومحمود وخلييل مطران ، وفيها شعراء ناشئون ، وهو لا يحاولوا في شعرهم أن يعبروا عن أنفسهم ومجتمعهم وعن القيم الجديدة التي طرأت أو تأصلت قبل ذلك بقليل .

والواقع أن الجيل الأول من الشعراء الذي يمثلته حافظ وشوقي أو الجيل الثاني الذي يمثلته شكري والحقاني والمازني ، أو الجيل الثالث الذي يمثلته أبوشادي وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي والصيرفي وغيرهم ، أو شعراء المهجر الذين يمثلهم ايليا أبو ماضي ، هؤلاء جميعا لم ينفصلوا عن مجتمعهم ، ولم يكونوا بمنزل عن أحداثه ، إلا أنهم اختلفوا في تصوير مدى هذه الأحداث ، فصورها بعضهم من خلال رومانسية مفرقة فسي الفردية وصورها آخرون بأسلوب واقعي .

ومن خلال دراستنا للتطور الذي لحق بالشعر الحديث في مصر نستطيع القول أن النثر كان أسبق تناولا من الشعر لقضايا المرأة ، فاذا كان النثر قد تناولها منذ اللحظة الفرنسية مثلا بما كتبه الجبرتي ، فإن الشعر تأخر عنه كثيرا ، ولم يدخل الشعر في هذا العيدان إلا في نهاية القرن التاسع عشر .

على أننا استعرضنا المراحل التي مرّ بها الشعر في مصر ، حتى لا نبدأ دراسة الشعر الذي عالج قضايا المرأة دفعة واحدة ، وحتى لا يتصور القارئ أن الشعر الذي سنتناوله بالدراسة قد يكون منفصلا عن غيره من الأغراض التي وجدت ، ولا نريد أن نتسرع ، فنصدر أحكاما جاهزة ، وإنما يمكننا القول أن الشعر الذي سندرسه يمكن أن يندرج تحت غرض من أغراض الشعر يمكن أن نسميه " الشعر الاجتماعي " ، على أننا ننبه منذ الآن أننا قد لا نجد كثيرا من هذا الشعر مفردا في قصائد مستقلة ، وإنما يمكن أن يكون موقف الشاعر من هذه القضايا متناثرا في زوايا قصائد كثيرة ، قد يكون بعضها غزلا وبعضها الآخر رثاء أو وصفا أو مديحا وربما يكون كثير من هذا الشعر شعر مناسبات خاصة أو عامة .

وعلىنا أن نتذكر أن قضايا المرأة لم تظهر في أفق الحياة الاجتماعية في مصر مجتمعة طيلة الفترة التي عرضنا فيها لتطور الشعر ، فهناك بعض القضايا التي أثرت في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل قضية الحجاب وتعليم المرأة ، وهناك قضايا أخرى لفتت انتباه الشعراء بعد الحرب العالمية الأولى مثل قضية مشاركة المرأة في الحياة السياسية ، ولهذا سنحاول أن نتناول هذه القضايا من خلال الشعر حسب ظهورها .

الباب الثاني

مواقف الشعراء المحدثين في مصر
من قضايا المرأة

- الفصل الأول : قضية الحجاب والسفور
- الفصل الثاني : قضية تعليم المرأة
- الفصل الثالث : قضية عمل المرأة
- الفصل الرابع : قضية العلاقات الزوجية
- الفصل الخامس : القيمة الانسانية للمرأة عند الشعراء المحدثين
في مصر .

الفصل الأول

قضية الحجاب والسفسفور

١

عرضنا في الباب الأول الوضع الذي كانت عليه المرأة في مصر منذ أواخر العصر العثماني ، ورأينا أن نظام " الحريم " " ١ " لم يكن وكبرا للشهوات كما صوره بعض الأوروبيين ، وإنما هو نظام أساسه الصيانة الدقيقة للمرأة ورعاية مصالحها وحاجاتها ، وعدم السماح للرجال أن يختلطوا بالنساء ، وذلك كان شرف الأزواج في الشرق مصونا من الميث ، فلم يتمرض شرف المرأة في ظل هذا النظام للاستهتان ، ولم يكن بإمكان المرأة أن تعيش في ظله خليعة لرجل غير زوجها . " ٢ "

وعلى الرغم من اعتراف علماء الحملة بأهمية الفصل بين الرجال والنساء في الحفاظ على الأخلاق وصيانة الأعراض ، وأما في تمسك المصريين بأخلاقهم واعتمادها على الدين مشكلة تواجههم ، وتحرق محاولاتهم الرامية للاستيلاء على الشرق ، فأرادوا أن يحلوا " العوض " محل النظام الاجتماعي السني يراعي الروح الدينية " ٣ " ، وحاولوا بكل سهيل اتهام المصريين بأنهم لن يتقدموا مالم يتخلصوا من سيطرة الدين ، فأناشأوا لهم المسارح ، وشجعوا

(١) الحريم : اسم يطلق على مساكن النساء ، وكان من عادة الأتراك أن يقيموا في منازلهم قسما منفصلا للنساء عن القسم الذي يسكنه الرجال ، وذكر كلوت بك أن كلمة " الحريم " مستحقة في المعنى الذي يؤخذ من لفظ السراي أو القصر ، وأن المسلمين يطلقون كلمة الحرم ليس على المسكن فقط ، بل على النساء اللواتي يقطنه كذلك ، ويحتوي الحرم على ديوان تجتمع فيه النساء وغرف استقبال وحجرة لكل امرأة ، وليس فيه ما يبعد خارجا عن القواعد . راجع كتاب لمحمة عامة الى مصر ١/٦١٥

(٢) لمحمة عامة الى مصر ١/٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٣) وصف مصر ١/١٠٥ - ١٠٧ .

المرأة على دخولها ، كما دعوا الى سفورها ، وعندما سافر أعضاء البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا وخلقاه الى فرنسا ، عاد هؤلاء متأثرين بنمط الحياة الفرنسية ، بل حاول بعضهم أن يتبنى بعض هذه القيم ، فمثلا وصف رفاعة الطهطاوي السفور والاختلاط في المجتمع الفرنسي ، وحين أنه لا علاقة لهما بالعفة وعدمها ، وحاول الخديوي اسماعيل أن يجعل مصر قطعة من أوروبا ، ففتحها على مصراعها للأجانب ، وأدخل عادة الليالي الراقصة ، وشجع قيام مدارس الرساليات الأجنبية ، بما كان يمنحها من هبات مالية وأراض ، وانتشرت المجلات والجرائد في مصر ، وكان أكثرها بأيدي النصارى ، هذا الى ظهور فئسة من المفكرين شفقت حيا بنمط الحضارة الغربية ، مما جعلها تدعو الى إعادة النظر في القيم الموروثة ، ومنها الحجاب الذي دعا بعض المفكرين الى التخلص منه ، لأنه حسب ادعائهم عادة وفدت الى مصر ، ولأن الحجاب المعروف في عصرهم لا ينطبق على ما جاءت به الشريعة الاسلامية ، لأن الشريعة أباحت للمرأة على حد زعمهم أن تظهر بعض أعضاء جسمها للأجنبي ، وأنها وكلت تعيين هذه الأعضاء للعادة. ^١

وهكذا بدأت مدارس الرساليات الأجنبية والمجلات والصحف التي في أيدي النصارى تركز على هذه الأمور ، ولكنها لم تستطع أن تقنع الا عددا قليلا من النساء غير المسلمات في مصر بالتخلص من الحجاب ، وظل الأمر كذلك حتى انهى قاسم لموضوع الحجاب ، وهذه دورا من الأدوار التاريخية التي تلاشت طوعا لمقتضيات الاجتماع وجريا على سنة التقدم. ^٢

وهذا يعني أن قضية الحجاب بدأت تترشح في المجتمع المصري منذ دخول نابليون الى مصر ، وظل المفكرون مشغولين بها منذ ذلك العهد ، وتجاوز الاهتمام بهذه القضية كل حد بعد أن طرحها قاسم أمين على

(١) الأعمال الكاملة ، للإمام محمد عبده ١٠٧/٢ - ١١٥ .

(٢) تحرير المرأة ، لقاسم أمين ص ٦٧ .

بساط البحث ، وأراد أن يتخذ من الدين وسيلة لتبرير آرائه ، فألّف بعضهم الكتب في الرد عليه ، وكتب آخرون مقالات في المجلات والصحف ، وخطبت جماعة ثالثة ، وكان المؤيدون للحجاب في البداية كثيرين كثرة مفرطة ، لكن أنصار السفور بدأوا يكثرون شيئاً فشيئاً ، خصوصاً عندما شاعت أساليب الحضارة الغربية في مصر ، وتسلّم بعض المتأثرين بها مقاليد الأمور بمساعدة الانجليز .

وعلى الرغم من كل ما حدث بقي الشعراء بميدان عن الميدان ، ولم يشترك سلاح الشعر في هذه المعركة الا بعد أن استقر قاسم أمين معاصريه بما طرح عليهم من آراء جديدة لم ترق أكثرهم ، ويهود ذلك الى الظروف التي أحاطت بنبهضة الشعر .

وقبل أن نبدأ بدراسة الشعر الذي واكب قضية الحجاب والسفور ، نقول : ان المقصود بالحجاب عند أكثر من دافعوا عنه وتشبثوا به ، أنه ستر العورة وستر الوجه من المرأة أمام الرجل الأجنبي عنها وملازمتها البيت الا لحاجة .^(١)

ولكن يجب أن ننبه منذ الآن أن الشعراء المؤيدين للحجاب لم يلتزموا جميعاً بهذا المفهوم في شعرهم .

(١) الحقائق ، الجزء التاسع ، دمشق ربيع الثاني ، ١٩٢٩ م ص ٣٢١ . وقد تنبى محمد طلعت حرب هذا الرأي ، فالحجاب عنده : هو اقامة المرأة في بيتها وعدم مهارحته الا للضرورة وستر المرأة بدنّها بأكمله الا عند الضرورة وأمن الفتنة ، راجع تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ص ٦٧ - ٧٧ . ورأى محمد فريد وجدي أن الحجاب ضرورة للنساء لأنه يجبر المرأة على عدم تخطي دائرة وظيفتها الطبيعية ، والحجاب عنده ضرورة للمرأة لا لأنه لا يثق بها ، بل لأنه يحافظ عليها ، والحجاب عنده يعني ستر الوجه وبقاء المرأة في البيت ، حتى تتمكن من القيام بوظيفتي الأمومة والزوجية ، وهو يفرض خروج المرأة الى العمل . انظر كتاب المرأة المسلمة لمحمد فريد وجدي ص ٢٠٠ . وانظر دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدي ، دار المعرفة بيروت ١٩٧١ م ٢٣٧/٣ - ٢٤٧ .

والشيء الآخر الذي يحسن بنا أن ننبه إليه ، أن هؤلاء الشعراء لم يدافعوا عن الحجاب في شعرهم إلا بعد أن شعروا بالخطر الذي يتهدد هذه العادة ، بانتشار السفور بين النساء ،

- ٢ -

ومن المرجح أن عائشة التيمورية كانت من أوائل الشعراء الذين نظموا في الحجاب ، فقد ردت على مزاعم القائلين بأن الحجاب يعسوق المرأة عن الخوض في مسائل العلم والأدب ، ورأت أن الحجاب وحده لا يكفي للحفاظ على الفتاة ، بل لابد إلى جانبه من العفاف ، تقول :

بيد العفاف أصون عزّ حجابي ويحصني أسمو على أترابي "١"
وفكرة وقادة وقريحة نقادة قد كملت آدابي
ولقد نظمت الشعر شيعة معشر قبلي ذوات الخدر والأحساب

.....

"بنية المهدي" ، "وليلي" قد وتي وفتلتني أعطيت فصل خطابي "٢"
لله درّ كواعب منوالهسا نسج العلا لعوانس وكعاب
وخصمت بالدرّ الثمين وحاميت الخنساء " في صخر وجوب صعب
فجعلت مرآتي جبين دقاتي وجعلت من نقش المداد خضاب

-
- (١) حلية الطراز (ديوان عائشة التيمورية) ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .
(٢) بنية المهدي : وهي عليّة بنت المهدي بن المنصور ١٦٠ هـ -
٢١٠ هـ أخت هارون الرشيد ، أديبة شاعرة ، من أجمل النساء
وأكملهن عقلا وفضلا ، وهي الملقبة بالعباسة . انظر الأعلام
لخير الدين الزركلي ط ٣ ، ١٨٩/٥ .
ليلي الأخيلية : من بني عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة ، وفدت على
الحجاج وكان يكرمها ، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير
توفيت عام ٨٠ هـ ، انظر الأعلام للزركلي ١١٦/٦ .

لم يحل الحجاب بين الشاعرة ونظم الشعر على عادة ربّات الخدور، اللواتي اتخذن منه وسيلة للتعبير عن أنفسهن، فقد تمثلت بابنة المهدي وليلى الأخيلية والخنساء أخت صخر، وكأنها بذلك تدعو نساء عصرها أن يتمثلن بهؤلاء الشاعرات وأن يتخذنهن قدوة، وتفخر عائشة على بنات جنسها باتقانها الشعر، لأنهن اتخذن المرأة وسيلة للزينة، واتخذت هي من دفاترها مرآة لها، وتغضبت بالمداد عوضاً عن الحناء، وقلدت بنات جنسها بأديها فضلاً يتعنين مثله، وجعل منها أديها زهرة يعبق أريجها على عقول محاصريها، ولم يمتصها مكوئها في خدرها وسدل خمارها على وجهها من القيام بواجبها نحو أسرتها :

منطقت ربّات البها بمناطسق يفهطنها في حضرتي وغيايبي

ويبدو أن أحمد محرم كان من أشد المعارضين لدعوة قاسم إلى سفور المرأة، وكان موقفه صريحاً، وكان جريئاً في تعاطفه قاسم، فيما دعا إليه من الثورة على الحجاب، فقد كان يرى أن دعوته ستؤدي إلى فساد المجتمع، ولذلك عدّ كتابه مصيبة كبرى تصيب الأمة في كرامتها وعزتها وحيشا آخر ينضم إلى جيوش الأعداء في حربها وتقويض أركانها، فخطابه بقوله :

أقاسم لا تقذف بجيشك تبتخي	بقومك والإسلام ما الله عالم "١"
لنا من بناه الأولين بقيسة	تلون بها أعراضنا والمحارم
أسائل نفسي ان دلفت تريدها	أأنت من البانين أم أنت هادم ؟
ولولا اللواتي أنت تبكي مصابها	لما قام للأخلاق في مصر قائم
نهذت الينا بالكتاب كأنسنا	صحائفه مما حملن ملاحم
ففي كل سطر منه حتف مفاجي	وفي كل حرف منه جيش مهاجم
حنانك ان الأمر قد جاوز المدى	ولم يبق في الدنيا لقومك راحم
أحاطت بنا الأسد المفيرة جهرة	ودبت الينا في الظلام الأراقم
وأبرح مايجني المدو اذا رمى	كأهون مايجني الصديق المسالم

(١) ديوان محرم، الجزء الثاني، مطبعة الفتوح بدمنهور، ١٣٣٨ - ١٩٢٠ م
الطبعة الأولى ٦٣/٢ - ٦٥ .

فمحم يرى أن كتاب قاسم أخطر على الأمة من جيش يهاجمها ، وأن
رائحة الموت تظهر في كل سطر ، بل في كل كلمة من كلماته ، ويرجو قاسم
أن يكون رفيقا بأمته ، وألا يكون عوناً للعدو عليها ، فقد أشغنتها جراح
الغزو ، وأحاطت بها الحيات من كل جانب ، ثم اتجه الشاعر بمد ذلك
إلى المرأة راجيا إياها ألا تفتخر بما يدعوها قاسم إليه ، ويحذرهما من مغيبة
ترك البيت ، وينصحها ألا تضيق ذرعا بالحجاب ، لأنه علامة فضل ،
فقال :

أغررك يا أسماء ما ظن قاسم أقبحي وراء الخدر فالمرء واهم
ذكرتك اني ان تجلت غيابتي على ما فعل من ذكرك اليوم نادى
تضيقين ذرعا بالحجاب ، وما به سوى ما جئت تلك الروى والمزاعم
سلام على الأخلاق في الشرق كله انما استبيحت في الخدر والكرائم

ولقد ظل محرم على موقفه ، لم يتراجع حتى في تأبينه لقاسم ، لأنفسه
في هذا التأبين ذكر دعوته إلى السفور التي حمدها الجهال وعدّها خطية
سوء ، لأن الطبيعة الانسانية لا تقوى على كبح جماعها ، ولو كان هناك
شعب من الملائكة لجاز أن تقبل هذه الدعوة من غير أن يعترض أحد طريقها ،
ولكان قاسم مصيبا فيما دعا إليه ، لكنه على الرغم من ذلك نفى عنه سوء النية ،
واكتفى بتخطئته ، يقول :

ان رأى رأى لم تنكس عزيزتسيه

خوف الملام ولم يقصد به اللبس "أ"

رضى الحجاب ، فلولا الله يمسه

لانشق أوطسار أوغرت به العميد

لتلك خطة سوء لستأحمد هـ

منه وان رضى الجهال أو عميدوا

كيف السلامة والأخلاق واهيسته

والجهل منتشر والشمر متقصد ؟

فلا تمذلاها في قناع مهلمسسل
ينم على الخدين غير أميسين^١
فما هلملته باطلا ان تحتسسه
قناعا من الصبغات جد متيسن
بني مصر أوليك نصيحة مخلص
أمين من النضاح فيسر خنسون
حذار حذار أن تصان طبواكسم
بكل مظهر الدر ضوء جبين
حذار حذار أن تصان ظهساوكم
فيرتد ذاك الحسن غير مصنون

.....
أما ماساءكم أن تصروا خصر عاتق
نسيية قوم في ذراع هجين^٢
غدت لاغدت والعرض كالماء طاهر
سمن وراحت وهو غير شميسن
أفي كل يوم "بالجزيرة" طمسب
تلاقي به الأمراض كل مهين

.....
هناك رأيت الخسر في صف غيدكسم
وان كنّ قد أردن كمل قريين
ألا فاخزنوا الدرّ البديد يسركسم
فلم أر قط الدرّ غير غزوين^٣
.....

-
- (١) ديوان حسن القاياتي ، مطبعة كردستان العلمية بمصر ، ١٣٢٨ هـ -
١٩١٠ م ، ٥/١ - ١٢ . مهلمل : دقيق .
(٢) هجين : لثيم .
(٣) البديد : المتفرق .

جد يربكم أن تتبهاوا الدين انسه
قمين بمسح السدا^١ أي قمين
لكم دين فصح قد مدت به يسدا
قضيت بهذا النصح كل ديوني

وأيضاً كان محمد عبد المطلب من أشد الشعراء حرصاً على الحجاب،
فقد حمل على بنات مصر اللواتي أسفن حملة شعواء ، وعدهن سوءة فسي
شرجيل ، لأنهن هجرن الخدور ، وخرجن زراقات الى الخمائسل
والحقول ، وقد قصرن ثيابهن ، وغفن الحجاب حتى لم يعد يستتر
شيئاً مما تحته ، وهمن على وجوههن في الطرقات ، ليس لهن من هدف
سوى خداع الشباب وخيانة الأزواج ، حتى خجلت الشمس مسن
فعالهن :

.....

ما في بنات النيل من أرب لسدى غرض نبيل^١
أصحن عابا في الزميا ن وسوءة في شرجيل
ماهذه الحبرات تهفو في الخمائسل والحقول
نكر العفاف ذيولها ومن الخنا قصور الذبول
ان ينتسبن الى الحجا ب قائمه نسب الدخيل
أو كالحمام ظلمنها ان الحمام غير ميل
يختلن أبناء الهوى بالدل والناسر الختول
من كل خائنة الحليل تهيم في طلب الخليل
نقم الضحى منهن ما خجلت له شمس الأصيل

وهذا يعني أن عبد المطلب يرفض أي تخيير يطرأ على الحجاب ،
فهو يستتكر محاولات النساء أن يجعلنه خفيفاً ، لأنه ينم عما تحته ، ومسا

(١) ديوان عبد المطلب ، شرح ابراهيم اليازى وعبد الحفيظ شلبي ،
مطبعة الاعتماد ، الطبعة الأولى ، ص ١٨٥ - ١٨٨ .

يأسف له الشاعر أن المرأة المصرية ملت مقامها في البيت ، وحاولت
أن تهجره ، ولم يقف أمرها عند هذا الحد ، بل لبست الضيق من
الملابس ، واهتزت في مشيتها معجبة بنفسها ، وقد كشفت ذراعيها ،
وعبق عطرها ، يقول :

يكت الخدور جفونها
وهجرتها هجر الطول "١"

.....

ملا بنة الخدر العصور
أودى شفيف نقابها
وعلا رنين حجولها
فاذا مشت هتك النقا

ن وربة المجد الأثيل
بكرامة الأم البتول
أسفا طوى الذيل الطويل
ب محاسن الوجه الجميل

.....

تهتئز عجا بالقوا
م اللدن والغصن النحيل

.....

ولقد ينم غيرها
فتحمسه من نحو ميل

ولكي يستثير غيرة الرجال رجع يسأل مستنكرا ، لكن هل يرى الرجل
الغيور بما تفعله زوجته أو ابنته أو أخته ، أم أنه يجهمل منهمن كل ذلك ؟
ويتساءل مرة أخرى : وهل هذه هي المرأة المسلمة التي أمر الرسول
صلى الله عليه وسلم بحجابها صيانة لها من الانزلاق الى هذا الداء الويل ؟
فأين الناس من القرآن الذي أنزل نورا للحقول والبهائم ؟ وهل اختلط
الأمر عليهم فذهلوا عن أعراضهم حتى أصبحوا لا يدركون عاقبة التفريط فسي
العرض ؟ وهل استمرءوا أمر الخروج عن الحادات فأصبحت أمرا مقبولا
ومقررا في حياتهم ؟ فشكا الى الله ذهولهم عن العاقبة التي تنتظرهم :

ياهل نرى ذاك الغيو
أهي التي فرض الحجا
جعل الحجاب معانها
يامنزل القرآن نو
عميت بضائر أهـل وا
ذهلوا عن الأعراض لو
واستترؤوا بزعى الهوى

ربما جرى ؟ ويح الجهور^١
ب لصونها شرع الرسول
من ذلك الداء^٢ الويـل
را للبصائر والمقـول
دى النيل عن وضح السبيل
يدرون عاقبة الدهـول
في مرتع العيش الوخيـم

ثم عاد الى تقريرهم مستغنيا أن يكون بعضهم ممن يفاخرون
بمرجولتهم ، ثم يسمحون لنسائهم أن يظهرن بهذا المظهر ، ألا يشعرون
أن تصرفات نسائهم تغض من قيمتهم ومروءتهم ، وأن الرجل الذى يسمح
لمعارمه أن يتبرجن ليس عند أهل المروءة شيئا مذكورا ؟ أيها المصري
تذكر أنك تنتمي الى أمة عريقة ذات فضل ، ودع الجرى وراء الأهـوا ،
وكن عوناً لدينك ، ولا تكن عليه ، وصل من أمره ما انقطع :

فعلام يا ابن النيل تـسرح
ولانت أهـلون عنـد
في الصبا مرح الأفيـل^٢
بعض الناس من شروى فتـيـل

.....
فذكر حديثك في القـسد
يم وما لقومك من فضـول
وذر الهوى وامدد لـديـد
نك راحة الهـر الوصـول

ان عبد المطلب بهذا الموقف من الحجاب يذكرنا بنشأته في أسرة
عربية محافظة على الدين والأخلاق الأصيلة ويدراسته في الأزهر ودار العلوم
فلم تفسد الحضارة ذوقه ، ولم تخدعه مظاهر المدنية الحديثة ، وكان خصما
عنيدا في وجه خصوم اللغة ودعاة العامية ، الى جانب موقفه المؤيد للدولة
العثمانية في حروبها مع دول البلقان ، وفي حروبها مع ايطاليا اثناء غزوها
للبيبا ، ولقد ظل يدافع عن الحجاب حتى في غزله ، فصاحبته التسي

(١) المرجع نفسه ص ١٨٦ - ١٨٧ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٨٧ - ١٨٨ . الأفيـل : ولد الناقة .

يتفزل بجمالها ليست من اللواتي ألقين الحجاب جانبا ، وإنما هي من بنات القاهرة اللواتي لا يتبرجن ، ولا يهدين ضيفا أو تهرما من طول بقائهن في الخدور ، وقد ورثت عن أمها الحجاب ، كما ورثت عنها الفيرة على العرض :

نأها إلى المجد الأثيل انتسابها
إلى النيل في بيت أشم طويل^١
وماهي من يشتكي الخدور هجرها
إذا برمت بالخدركل ملطبول
وماورثت من أمها غير حيرة
محجة في الأمهات بتبول

وهكذا أجمع من ذكرنا من الشعراء على بقاء الحجاب بمعناه المفروض آنذاك من ستر الحورة والوجه أمام الأجنبي ومازومة البيت إلا لحاجة ، وكان حرصهم عليه ناهيا من شعورهم بأنه أمر إيطري ، وأن هتكه خروج على عادات القيم وتقاليدهم الدينية ، وقد وافقهم في ذلك بعض الشعراء العرب في الشام ، ومن هؤلاء^٢ عبد الحميد الرافعي^٣ الذي كان من أشد الشعراء سخطا على دعاة السفور وأشدهم تمسكا بالحجاب ، ومنهم أيضا

- (١) المرجع نفسه ص ٢٢٤ .
(٢) أنظر الحقائق ، المجلد الأول ، الجزء الثامن عدد شباط/آذار ١٩١١ م ص ٣١٤ . حيث وصف دعاة السفور بأنهم ليسوا من الدين في شيء ، لأنهم لم يقتضوا على هتك حجاب المرأة ، بل دعوها أن تنزل إلى ميدان العمل وأباحوا لها التبرج ، بحجة أن الحجاب يحيل حياة المرأة إلى ظلام ، والحجاب هذه أن تستر المرأة وجهها ، وتقيم في بيتها ، يقول :

وتشدقوا بالعلق المملوك
من دونها غوض الدم المسفوك
فضلا على المستور للمهتوك
برجالها رب بغير شريك

قالوا: الحجاب ظلام ظلم للنساء
راموا بمثلك غطة بل خزينة
ماشم ربح الدين يوما من يسرى
يدعو النساء لوظائف قد خصهنها

.....

بأباه بين العالمين ذووك
تدعو إلى التسكين لا التحريك

ويرى التبرج كالصباح وذاك مسا
ويرى مخالطة الفتاة مع القتمسى

.....

ومرادهم بهذا بلا تشكيك
ولو انجلى لملائك وملوك

ان قيل ان الوجه ليس بمسورة
فتقي بأن الوجه أكبر فتنة

مصطفى الغلاييني "١" ، وأمين تقي الدين "٢" ، وأمين ناصر الدين "٣" .
أما في العراق فكان جواد الشبيسي "٤" ،

(١) راجع ديوان الغلاييني للشيخ مصطفى الغلاييني ، المطبعة
العباسية بحيفا ، ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م ، الطبعة الأولى ص ٢٦٧
حيث يقول من قصيدة له بعنوان : "التعدن المشوه" :

فلا يفسد التقليد طيب ارتكسهم
ففي دسم الحرب اختفى نافع السم
ولا تقربوا منهم سوى العلم وحسنه
وعضوا على أخلاق أبائنا الشمام

(٢) وانظر قصيدة " إلى فتاة اليوم " لأمين تقي الدين ، الفتح ،
السنة الثالثة ، العدد ١٤٩ ، ٣٠ مايو / أيار ١٩٢٩ م ص
٤ - ٥ .

أغرك القوم بما زخرفوا
فقت تبغين جنيدا وقيد
تحريرك اليوم ادعوا ضلحة
من زعم انهضك من كوتك
أبليت في ذلك من جدتك
تالله ماراموا سوى خدعتك

فأى معنى للحجاب فلدا
هونك في طياته عنيتك

(٣) وانظر قصيدة أمين ناصر الدين في مجلة الفتح ، السنة الثالثة ،
العدد ١٠٢ ، ٥ يوليو / تموز ١٩٢٨ م ص ١٢ .

(٤) انظر قصيدة جواد الشبيسي في كتاب الشعر العراقي الحديث وأثر
التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، تأليف الدكتور يوسف عز الدين
القاهرة ، المكتبة الحربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ٢٦٣

صنع السفور كتابنا ونهينسا
تلك الوجوه هي الرياض بها ازلت
كانت تكتم في البراقع خفيصة
صوتي جمالك بالبراقع انما
وتماثلي في البيت صورة دميصة
فاستدلقي الآثار والآيات
للناظرين شقائق الوجونات
من أن تصح حسانة الخفصات
ستر الحسان ومظهر الحسنات
مكتونة الأعضاء في الحبرات

انظر قصيدة " إلى فتاة اليوم " لأمين تقي الدين ، الفتح ،
السنة الثالثة ، العدد ١٤٩ ، ٣٠ مايو / أيار ١٩٢٩ م ص ٤ - ٥ .

أغرك القوم بما زخرفوا
فقت تبغين جنيدا وقيد
تحريرك اليوم ادعوا ضلحة
من زعم انهضك من كوتك
أبليت في ذلك من جدتك
تالله ماراموا سوى خدعتك

وعبد الحسين الأرموي^١ من أشد شعراء العراق تسكاً بالحجاب ،
وقد رأيا في الخروج على الحجاب خروجاً على الكتاب والسنة والتقاليد .

- ٢ -

وإذا كان هذا نفر من الشعراء قد دافع عن الحجاب على هذا النحو ، فإن آخرين من الشعراء لم يروا بأساً في رفع النقاب والخروج من البيت ، لكن هؤلاء انقسموا فريقين ، فريق أطلق ولم يتحفظ سيأتي الحديث عنهم ، وفريق تحفظ واحتاط ، فهذا قوله بالدين ، وطالبه بتربية النساء وتهذيبهن ورعاية التقاليد ، وعلى رأس هذا الفريق شوقي وحافظ وباحثة البادية .

أما شوقي فلم يصرح برأيه أول الأمر بل أوحى به أياً ، وهذا واضح في رثائه لقاسم أمين ، يقول :

سأذا رأيت من الحجاب وعسره
فدعوتنا لترفق ويسسار ؟^٢
رأى هذا لك لم تجده مخالفاً
ما في الكتاب وسنة المختار

(١) وانظر كتاب الأدب المصري ، لروفايل بجلي ، القاهرة ، ١٩٢٣ م ، ص ٥٦/٢ . وراجع كتاب قاسم أمين ، لظاهر حسن فهمي ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

نصر الكتاب على الحجاب ولم ييسج
ماذا يريبك من حجاب ساتسار
ماذا يريبك من ازار مانسسج
ما في الحجاب سوى الحياء فهل من
هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى
للمسلمين تخرج العسذرا
جهد المهابة وطلعة الذلقة
وزر الفؤاد وضلة الأهوا
التهذيب أن يهتكن سترحيا
لو أصدقتك ضمائر الجلسا

(٢) الشوقيات ٧٨/٣ .

والباسلات ؛ شجاع قلب في الوثق
وشجاع رأى في وثق الأفسار
أوددت لو صارت نساء النبل ما
كانت نساء " قضاة " و " نزار " .
يجمعن في سلم الحياة وحرهن سنا
بأس الرجال ونشية الأفسار
ان الحجاب سماحة ويسسيرة
لولا وهوش في الرجال ضواري
جهلوا حقيقته وحكمة حكمه
فتجاوزوه الى أذى وضرارته

والواقع أن هذه الأبيات تصور ميل شوقي الى الإبقاء على الحجاب ،
ويبدو أن قرهه من الخديوي عباس الثاني الذي كان يؤيد فكرة الجامعة
الاسلامية ، ويعدى الانجليز الذين أبدوا تأييدهم لدعوة قاسم ، يبدو أن
ذلك هو الذي هياه لهذا الموقف ، ففي قصيدته التي رش بها قاسم ،
تساءل عن الأسباب التي حدثت به أن يثور على أخلاق القوم ويسفه رأيهم
في الحجاب ، فهل كان مادعا اليه قاسم مجرد رأى خطر على باله ، فأحب
أن يذيعه في الناس ، أم أن ما تلاقه النساء من عسر في الحجاب هو الذي
دفعه الى تنهي السفر ؟ ويحاول شوقي أن يجيب وهو في موقف رشيا
للرجل الذي ثار على الحجاب ، فهل يتبعه بالخروج على الدين ، أم يسكت
وسكوته سيفسر من قبل الخديوي أنه مؤيد لقاسم ؟ ولكنه يتخلص من هذه
المأزق بلباقة ، فيعد رأى قاسم في الحجاب مجرد اجتهد في الرأى لم
يخطر على بال صاحبه أنه يخالف ما جاء في الكتاب والسنة ، فقد كان له
من شجاعته وحرية فكره حافزا يدفعه أن يقول ما يراه صوابا ، لأنه كان يطمح
أن يكون لبنات النيل دور في حياة مصر ، سواء في السلم أو الحرب كما كان
لبنات العرب من قبل ، ثم أضاف أن الحجاب كما يراه - أى شوقي - سماحة
ويسر ، ولكن تشدد الرجال في أمره وتحصنهم في حرصهم على نساءهم
جعله عبئا ثقيلا على المرأة ، ولم يكن ذلك منهم الا جهلا لحقيقته وحكمة
وجوده .

وهكذا استطاع شوقي أن يرضي الحاضرين ويرضي أميره ونفسه ،
ولكن شوقيا لا يستقر على رأى فيما يتعلق بالحجاب ، فاذا كان قد أسسد
الحجاب الذى لا يكمل المرأة فى بيتها ولا يمنحها من ممارسة واجباتها
(ان الحجاب ساحة ويسارة) ، فانه فى قصيدة أخرى عبر عن
اعجابه بالمرأة التركية السافرة ، وذلك فى قصيدة له بعنوان " كوك صو "
حيث وصف جمال النساء اللواتي يأتين هذا الماء للتسرية عن النفوس والتخلص
من الهموم ، فهذا الماء كثر ترويه النساء كأنهن حوريات الجنة ، ويتساءل
شوقي : هل من بأس اذا أسفرت الحوريات على ماء الكوتر ؟ وبها طسب
أنصار الحجاب بقوله : وهل بالامكان حجب هذا الجمال عن نفوس الناس ؟
ويرى أن النقاب الحريرى الذى تضعه النسوة لا يقي النفوس شر الفتنة ،
وخير من هذا النقاب أن تتحلّى الفوانى بالأدب ، وينفعل شوقي أمام
هذا الجمال وتستشعر نفسه جلاله ، فيرى فى منظر النسوة على ماء
" كوك صو " " ا " صورة بريئة لمرمى الحذرا لا تشير الرجال ، وانما يشعرون
نحوه هو " النسوة بالهيبية والوقار ، يقول :

وهددك كوثرا وسفرن حورا - وهل بالحوران أسفرن بأس ؟ " ٢ "
فقل للجانحين الى حجاب - أتحجب عن صنع الله نفس
انالم يستر الأدب الفوانسي - فلا يخفي الحرير ولا الدمقس
تأمل : هل ترى الا جلالا - تحس النفس منه ماتحسس
كان الخور مريم فى سفور - ورائها حوارى وقسس " ٣ "
تهيها الرجال فلا ضمير - بهم بها ، ولا عين تحسس

ويبدو أن اعجاب شوقي بالجمال التركي ليس له حد ، فهو يعجب
بنساء الأتراك سافرات ومبرقات ، فالسافرات من النساء على هذا الماء

(١) كوك صو : موقع جميل فى الأستانة ، ومعنى لفظة " كوك صو "

التركية : ماء السماء .

(٢) الشوقيات ٥٢ / ٢ - ٥٣

(٣) الخود : جمع خوده ، وهى المرأة الشابة .

ملائكة لا تدري ما يجري حولها ، وكل همهن أن يبتعن أنظارهن بجمال
هذا الماء ، وحتى البرقعات من النساء التركيات لا تغني البراقع جمالهن ،
وأما يبدو هذا الجمال للرائي كما تهدو الشمس من خلال الغيوم ، يقول :

كان سواقر الغادات فيهما ملائك دهنها نظروهمس^١
كان براقع الغلات تهففسو على وجلاتها غيم وشمس

فهل كان شوقي يوئيد السفور عند نساء تركيا ، ويعترض على سفن
نساء مصر ؟ وهل يعني ذلك أنه كان يحسن الظن بالمرأة التركية ويراها
أهلاً للسفور بينما لا يرى في نساء مصر مثل ذلك ؟ . . .

والظاهر أن هذه النظرة لم تكن لدى شوقي فقط ، بل كانت عند
بعض معاصريه ، ويعود ذلك إلى أن العنصر التركي في مصر كان يتمتع
بمستوى حياة أرفع ، لأنه كان يمثل السلطة الحاكمة ، فأتيح للتركيات
فرصة كانت المرأة المصرية محرومة منها في الغالب ، هذا عدا استفلال
نساء تركيا للحرية التي منحها الدستور العثماني لرعايا الدولة ، ويسبب وأن
النساء أسأن استفلال هذه الحرية ، مما اضطر الحكومة العثمانية أن تصدر
أمرات تمنع فيه التبرج في الأسواق .^٢

وقد عثر شوقي عن تأييده لسفور المرأة التركية ، عند ما أبدى عطفه على
التركيات اللواتي يقترن بمصريين يصبحون من الأستانة إلى مصر ،
وصور جوعهن من الحجاب الذي يفرض عليهن بعد وصولهن ، يقول :

أسفي على تلك المحاسن كلما نقلت من (البالي) إلى (الدوار)^٣
وعلى وجوه كالأهلة رؤعت بعد السفور بهرقع وخمسار

(١) الشوقيات ٥٤ / ٢ .

(٢) الحقائق ، المجلد الثاني ، الجزء التاسع ، دمشق ، ربيع ثاني ١٣٣٠ هـ

ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٣) الشوقيات ١٣١ / ١ .

ويعود شوقي الى طرح قضية الحجاب والسفور في قصيدة أخرى بعنوان ((الرق واليهودية والضعف والقوة)) ، وقد بدأ شوقي في قصيدته هذه مشفقا على المرأة مما تقاسمه داخل جدران بيتها ، ولكنه رأى أن إعطاء الحرية لمن لا يحسن التصرف فيها يسبب له المتاعب ، فالمرأة مثل الكنار الضعيف الذي اعتاد حياة الرفاهية والدلال ضمن سنابل ثقله ، فأضحى عاجزا عن حماية نفسه وتحصيل قوته ، فيما لو أتيح له العتق من ذلك الأسر ، يقول :

صدّاح يملك الكنسا	ر ها أمير الهلبلسل ^١
قد فزت منك " بمصيد "	ووزقت قرب " الموصللي " ^٢
وأتيح لي " داود " مزر	مارا وحسن ترتبلسل
فوق الأسيرة والمنسا	بر قسط ام تترجلسل

(١) الشوقيات ١٧٦/١ - ١٨٠ . ونشرت هذه القصيدة في مجلة فتاة الشرق بعنوان " الرق واليهودية والضعف والقوة " ، عدد يونيو / حزيران ١٩١٠ م ص ٣٤١ - ٣٤٤ . ولكن عنوان القصيدة في الديوان هو " بين الحجاب والسفور " .

على أن الدكتور محمد صبرى في كتابه الشوقيات المجهولة ، دار الكتب ١٣٨١ - ١٩٦٢ م ، ١١٩/٢ - ١٢٤ يرى أن موضوع القصيدة سياسي ، وليس حول الحجاب والسفور ، وأنها من الشعر السياسي الذي قاله شوقي أثناء محاكمة ابراهيم الورداني الذي قتل بطرس غالي ، ورفض الرأي القائل أن شوقيا أهدى قصيدته هذه الى باحة البادية ، وقد توجيه الخطاب لها ضرا من التستر على الموضوع الحقيقي ، ولكن المتأمل في هذا الأمر يرى غير رأيه لأن شوقيا راجع شعره ونشره في عدة أجزاء عام ١٩٢٦ م ، فلماذا لم يغيّر العنوان أو يعلق على مناسبة القصيدة ، واكتفى أن يضع لها عنوان " بين الحجاب والسفور " . هذا الى جانب رد باحة البادية عليه وشكرها له على هديته ؟ .

(٢) من أشهر الصغنين في العصر الأموي ، والموصلي : يطلق على اسحاق الموصلي وابنه ابراهيم ، كانا صغنين في العصر العباسي ، وكان لهما فقه وأدب .

ثم يسأل شوقي كئاره الذى يرمز به الى المرأة قائلاً : هل خلا
فؤادك من المتاعب أم أنك ما زلت تشكو ألم الأسر ؟ وهل تنام الليل أم أنك
تقضيه مسهداً مفكراً في القيود التي ظلت يديك ؟ لكنه يمتذر له ، بأن
ما يعانيه من حبس في البيت ليس نابها عن كراهية من الشاعر ، بل هو حرص
عليه حرص الانسان على ثمين يمتلكه ، فيضن به على غيره .

يا ليت شمري يا أسير ر ، شج فؤادك أم خلي ؟^١
وحليف سهد أم تنسا م الليل حتى ينجلي ؟
بالرغم مني ما تنسا لج في الثحاس المقفل
حرصى عليك هوى ، ومن يحرز ثمينسا يخل
والشحّ تحدشه الضرو رة في الجواد المجزل

ويصور شوقي ماتمانيه المرأة من ضيق حتى لو أسكنها الرجل فسي
بيت مصنوع من الذهب ومجلل بالحرير ، فكل هذا لا يقنع المرأة أن تعترف
بفضل الرجل وكرمه ، ولا يثنيها عن المطالبة بحريتها ، لأن حياة الرفاهية
لا تساوى شيئاً اذا كانت مشوبة بالرق ، وأن القيد مرفوض ولو كان منظوماً
من اللؤلؤ :

أنا ان جعلتك في نضا ر بالحرير مجلل^٢

.....

ما كنت يا صداح عنى — دك بالحرير المفضل
شهد الحياة مشوية بالرق مثل الحنظل
والقيد لو كان الجمال ن منلما لم يحمى
يا طير ، لولا أن يقو لوا : جن ، قلت : تعقل

ويزداد موقف شوقي نحو المرأة وضوحاً ، ويحاول من جديد اقناعها
أن ترضى بما هي فيه ، ويوسع لها صدره ويفصل وجهة نظره ، فيقول :
صبراً أيتها المرأة على ما أنت فيه من شقاء ، وانذا لم يعجبك ما أقوله فافلمي

ماترينه ، فأنت امرأة منذ خلقت ، وللطبيعة فيك رأى لا يتبدل ، فأنت
لا تقوين على مواجهة متاعب الحياة خارج البيت ، لأن من ليس له نصاب
يدفع به عن نفسه المخاطر مهدد بالترويع والقتل ، فان خرجت من حماية
الرجل وكفنه سقطت بين مخالبي النور :

اسمع فرّب مفصل لك لم يفدك كمجمل^١
صيرا لما تشقى بسنه أو ما بدا لك فاقمصل
أنت ابن رأى للطبيب عة فيك غير مبدل
أبدا مروع بالاسرار مهده بالمقتصل
ان طرت عن كنفه وقصبت على النور الجهل

ثم يخاطب المرأة ثانية ، فيقول : ان الأمثال يضربها لذي اللب
الحكيم ، فان سكان هذه الأرض تعودوا ألا يدبوا لأعزل أو غبي ، وانما
لحر بيتلي غيره ، فيأخذ منه ما أراك ، أو يظن بأخرين فيتصدى لهم ،
فهو في جهاد دائم سعيا وراء عيشه ، ويبدل في سبيل تحقيق غاياته
كل امكاناته ، فهل تستطيعين خوض غمار هذه المحارك التي لا وجود فيها
الا للقوى ؟ وهذه هي حقيقة الحياة شئت أم أبيت ،

يا طير ، والأمثال تضرب للميسب الأمثل^٢
دنياك من عاداتها ألا تكسبون لأعزل
أوللغبي وان تحلل بالزمنان المقبل
جعلت لحي بيتلي في ذى الحياة وبيتلي
يرمي ويرمي في جهاد الصيخ غير مفصل
مستجمع كالليث ، ان يجهل عليه ، يجهل
صدّاح حق ما أقسو ل حقلت أم لم تحفل

ما سبق لشوقي يبدو أنه كان يعجل الى ابقاء الحجاب مادامت النساء
عرضة لأن يفتن بهن الرجال وماد من غير قادرات على تدبر أمورهن بسبب

(١) المرجع نفسه ١/١٧٦ - ١٧٨ .

(٢) المرجع نفسه ١/١٧٩ .

تفشي الجهالة ، ولكنه يميل الى الحد من سلطة الرجال في اعنات النساء
وتحميلهن مالا يطقن ، والواقع أن شوقيا يظهر لنا في هذه القصيدة حائرا
بين اشفاقه على المرأة وشموره بوطأة الحجاب عليها ، وبين السماح لها
بالانعتاق من قيود التقاليد ، وقد بدت حيرته في قوله :

صبرا لما تشقى به أو ما بدالك فانمسل

وإذا قارنا حيرته هذه بموقفه من سفور النساء في عاصمة الخلافة عرفنا
صليه الى التساهل في أمر الحجاب ، ويمكننا القول أن ما أصاب المجتمع
المصري من تغيير في أوائل القرن العشرين كان له أثر على تفكير شوقسي ،
فقد كان تيار الجامعة الاسلامية في مصر قويا أول الأمر ، ثم بدأ يضمف
شيئا فشيئا ، وكان شوقي في موقفه من الحجاب والسفور يساير قوة هذا
التيار وضعفه ، حتى كانت عودته الى مصر بعد نفيه نقطة تحول واضحة
في موقفه ، وذلك بعد أن انتهى ارتباطه بالقصر ، وبعد دخول الفتاة
المصرية معترك الحياة والجامعة ، فأعرب عن غبطته بالمرأة المصرية التي
دخلت ميدان التجارة والسياسة وشئون الحياة الأخرى ، وذلك في قصيدته
التي ألقاها في جمع حافل من النساء المصريات ، بدأها بتحية النساء
اللواتي يحملن في ميادين البر والاحسان ، وذكرهن بنهضة اليابان ،
وحذرهن من الوقوع في مزالق الحضارة الغربية المتهتكة ، يقول :

قم هي هذي النيرات حي الحسان الخيرات^(١)

واخض جبينك هيبة للخرد المتحيزات

.....

وإذا خطبت فلا تكسن خطبا على مصر الفتاة

انكر لها اليابان لا أم الهوى المتهتكات

ماذا لقيت من الحضارة يا أخي الترهعات

لم تلق غير الرق مسنصر على الشرقيات

(١) المرجع نفسه (١/١٠٢ - ١٠٣) . في الأدب الحديث ١٩٧/٢

وهكذا سمح شوقي للكفار أن يفادروا قفصه ، وبعد أن كان ضنيناً
به حريصاً عليه ، وتناسى الأخطار التي كان قد حذره منها قبل ذلك ،
ونسى نصيحته التي قدمها للمرأة حين قال :

ان طرت عن كنفى وقع
ت على النسور الجهل

ولكن شوقياً الذي وقف يشيد بالأعمال الخيرية التي قامت بها المرأة
عام ١٩٢٤م في قصيدته ((قم حيّ هذى النيرات)) "١" عاد فشكك
في دعوة قاسم أمين واتهمه بالاغارة على الاسلام ، وذلك في قصيدته التي
ألقاها في حفل نسائي كبير انعقد في دار التمثيل المصري برئاسة هدى
شعراوي عام ١٩٢٨م "٢" ، حيث أشار الى اختلافه مع قاسم في الرأي ،
ولكنه ذكر الحاضرين أن الاختلاف في الرأي يجب ألا يقود الى الحداوة ،
يقول :

لقد اختلفنا والمعلما
شوقد يخالفه المشير "٢"

.....

في الرأي تضطفن العقول
وليس تضطفن الصدور

وأشار شوقي الى لباقة قاسم أمين في احتجاجه بالقرآن والسنة ،
معتداً على بيانه الجزل وعلمه الغزير في سبيل تحقيق مطلب يصب
تحقيقه ، لكثرة ما فيه من مزالق ، وتساءل شوقي : هل كان قاسم يفتار
على العقيدة أم يغير عليها ،

وذلك البيان الجزل فني
أثنائه العلم الغزير "٣"

في مطلب خشن كئيب
ر في مزالقه العثور

ما بالكتاب ولا الحديد
ث اذا ذكرتيها نكير

حتى لنسأل : هل تغار
على الحقائق أم تغيّر ؟

(١) راجع مجلة الهلال ، عدد مايو/ أيار ١٩٢٤م
(٢) نشرت هذه القصيدة في الأهرام عدد ٥ مايو/ أيار ١٩٢٨م
(٣) ديوان شوقي ، طبعة ١٤٨م ، ٢٠٨/٢ - ٢١١ ، وراجع
الاتجاهات الوطنية ٢٥٤/٢ - ٢٥٥ .

وربما كانت هذه القصيدة آخر قصائده التي تناول فيها موقفه من المرأة ؟ فهل يعني ذلك أن شوقيا تراجع في أخريات حياته عن موقفه الذي أيد فيه خروج المرأة من بيتها ، أم أن موقفه هذا لا يزيد عن كونه تحفظا من بعض الجوانب في دعوة قاسم ؟ والحقيقة أن مواقف شوقي المضطربة هذه تصور الأزمة التي كان يجتازها المجتمع المصري ، فقد كان الناس في حيرة من أمرهم ، لا يدرون ما يأخذون وما يدعون من سيل البدع الذي تدفق عليهم ، وكان شوقي واحدا من هؤلاء .

وكشوقي في تطور موقفه من الحجاب حافظ إبراهيم الذي بدأ بتأييد قاسم أمين ، وكان حافظ أسبق من شوقي في إعلان موقفه من دعوة قاسم ، وفي تأييده له سخر من معارضيه ، فرماهم بالضلال وضم الفقه لما قال ، كما اتهمهم بالتمصب الأعمى ، لأنهم يحارضون دعوته إلى رفع النقاب ، مع علمهم أن رفعه حق وحلال في الأيام الثلاثة :

أقاسم ان القوم طابت قلوبهم

ولم يفتقروا في السفر ما أنت كاتبه (١)

إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم

فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه ؟

فلو أن شخصا قام يدعو رجالهم

لوضع نقاب لاستقامت رغائبهم ؟

ولو خطرت في مصر حواء أمنا

يلوح محياها لنا ونراقبهم

وخلقهما موسى وعيسى وأحمد

وجيش من الأملاك ماجست كواكبهم

وقالوا لنا رفع النقاب مجلس

لقلنا ، نعم حق ولكن نجانبهم

(١) الجامعة العثمانية ، السنة الثانية عدد يناير ونصف فبراير / شباط ١٩٠١ م ص ٦٤٠ . وانظر أبولو ، العدد الحادي عشر يوليو / تموز ١٩٣٣ م ص ١٤٢٥ . وهذه الأبيات ليست موجودة في ديوان حافظ إبراهيم الذي طبعته دار الوحدة في بيروت .

وفي مناسبة أخرى رُحِبَ برفع التركيات للنقاب ، فقد هنا السلطان عبد الحميد الثاني بتحديد جلوسه ، وعبر في هذه التهنئة عن اعجابيه بالخطوة التي اتخذها عبد الحميد باعلان الدستور ، ووصف الفرحة التي عمت أرجاء المملكة العثمانية وعودة المنفيين الى أوطانهم ، واماطة النساء للحجب عن وجوههن "١" ، ونزولهن يجلسن مع الرجال على نحو تمنياه للمصريات ، يقول :

فترى النساء مع الرجال سوافرا	لا يتقين عوادى الأجان "٢"
عجالهن وقد خلقن أوانسا	يبرزن في فوح وفي أحزان
أهلا بحاسرة اللثام ومن اذا	سفرت لها لجمالها القصران "٣"
خطرت فخطرت المشارق عندما	هبت نسائمها من البلقان
يايتها خطرت بمصر وأشرقست	في يوم أسعدنا على طهران

فحافظ يرى أن سفور النساء في تركيا كان في ظل الدستور وحماية

القانون .

ولكنه في زثائه لقاسم بدا متطلما من شدة المعارضة والتفنيـد لآرائه ، حتى لقد اعترف بأنه ليس محصوما ، وفوض الحكم على رأيه للأيام ، وطلب منه أن يشكو الى الامام محمد عبده في العالم الآخر ما تعرض له وهو ودعوته من هجوم ، وقد لاحظ أن الهيئة المصرية ما تزال غير مهيبسة لتقبل مثل هذه الآراء ، لأن كل جديد على الناس يجابه بالرفض أولا ، ثم يأخذ طريقه بينهم ويعتادون عليه ، يقول :

-
- (١) استغل الاتحاديون اعلان الدستور فشجعوا السفور ، واستغلوه لتحقيق أطماعهم مما دعا السلطان الى الخائه .
 - (٢) ديوان حافظ ابراهيم (١/٤٧ - ٤٨) .
 - (٣) عنا : خضع .

- أنا لا أقول دعوا النساء سواهنرا
بين الرجال يجلسن في الأسواق "١"
يدرجن حيث أردن لا مسن وعزع
يحذرن رقبتة ولا من واقسي "٢"
يفعلن أفعال الرجال لوأهيسا
عن واجبات نواصن الأحقاد
في دورهن شوونهن كئيسرة
كشون رب السيف والمزراق "٣"
كلا ولا أدعوكمو أن تسرفسوا
في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساوكم حلى وجواهنسرا
خوف الضياع تصان في الأحقاق
ليست نساوكم أثاننا يقتسنس
في الدور بين مخساع وطباق
تتشكل الأزمان في أدوارهنسا
دولا وهن على الجمود بواقسي
فتوسطوا في الحالسين وأنصفسوا
فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انهنسا
في الموقفين لمن خيروثاق
وطيكم أن تستهين بناتكنس
نور الهدى وطلو الحياء الباقي

(المرجع نفسه ٢٨٢/١ - ٢٨٣ ، أنشد هذه القصيدة عام

١٩١٠ م .

رقبتة : مراقبتة ، وازع : زاجر ، يدرجن : يمشين .

المزراق : الرمح .

على أن إيمان حافظ بالسفور العرش والقائم على تربية المرأة وتهذيبها ، جملة ينهي باللوم على المرأة الجاهلة التي لم تفهم من المدنية سوى التبرج ، لأنه رأى في تصرفها هذا خروجاً على تقاليد الحفاف والفضيلة ، وقد عهر عن سخطه عليها في معرض رثائه لباحشة البادية واطرائه لفضائلها العلمية والخلقية ، حيث قال :

اني رأيت الجاهلا ت السافرات على خطر^١
ورأيت فيهن الصيحا نة والحفاف على سفر

وأما باحثة البادية فقد كانت أكثر الأدباء اهتماماً بالمسائل المتعلقة بالمرأة ، فقد كتبت مقالات عديدة على صفحات البرائد ، ناقشت فيها أمور الزواج والطلاق وتعدد الزوجات وقارنت فيها بين أخلاق المصريات والغربيات ، واهتمت بقضية الحجاب والسفور ، وكانت ترى عدم جدوى تخلص نساء مصر من الحجاب دفعة واحدة ، ((فلو أمرتهن مرة واحدة بخلعه وترك البرقع لرأيت ما يجلبنه على أنفسهن من الخزي ، وما يقصن فيه بحكم الطبيعة والتغير الفجائي من أسباب الهلاك ، وتكون النتيجة شراً على الوطن والدين . . .))^٢

وانطلاقاً من موقفها هذا رفضت موقف بعض محاصريها من قصيدة شوقي ((بين الحجاب والسفور)) التي أشرنا إليها سابقاً ، حيث ذهب إلى أن شوقياً بأسف لأقامة المرأة في البيت ، ويحتذر عن موقف الرجل منها^٣ ، ورأت أن هذه التأويلات بعيدة عن الصواب ، وأن قصيدة شوقي لا تزيد عن كونها هدية رجل فاضل يرمي إلى تشريف من أهدى ، وهندسه عادة مألوفة ، تقول باحثة البادية :

-
- (١) ديوان حافظ إبراهيم ١٩٥/٢ .
 - (٢) النسائيات لباحثة البادية ، مطبعة التقدم (١/١٤٨ - ١٤٩) .
 - (٣) راجع النسائيات ١٤٧/١ . حيث رد شاعر على لسان الباحثة عما جاء في قصيدة شوقي دون أن يصرح باسمه .

أهدى القصيدة في "الجريدة" لى هدية مفضل^١
كولف يهدى الكتاب ب الى سرى أمثل
يرمي الى تشريفه ويخصه بتطبول
هي عادة مألوفة في الناس منذ الأول
هذى الحقيقة يافتنا ة تسوح للمتأمل

ثم هي تويد شوقيا في موقفه من المرأة ، وترى أن دعوته للمرأة كى
تبقى في بيتها بعيدا عن مصاب الحياة ومشاكلها دعوة صحيحة ، ولهذا
تدعو الباحثة بنات جنسها ، أن لا يسخطن على عيشهن ، وألا يندفعن
خارج بيوتهن ، لأن المرأة لا تستطيع أن تحافظ على مجدها ومكانتها
المرموقة في الأسرة الا اذا بقيت في بيتها ، تقول :

ماذا فهت من الكسار ومن حديث البلبيل^٢
حتى سخطت على المعيشة في ظلال المنبول

.....

مجد الفتاة مقامها	في البيت لا في المعيل
كم خدعة يقضي نظام	البيت ان لم تعطى
من للوليد يمينه	في لبسه والمأكل
ويحيط عنه أذى الهوى	بتلطف وتحييل
من للمريض يحوطه	أبدا يمدون تلميل
من للأثاث يصونه	من للذخائر والحلي
من قسم المدخور بين	العالم والمستقبل

فالعامل داخل البيت في رأى الباحثة لا يقل أهمية عن العمل خارجه ،
لأن المرأة ان أحسنت القيام على بيتها ، ورعت أبنائها ، وحاطتهم
برعايتها ، أسعدت أسرتها ، لكن اذا عرضت للمرأة حاجة خارج البيت

(١) النسائيات ١/١٤٨-١٤٩ .
(٢) المرجع نفسه ١/١٤٨-١٤٩ .

فلا مانع من خروجها ، بشرط أن تكون مشيتها وقورة وحركاتها متزنة ،
وعليها أن تتجنب الزحام ، وأن لا تتبرج ، تقول :

لكن اذا دعت الضرورة للخروج فحيهل^١
سيرى كسير السحب لا تأنسي ولا تتمجلي
وتكبي نهج الزحام وفضلي النهج الخلي
لا تخضمي بالقول أو تهرجي أو ترفلي

وتمرضت لموضوع السفر أى (كشف الوجه) ، فرأت أن الحكم
الشرعي فيه يتفاوت من مذهب الى آخر ، فهينما رفضه البعض ، وصدّوه
محرمًا ، تساهل آخرون ، ورأوا أن الوجه والكفين ليسا بمصورة ، وأنه
يحلّ للمرأة كشفهما ، ولم يمنع أحد منهم المرأة أن تسفر عن وجهها اذا
جاء خاطب يطلب الزواج منها ، ولكن علمها أن تبقى النقاب على رأسها
تقول :

أما السفر فحكسه
ذهب الأئمة فيسه
ويجوز بالاجماع منهم
ليس النقاب هو الحجاب
فانما جهلت الفرق بينهما
من بعد أقوال الأئمة
في الشرع ليس بمحضل^٢
بمن محض ومحلل
عند قصد التأهل^٣
ب ، فقصرى أو طولى
فدونك فاسألنى
لا مجال لمقولنى

ويتضح موقف باحثة البادية من الحجاب في قصيدة أخرى لها ، ترد
فيها على من يتمجلون سفور المرأة ، بأن هذا الأمر حسن ، لو كان الرجال
أتقيا ، ولأنهم ليسوا كذلك ، تخشى على الفتاة من خداعهم وكلامهم
المنق الممسول ، وترى أن لا يتخلصوا من الحجاب طرفة ، بل يصلحون

(١) المرجع نفسه ١٤٨/١ - ١٤٩ .
(٢) المرجع نفسه ١٤٩/١ .
(٣) التأهل : الخطبة بقصد الزواج .

أخلاق نسائهم وبناتهم قبل ذلك ، فهذا أليق بالرجال ، كانت الباحثة واضحة في موقفها ، وإن خالفت بعض معاصريها ، ممن كانوا يصرون على السفور الضوري ، ولذا سألتهم : أليس هناك من مشاكل تعالجونها غير هذه ؟ هل أنتم راضون عن كل شيء في حياتكم إلا الحجاب ؟ وهل يؤرقكم وجوده إلى هذا الحد ؟ هل هذبت طباغ نسائكم وأزلتم من حياتهن الجهالات ، هل سبقتم نساءكم إلى الفضيلة والتقى وخشيتهم عليهم من الهلاك ؟ إذا لم تفعلوا شيئا من هذا كله ، فلم تتعجلون السفور ، ولماذا تصررون على نزع الحجاب ، على الرغم من كونه علامة فضل ؟ تقول !

هل تطلبون من الفتاة سفورها ولكن أين بينكم التقى ؟^١
تخشى الفتاة حياء منصوصة غشيتها في الكلام برونق
لا تتقي الفتيات كشف وجوهها لكن فساد الطبع منكم تتقي
لا تطفروا بل أصلحوا فتياتكم وبناتكم وتسابقوا للأليق
أرضيتم عن كل شيء عند نساء وخشيتوا أمر القناع إذا بقي ؟
هل قصتم بفروض نسوتكم وهمل هذبت من طبعهن الأخرق ؟
أسبقتمونا للفضيلة والتقوى وخشيتم الهلكات ان لم تلحق ؟

ولو تأملنا موقف باحثة البادية لرأينا أنها لا تمترض على الغاء الحجاب ، ولكنها لا تحبذ التعجل في ذلك حتى تنهيا المرأة المصرية للانتقال إلى مرحلة السفور ، على أن السفور عندها لا يعني أكثر من كشف الوجه واليدين ، وعدم منع المرأة من مفادرتها بيتها بشرط أن لا تظهر شيئا من زينتها وألا تتبرج ، وقد أوضحت الباحثة أن البيت هو المكان الطبيعي للمرأة ، وأنها ترفض خروجها للحمل ، لأن وظيفتها في بيتها تحتاج كل وقتها وتستهلك قواها .

ويبدو أن بعض شعراء الشام أيضا كان يرى أن الحجاب مرحلة ضرورية مادام الجهل متفشيا بين النساء ، أما إذا تعلمت المرأة ، فإنه

(١) آثار باحثة البادية ، جمع مجد الدين حنفي ناصف ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، سلسلة تراثا ص ٣٠٧ .

يكفيها أن تتخذ من علمها حجابا لها ، وقد صهر محمد البنم عن هذا
الاتجاه في قصيدة له بعنوان " الحجاب " " ١ "

(١) انظر ديوان البنم ، شرح وضبط سليم الزركلي وعدنان مردم ،
المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ، نشر المجلس الأعلى
للغنون والآداب في سوريا ، ٢٧٩/١ - ٢٨٢

وفي قصيدته هذه حاور فتاة في مقتبل العمر ، نعت على الرجال
تسكهم بالحجاب ، وطالبت بكف قيدها ، لأنها سئمت ملازمة الخدر ،
ونفذ صبرها ، وسألت الشاعر عما جنته المرأة ، حتى تقضي عمرها كله
أسيرة ، فهل حسبتوها سلعة تباع بالمهور ؟ يقول البنم :

وثبت تطالب بالسفسور حسنا معدمة النظير
سئمت ملازمة الخدر ر ، وخائنها جلد الصبور

.....

ماذا جنت فحسبتمسو ها الدهر كالعاني الأسير
أحسبتوها سلعة ال مستام تشرى بالمهور ؟

فأجابها الشاعر مطمئنا اياها وأنه يقف الى جانبيها ويناصرها ، مبينا
أن الأمر يحتاج الى دراية وتبصر لا مجال فيه للانخداع بالسراب
أو الظن البعيد ،

فأجبتها وأنا النصير لها ومن لي بالنصير
ياضرة البدر النصير وربة الأدب النصير

.....

خدعتك لامعة السرا ب وروعة القول الطرير
أظننت أن الستر عا ربة تور الى المعير
ثم حذرنا من صفة سفورها ، لأنه سيقودها الى التهلك والفجور ،
وأن الطريق السليم الى السفور لا يكون الا بخيل قسط وافر من العلم ،
والتحصن بالفضيلة ؛

ماذا يراد من الفتسا
ان السفور لئننت يمد
الا اذا حظيت من ال
وتحصنت مما يرو
لك ماصوت اليه رغ
لك ماطلبت اذا أخذ
ة مع الجهالة بالسفور
رب لهو مجلبة الشرور
عرفان بالقسط الكثير
م أولو الهوى بأعز سور
م الدهر في آتي العصور
ت من المحارف بالنصير

أما الذين قالوا بالسفور على الإطلاق ودون أن يهدوا أى تحفظ عليه ، فمن أوائلهم ولي الدين يكن الذى أزرى بالحجاب في مقالات عديدة ، أتى فيها على ماتعانيه المرأة من ضيق في حياتها داخل جدران البيت الأريمة ، وروى في احدى مقالاته قصة امرأة زوجت برجل شديد الضيرة ، ودخلت بيته يوم زفت اليه ، ولم تخرج منه أبدا ، حتى اذا مرضت أتى لها طبيب ، وأخذ يصف له ماتشكوه ، ولكن الطبيب أصر على رؤية المريضة ، وفحص موضع العلة ، فأبى الزوج عليه ذلك ، فلم تعض أيام حتى شيموها الى منزلها الأبدى "١" ، وهذا يعني أن ولي الدين يكن يروى في غيرة هذا الرجل على امرأته وحرمانها من مفادرة بيتها قسوة بالفظة ، وأن غيرته هي السبب المباشر في موتها ، ولهذا دعا يكن في شعره الى التخلص من الحجاب والجهل ، فصور المرأة معرضة غاضبة ، لأن الرجل سلبها حريتها ، وحرمتها من كل حقوقها ، وقد تعنى الشاعر أن تعبر عما بها بالكتابة ، لتجهر بما تعانيه من ظلم على أيدي الرجال ، ولكنها لم تستطع ، ومع هذا الحرمان لا تجد صاحبا تأنس به أو تشكو اليه عمومها ، حتى زوجها الذى كانت تأمل أن يشفق عليها ، ومن ثم ، لا خلاص لها الا بازالة الحجاب "٢" الذى يعده الشاعر دخيلا على حياتها ، يقول :

تعنيت لو كتبت ما بهما ولكنها لم تكن كاتبه "٣"
تفتش ليست ترى صاحبا يقاسمها العزن أو صاحبه
لقد غلب اليأس آمالها وآمالها كانت الغالبه

أزرى الحجاب

- (١) الصحائف السود لولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩١٠ م ص ١٣
- (٢) ديوان ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف والمقطم ١١٤٣ هـ - ١٩٢٤ م الطبعة الاولى ص ١٢٢ ، وانظر الصحائف السود ص ١٠ .
- (٣) موقف ولي الدين يكن من الحجاب يتلاءم وموقفه من الجامعة الاسلامية ، فقد كان يهاجم السلطان عبد الحميد ، ويتهمه بظلم رعيته وخنسق الحريات ، ذلك أن يكن متأثر بروح الحضارة الغربية وبأفكار جماعة الاتحاديين الذين ناهضوا السلطان عبد الحميد ، وقد سخر من الصيام ، وهاجم الحكومة العثمانية لأنها تعاقب من ينتهك حرمة رمضان ، وقد عدّه اكدوية أشبه ماتكون بأكدوية ابريل ، وذلك في مقال له بعنوان " اكدوية ابريل واكدوية رمضان " . وانظر الصحائف السود ص ٣٤ - ٣٧ . وكان يكن أحد أعضاء ندوة مي حيث دام على حضورها ، ولم يتخلف عنها حتى موته .

أزيلي الحجاب عن الحسن يوما وقولي مللتك يا حاجبه
فلا أنا منك ولا أنت منسي فرح زاهبا انني زاهبة

ومنهم من رأى أن الحجاب يحول بين المرأة وإظهار حسنها الذي
يثوق اليه النظر ، وأن المرأة في حجابها أشبه ما تكون بالقمر ، الذي يلفه
الغمام ، ولهذا يطالبها الشاعر أن تسفر ولو مرة واحدة ، حتى يتأمل
جمالها ، وتكتحل عيناه بسحره ، يقول فريد طلمح :

لثمت وجهك فاخترني حسن يثوق له النظر^١
كالهدر يلتثم الغمام لكي تتوق له البشعر

لكن بدر الأفق بعبد الحجب قد بيد وصرارا
فأبدى لمعني مسرة كي تنقضي تلك الحرارا

فماذا كان موقف المرأة في تصوره ؟ هل أبت عليه ما أراد وتمسكت
بحجابها ، لم تفعل ذلك وإنما رأت أن الحجاب أمر غير مرغوب فيه لديها ،
وأن الله لم يأمر به ، ولكن التقاليد هي التي فرضته على النساء ، وجعلت
منه قيда ثقيلًا يصعب عليها تجاوزه ، وأن الحل ليس في يد المرأة وإنما
بيد الرجل ، ولهذا فإنها تدعو فتاها أن يثور على قيد التقاليد التي
كبلت المرأة ، ويعتقها مما هي فيه من أسر :

قالت وقد جرت الدموع من العيون على حذر^٢
ما أنزل الله الحجاب ولا الضمير به أمر

* * *

لكن ذاقيد التقاليد الذي أسمر الضمير
فأكسر سلاله فأنست الحر في عتق الأسير

وأبدى عبد الرحمن شكري سخطه على الحجاب الذي يقف حائلا بينه

(١) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، ١٩٠٩ - ١٩١٠ م ص ١٦٨ .

(٢) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، ١٩٠٩ - ١٩١٠ م ص ١٦٨ .

وبين الوصول الى من يحب ، لأن أهلها حريصون على صيانتها من كسل
سوء ، يقول :

حجبوك من حذر عليك صيانة

ياليتهم في مهجتي حجبوك "١"

ولئن حجبت ففي الرهيق مشابسه

في الدنّ أو ما يحتويه فوكا

وطالب عبد الرحمن شكرى مرة أخرى بالفاء الحجاب ، وهدم السدود
التي تحول بين الرجل وروءيته للمرأة التي يود خطبتها ، حتى يتعرف كل
منهما على رغبات الآخر ومشاعره ، فان أى شخص يرفض أن يشتري سلعة
من السلع قبل معاينتها ، ويعجب من الشاب الذى يقع في هوى فتاة لم
ترها عيناه ، ويضيف شكرى أن هناك اختلافا بينا بين بعض الأمزجة ، وأن
هناك توافقا بين بعضها الآخر ، ولهذا يرى أن يفسح المجال بين الجنسين
للتعارف قبل الزواج ، حتى تلتقي الأرواح المتألقة ، وعنده أن الحجاب
يستر تحته كثيرا من عيوب النساء ، وأن هذه العيوب تزداد اتساعا مادامت
مستورة ، ولو أبصر الرجل ماتحت الحجاب من أمور نابية لتضى العمى على
أن يراها ، فاتركوا الحسناء تكشف لكم عن طابعها التي غابت عن الأعين ،
يقول :

أطلقوا عن عرسه حتى يراها ويرى أين هواه من هواها "٢"

واحسبوها لو أردتم سلعة يتوجس عرضها قبل شراها

كيف يهوى عادة لم يرها يافع أبدت له الدنيا صباها

انما الأرواح شتى فاسلكوا كل روح حيث لا تذوي منهاها

رب حسناء اذا كشفتها عن أهور كان ينميتها خفاها

لنبت عينك عما أبصرت ودهو نفسك ما أصمى عماها

فدعوا الحسناء تبدى لكم منه طبعها غاب عن عين سواها

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى جمعه وقدم له نقولا يوسف ، توزيع

المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦٠ م ، الطبعة الأولى ٥٢٤/٧ ، من

ديوان أزهار الخريف .

(٢) المرجع نفسه ، الجزء الثاني (لالي الأفكار) ، ص ١٥٢ .

وكان أحمد نسيم من الشعراء الذين ربطوا بين الجهل والحجاب ،
وأبدي فرحه بسفور النساء ، وهذه مظهرا من مظاهر النهضة النسائية ،
وقد استقبل ذلك منهن بالترحيب ، وأعلن أنه قد مضى الزمن الذي كانت
فيه النساء عاكفات على الجهالة ، يقول :

ألا حيوا الأوانس سافرات زواهر كالشموس الساطعات ^١
كرائم بتن للأيام نخيرا ومأمول السنين المقبلات
مضى زمن بلون العسف فيه وكُنَّ على الجهالة عاكفات

ويبدو أن الزمن كان يعمل لصالح دعوة قاسم أمين ، وأن كل الجهود
التي كانت تبذل من أجل إيقاف تيار السفور ، لم توقف من زحفه ، بل
على العكس من ذلك رأينا السفوريين يتخذون من ذكرى موته عيدا سنويا
يحتفلون به ، وينشدون القصائد في مآثره تحية لذكراه ، ومن هؤلاء خليل
مطران ^٢ الذي أنشد قصيدة في حفل تأبين قاسم بعنوان " قاسم أمين
المصلح الاجتماعي الكبير " ، فعند موته خطبا فادحا أصاب الأمة ، ففقدت
بموته رجلا كان يشيد المحامد ، ويهدم حصون القبح والتأخر ، وغبة منه
في الرجوع الى مايعتقد صوابه ، وكان كما يرى مطران حريصا على سلامة

(١) خمسة من شعراء الوطنية (مجموعة أبحاث لعدة كتاب) ، مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الناشر وزارة الثقافة ، القاهرة ،

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ص ١٢٥ .
(٢) كان مطران لا يرى في الحجاب أي جدوى ، وهو من الداعيين
الى التخلص منه ، انظر الديوان ١٣٣/٤ ، يقول :

إذا بدت حسنا تفي برقسع
لم يحجب البرقع منها الشعاع
أما التي أمنها ربه
أن تفتن الناس ققيم القناع

وقد حرص مطران على صياغة موقفه بأسلوب لبق ، حتى لا يشير
ضده أنصار الحجاب .

بناء الأمة من الأمراض التي تفتك بجسدها ، فدعا الى رفع شأن النساء
على الرغم من اعتراض الاعمين والسفهاء ، الذين ينكرون عليه حرصه على
المرأة ، فحلت أفكاره في أرض بكر ، ووجدت استجابة تشر بنشوء جيل
جديد من النساء ، يقول :

عزیز علی " مصر " هذا المصاب
لك الله من شائد للملا
يدك القبيح وبينني الطييح
بمقدامها المصلح الحازم "١"
وفي يده مصول الهادم
رجوعنا الى سنة الراسم

.....

دعوت الى رفع شأن النساء
وسلطت بالحلم نور اليقين
فحل بذارك في مخصب
سلام عليك نما ماغرسنت
فتم آمنة ، ان في الغرس ما
برغم السفه واللائم
على ريب المنكر الفاشم
وبشر جيلك بالقياد
وذكرى هذا الأمل الناسم
يحيدك في خلف دائم

ومضهم عبد الرحمن شكرى الذى رشى قاسما في قصيدتين ، واتهم
من لم يحزن لموته ، وتعجب من ضم القبر له ، وقد كان الصام السلول في
وجه الضالين والمنقذ لأمته ، يقول :

قل للذى لم يصب رنوك قلبه
كيف احتواك القبر في أحشائه
يارب أقوام نفيت ضلالهم
انى حسبت فواده مدخولا "٢"
ولقد عهدت لك صارما مسلولا
وعجمتهم حتى أقمت حميلا

ومن هؤلاء علي الجارم الذى ألقى قصيدة من دار الاذاعة في
القاهرة ، بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاة قاسم ، عدّه فيها منارة أنارت
درب مصر ، وان كانت تنكرت له حين قام ينادي بحضوره تحرير المرأة ، ولم

(١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢/٢ - ٤

(٢) ديوان شكرى ، الجزء الأول (ضوء الفجر) ١ / ٥٤

تعرف قيمة دعوته الا بعد وفاته ، وكان في سماحة الدين ما يسع الكثير
من آرائه لو وعيناها ، ولكننا خشينا على النساء من ذئاب الرجال ، والرأى
ان أردنا لهن الانطلاق أن نهين الرجال :

سكتة أطفأت منار طربسلىم كم مشت مصر في ضياء شهابه "١"
ومضى قاسم وخلف مجسدا تفرغ النجم ساريات قبابه
قد نكرناه حين قام ينسادي ونهضنا محناه يوم احتسابه
يعرف الورد حينما ينقضي الصييف ويهكي النبوغ بعد نهايه
يانصير النساء والدين سمسح لو وصينا السرى من آدابيه
قد خشينا على الحمام في السد وج أظانير بازه أو عقابيه
ان أردت الظباء ترح في السهمل ، فظهر أكفاه من ذئابيه

وعلى الرغم من حذر الجارم ، وخشيته على النساء من السفور ، ولم
يرفائدة للنقاب اذا لم تتخذ الفتاة من حياتها نقابا لها ، ويشعر الجارم
بالفيطة عندما يرى نساء مصر يسرن في طريق الحلم ، فقد ازدادت مصر
جمالا ، واختال النيل تيبها ببنااته المتعلقات :

.....

واذا ما الحياء لم يستتر الحسن ، فماذا يفيد من نقابيه ؟ "٢"
قمت تدعو البنات للحلم فانظر كيف حلقن فوق شم هضابه
وزها النيل يابنة النيل فاختنا ل ، ويجر الذبول من اعجابيه

وفي الاحتفال الذى أقامه الاتحاد النسائي ، بمناسبة مرور خمسين
سنة على دعوة قاسم ، ألقى صالح الشرنوبى قصيدة أشاد فيها بدعوة
قاسم ، التي كانت صحيحة في وجه الجمود ، وحطمت التقاليد ، وشادت
للأمة صرحا من النظام والرقى ، وبفضله حصلت المرأة على كثير من

(١) ديوان علي الجارم ، مطبعة المعارف ، ومكتبتها بمصر ، ١٠٨/٣ -

(٢) المرجع نفسه ١١٣/٣

أمانيتها ، على حد زعم الشاعر . " ١ "

وكما اتخذوا من موته ذكرى سنوية اتخذوا من موت هدى شعراوى
التي طالبت بتحقيق المساواة السياسية والاجتماعية بين المرأة والرجل أسوة
بالأوروبيات ، واشتركت في المؤتمرات النسائية الجمالية ، فكانت المنفذ
لجادى قاسم أمين ، ونتيجة لاطلاعها بهذا الدور أطلق عليها بعض
مناصريها " الزعيمة الأولى " ، وأثنى عليها الشاعر محمود أبو الوفا ،
قامتدح مقتها للحجاب ، وعلمها على تحطيم أغلاله ، وتندد بدعاة الجمود
الذين فرحوا بموتها لطول ما أرقهم صوتها :

أمن كرهت شكل الحجاب ولونه ومنظره في أى وجه له بدا " ٢ "

.....

محطة الأغلال ألقت الى الشرى
وقولوا لكهان التقاليد يفرحوا
لقد ذهبت من كان محض وجودها
محاوّل لم تهدأ أحد يد اومبردا
فأزلا مهم لا اليوم تخشى ولا الغدا
ولو مكنت للجامد بين مهيدنا

(١) انظر قصيدة صالح الشرنوبى بهذه المناسبة ، ديوان صالح الشرنوبى ،
تحقيق عبد الحى دياب وأحمد كمال زكى ، دار الكتاب العربى
بالقاهرة ص ٥٥١ ، ومنها قوله في الاشادة بدعوة قاسم :

جهلوا أمرها وحجبها عنهم ضباب من صنصمهم وغمنام
وانتهى سرها اليه فما أغفى ، ومن حوله الكمالى نهم
شاهاصيحة ففكت قيود وارثقت أمة وتم نظنام
أيها التائر المحرر ماذا من محافيك تدر ك الأفهام
لم يزل صوتك الندى كما كان ، وان غاب وجهك البسام
بلغت مرفأ الأمانى - يا قنا سم - حواء والرياح جهسام

(٢) شعرى ، لمحمود أبو الوفا ص ١٧٦ . وقد امتدح هدى
شعراوى في قصيدته (الزعيمة الأولى) .

ولم يقف محمود أبو الوفا عند هذا الحد في رثائه للزعيمة الأولى ، بل
ألقى قصيدة أخرى في الذكرى الثانية لوفاتها ، خلج فيها عليها صفات
لا تكاد تتوفر في بشر ، فهي حورية ذات روح انسانية عاشت حياتها
لغيرها ، حتى كاد يخالها قديسة ، لأنها نذرت حياتها وسعادتها لمصر ،
ومن الغريب أن يمدح الشاعر هدى شعراوي بأنها زعيمة السفور ، ثم يأتي
ليشبهها بخديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - التي تفتخر بهدى
وتعدها مجددة لعهدا ، فهل كانت خديجة رضي الله عنها تقر الاختلاط
وتدعو اليه ؟ ولا يكتفي بهذا بل يؤكد أن النهضة الكبرى التي تعيشها
مصر نمت في بيتها ، ووجدت منها الحامي والنصر :

والله كدت أخالها قديسة
نذرت لمصر حياتها وهناها " ١"
أزعيمة الوادي أجل زعيمة
في مصر سارت مصر تحت لواها
وكان أم المؤمنين خديجة
تزهو بها وتحدها ذكراها
النهضة الكبرى نمت في دارها
وتلقت لحن فكان حياها

وهذا يعني أن هدى شعراوي مسئولة عن السلبيات التي غزت
حياة المرأة ، وعجلت بانحطاط بعض النساء ، ودفعت بهن الى حياة
الرديلة ، لأنها نأت بالحركة النسائية عن طريق الدين .
ولما كانت صفة زفلول ممن شاركن هدى شعراوي في توجيه
نساء مصر ، وخصوصا في نهد الحجاب ، أثنى خليل مطران على تصرفها

هذا في قصيدة له بعنوان "أم المصريين" :

قد كنت قدوة ربّات الجمال بمسما

أزلت من ودم قوم ساء ما وهما "١"

فصانت الأوجه الحسنى فضائلهنسا

من حيث ألقبت الأستار واللثم

ومن قبل رأينا من بعد خروج النساء في المظاهرات عملا ووطنيا ، فقال

الهرأوى معهم :

رأين بلاد النيل حاق بها الأسسى

عليها عدا صرف الليالي وأجلبا "٢"

فثرن وراء الخدر ثم عد ونسسه

يوالين أحداث الزمان تحقبا

ومن عائب في حب مصر عقائسلا

طرحن قليلا للمسلاد التحجبا

لم يترك السفوريون اذا طريقا يقوى وجهة نظرهم الا حاولوا استغلاله ،

فالدین عندهم لا يعارض السفور ، وشرع الرسول - عليه الصلاة والسلام -

لا يناقض المدنية الحديثة ، واختلاف مواقف الفقهاء بين محرم ومحلل ليس

بعضله ، ولما رأوا وعلى رأسهم قاسم أنهم لم ينجحوا في اقرار السفور

بأدلة شرعية ، ووجدوا معارضة شديدة من الفقهاء ، اتجهوا الى طرح

قضية المرأة على أنها بحث علمي لا علاقة له بالأدلة الدينية ، حتى لا يترك

مجالا لمن يريدون مناقشته من زاوية دينية "٣" ، ويبدو أنهم قد اتخذوا من

هذه القاعدة خطة يسرون عليها ، ولما ضعف تيار الجامعة الاسلامية وتغلب

حزب الأمة على الحزب الوطني بعد موت مصطفى كامل ، وتسلم رجاله كثيرا

١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢٧٢/٣ .

٢) المعرفة ، السنة الثانية ، العدد الرابع عشر ، يونيو / حزيران ١٩٢٢م

ص ١٩٢ .

٣) المقتطف ، الجزء السادس ، ١ يونيو / حزيران ١٩٠٨ ص ٤٥٨-٤٥٩

من وظائف الدولة ، لتعاونهم مع الانجليز ، اتجه حزب الأمة اتجاهاً
أوروبياً غربياً ، ونادى بالاصلاح على الطريقة الأوروبية ، ويفصل الدين عن
الدولة واحلال الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية ، واتخذ من اشتراك
النساء في المظاهرات وسيلة لتحقيق مآربه ، ودعاهن أثناء ذلك الى ازالة
الحجاب ، فصنع حزب الأمة السفور بالصبغة الوطنية مستغلاً حماسة هدى
شعراوى وغيرها من عضوات اللجنة المركزية للسيدات الوفديات ، وهكذا
جعل زعماء الوفد السفور أمراً واقماً منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ،
واستطاع أنصاره بمد زمن ليس بالبعيد أن يجتلبوا من الحجاب قطعة أثرية
يذكرها الشعراء في قصائدهم على سبيل التندر ، ومن ذلك قصيدة
لمحمد الرحمن شكرى بعنوان : (الى ذات الحجاب في حريم الشرق
القديم) ، ذكر فيها أن الحجاب لا يزيد عن كونه مصدر فتنة ، وأنه يثير
في نفس من يشاهده الذكريات عن حياة الحريم التي كانت تعيشها المرأة في
مصر قبل سفورها :

قالوا : الحجاب حمى من شرّ "خناس"

وفي حجابك هذا فتنة الناس

مفاتيح في حجاب لا ليحجبهن

لكن ليبيعت شوق الناصر الناسي

وانذا كان شعراء مصر سواء منهم المومنين أو المعارض قد عالجوا

قضية الحجاب والسفور بشيء من الهدوء والحذر في أكثر الأحيان ، فان

بعض شعراء الأقطار العربية الأخرى قد تناولوا هذه القضية بحماس زائد ،

خصوصا الرصافي والزهاوي "١" اللذين نقلنا في شهرهما المعركة من مجرد الدعوة الى السفر ، الى مهاجمة الحجاب وتسميته رأى المدافعين عنه

(١) عدّ الزهاوي السفر قضية اجتماعية مهمة يتوقف عليها تقدم المجتمع المسلم ، وأن هذا التقدم سيظل ناقصا ما لم تشارك فيه المرأة ، ومشاركتها للرجل لا تكون الا بسفورها ، انظر ديوان الزهاوي ، ص ٣١٩ ، حيث يقول :

هزأوا بالبنات والأمهات وأهانوا الأزواج والأخوات
هكذا المسلمون في كل صقع حجبوا للجبهة المسلمات
سجنوهن في البيت فسلوا نصف شعب بهم بالحركات
وجعل الرصافي حجاب المرأة سببا من الأسباب التي أبقت عليهم تحت حكم الغرباء (أى الأتراك) ، لأنهم تروها في حجور نساء عوملن معاملة الصبيد ، فربين أجيالا وضعت الذل وشبت عليه .
انظر ديوان معروف الرصافي ص ٣٤٢ ، يقول :

ألم ترهم أمسوا بعيدا لأنهم على الذل شهوا في حجوراما
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمل جور الساة الغربا
وحاول الزهاوي أن يسلب أنصار الحجاب أقوى دليل في أيديهم ، فادعى أن الحجاب ليس من الدين في شيء ، وليست هناك آية في القرآن تدل على ضرورة التمسك به ، بالاضافة الى أنه يحول بين المرأة وحررتها . انظر ديوان الزهاوي ص ٣١٩ :

ان هذا الحجاب قهر كثيف حال بين الفتاة والنسمات
ان هذا ثم أقبحه ما جاء حتى عليه في الآيات
وسار الرصافي في نفس الاتجاه ، فلم يوجه لأنهم يمدون التشدد في الحجاب أمرا شرعيا ، وأدعى أن انصار السفر أعلم من غيرهم بمسألة أمرية الشرع ، وأن ما جاء به الاسلام لا يتعارض بأى حال مع المدينة الحاضرة ، وهذا يعني أن السفر هو علامة على المدنية عنده .
انظر ديوان معروف الرصافي ص ٣٥٤ ، يقول :

نحن السفوريين أعلم بالذي شرع النبي محمد من دين
أ يكون ما شرع النبي محمد شيئا يخالف شرعة التدين ؟
والسفور عند الرصافي والزهاوي لا يعني أن تتخلص المرأة من حجابها فقط بل لابد من مشاركتها في الحياة العامة ، وهذا ما دفع الزهاوي أن يرحب بمظاهر النهضة النسائية في لبنان ، لأن المجتمع لا يستعرض على سفور المرأة واختلاطها .
ما جعله يعد لبنان مثلا على للبلاد العربية تقتدى به ==

وهكذا كانت رحلة الشعر مع الحجاب والسفور تصويرا للصراع الذي كانت تشهده مصر والبلاد العربية بين الحضارتين الاسلامية والغربية ، حيث كان صراعا غير متكافئ ، حاول أشاعره الغمورون على التقاليد الموروثة أن يوقفوا زحف تيار الحياة الغربية المادية ، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك ، لأن بريق هذه الحياة كان أقوى لسانا ، وكانت قوته المادية أكثر طغيانا ، ناهيك عن التطبيق السيء للإسلام ، وفقدان النموذج الحي له في حياة المسلمين العملية ، فقد كانت دولة الخلافة تلفظ أنفاسها ، بينما كانت دول الغرب في ريعان شبابها وحيويتها ، وتدل على الشرق بمنجزاتها العلمية ، مما جعل مدرسة الشيخ محمد عبده وتلاميذه يسمون جاهدين من أجل التقريب بين الحضارتين ، ولا قوا من أجل ذلك تشجيعا كبيرا من الانجليز في مصر عن طريق كبار الموظفين المصريين ، وليس أدل على ذلك من الدعم الذي حصل عليه قاسم أمين من مصطفى فهمي رئيس الوزراء ، ومن بعده سعد زغلول ، الى جانب وضع الصحف والمجلات التي كانت بأيدي النصارى والمؤيدة للانجليز تحت تصرف الداعين الى السفور ، هذا بالإضافة الى العناية الزائدة بالآداب الغربية :

== في هذا المضمار . انظر ديوان الزهاوى ص ٢٦٧ ، يقول :

بيروت عز بلاد الضاد قاطبة بنهضة القوم فيه يضرب المثل
وللسناء لدى أهليه منزلة كما يليق بشعب هب يعتدل

وإذا كان الزهاوى لا يرى ضيرا في مشاركة المرأة في الحياة العامة ، فان الرصافي قد عتب على العراقيين منضمهم المرأة أن تعمل على خشبة المسرح ، وطالبهم أن يسمحوا لها باعتراف التمثيل ، انظر ديوان الرصافي ص ٣٤٢ :

وما المار أن بدو الفتاة بمسرح تمثل حالي عزة وآباء
وهاجم عمر أبو ريشة الحجاب ، لأنه عبء فادح على المرأة ، ولأنه يفصق بين الفتى والفتاة ، ورمى القائلين بالحجاب بالجهل لأنهم حرّموا كل محلل . انظر الشعر الحديث في الاقليم السوري لسامي الدهان ، ١٩٦٠م ص ٣١٢ - ٣١٣ يقول :

ظلموك يا هواء جهلا مطبعا والمرء مظلوم إذا لم يظلم
غلبوا نوايس الحياة فأثقلوا عطفك في عب الحجاب المرءم
هم حرّموا للناس كل محلسل هم حللوا للناس كل محرم

كل ذلك فصلناه في الباب الأول ، فلا حاجة الى تكراره ، ولكننا سنحاول فيما يلي أن ندرس أهم مظاهر السفور التي عمت وانتشرت بعد أن نجح أنصاره في اقضاء الحجاب من حياة كثير من النساء .

— ٥ —

كانت المرأة في مصر تهتم بزينة داخل بيتها ، ولا تبدى نفسها الا أمام زوجها ، ولكنها بعد أن اعتقدت من أسر الحجاب تغير وضعها ، وأصبحت تبدى ماخفي من زينتها خارج بيتها ولغير زوجها في الطرقات والأماكن العامة دون ما هدف به ، وأصبحت تزي لنفسها الحرية أن تتصرف كما تشاء دون أن يصددها أحد ، فليس للثقافة عدها أي حساب ، فعلت المرأة كل ذلك لأنها لم تفهم من السفور سوى الاعتناء بالمظهر بعد خروجها من البيت ، ولكن الجدير بالذكر أن بعض مظاهر السفور كالـ "تبرج" (١) ظهر

(١) تبرجت المرأة تبرجا : أظهرت زينتها ومحاسنها للرجال ، وقيل اذا أظهرت وجهها ، وقيل اذا أظهرت المرأة محاسن جيدها ووجهها قيل تبرجت ، وقال ابواسحاق : ان المقصود بالتبرج في قوله تعالى : ((غير متبرجات بزينة . . .)) أي اظهار الزينة وما يستدعي به شبهة الزجل ، وقيل انهن كن يتكمنن في مشتمهن ويتخترن ، وقال القرآن في قوله تعالى : ((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)) ذلك أن المرأة في زمن إبراهيم عليه السلام كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين ، ويقال كانت تلبس الشيا لا توارى جسدها .
انظر تاج العروس : مادة برج . ويبدو أن التبرج فني حقيقته واحد في كل العصور ، وان اختلفت مظاهره .

في فترة مبكرة ، وربما كان قد انتشر بين النساء خصوصا غير المسلمات فسي
مصر قبل دعوة قاسم أمين ، لأن قاسما عندما دعا الى تحرير المرأة كان يقصد
في دعوته المرأة المسلمة ، أما المرأة النصرانية فلم تنتشر دعوته ، بل أعلنت
سفورها قبل ذلك ، بسبب اختلاطها بالمرأة الخيرية ودخولها مدارس
الارساليات الأجنبية في وقت مبكر .

ومن أولى مظاهر التبرج التي ظهرت في مصر في نهاية القرن التاسع
عشر ، اهتمام النساء بلبس القبعات ، وقد سجل جورجى ابراهيم هذه
الظاهرة في قصيدة له بعنوان : " برانيط فتيات الحضر في أواخر الجيل
التاسع عشر " حيث وصف نساء الحضر وهن يرتدين القبعات ، وقد رسمت
عليها أغصان الأشجار أو طرزتها النساء ببعض أنواع الورود :

فلو أدركت زرقاء اليمامة عصر نسيسا
وما فيه مما يدنس السمع والبصر " ١"
وجالت تدوير الطرف فيه فيه فأبصرت
برانيط ربّات الحجال من الحضر
ومن فوقها روض أريض تبرى بسسه
غصونا بلا زهر وأخرى بها ثمر
ومن تحتها القامات يحكي قوامه نسيسا
رماحا تقدّ الظهر، بل تطلق الحجر
لقات لنا القول الكريم وأنشدت
لقد أقبلت أظاوما تحمل الشجر

ثم ان نساء الحضر لم يكتفين بلبس القبعات المزينة بالزهور ، بل
ان بعضهن لبسن هذه القبعات وغرسن فيها الريش ، وتضمنن بالمطوّر ،
وركبن العربات التي تجرها الخيول في منظر عجيب لفت أنظار بعض
المشاق فاتبعوه ، ولفت نظر نجيب الحداد ، فقال فيه :

(١) الشريا ، السنة الثانية ، الزم الرابع ، سبتمبر / أيلول ١٨٩٧ م

من بدور تدور في المركبات
ومن القبعات في هـالات^١
كلتها أزاهر الصنع من نهـ
ت الأيادي ، لا من أيادي النبات
أقحوان يفاخر الثغر في الحسـ
ن وورد يفاخر الوجدات
زهرات ماهاكها ابن سحاب
في ربي الروض بل بنات التيات^٢
ان يكن فاتها الأريج فقد عوضـ
ن عنه روائح الخانيات

.....

ويدور النسيم في الريش فوق السـ
روس حتى تخالها طائـرات
وقلوب العشاق تتبع الفيـسد
تباري أفراسها الجاربات
تحم الأبصار تنتهب الحسـ
ن انتهابا من أعين ناهبات
صاح هذي هوادج الحضـر اليـو
م فخلّ الهوادج الهاديـات

كل هذه المظاهر لفتت أنظار الشعراء منذ وقت مبكر ، كما لفتها
مظاهر أخرى حرصت عليها المرأة ، منها كشف الرأس الذي تدب به
نجيب لاذقاني في قوله :

(١) ديوان تذكـار الصبا ، لنجيب الحداد ، مطبعة جورجي غرزوزي ،
الاسكندرية ، الطبعة الثاـلثة ١٩٠٥ م ص ٤٠ - ٤١ .
(٢) ابن سحاب : المطر .

يا ابنة الفضل ان خرجت لحيي

فاستري الرأس كشفه كان عارا "١"

ومنها أنها أخذت تضع الطلاء على وجهها ، وتصبغ وجهتها
وتكحل عينيها وتهرز نهديها وتصبغ شعرها ، من أجل أن تظهر فسي
حسن مصنوع وكاذب مصيره الزوال ، حتى أن الشاعر نقولا رزق الله لم
يجد اسما يليق بمن تفعل ذلك سوى " غادة المرأة " فجعله عنوانا
لقصيدة قال فيها :

تميزت الحقيقة عن محال	وأسفرت الهداية عن ضلال "٢"
سطا ما كان يخدع من طلاء	على ما كان يظهر من جمال
لحال الله ابيضاضا كان يفري	بجيدك كل أعى القلب خال
وخدا لم يحمره صبباغ	وعينا لم تسمود باكتحال
وصدرا تاكل الثديين لولا	تديف القطن والخرق البوالي
وحسنا كاذب الوجهين تمشي	مالمعه على قدم الزوال
وساعات وقفت بها مليا	الى المرأة وثقة ذى خيال
ولو كانت نظيرك كل أنثى	وكان الحسن يجلب باحتيال
لأثرى كل صباغ وأمسى	غنيا من يتاجر بالفوالى
أقلتي من خضاب الشعر جهلا	فقد خدعتك أبصار الرجال
وقد يسود أبيض كل شىء	سوى ما أبيض من سود الليالى

وإذا كانت بعض النساء قد صبغن شعرهن ، حتى يخدعن الرجال ،
ويبدون أصغر سنا مما هن عليه ، فان أخريات من الشابات قد صبغن شعورهن
باللون الأبيض ، سعيا وراء كل جديد ولولم يكن مستساغا ، حتى أصبحن

(١) الهلال ، السنة السادسة ، الجزء الحادى عشر ، فبراير / شباط

١٨٩٨ م ص (٤١١ - ٤١٢) .

(٢) الضياء ، السنة السادسة ، ١٩٠٢ - ١٩٠٤ ، المجلد السادس

ص ٥٩٩ . وانظر مجلة أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء

الثامن ، ٣١ أغسطس / آب ١٩٠٣ ص ١٥٢٢ - ١٥٢٣ .

أشبه بالذئب ، وفي ذلك يقول الياس الخضبان من قصيدة له بعنوان
الشيب الصناعي :

ما بال شعرك بالبياض تخضبنا
فبدأ على عهد الشبية أشيبنا^(١)
أم ذاك لون قد غدا في عصرنا
في عرف ربّات التجميل أصوبنا
يادمية ان أسبلت فرعا لهنا
سدلت على أفق البرية غيبنا

.....

كيف استعضت عن السواد بأبيض
وكسوت هذا الفرع ثوبا أشيبنا
ورضيت بالشيب الذي يدعو السى
يوم الرحيل وأنت في غض الصبا
واخترت توديع الشباب بلا أسسى
ودعوت أهلا بالمشيب ومرحبنا
والعمر في سوق التجميل بعته
ياليت هذا البيع مادف مكسبنا

ثم لم يكن الشيب الصناعي كل مارآه الشاعر من تقليد ، بل رأى
الشد على الخصور ، والطلاء بألوان السموم على الوجوه ، والترائب العارية
في شدة البرد ، والأحذية الضيقة كأحذية الصيغيات .

كم غصن قامتك النحيف همزته
ضمن المشدّ فبات فيه معدبنا

(١) الضياء ، السنة السابعة ، الجزء الخامس عشر ، ١٥ مايو/ أيار

وأديم طلعتك الرقيق طليقتيه
ففدا بألوان السموم مخضبا
ولم حسرت عن الترائب حيث لا
تخشين ممن بود يهز المنكبا
قلدت بنت الصين في لبس الحدا
أرأيت هذا للتجمل أقببا ؟

أما السبب الذي دعا النساء الى تغيير أشكالهن في رأي الشاعر ،
فهولفت الأنظار والجري وراء " الموضة " ، ولأنهن على استعداد أن
يمشين محدوديات الظهور ، لو كان في ذلك لفتا لأبصار الرجال اليهن ،
ذلك أن النساء جعلن على حب الخديعة ، وهذا ما يدفعهن الى تكلف
المشيب :

للخود زي ليس يثبت فهو كسالا
هرباء ييصر دائما متقلبا
يحتلن فيما يجذب الأبيصار ان
يوددن لو أصبحن مثل الكهريبا
ولقد يحدبن الظهور تجميلا
ان كان للأبيصار ذلك أجلبا
فإذا تكلفن المشيب تصنعنا
لم يتفنين سوى الخديعة مطلبا

على أن ظاهرة " المشد " التي جاءت عرضا في القصيدة السابقة
قد وجدت من يخصصها بالتناول ويبين مزارها للمرأة العقيدة ، ويحددها
من مغبة ارتدائه ، لأنه كثيرا ما يوصى الى اصابتها بأمراض مزمنة ، وعند
أن حسن المرأة لا يكون الا بمحافظتها على عفتها وتدبير شئون بيتها ورعاية
أبنائها ، أما من تقضي وقتها في المخاصرة ولعب الورق ، فلا تستحق
أن تكون أما ، يقول عيسى اسكندر المعلوف من قصيدة له بعنوان
" المشد " :

نرى ولع الأوانس بالمشمسند
كثيرا مايقود لطيسي لحسد^١
فيورث صدرهنّ الرحب ضيقسا
ويوقف نجح جسم عند حسد
فما حسن النساء بكلّ حسد
انالم يلف في كمد وجسد
وطهر الثوب مع تدبير بيست
وتربية البنين وحسن قصد
فن هزت بيماها سريسا
فباليسرى الورى من غير بد
ومن هجرت مفاصرة ورقصسا
فلا تصبو السى ورق ونسرد

وهكذا لم تدرك بعض النساء قيمة الحرية التي حصلت عليها ، وحصرت
اهتمامها في العناية بمظهرها وأناقتها ، وأصبحت تبحث عن الحسنة ،
كأنه سلعة تباع وتشتري ، ونسيت أن الجمال لا يكون باستعمال المساحيق
والتطري بصنوف الأصباغ ، وبدلا من أن تجذب الرجل نفرتة بكذبها
وتصنعها ، حتى ليقول أبو ماضي محذرا منهن :
اني بلوت الفانيات فلم أجسد

فيهن قسط مليحة لا تكذب^٢
وصحبتهن فما استدت سوى الأسى
مايستفاد من الفوانسي يتصيب
وخبرتهنّ فما لبكر حرمسة
ترعى ، وأفدر من رأيت الشيب

(١) فتاة الشرق ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ يونيو / حزيران

١٩٠٨ م ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٢) ايليا أبو ماضي ، شعر ودراسة ، زهير ميرزا ص ١٢٧ - ١٣٨ .

لا يخذ عنك ضعفهن فانمسا

بالضعف أهلكت الهزير الأرنب

ويبدو أن خروج المرأة من بيتها متبرجة قد أثار عهد الرحمن صدقي ،
فهو لا يرى في خروجها من بيتها ، وقد ضمخت جسدها بالعطور ، ولطخت
وجهها بالأصباغ إلا حيوانا ضاريا أفلت من حرسه ، فسار ثائرا متخبطا ،
وكذلك هواء تركت بيتها ثائرة عليه ، كأن بها ماردا يريد أن ينطلق ،
فهي مهووسة بالحب لا يهتمها أن يكون حلالا أو حراما ، وإنما هدفتها
أن تبحث عن رجل تفترسه .

كالمضاري أفلتته حرسه "١"	هواء هذي قد طلعت
مارد بركان تحتبسه	ثائرة الحس كأن بها
سيان هداه أودنسه	أبدا بالحب مهووسة
تبحث عن رجل تفترسه	تغدو وتروح هنا وهنا

وهدر محمد الأسمر النساء من مغبة اتخافهن الأصباغ غاية لهن ،
وذكر المرأة أن الحسن المصطنع لا يدفع الرجال على التهافت عليها ،
فالحسن هبة من الله ، وليس سلعة معروفة في الأسواق :

قل للتي تجمل الأصباغ غايتها
في وجهها خير عن كل مسحوق "٢"
لصبغة الله خير، وهي باقية
على الزمان ، ويفنى كل تزويق
أخت المساحيق ، ان الحسن موهبة
لا يشتري الحسن يوما ما من السوق

(١) هواء والشاعر ، لعبد الرحمن صدقي ، ص ٧٩ .
(٢) ديوان محمد الأسمر ، شركة فن الطباعة ، القاهرة ص ٤٧٨ .

لا أكتنك أعي القبح مخفيسة
وان تأثق فيه كسل تزويق
أخت المساحيق ، لم تكذبك قافيتي
وما وضعت لها بعض المساحيق

وأهاب خليل شيبوب بالأوانس ألا يتخذن من المتبرجات اللواتي
يصبغن وجوههن بألوان الطلاء المختلفة مثلا يقتدين به لأنهن لو عرفن
عواقب هذا التصرف المشين لفرعن ، لقد خدعت هؤلاء المتبرجات ،
لأنهن اقتدين بالقدوة القبيحة ، فأصبحن مثلا منكرا ، ويدعوهن أن
يتخذن من جمالهن وعفتن وطهارتهن حلية يتزين بها :

لا تقتدي بهم اذا شاهدتسم
ألفوا صباح الوجه أبيض أحمر
لو أنهم يدرون عاقبة الطسلا
فزعوا بأوجهم الى رب البورى
خدعوك بالمثل القبيح كما همو
خدعوا به ، وعدوا مثلا منكرا
أنت الشبيهة فضة ضحاكيسة
أفتقتلين بها الحياة تحسرا
والعاج أنت نقاوة وطهارة
والفجر زفاف الجوانب نورا

ويوصي شيبوب الأوانس أن تصون محاسنها ، فالحرة اذا لطخت
وجها ، وتبرجت صبب التفريق بينها وبين المتبرجة ، فالملاحه لاتأتى
بالتزويق ، لأنها صنعة الرحمن :

(١) الفجر الأول ، لخليل شيبوب ، مطبعة جريدة البصير بالاسكندرية ،

صوني المحاسن من عيونك محضنة
وتتمضي بالعيش عذبا أخضرا
الفرق ما بين الحرائر والفسسوا
جر وجههن لناظر لن يخبرا
فدعي التبرج والتلحي وابسمسي
تستنزلي النجم الأغر الأزهرا
ان المليحة صنعة الرحمسن لا
صنع السحوق مزوقا ومزورا

لكن أين هذه التحذيرات من المرأة التي انطلقت ، ولم تقنع بألوان
التبرج السابقة ، بل أخذت تتراد الأماكن الخاصة ، كما في هذه الصورة ،
التي ذكرها خليل شيبوب لامرأة ، جلست تحدث رجلا مقبلا عليها ، وهي
تختلس النظر الى غيره ، يقول شيبوب :

ان الذي جلست تحدثه يبدو محبا والمحب أبي " ١ "

(١) المقتطف ، الجزء الثاني ، أكتوبر / تشرين أول ١٩٣٤ م ص

١٥٧ - ١٥٨ .

وقد رسم علي الجارم صورة للفتاة المحصورة ، التي تحاول أن تجمع
حولها عدد اكبرا من المحبين ، ولهذا فهي لا تمنع أن يشترك
أكثر من شخص في محبتها ، يصف الجارم سلوك صاحبه التي حاولت
أن تجمع بين محبته ومحبة غيره ، ويحذرنا من مغبة التلاعب بحسنها
والا تجار به ، لأنه سيفقد رونقه لكثرة الوارد بين عليه ، وهذه الصورة
شبيهة بالصورة التي رسمها خليل شيبوب للفتاة التي حاولت أن
تستميله دون مراعاة لمشاعر من يجالسها . يقول الجارم :

علقت غيري وترجو صلتسي عجبها مما ترجي عجبيا
هل يحل الغمد سيفان مما ؟ أو يضم الخيل الا أغلبيا ؟

.....

ان هذا الحسن كالماء اذا كثر الناهل منه نضب
وهو مثل الزهر ان أكثرت من شمه يازين ، أسسى حطيا
وهو مثل المال ان أسرفت بذله للسائله سلبي

راجع ديوان علي الجارم ١١٥/٣ - ١١٧ .

تجني عليه اذ تخالسنى نظراتها ، فأراه وهو غيبي
فعلام تدنيه لتمسده وعلام ترضيه على غضب
وعلام تفريني وما عرفت أصلي ولا فقلي ولا حسبي

ان هذا الانطلاق لم يفزع المحافظين فقط ، بل أفزع المؤمنين أيضا ، لأنهم شعروا أن دعوتهم الى نزع الحجاب لم تحقق ما كانوا يرجون من ورائها ، فقد ظنوا أن تحرير المرأة من الحجاب سيفتح أمامها طريق المعالي والعلوم ، لكنهم وجدوا أنها لم تفهم من هذه الدعوة غير الجري وراء المظاهر ، حتى أن داعية من داعاة السفور وهي أوليفيا عبد الشهيد هيج أشجانها أن ترى المرأة على هذه الحال ، فقالت في قصيدة لها بعنوان " شكوى " :

الحال هيج أشجاني فوالمسي
والنفس آسفة والحين لم تتم^١
واحر قلباه قد أسيت حائيرة
أهكذا تصبح الآرام كالرمم
أين المعالي وأين المجد سائلتي
أين الجلال وعصر العزّ والمظم
الفرب يسمو الى الطلياء مبتدئيا
حتى تسنم أقصى المجد والأصم
ونحن نهوي الى قاع الحضيض وقد
تهنا بواديه بين الجهل والظلم

وسألت الرجال لخلاعة بعضهم : أين العفاف وأين الدين ؟ ومضت تستنفر الهم ، لاصلاح هذا الفساد من أجل مصر ، لعل شهما شجاعا يتقدم الصفوف ويبيد الجهل بالحكمة ، ويعيد للمرأة هيأها وعافها :

(١) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الثامن ، مايو / أيار ١٩١٤ م
ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

خطب جسيم ورزّه لا نظير لسنينه
دمعي عليك فطاة العصور كالديم
لم هتكت ستور الفضل حانيسنة
رأس الخضوع لزيّ فيسر محتشم
أصبحت كالحمير في البيهارة سائرة
بلا حياء ، كأظمان بلا عظم
أين المغاف وأين الدين والمهتسي
أين العروة ، أهل الفضل والشحم
كم من خليع سباه لحظ حانيسنة
فدت تجرد يول اليسد والمظم

.....

فينا المثالب تشرى هل يقوم لهينا
منا شجاع يهيد الجهيل بالحكم ؟
ضاع الحياء وظلت مصر نائسنة
على عفاف فدا كالدازس الرمم
هي العليلة من جهل به منيسنت
ومن غيور على الآداب لم يقيم
قوموا أقيعوا سبيل الحق واجتهدوا
ولا تكونوا عن الداعين في صمم
لا تمطلونا فما في المطل فائسنة
بالعلم نسعد والأخلاق والشمم

وهذا عبد الحلیم المصری يأخذ على الشرقية الاهتمام بالمال والجمال
والأزياء دون أن تفكر كأختها الغربية في طلب المجد مع الرجل ، ودون
أن تتعلم ما يجعلها أما صالحة تبني للشرق الرجال الذين هم في الحقيقة
أسواره وحصونه :

لا تحسب المال البنات لها ففسي
ففتن البنات طهارة وحيثا^(١)
الفرب شمر للوفى فرجاله
ونسأوه في النازلات سوا
أحاسن الفريسة الهم الحسلا
ومحاسن الشرقيسة الأزياء
نصف الحياة على النساء وانسنا
ضل الرجال وأخطبسا الحكماء
والأمهات اذا تعلمت اهتسست
ابناؤها وارتاحست الآباء
فابنين للشرق الرجال فانهيسم
أسواره وحصونسه الشمصا

تمنى عبد الحليم المصرى أن تلقح فتاة مصر عن الاهتمام بالمظاهر ،
وأن تهتم بأمور نفسها وأسررتها ، وتشارك الرجل أعباء الحياة ، ولكن
هل حققت أمله ؟ وهل كان مافعلته النساء من جرى وراء المظاهر مجرد
أمر عابر لا يد أن ينتهي بهن الى الطريق الصواب ؟

ويبدو أن المرأة بسميها وراء المظاهر لم تخرج عن فطرتها التي
فطرت عليها ، فالمرأة الحديثة لم تختلف عن سبقنها من النساء ، فهي
تظهر حبا وميلا للمعارف والمعلوم ، ولكن عقلها وقلمها مشغولان بالبحث عن
الأزياء مهما بلغ بها العمر ، ومهما واجهت من صحاب في سبيل ذلك ،
قد تتغير أزياءها ، ولكن حبها للتغيير ثابت لا يتغير ولا يتبدل ، فلأزياء
سيطرة عجيبة على نفسها ، فلو بدالها زي جديد ، وهي في أشد حالات
الحزن ، فان ذلك ينسيها ما هي فيه ، وتتقلب مستفسرة عن هذا الجديد ،
ولو كانت مريضة واستعصى شفاؤها ، ورأت جديدا في عالم الأزياء ، فانها

(١) فتاة الشرق ، السنة الثانية عشرة ، الجزء الرابع ، ٤ يناير / كانون

ثاني ١٩١٨ م ص ١٣٦ - ١٣٧ .

تنسى مرضها ، ويظهر أن عنصر الخيرة عند المرأة من أقوى العناصر التي تدفعها الى البحث عن الأزياء ، وتقضي أخبارها ، حتى لا تتيج لغيرها أن تتفوق عليها ، ولو شاهدت امرأة أكثر منها أناقة وأوفى جمالا وأغرب أزياء ، لعصفت بها البغضاء ، ولا تفرق في ذلك بين قريبة لها أو بعيدة عنها ، وصف أحد الشعراء فطرة المرأة هذه ، فقال :

يهوى المعارف والعلوم لسائهمسا
والقلب فيه تجنّب وابتاء^١
لا شيء غير الحسن يشغل عقلهمسا
لا العمر يذهلها ولا الاعياء
تتحول الحالات عن أزيائهمسا
فيها ولا تتعسول الأزياء
لو أنها في ماتم من أهلهمسا
وودت لهما الأزياء فهي عزاء
أو أنها أشفت وعز الشفهمسا
وودت لها الأزياء فهي عزاء
أو وصرت أوفى سنا من غيرهمسا
في حسنهما ثارت بها البغضاء
من غير ما ذنّب يثير عسداوة
ان التفاضل في النساء عدا
حكم به جرت الطبيعة هكسنا
وقضى الاله بسنه وتمّ قضا

نعم ظل حرصها على الأزياء ، وزاد حتى وجدنا المقاد يخصصها بقصيدتين من شعره هي " الثوب الأزرق " ^٢ و " الأثواب الثلاثة "

(١) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء السابع ، ٣١ يوليو / تموز

١٨٩٩ م ص ٢٧٦ .

(٢) أبولو ، العدد الخامس ، يناير / كانون ثاني ١٩٣٤ م ص ٤٠٧ .

حيث حكى في الثانية قصة أخوات ثلاث ، أغرمن بتقليد بعضهن ، دون أن يكون للأخوة بينهن أى دور في التخفيف من حدة الغيرة ، لأن كل واحدة منهن يخيل اليها أن احترام الناس لها نابع من ارتدائها لأحدث طراز من الثياب ، ولهذا ترفض أن تشارك أختها ارتداء طراز واحد ، بل تحب أن تتفوق عليها ، ولهذا اختلفت الأخوات الثلاث في اختيار الثياب على الرغم من تماثلها من حيث الجودة وفلا الأثمان بسبب اختلاف ألوانها ، فكان ذلك سببا لتنازعهن وارتياب كل واحدة منهن بالأخرى ، يقول :

وتواصت على الثياب أختنا
ت ثلاث فستنّ بالتقليد "١"
يتسترن بالأخاء وتزهد
كلّ أخت بحسن وجهه وجيّد
لا تجلّ العذراء ان لم تجد لها
في كساء من الطراز الجديد
فمن يقسمن بينهن شغوفنا
غاليات من زاهيات البرود
لاحقات الأثمان بعضا ببعض
واختلاف الألوان جدّ شديد
فتنازعنهما طيبا ، وولست
كلّ أخت بريئة المرزود "٢"
تنتقي الثوب ثم تزهد فيسه
ثم تخرى بثوبها المرزود
لم يكن غيره بأخلىب وشسبنا
لا ولا كان همها فسي المزهد

(١) ديوان من دواوين نظم عباس محمود العقاد ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة

ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) زأده : أفرعه .

حسدا والضئيل بيدو جليلا

ان رآه الفتى بيمن حسود

ثم كان من النساء مع هذا من استهواها التكر في ملابس ليس
من عادتها أن ترتديها ، فمثلا قد تلبس بعض نساء المدينة زيا ليس معروفا
الا عند نساء القرى ، وذلك حبا في التخيير ، أو رغبة في التقاط صورة
على هذه الحالة ، يقول أحمد زكي أبوشادي :

أوفدت رسمك للفؤاد رسمسولا

فجملت منه السائل المسئولا "١"

ويدوت في ثوب القنوع وجسرة

سقت الخيال من الغرام شمولوا

فيم التكر والهوى لك فاضمصح

وعلام آثرت السلام عليلا

هكذا صارت المرأة بتبرجها من سيء الى أسوأ ، حتى أنها لم
تكتف بما سبق من كشف رأسها وصبغ شعرها وطلاء وجهها والتفنن
في زينتها ، بل تجاوزت الى كشف ساقها وذراعيها وقص شعرها ثم
تزيينه بما يشبه العمامة من الحرير ، والشعراء يتابعون خطواتها بين
مؤيد لها ومنكر عليها .

أما كشف الساقين والذراعين ، فما أعجب به بعضهم فيما يبدو ، لأننا
 نجد حسن كامل الصيرفي يصور افتتاحه بساقي امرأة رآها في حفلة رقص ،
 يقول :

هما فنتان ، هما روعتان "٢"

انذا اجتمعت حسنات الغوانسي

فساكاك أجمل ما في الحسبان

(١) أنين ورنين ، لأحمد زكي أبوشادي ، المطبعة السلفية بمصر ، الطبعة

الأولى ١٣٤٣-١٩٢٥ م ص ١٧ .

(٢) صدى ونور وموع ، لحسن كامل الصيرفي ، مطبعة كوستانوماس ،

الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ م ص ٨٦-٨٧ .

كما نجد العوضي الوكيل يصف افتتاحه بذراع رشيق جميل كادت
تلتهمه عيناه ، وتمنى لو أنه يستطيع ارتشاقه ، يقول :

هذا الذراع جميل هذا الذراع رشيق "١"
هذا الذراع رشيق يشع منه شروق
يفرى في عيونتي اليه . . . هذا البريق ؟
هل رشفة منه يروى صدى وبطفا حريق ؟

وأما قص الشعر ، فقد قوبل بالاعتراض من كثيرين ، لأنه يذهب
بحلية الله للأنثى ، ويجعل وجهها كوجه الغلام ، وهذا يعني أن القيم
الجمالية عندها قد تغيرت ، فيمد أن كانت تتباهى بطول شعرها ،
أصبحت لا ترغب في هذا الصنف من الشعر الطويل ، بالطبع لتأثرها
بالمرأة الغربية ، فقد رأى محمد الأسمر أن النساء في مصر شارداً يتصرفن
بغير توجيه ، وأنهن بقص الشعر صرن كالرجال ، يقول :

لا أرى الفيد في الكنانسة الا
شارداً راحت بخمير زمام "٢"
أى شي فعلن بالرأس حتسسى
صاروجه الفتاة وجه الغلام ؟
عجبا للحسان يسرقن منسبا
كل شي لم يسق الا الأسامي
انما الشعر حلية لله للأنثى
وأكليلها الهد يسع النظام

-
- (١) أغاني الربيع للعوضي الوكيل ، مطبعة ومكتبة وادى النيل بميت غمر ،
الطبعة الأولى ١٩٣٩ م ص ٢٨ .
(٢) ديوان الأسمر ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .
(٣) الينوع ، لأحمد زكي أبو شاد ، مطبعة التعاون ١٩٣٤ م ص ٧٣ .

كما أسف أبو شادي على الجمال الذي ذهب بقص الشعر وصارت
صاحبه كالغلمان ، وفقدت دلال الأنوثة وحنانها وعطفها ، ولهذا يدعوها
أن ترعاه ثانية حتى يطول فتزداد جمالا ، يقول :

أسفني على هذا الجمال مزيفسا
أكذا الحسان تعدّ في الغلمان "١"
أين الأنوثة ؟ أين أين دلالتها
وحنانها بعد بثها الفتنان ؟
لا كان قص الشعر ان ضحى لنا
حلو الشعور ، وعطفك الروحاني

لكنه عاد فغير رأيه ، وعدّه من المحاط التي تزيدها حسنا ، وتضاعف
افتتان الرجال بها ، يقول :

كيف الشكاة وكيف ينقص حسنهما
غرض ؟ وقد قلب المهنا هنيها "٢"
فلبثت مأسور الجمال وعيسك
أضفاف أس ، وهل أكون عصيها ؟
فتمتمني يابنت عصر مدهس
ماشتت من دنيا تحزّ كميهما
وترجلي حيناً ، وحيناً حقتسي
أمل الرجال الحارفيك حليهما

ومنهم أيضا العقاد الذي عبر عن سخريته من الذاهبات الى صالونات
الحلاقين في حوار أجراه بين المرأة وزوجها ثم بين زوجها والحلاق ،
لتحديق أحد الجالسين فيها ، يقول :

(١) الينبوع ، لأحمد زكي أبو شادي ، ص ٧٣ .
(٢) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادي ، المطبعة السلفية ١٩٢٦ م

فأقبلت غضبي الى قرينهما وأومات سخرا الى مجنونهما "١"
قالت : ألا تنظر للمخزور حدّق في العسرة كالصخور
ما زال يرنو نحوها بالطرف حتى لقد أنجل فيها طيفي
فأوماً القرين للحلاق بيتسم ابتسامة الاشفاق
وقال : قل للصاحب الصديق لا يكسر المرأة بالتحديق
من يكثر اللحم لها بالليل قد يحتربه هبل في العقول

أما عمامة الحرير على الشعر المقصوص التي تزين بها المرأة رأسها ،
فقد سخر منها محمود الأسمر ، لأنها زيادة في التبرج ولفت الأنظار ،
يقول :

مشت غانيات اليوم فوق رؤوسهن
على الشعر المقصوص بيض العمام "٢"
خطرن بها مثل الغصون تمايلت
بأزهارها من كل أبيض ناعم
إذا ما بدت هيفاء حاملة لهمسها
بدت وهي أنثى رأسها رأس عالم

ولكن علي الجندی خالفه ، وهدّها من أسباب الجمال ، لأن عمامة
صاحبتة كانت كالهالة حول البدر ، ولأنها كانت تفوح بأطيب الروائح ،
وعبق الزعفران والكافور من شعرها الفاهم :

عمامة من يقق الحرير تضيء مثل هالة البدر "٣"
كأنما خيوطها من نسور تئدي برّي الزئبق المنصور
وعبق الجادي والكافور تغالبها في الفاهم المنشور "٤"

-
- (١) ديوان من دواوين ص ١٦٩ - ١٧٠ .
 - (٢) ديوان الأسمر ص ٣٥٣ .
 - (٣) أغاريد السحر ، لعلي الجندی ، مطبعة نهضة مصر ، الناشر دارالفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ص ٣٢١ ، اليقق : شديد البياض .
 - (٤) الجادي : الزعفران .

ولم يكن الجندي وحده الذي اعجب بمطر صاحبه وأريجهما
النفاد ، بل طالب أبوشادي المرأة أن تنثر العطر على جسدها حتى
يفوح كالروض المزهرة الندي ،

الروض أنت بزهره وبعطوره

فوهي اذن ماشقت كالزهر الندي "١"

مهما نثرت العطر نثر كسائح

فهو التوضوء للجمال المهتدي

لكن المحب الذي سجله أحد الشعراء ، أنهن بعدما قصصن
الشعر ، وكشفن الساقين ، ولبسن ملابس الولدان ، وتبرجن غايبة
التبرج ، ذهبن الى المسئولين يطلبين اذنا بالسفور ، ولا أدري أكان ذلك
حقاً أم أنه سخرية من الشاعر ، يقول :

مل حلي ربّات الخدور "٢"
ت ، وهي مفتاح الشرور
بس لبس ولدان وحور
سيقائهن الى النحور

انا عهدنا الشعر أجـ
فجززناه مترجلاً
ثم لبسنا من الصـ
لا شيء فوق الثوب من

.....

ج بعده تضيخ العطور
لهم مقاليد الأـ
ر ، أعين بطون أم صدور ؟
ر ، فكيف تعريف السفور ؟
مذ غدون بلا شمـ

فخرجن في هذا التبر
وذهبن للشكوى لمن
يبغين اذنا بالسفو
ان لم يكن هذا السفو
قد كان في الحسيان هذا

(١) الشفق الباكي ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٥ ، ٢٥ ابريل / نيسان

١٩٢٩م ، ص ٣ .

ثم كانت بدع أخرى في مجال السفور أو التبرج ، منها احتراف
الرياضة ، حيث اتخذت بعض النساء من لعبة (التنس) ككرة
الطاولة وسيلة لعرض مفاتها ورشاقة عضلاتها ، ولم يواجه ذلك منها
عند بعض الشعراء الا بالترحيب والتشجيع ، يصف أبو شادي بعض
لاعبات كرة الطاولة بقوله :

يا جاريات في الهواء وطائرات في الهواء " (١)
والضاريات اللاعبات لنا على أكر الضياء

.....

أنتن ما تهب الرشاقة والملاحسة والرجاء

وزيادة في التذليل وتشجيعا لهن على الانطلاق من قيد التقاليد ،
جعلهن باللعب يمثلن ثورة الحسن على التقاليد ، وأبدى عدم ارتياحه
من المتعاسات عن هذا النشاط ، فقال :

أنتن ثورة حسنكن على تقاليد الرساء
فيكن من روح " الألب " حرارة للأوفيساء
توحي لنا معنى النضارة والتحرر والأبساء
فتيات مصر لم الخمول من الصباح الى المساء
مثل الروابي النائمات على الحقول بلا ارتواء
لاخير في موت الحياة يماغ في رسم الحياء

بهذه الاثارة أو يمثلها تشجعت المرأة فركبت الدراجة وأطرى فعلها
أبو شادي ، لأنه عنده يزيد من رشاقة القوام وسرعة الحركة وطرح الحياء ،
يقول :

(١) أطيف الربيع ، لأحمد زكي أبو شادي ، مطبعة التعاون ، الطبعة
الأولى ، ١٩٣٣ م ، ص ١٠٩ .

ياغادة تركب في خفصة
محسودة لولا رشيق القوام "١"
من علم الحسن الدلال الذي
ينساب لا يرضى حقوق الأنعام؟
يشق في جمع لهم خطبة
لا يهرب الجمع وفرط الزحام

كذلك فعل علي محمود طه حين أبدى إعجابه الشديد بفتاة
رأها ذات صباح ، وهي تركب الدراجة ، كأنها الفراشة ، فدعاها
الى التمهّل أثناء ارتيادها الطرق ولو كانت فسيحة ، وعند قفزها بدراجتها
فوق العشب ، وذلك في قصيدة له بعنوان : " راکبة الدراجة " :

تمهلي فراشة الصباح أسرفت في الخلد والسروح "٢"
ماذا ارتياد الطرق الفساح والوشب فوق العشب والصفاح
بين الروابي الخضروالبطاح بالشعر المهدّل السباح

ولم يقف التيار بل سار بالمرأة الى غير ذلك ، فاذا هي تحمّل
لفائف التبغ في يديها ، وتسير بها في الشوارع والطرقات ، حتى ان
باحثة البادية شكت من هذا التصرف مرات عديدة "٣" ، وهذا علي الجندي
يقدم نصحه لهؤلاء النسوة ، وقد ضاق ذوقا بهم ، لأنهن طمن جمالا
ماكان ينبغي طمسه ولا العبث به ، فقال :

قل للغواني عن نصيب ح ضاق ذوقا بالغواني "٤"
قولا لوجه الحسن أم لاه الوداك على لساني

.....

-
- (١) الشفق الباكي ص ١٦٦ - ١٦٧ .
 - (٢) علي محمود طه شعرودراسه ص ١٧٠ - ١٧١ .
 - (٣) النساءيات ، لباحثة البادية ص ٩٨ .
 - (٤) الحان الأصيل ، لعللي الجندي ص ٣١٧ - ٣١٩ .

تلك الثفور الزاريسا
الناطقات اللفظ مهـ
خلقت لتتشفقا أريـ
هانت وهان بها "لمى"
عبث الدخان بحسنتها
طمس الدخان بها الفتو
مالحسان يـردن أن
ت على تدي الأحموان
موسا كوسوسة المثنوي
ج المسك لاريح الدخان
ماكان أهسلا للهبوان
والحسن أولى بالصيان
ر ، وكان قيذا للعيان
يفلتن من سحر الحسان

نعم قلدن الغربية فأفرطن ، ثم قلدن الرجل فلم يكتفين بتدخين
اللقائف ، بل شاركه كل قبائحه حتى شربن معه الخمرة وسقينها له فسي
الأندية وأماكن اللهو ، ولم تقف جرأتهم عند هذا الحد ، بل تناولن
السموم البيضاء ، فقد صور محمد عبد الغني حسن في قصيدة له بعنوان
" قصة تيكى " فتاة في ربيع العمر ، تعلقت بهذه السموم ، فتبدلت صحتها
سقما ، وأشرفت على الموت بسبب افراطها في تعاطي المخدرات :

حسنا كانت كالربيع جميلة

مشت السموم على ربيع جمالها " ١"
كانت منورة الجبين مدلسة
مايالها لعب الردى بدلالها ؟
الشمة البيضاء بين يمينها
" والموتة السوداء " خلف شمالها
كنا نعيب على الرجال ضلالها
ما للنساء تحشرت بضلالمها ؟
وأشد ماتشقى عليه جماعسة
" الشم " بين نساها ورجالها
ان الحياة مع السموم مدلسة
ما للنساء نزل في أوجالها ؟

(١) من نبع الحياة ، لمحمد عبد الغني حسن ، طبع ونشر دار المعارف

الشم يفتال الحياة جميلة

كيف الحياة على يدي مفتالها

ولكن لماذا نلومها ولا نلوم الرجل ، وهو أحرى باللوم منها ، هل أقلع
عن السموم البيضاء والمخدرات ؟ وهل امتنع عن تناول الخمور ؟ وهل ترك
لعب الورق وأضرب عن الجلوس على مائدة القمار ؟ لم يفعل شيئاً من
ذلك ، فلماذا تحافظ المرأة على مال زوجها ، وهي تراه يبدد أمواله ،
ويبعثرها على طاولة القمار ؟ لقد وصف خليل شهبوب فائقة جلست تلعب
القمار مع بعض الرجال ، وقد وضعوا الدنانير أمامهم ينتظرون الكسب أو
الخسارة ، وكل يطمع أن تواتيه الفرصة ، يقول شهبوب من قصيدة له
بمعنوان " جميلة الورق " :

جلست تجميلين أوراقهم ومنها جدودهم تعلم " ١ "
فتعثر هذي وتنفض تلك وأنت القضاء بهم يحكم
إذا ما غنمت وأما غرمت سوا جلا وجهك المسم
تدور الدنانير عليك ومنك عابهم ان يغمسوا
فتجري على راحتك الشمس وتثر من يدك الأنجم

وهاهو حسن الصيرفي يشكو من ومهارة النساء في لعب الورق ،
وقدرتهن في التغلب على الرجال ، فيرجو شريكه في اللعب أن تعطيه
الفرصة في التغلب عليها ، ولو مرة واحدة ، وذلك بأن تكف عن استغلال
حسنها ، يقول :

نولينى الحظ مرة وأغلبيني ألف مرة " ٢ "

.....

ماعلى الغالب لو سلم للمضروب فتيرة
قدرة الحسن ، وهل تغلبه في الحسن قدرة
سحر عينيك هو الغالب لب ، لا غالب غيره

(١) الفجر الأول ، لخليل شهبوب ، ص ١٠٨

(٢) صدى ونور ودموع ، لحسن كامل الصيرفي ص ٨٣ - ٨٤ .

لكن الجدير بالذكر أن المرأة عرفت القمار ، وقلدت الرجل فيسه منذ نهاية القرن التاسع عشر ، فقد عدّ نجيب لانقاني واجبات الزوجة ، وجعل اجتناب لعب القمار احداها ، وحذر من مخبة تعلق النساء به ، لأن ذلك سيجهرن على التفريط بما هو أهم من المال :

يا ابنة العصر ان اريدت كمننا لا
فطريك اجتناب لعب القمار
ذاك طام على النساء وينسى
كيف ترضين يا ابنة بالعمار
انا الاحب طلسم يسحر العفة
ل ويكوى القلوب حرقا بنصار
كم نساء أنفقن كل شيسن
في سبيل القمار دون انتظار

ومما نافست فيه - مع قدم عهدها به - العزف على آلات الموسيقى ، ذلك الذي عرفت به غير واحدة في العصر العباسي ، واتقنه بعضهن في العصر الحديث ، حتى كان قول خليل شيبوب في امرأة تعزف على المضرب (البيانو) :

أنا ملأ اللطاف وت أمسرت
على المضرب أنطقت الجمادات
فاسمعنا التلله والتصابيسي
وفنانا المحبسة والسودادا
وأطربنا بكل زعيم سجع
أنا نحن استقرنا منه زادا

على أن من أبشع البدع التي ساق إليها التقليد ، وأقبحها عليها

(١) الهلال ، السنة السادسة الجزء الحادي عشر ، فبراير / شباط

١٨٩٨ م ص ٤١٢

(٢) الفجر الأول لشيبوب ص ١٠٦ - ١٠٧

المرأة عادة الرقص الشائنة ، التي أصبحت لدى بعضهم ولدى عدد غير قليل من الأسر في مصر لاغنى عنها في الحفلات والمجتمعات ، حتى توهمت تلك الطبقة من النساء والأسر أن الرقص من ضرورات التمدن في هذا العصر ، دون النظر الى كونه مخالفا للعقيدة وغير موافق لروح الشرق وعاداته ، فضلا عن أنه مضيعة للوقت والجهد . "١"

وقد شكك عبد الله النديم من السرعة التي انتشرت بها آفات الغرب في مصر ، ومنها الرقص ، حيث يقول : ((ثم ترقى الفجور الى أن صار النساء يحضرن مجالس اللهو ، ويذهبن الى " التياترات " ، ويرقصن في " البالو " بأنفسهن بحضور أزواجهن ، ويشربن الخمر في المواخير ومجامع الأوباش ، وهن بحضرة رجالهن . . .)) "٢" ، وجملة النديم الغرب مستولا عن انتشار هذا الفساد في مصر والبلاد الشرقية ، لأن الغرب أفسد أخلاق الرجال والنساء ، بادخاله كثيرا من البغايا الى الشرق وفتح المحلات لهن ، وكان للخديوي اسماعيل دور كبير في ترويج هذه البدعة ، بادخاله عادة الليالي الراقصة الى قصر عابدين ، حيث كان يفتح الرقص في قصره بحضور أعيان العاصمة وقناصل الدول الأجنبية "٣" ، وتبعه خلفاؤه في احياء الحفلات ، ولكن الآثار السلبية للرقص بدأت تظهر على السطح ، فحاولت بعض الحكومات المصرية منعه في المحلات العامة حفظا للآداب ، فلم تنجح بسبب تدخل الدول الغربية التي كان لها الحق في حماية رعاياها . "٤"

-
- (١) فتاة الشرق ، السنة الأولى ، الجزء الثالث ، ١٥ ديسمبر / كانون أول ١٩٠٦ م ص ٧٢-٧٥ .
 - (٢) الأستان ، السنة الأولى ، الجزء الرابع والثلاثون ، ١١ ابريل / نيسان ١٨٩٣ م ص ٧٨١ .
 - (٣) تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، لالياهو الأيوبي ص ٢٩٥ .
 - (٤) الهلال ، السنة الثانية ، الجزء الثالث والعشرون ، أغسطس / آب ١٨٩٤ م ص ٧٢٩ .

وظل حكام مصريقيمون الاحتفالات الراقصة في مواعيدها ، ويدعون اليها كبار الأعيان ورجال الدولة "١" ، ولفتت هذه المراقص نظريهم الضمراء فوصفوها ، من ذلك مرقص أقيم في قصر رأس التين ، دعا اليه الخديوي عباس الثاني الذي كان يعدّ من أقوى المؤيدين لفكرة الجامعة الاسلامية ، تقول الكسندره أفرينو :

أيا قصر رأس التين باكرك الصبا
وحييت ملهى للنفوس وطعما "٢"
تمرّ عليك الغاديات بصويهننا
فتلقى هوى النحاس أهوى وأصوا
لنا كلّ عام فيك ليل كأنسنا
يردّ علينا حسنة زمن الصبا
وليلتنا بالأص فيك تخيبت
مع الدهر لكن ذكرها ماتفينا

لقد كانت ليلة التقى فيها الجنسان من المصريين والغربيين ، وراح كل يتشبه بالآخر ، فيتشبه العربي بالافرنجي ، ويقلد الغربي العربي في جو اختلط فيه الحابل بالنابل ، وظهرت الحسان في قمة جمالهن وروعة صباهن ، ويدور الرقص بين الجنسيتين في جو مشبع برائحة الخمر على نحو ماتقول الكسندره أفرينو :

تجمّع فيه كمل لسن وأسسنة
وقابل فيه مشوق الأرض مغربا
تري العرب لا يألون الا تفرنجسا
بناديه والافرنج الا تمرّسا
فمن أشدّ فيه تداغمها التامسا
ومن سمهريسات تخاصرها الطبا

(١) أنيس الجليس ، السنة الذية ، الجزء الخامس ، مايو / أيار

١٨٩٩ م ص ١٩٩ .

(٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء السادس ، يونيو/ حزيران

١٩٠١ م ص ٧٠١ .

فلست ترى الا التي هذب الحجبى
صباها والا الألمحي المهنديا
تدار علينا الراح متى وموحسندا
تسوق لنا اللذات جمعا وموكبا
نقول اذا تهدو لدينا ككوسمسا
قد أخطأوا انا حيننا لنشربا

ولم يكن شوقي بنأى عن هذه الحفلات ، فقد وصفها في قصائد
متعددة ، كما لم يكن الأمر محصورا في العراق التي يقيمها الخديوي ،
بل كانت تفتد الى القاهرة والاسكندرية بعض فرق الرقص الأجنبية ، وصف
الشيخ أحمد أبو علي الأزهرى ليلة راقصة ، أحييتها فرقة رقص ايطالية نسي
الأسكندرية ، حيث صور الحركات التي قامت بها الراقصات في قوله :

بنات روما اللواتسي يلعبن بالناس لعبا^١
هن الكواكب أمست لها العرايسح قطبا
بل والشموس ، ولكن أضأت شرقا وغربا

.....

فكم تبايلسن دلا واغتلسن تيبا وعجبا

كما وصف محمد البهراوى ، مرقصا افرنجيا آخر شاهده في نهاية
العقد الثالث من القرن العشرين ، حيث صور ما تقوم به الراقصات من
حركات متناسقة ، أفقدته عقله وسبب قلبه .^٢

كل ذلك قاد بعض أفراد المجتمع في مصر لتقبل فكرة الرقص ، وعدوا
تعلمه واجبا على الانسان العصرى ، بحجة أنه رياضة بدنية وفن ينمسي
عند الشباب روح الفضيلة ، ويعودهم الفطرا الى الجنس اللطيف بعين مجردة
عن الشهوة ، وهذا يعني أن الاختلاط العزري بين الرجال والنساء ، وفتح

(١) الثريا ، السنة الثانية ، الجزء الثالث ، ١٥ أغسطس / آب

١٨٩٧ م ص ١١٢ .

(٢) السياسة الأسبوعية ، السنة الخامسة ، العدد ٢١٩ ، ١٧ مايو /

أيار ١٩٣٠ م ص ١٠ .

طريق الشر لهم عن طريق الرقص ليس عملاً مشيناً ، ولكنه ممارسة لفن رقيق ، وهكذا ألبسه دعاة المدنية الخريبة ثوب الفضيلة "١" ، ومنهم أبو شادي الذي عدّه السحر الحلال والدواء للحزن بقوله :

هذا هو السحر الحلال وطب أشجان الحزين "١"

بل يبدو أنه كان من دعائه والمتحسين له ، فقد دعا في قصيدة له بعنوان : " ارقصي يا غادتي " احدى الفاتحات أن ترقص احساناً على الحاضرين وتخفيفاً عنهم ، يقول :

ارقصي يا غادتي	ارقصي يا فاتتة "٢"
ارقصي في حسن احد	سان وعطف المحسنة
وانشرى الاحلام تفـ	ن الحسرات المزمنة
ارقصي يا مهجتي	ما شئت لا مستأذنة
الا من القلب السدى	ناجاك تهل الألسنة

لكن ايليا أبو ماضي لم يشارك أبداً شادي رأيه في الرقص ، ولم يجد فيه ما وجدته ، فقد لاحظ أنه وسيلة يحصل بها الشباب والفتيات على فرصة تضمهم وتجمعهم ، ليتطارحوا الغرام ، دون خوف من أحد ، ليس الرقص عند بعض الأسر فناً ورياضة ؟ ولكنه عند أبي ماضي يوجب نار الشهوة ، وقد أوضح الشاعر موقفه في قصيدة له بعنوان " الرقص المقنع " ، فقال :

أوقى عليها وهي ترقص كالفراشة فاشتهاها "٤"
شكت الصباية مقلتها • فجانبتسه مقلتها

-
- (١) قولي في المرأة ، لشيخ الاسلام مصطفى صبري ، المكتبة العربية بحلب ص ٧١ .
 - (٢) الشفق الباكي ، لأبي شادي ص ٨٤٧ .
 - (٣) المرجع نفسه ص ١٧٤ . وراجع في الشفق الباكي قصيدة لأبي شادي بعنوان " في مرقص " ، ص ٧٦٤ .
 - (٤) فتاة الشرق ، السنة السادسة والعشرون ، الجزء العاشر ، يوليو / تموز ١٩٣٢ م ص ٥٤٣ . وانظر ايليا أبو ماضي شعر ودراسة ص ٨٠٦ - ٨٠٧ .

حتى اذا ما اختار كل فتى رفيقته اصطفاها
ورأت به من تبتغي وكما رأته كذا رآها
متلاصقي الجسمين يسند ساعديه ساعداها

.....

فانسلّ من أصحابه سرا وأفضت جاراتها
ومشى بها في روضة قد نام عنها حارسها

كذلك صور صالح جودت ما يدور في نفوس الشباب من انفعالات أثناء الرقص الذي يبدأ بعد منتصف الليل ، وذكر أن مجرد نزول الشباب الى ميدان الرقص يثير ميوله ، ويفقده السيطرة على عواطفه ، لأنه ليس صخرا جامدا أو ملكا من الملائكة ، وتحت تأثير أنغام الموسيقى وتقارب الأجساد والتصاقها يتخلّى الجميع عن حياضهم ويتصرفون بفرائضهم .^(١)

وذكر خليل مردم أن الرقص ليس فنا بقدر ما هو وسيلة للحصول على اللذة الجسدية ، فقد شاهد التصاق اجساد الراقصين والراقصات ، حتى لم يعد بإمكانه تمييزها ، فكانها انصهرت وكونت جسدا واحدا ، ولا حظ مردم أن للرقص متمات لا يتم الا بها ، فاذا لعبت الدمام في عقول الشباب ، فقدوا السيطرة على عواطفهم ، وراحوا يهبون من متع الحياة ، ولهذا فهو عنده مجنون ولهو وبداية لسقوط الشباب في الشرور ، ورأى أن الرقص يهبون على المرأة كل صعب ، فاذا تمتمت الفتاة وأبت أن تسلّم نفسها للشباب ، ثم رضيت النزول معه الى حلبة الرقص ، فقد سهل عليها ما كان عسيرا ، يقول من موشح له :

(١) ليالي الهمم ، لصالح جودت ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ص ١٩٥٧ م ص ٤٠ - ٤١ .

لوصبت الماء ما بينهم
لم يكد يخلص من فرط اعتلاق^١
علقت كفّ بكف منهم
شركا واختلفت ساق وساق

.....

كيف ترجو صحو من قد ثعلبا
بمدام وفسرام وشيباب

.....

زعموه يورث الجسم اضطلاعا
ونشاطا وهسو لهسو ود
وأراه بين أهواء صراعنا
ريخت النفس بسه والجسد
كل صعب فهو بالرقص يهسون
وعسير الأمر فيه كاليسير
ربّ جسد كامن طي مجون
وكبير مبتداه من صغير

وهذا مادفع الياس فرحات أن يحذر الآباء من مغبة السماح
لبناتهم أن يدخلن المراقص ، لأن الرقص عادة وافدة يجب أن تحارب ،
وهي أولى بالتأخير ، لأن مفاستها تزكم الأنوف ، وخاطب الآباء قائلا :
إذا كانت لدى ضمائركم بقية من يقظة ، فاعلموا أن ما يروجونه
عن الرقص ، بأنه رياضة وفن ، إنما هو خداع وتضليل ، وليعلم كل
أب حريص على عرضه وشرفه ، أن المراقص تقودهن إلى المواقير :

(١) ديوان خليل مردم ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق
ص ٢٠ - ٢٣ . وانظر قصيدة أخرى له في الرقص ، الديوان ص ٣٤٤
يقول في راقصة اعتلت المنصة ليلة عيد الميلاد :

لما رقصت على المنصة بدعةً فأتيت بالابداع والاغراب

للغرب في الشرق عادات مقدسة
كانت وما برحت أولى بتأخير^١
لا تتبصوها فكم من زهرة حسنسنت
في الناظرين وساءت في المناخير
يا أيها الناس ان كانت ضما نركسب
تأبى الخداج وما ترضى بتسخير
قولوا لكل أب في الشرق محتسرم
ان المراقض أبواب العواخير

وعلى الرغم من المساوي^٢ التي نجمت عن انتشار هذا الداء^١ عند
بعض الطبقات وكثرة التحذيرات التي صدرت عن بعض المفكرين والشعراء ،
ازداد هذا الوباء انتشارا يوما عن يوم ، وراجت سوقه حتى تخصصت بعض
النساء فيه وعرفن به ، وأصبحن يلاقين من تقدير الشعراء^٢ مالا يلاقيه
منهم زعيم أو مجاهد ، وهذا يعني أن الرقص أصبح مهنة بعد أن كان
مجرد هواية ، وسنتعرض لهذا الجانب عندما نتكلم عن عمل المرأة .

ولم يقف تقليد المرأة المصرية للمرأة في الغرب عند مجرد الاهتمام
بالمظهر ، وانما سعت كذلك الى تقليدها في كل أمر تافه من الأمور ، فدخلت
في مسابقات الجمال التي كانت الى عهد قريب مقصورة على نساء الغرب ،
ولكن انتشار الجمعيات المختلطة التي كانت تقوم باحياء الحفلات الراقصة ،
اتجهت الى هذا النوع من المسابقات ، فكانت أول جمعية اهتمت
بمسابقات الجمال احدى الجمعيات المختلطة التي أسست في الاسكندرية
عام ١٩١٠ م^٢

ويبدو أن اختيار ملكة جمال مصر أصبح عادة متبعة بعد ذلك ، فقد
انتقد الشاعر محمد صادق عرنوس قيام الجالية المصرية في باريس بالاحتفاء

-
- (١) الفتح ، السنة الثانية ، العدد ٥٥ ، ٢٨ يوليو / تموز ١٩٢٢ م
ص ٤٠
(٢) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر / تشرين ثاني
١٩١٠ م ص ٧٠ - ٧١ .

بملكة جمال مصر لعام ١٩٣٥ م ، وشاهل عن الفائدة التي تجنيها مصر
من هذا العمل ، وعن الاستقبال الحافل الذي قوبلت به في باريس من
قبل الجالية المصرية ، التي أقامت لها حفلة فخمة ؟

وهل يعني ذلك أن المصريين أرادوا أن يشبوا للغرب أنهم أهل
للاستقلال ؟ ويرى عزنوس أن حصول المرأة على تاج مزيف لا يفيد فلسي
المحافظة على عزة الوطن ، بقدر ما يفسر على أنه خنوع واستسلام ، وأن كل
هذه المظاهر لا تعود بالنفع على شعب محطم الآمال مهيبض الجناح ،
يقول :

مصر قد أثبتت بطك الجمال
ملك أبنائهما للاستقلال "١"
ولذا استقبلوا التي منحتمهم
ذلك الفخر أحسن استقبال
قابلتها وفودهم باحتفاساً
لم يقابل به فحصول الرجال
بالتاج مزيف لم يفد نبيساً
عزة الملك بمل خنوع الموالي
أي نفع ينال شعب مهيبض
غير حر محطسب الأمان
مستباح الحمى لكلّ دخبسب
من فتاة تفوقت في الجمال

ويضع الشاعر يده على موضع الداء ، فيرى أن كلّ مانعانية من
متاع ناجم عن شدة اعجابنا بكلّ لهو صادر عن الغرب ، نون أن نحذو
هذوهم في الصفات الكريمة :

(١) الفتح ، السنة العاشرة ، العدد ٤٦٨ ، ٢٦ رجب ١٣٥٤ هـ

هي احدى مساوى الغرب عندنا
بعد تقليدها بشرّ مشال
داونا في احتدائنا أيّ لهسو
جا عنه قد صار جدّ عضال
ما احتدنااه في كريم الشجايسا
واحتدنااه في نميم الخصال

- ٧ -

ثم لم يقتصر سفور المرأة على ظهورها شبه عارية في مثل هذه المسابقات، بل شاعت بين النساء مظاهر أخرى للسفور ، أفاض الشعر في وصفها ، ومن هذه المظاهر ، ظهور المرأة عارية على الشواطئ ، وفي حمامات السباحة ، وهكذا كشفت المرأة عن البقية من جسدها ، بحجة أن لها الحرية في التصرف تارة والسعي وراء كل جديد تارة أخرى ، وما يؤسف له أن أكثر الشعراء وقف من عزي المرأة وقفة المستمع الذي رأى في مناظر النساء على الشواطئ مادة خصبة يستوحىها شعراء ، حتى أنهم خلدوا في شعرهم بعض أماكن الاصطيف على البحر ، وصف علي بن العزيمي مصيف رأس البر ، بأنه مسرح للفزلان ومجمع للحسن تبدي فيه النساء ما يستطعن من ألوان الجمال ، ويتساوى فيه الناس ، فلا فرق بين أسود وأبيض أو سيد وعبد ، حتى ان الفني يتجرد عن كثير من مظاهر غنائه ، ويقنع بالحصول على كوخ صغير كما يفعل الفقير ، والكلّ ينعم بضروب الصفاء المختلفة ، ويتجرد من مشاغله في جميع الأوقات لاسيما وقت الأصيل ، يقول :

يامسرح الفسولان والخرق

ومسرح الأبيض والأسود^(١)

(١) الهلال ، اكتوبر/ تشرين أول ١٩٠٥ م ص ٢٢ - ٢٣ .

ياجمع الحسن بأنواعه
ولست غير العلم المفرد
ياحاكما أصبح من عدلته
ساوي السادة بالأجد
ان السري يفهم في كونه
عن قصره من غيشك الأرفند
لأنت ناد لضروب الصفا
كم مصدر فيه وكسبهم مود
لا يشغل المرء به شافيل
وفي سوى الايناس لم يسهد
وان يجي ذاك الأصيل الذي
يشرحنا من وقته الأسمد
اذن ترى الجنس في مشهد
تجله في الشكل عن مشهد
فأغيد يرنو الى غادة
وغادة ترنو الى أغيد
وتلك مع هذا جلوس وذا
يسير مع تلك يدا في يدا
للشاطي الأقرب هذا مشي
وهذه للشاطسي الأبعد

هذه الجلسة المرية على شاطي رأس الهر ، والتي زالت فيها
الحواجز بين الجنسين ، عدها الشاعر لحظات أفس تزيد النفس بهجة
ونحيما ، وتمنى لها أن تدوم ، دون أن يحترق على شي مما رآه ، مع
العلم أن وصفه لهذا المنظر كان عام ١٩٠٥ م :

مرأى يزيد النفس من أنسهما
وأمس مثل اليوم مثل الغد
وهذا نعيم العيش هذا المنى
لودام للناس ولسم ينفسد

لكن الماحي لا يرى في مصيف رأس الهر غير مصدر للفتنة والاغراء ،
فهو أنى تلفت لا يجد غير شباب كست الحسرة وجوههم ، وسحرتهم فتن
الشاطي ، حتى ضعفت أجسامهم ، وشحبت ألوانهم ، ومن الطريف أن
الماحي الذي كبرت به السن لا يرى في حديث الفتيات معه سوى وسيلة
لاصطياد أبنائه والتحرش بهم ؛

أتى تلفت لا ألقى سوى مهسج
حرى تنّ ومسحورين أفضاء "١"
ويحي من الخيد ان حد ثني كرمنا
فما يردن سوى القوين لأينائي

ولم يكن شاطي ، بور سعيد أقل شأنًا من رأس الهر ، فقد وصف
مصطفى حسن البنهاوي النساء على شاطي ، بور سعيد بأنهن حوريات ،
يتخذن من الأمواج سترا وتمعمة ، وهن شغل الشباب الشاغل سواء جلسن
على الرمل أو نزلن الى الماء :

اتخذن الأمواج سترا ولمهسسساوا
مثل شمس تخيب خلف السحاب "٢"
هنّ في الماء والرمل حيسسساة
ومنى الحسن والمهوى الشباب

ووصف عبد الله بكرى النساء على شاطي ، بور سعيد ، وقد تجردن من
الثياب ، بأنهن لا يعترضن على تحرش الشباب بهن ولا يتنمن عليهن ،
بل ويشجعنهم طمعا في الزواج أو رغبة في المهوى . "٣"

-
- (١) ديوان الماحي ص ٢٥٤ .
(٢) أبولو ، العدد الثالث ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٣٢ م ص ٢٥٠ .
(٣) أبولو ، العدد الأول ، سبتمبر / أيلول ١٩٣٢ م ص ١٨ - ١٩ .

أما خليج " ستانلي " في الاسكندرية فقد نال من اهتمام الشعراء
مالم ينله مكان آخر ، حتى اننا نجد اسم هذا الشاطي يترد على السنة
أكثر الشعراء ، وكأنهم تواضعوا فيما بينهم ، أن يعدوه مصدرا للجمال
يستوحون من مناظره أشعارهم ، فالعقاد المشفق على القلوب من سهم
الجمال ، يدعوها للحظة استمتاع بما على شاطي " ستانلي " من حسان
ينسين المهموم والشقي أحزانها ، حيث لا طلاء يستر الصيوب ، وذلك في
قوله :

يا ويح قلبك من هدف صال المسدد أم صدف " ١"
كشف الخضم طلاء هـ ن ولا حجاب لما كشف
قف في سبيك لحظة وائسى الشقاء وما اقترف
حيث الخماص ولا طوى حيث العراة ولا شطف " ٢"
يا ويح قلبك من هدف بين الهضاضة والهيف

وأما محمد قدرى لطفى ، فقد ذكره خليج " ستانلي " بما كان
عليه حال المرأة في روما أثناء عصرها الذهبي ، واتفق له في الواقع ما كان
يظنه خيالا ، فلم يكن يعتقد أن يصل الأمر بالنساء الى هذا الحد ،
فيتخلصن من حذرهن ويلقن ما عليهن من ملابس كانت تستر عوراتهن ، وذلك
في قوله :

أيام روما أم ملاعب قيصري

تلك الملهي الهاديات لناظري " ٣"

(١) ديوان العقاد ، لمياس محمود العقاد ، منشورات المكتبة العصرية ،

صيدا - بيروت ، المجلد الأول ٤٢٥/٥ - ٤٢٨ .

وصف العقاد حمام السباحة في قصيدة أخرى ، بأنه مصدر فتنة

هوجاء تعصف بما حولها ، لأن الغيد من النساء يزدن فتنة اذا

جردن ما يستر أجسادهن ، وأشد ما يكن فتنة عند ما يكن في نضرة الصبا .

انظر ديوان العقاد ٨٩/١ - ٩٠ حيث يقول :

هي فتنة غزلاء بل فتنة هوجاء ماتضب به يبر

والغيد أنفذ مارمين اذا جردن عن زرد وعن ستر

يا حسنهن ومالبسن سوي ثوب الملاحة والصبا النضر

(٢) الخمصانة : ضامرة البطن ، الشطف : ضيق العيش .

(٣) أبولو ، العدد الثاني ، اكتوبر / تشرين اول ١٩٣٣ م ص ١١٨ .

مئّن لي ما كنت أعهد مسسورة
شتان بيمين معثل ومصمور
أتراك أغريت الحسان فلكسسم
نّ كواشف لك عن جمال مسفر
ماكان سرا من جسم الفانيستنا
ت كشفته وعوضته في متجر
وانعته للناظرين ، فلم تخسيف
شفف الأديسب ولا نسيب الشاعر
حذر الفتاة أزلت حسن ستساره
عنها فيالك من جبري* قادر

على أن أبا شادى كان أكثر الشعراء شغفا بوصف خليج " ستانلي " ان كان مقرما بوصف الجمال العارى ، حتى انه يمكننا القول أن كثيرا من أشعاره كانت بوقا لنشر الرذائل باسم الفن ، فهو لا يرى في خلج المرأة ثيابها على الشاطي* شيئا مزريا ، لأنها عندما تخلع ثيابها ، ترتدى ثياب الحسن بدلا عنها ، يقول :

الخالعات من الثياب أجلمهننا
واللابسات الحسن وهو أجل "١"
" فينوس " ترح فيه بين مفاتن
ويلي " كيوسيد " الحزير " أبولو " "٢"

-
- (١) أبولو ، العدد الخامس ، يناير / كانون ثاني ١٩٢٢ م ص ٥٦٥ .
وانظر أطيف الربيع لأبي شادى ص ٢-٣ .
(٢) فينوس : آلهة الجمال عند اليونان ، كيوسيد : اله الحب ، أبولو :
اله الشعر عندهم .

ويعجب أبو شادي ممن يزعمون أن تحجب المرأة وتمنعها على الرجل
يزيدان جمالها ، ويعد ذلك منهم تنطعا ، يدل على جهلهم وعدم
درايتهم ، فالجمال عنده رشاقة في التعبير ، وحسن المرأة لا يتمثل الا في
جسدها الذي امتلأ توجا وسحرا ، يقول من قصيدة له بعنوان :

" ديمقراطية الجمال في خليج ستانلي " :

زعموا الجمال تنمنا وتحجيسنا

حينن الجمال رشاقة التعبير "١"

لم يدره المنتظمون ، وانمسا

يدريه كل مفسره بشعور

يابنت " أفرويت " حسنك ماشمل

في جسمك المتسوج المسحور

ويرى حسن الصيرفي في شواطي " البحر ملجئا للناس ، يطرحون فيه
عن أنفسهم قيود التقاليد ، ويطلقون لأنفسهم الأعتة بحثا عن المتسع
واللذات ، يقول من قصيدة له بعنوان " الاسكندرية " :

فروا اليك سراعنا من عالم كجهنم "٢"

ومن قيود ثقسال ومن تقاليد تسأم

الى حياة مسراح ومتحمسة وتتمم

(١) الينبوع لأبي شادي ص ١٢-١٣ ، وانظر قصيدة " حوريات الماء
من وحي شاطي " ستانلي " لأبي شادي في ديوانه ، من السماء ،
مطبعة جريدة الهدى ، نيويورك ، الطبعة الأولى ١٩٤٩ م ص
٣٧ . وانظر قصيدة " الصيف عند شاطي " ستانلي " في ديوانه
من السماء ص ٦٥ . وانظر قصيدته (حرب الشواطي " استيحاء
شاطي " ستانلي) في ديوانه ، فوق العباب ، مطبعة التعاون
بالقاهرة ، ١٩٣٥ م ص ١١٠-١١١ .

(٢) صدى ونور ودموع ، لحسن كامل الصيرفي ، ص ٢٥-٢٧ .
وانظر في المرجع نفسه قصيدة " الموجة الراقصة " ص ٨٩-٩٠ .
وانظر ديوان أصداء بعيدة ، للعوضي الوكيل ، شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى الباهي الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٤٥ م ،
ص ١٨ .

ووصف عبد العزيز عتيق الاسكندرية بأنهم كعبة المصطافين ، وملان
لمن تألفت قلوبهم على الحب ، وعبر عن سروره لروميته الحسان ، وهسن
يتخترن فوق الأمواج ويعرضن فتنهن على المصطافين ، يقول :

عم صباحا يا كعبة المصطاف
وملان الأحيساب والألاف^(١)

.....

نزل الحسن في عمى الهم يهدى
فتن النصور في بديع ائتلاف
أيها الموج : لا عليك ، تمتسح
بمئات الحسسان والألاف
هاهنا تخطر الملاحة والحسنان
وتحييا لابي* الأصداف

وإذا كان الشعراء الذين أتينا على أطراف من قصائد هم قد عدوا
عري المرأة على الشواطي* وفي حمامات السباحة مناظر بديمة ، تثير
لديهم الاحساس بالجمال وتقوي فيهم ملكة تذوقه ، ورأوا أن المصيف
مكان يتخلو فيه الانسان عن كل القيود والقيم ، وأن الزمن الذي يقضى
هناك يجب أن تنتهب فيه اللذات ، فان شعراء آخرين لم يروا فيها غير
أنواع من التبذل والاستهتار واندفاع الفتيات والفتيان وراء الشهوات
الجامحة ، ومن هؤلاء* محمد الأسمر ، الذي عدّ العاريات على الشواطي*
متمردات على طبيعتهن هازئات بكل ما حذرهن منه ، كأن منظرهن
متقلبات على الرمل سرب من الحيات ، وذلك في قوله :

(١) أحلام النخيل ، لعبد العزيز عتيق ، مكتبة مصر ، دار مصر
للطباعة ، ص ٥٩ . وانظر في نفس الديوان قصيدة " وناع
الشاطي* " ص ٦٠ - ٦٤ .

ماكن من ورق الوكون وانما ورق هوات بكل ريش نام^١
متقلبات لو نظرت لحسنها لحسبتها في الرمل سرب أراقم

كذلك منهم علي الجندی ، الذي رفض ما يجري على الشواطي^٢ من
اختلاط وعري ، فالشبان يحومون حول الفتيات يريدون أن يشبعوا
رغباتهم ، ولهذا يحذر النساء أن يقمن فريسة سهلة في أيديهم ، لأن
الجمال اذا أصبح سلعة تعرض فقد قيمته وهان على ناظره ، وخير وسيلة
للحفاظ عليه أن تصون المرأة نفسها عن التبدل ، وأن لاتدع جسمها نهيبا
مشاعا للأنظار ، يقول :

" أليلى " في المصيف أرى عيوننا

تحم على الجانر والظبنا^٢

فصوني الحسن ان الحسن ينسسى

جلالا بالتصنن والايانا

* * * *

جالك نعمة قارعني جميلا

به أصبحت فيظنا للملاح

أعنيك أن أراه اليوم نهيبا

للأنظار كأطراف الرملاح

ومنهم من عثر عن الأسى والحزن لفساد الأخلاق في البر والبحر
بسبب هذا التلاقي بين المرأة من الجنسين ، حيث بعضهم الى بعض في
حالة غرام أو احتساء خمر ، وقد رأى من صاحبه مالا يحل له أن يراه ،

(١) ديوان الأسمر ص ٣٢٠ - ٣٢١ . الورق : جمع ورقيا

وهي الحمامة ، الوكون : جمع وكن بفتح وسكون وهو
عش الطائر .

(٢) أغاريد السحر ، لعلي الجندی ص ٣٢٠ - ٣٣٣ .

وتجلس في النادي فتاة الى فتى
على الورد بين القفل والكأس والخمر "١"
هنالك كل اثنين ضمهما هسوى
وكّل صبيح العرض في المعرض الحر
ففي البحر سوات وفي البر مثلها
فياضيعة الأخلاق في البر والبحر

وهذا شاعر رابع يرجع فساد الفتيات الى الأمهات ، لأن الفتاة
افتقدت في أمها القدوة الصالحة ، ويرجع فساد الأمهات الى الأزواج ،
لأنهم سمحوا لهن بالمجيء الى الشواطئ ، وغضوا أبصارهم عن تصرفاتهن
لضعف فيهم أو فساد في طباعهم ، ورأى في انغماس الشباب وراء شهواتهم
وأطراحهم الحشمة وعدّها من الحادات البالية بما شجع أخواتهم أن يحسدون
حدوهم ، كما رأى فيما يدور حوله على شاطئ " استانلي " من لقاء بين
الجنسين ، وتكشف مخز ، وتصرفات رعاة ما يجرح الفضيلة ، ويخجل الحر ،
ويشين مصر ،

هل رأيت الجنسوع محتشيدات
فوق شط الخضم أو ساحبات ؟ "٢"
ضلتهم قذوة الوالسدات
ومن الوالك يسن سوء أناة
ومن الزوج غض طرف لضعيف
أو طباع في نفسه فاسدات
وانغماس الشقيق في شهسوات
لايالي بمنهج الأخوات

(١) قولتي في المرأة ، لمصطفى صبرى ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧ - ٣٨ .

فاطرحسن الحشمة يحسبونها مسن
باليات الأسنور والعنادات

.....

حالة تجرح الفضيلة حشما
ولها تدمي نفس ندى النخوات
شط " استانلي " أنت طارلمصر
وعليها من أشنع الوصيات

لكن هذه الصرخات من بعض الضيويين على أخلاق القوم لم
تردهن الا ضللا ، وظل شاطي " استانلي " وغيره من الشواطي مصدر
فتنة وبويرة فساد الى جانب كونه وحيا لشياطين الشعراء .
والواقع أننا لانستطيع أن نستقصي كل القصائد ، التي اتخذت
من أجساد العاريات في حمامات السباحة موضوعا لها ، لأن أكثر الشعراء
تناولوا هذه الظاهرة بالوصف ، وعدوها ظاهرة فنية تستحق منهم أن يلتفتوا
اليها ، ويخلدوها في شعرهم ، هذا الى أن نظرتهم الى الشعر اختلفت
عن نظرة من سبقوهم ، فاذا كان شوقي وحافظ وأضرابهما قد جعلوا من شعرهم
وسيلة للتعبير عن آرائهم فيما يدور حولهم من أحداث ، فان آخرين أمثال
المقاد وأبي شادي وغيرها اتجهوا في شعرهم الى النزعة الذاتية الفئانية ،
وهذا ما جعلهم يعبرون عن اعجابهم بالأجساد العارية على الشواطي باعتبارها
تجسيدا لقيم فنية استوحوها من الآداب الغربية والأساطير الأخرى ، فالمرأة
والبحر عند هؤلاء الشعراء مرتبطات ، حتى انه من الصعب علينا أن نجد
لواحد منهم قصيدة في وصف البحر دون أن تكون المرأة جزءا منها ، وصورة
المرأة على الشاطي عندهم تعني الانعتاق من قيود المجتمع وتقاليد ، ولأن
أكثر هؤلاء الشعراء كانوا يتجهون اتجاها رومانسيا هرويا ، نراهم يرحبون
بمخرج المرأة عن الحشمة ، وهذا يعني أن الشعر عندهم كما لاحظ بعض
الدارسين أصبح دعوة الى تقديس جسم المرأة وعبادة اللذة الجنسية دون
التفات الى القيم الخلقية .^١

(١) الفول في الشعر العربي الحديث في مصر ، لسعد دعيس ، الطبعة
الأولى ، الناشر المكتبة الوطنية في بنغازي ، ط ١ ص ٦٦٢-٦٦٥

وإذا كان هؤلاء الشعراء قد حولوا الشعر عن رسالته السامية التي تقتضي منه أن يكون حارساً أميناً على القيم والأخلاق ، فإن شعراء آخرين التزموا برسالة الشعر ، وحملوا منه وسيلة لتنبيه المرأة ، وتحذيرها من مغبة الانجراف وراء التقليد الأعمى ، وطالبوها أن تفكر بعقلها ، وأن تتوقف عن السعي وراء إشباع شهواتها بطرق غير شرعية .

وقد أدى انطلاق المرأة نحو الحرية الشخصية التي حدثت انقلاباً في حياة المجتمع المصري ، وأصبح كثير من الناس غير قادرين على الموازنة بين التقاليد التي شربوا عليها ، والعادات الجديدة التي فرضت عليهم ، ولم يعد الأمر مقصوراً على مجرد خروج المرأة من بيتها وكشفها عن وجهها ، بل وصل الأمر بها إلى درجة التمرد على الرجل ، كما لاحظ جورج ألفا حين وصف ما يلاقي الرجل من عسف المرأة وظلمها ، لأن عشقها للتمدن ورغبتها في التشبه بالموسرات جعلها غير مستعدة أن تراعي ظروف زوجها المادية ، فإذا وجدت منه تقاعساً في تلبية حاجتها من المال ، تحايلت عليه بموعها ، حتى تدفعه إلى الاستدانة ، ولم تكف بذلك بل استغلت مسابرة لها حتى سلبته حقه في السيادة على البيت ، وأصبحت الأمرة الناهية فيه ، ولكن ماذا فعلت المرأة عندما تسلمت السيادة على البيت والأسرة ؟ هل أحسنت القيام بهذا العبء ؟ وهل حافظت على أسرتها وحرصت على أخلاقها ، أم أنها تمردت على القيم المرعية وحاولت التصل منها ؟ خلعت شعار الكمال ، وداست على عفافها ، وخانت عهد زوجها عناداً وتكبراً ، حتى أصبحت ترى العفاف قياداً نيفاً ، لا يجمل بها أن تحافظ عليه ، يقول جورج ألفا :

أسلن دموع العميون نفاقاً لكي أسدين ويظلمنني^١
وزن بحب الفجور ولوعاً بهمدخ مشين وجرد نسي

(١) مجلة سركيس ، السنة الرابعة ، الجزء ٢٢ ، ٢٣ ، ١٥ أبريل / نيسان ١٩٠٩ م ص ٦١٥ - ٦١٧ .

غرسن بذور الشقاق فسادا
فصرت كعبد مطيع وصبرن
خلعن شعار الكمال لجهل
ودسن ستار العفاف بكسر
كسرن القيود وخنّ العهود
وكن المكائد في المسكن
بحكم السيادة يأمرنني
كثوب عتيق وزي فني
كأنّ العفاف لشيء دني
نسين العهود وأهلنني

ويرى الشاعر أن تشبث المرأة بالمظاهر ، وجريها وراء التمدن
أفقدتها صوابها ، فأهملت زوجها ، ومزقت حجابها وهجرت خدرها ، لأن
الحجاب لا يتناسب والحياة المصرية ، ولأن الخدر يثافي حرقتها ، خرجت
الى الشوارع تغري الرجال بلبين قوامها ، وتصلطادهم بنظراتها ، ولا تعود
الى بيتها الا بعد حلول الظلام ،

رفعن الحجاب ، ركبن السحاب
هجرن الخدور ، خلعن الخصور
أسرن بلبين القوام رجسالا
سرحن وفقن الغيباء شرودا
وعدن وجنح الظلام كفيصل
نزين الحجاب وأهلنني^١
جعلن الصدور كروض جنسي
وصدن الكواسر بالأعين
ولا من رقيب ولا محسن
بستمر المعائب للمسكن

وهذا يعني أن الدعوة الى السفور والتخلص من الحجاب ، لم
تأت بالسعادة والهناء للأسرة ، كما وعد السفوريون ، وانما جعلت من
حياة الرجل مع زوجته جحيم لا يطاق ، فلم يعد الزوج يجد في بيته
السعادة والهناء اللذين يتناهما ، لأن رزقه لم يعد يفي بما تطلبه
زوجته من وسائل التبذل ، وزوجته لم تعد تمتني به وبمعيشته :

رغبت اقتصاص الهناء احتيالا
ولكن نحسي قد صادني "أ"
ورمت اكتساب اليسار بكسيدا
ولكن زمان الخنى فاتسي
فكيف أكون سعيدا ، ورزقيسي
بجلب ابتداء الك لا يكفسي
وكيف يسود الوفاقا وأنسست
بأمر الميمنة لمن تعتسي
فياليت شعري ، أعدل بأنسي
أذوب شقيا ولن تحزني

والشاعر في هذه القصيدة يعبر عن الأزمة النفسية الخائفة التي عاشها الرجل في بداية القرن العشرين ، بسبب التبدل المفاجيء والسريع في القيم ، فقد شاركته المرأة في تصريف أمور الحياة ، ليس داخل البيت فقط ، بل خارجه كذلك ، وأصبح للبيت مسئولان بعد أن كان الأمر منوطا بالرجل فقط ، وهذا يعني أن الشاعر يرفض القيم الغربية الوافدة ، لأنه لم يرفيها الا تحطيا لنظام الأسرة الذي كانت تقوم فيه العلاقة بين الزوجين على الألفة والتعاون ، كما يعني أن بعض الشعراء النصارى ممن كانوا يقرون السفور ، ويدعون اليه ، لم يرضوا عن تجاوزات المرأة وخروجها عن جادة الصواب ، وهذا الأمر نفسه دفع بعض الخيوريين في مصر إلى تأليف الجمعيات لمكافحة الفساد ، الذي دبّ في كل طبقات الأمة ، ومن هذه الجمعيات ((جمعية مكان الأخلاق الإسلامية)) التي أشاد محمد صادق عرنوس بفضلها ، ودعا أعضائها إلى انقاذ مصر مما هي فيه ، وحذرهم من اليأس والقنوط وعدم مجابهة الفساد الا بالطرق ، وذكرهم أنهم فسي ساحة الجهاد ، وأن عليهم أن يحتملوا المتاعب ، وطالبهم أن يقفوا في وجه أهل النفاق الذين دفعوا بالمرأة إلى الخروج من بيتها والتسرّد

على خدرها ، ولم يكتفوا بذلك بل زينوا لها الكشف عن جسدها لتصبح
غرضا لأصحاب الشهوات ، حتى أصبحت لا ترى ضيرا أن تترك زوجها مع
أطفالها ، وتخرج لملاقة عشاقها ، وحتى أصبح كثير من الناس غير
قادرين على التمييز والتفريق بين التمدن والفسق ،

يا محبي مكابم الأخسلاق
بلغت روحها بعصر التراقي "١"
أنقذوها فالأسر جد خطيسر
سعه الصبر لم يحسد بالمطابق
واحدروا اليأس صاحباً ورفيقاً
انه في الحياة شر الرفاق
بعضكم ربما استعاض .. قنوطاً ..
عن تلاقي الفساد بالاطراق

وعزا المخلصين شبه نهسول
اذ تولى الاصلاح أهل التفاق
انهم عرفوه وفق هواهم
بخرج النساء في الأسواق
عاريات يرتدين كل سبيسل
غرضا للفسوة والعشاق
يشغل الزوج بالعيال وتمضي
زوجه يومها مع العشاق
خلطوا الفسق بالتمدن فافتسر
كثير بلونسه الهراق
مزجوا حامض الفساد بحلسو
لفظته صحيسة الأذواق

ويذكر ان حماس محمد صادق عزنوس لفكرة انشاء الجمعيات الاسلامية ،
التي كانت تقصد وقف تيار التبرج ، ودعوة الناس الى حياة الفضيلة
والطهارة بعد ان تردت الأخلاق وشاع الفساد ، ووقفت المرأة فسي
وجه الآداب العامة ، فيقول من قصيدة في تحية جمعية الحضارة الاسلامية :

انظر الى الأخلاق كيف تقلصت عنها الطهارة "١"
والى تعري المكرمات من الفساد الى القرارة
والى التبرج كيف صر لنا كلفا يجني ثماره
والى النساء وقد تحدن هداوة الآداب شاره
الملاحون هم الذين تصمدوا هتسك الستاره

ويبدو أن غيرة عزنوس على النساء ، واشفاقه لما وصلن اليه من
الثبثك ، جملاه يستمر في حملته على التبرج ، فقد ألمه منظر الفتاة وقصد
أبرزت جمالها فتنة للناس ، وارطدت من الملابس ما يشق عن جسمها ،
ومشت بطريقة تثير الشهوات ، وصبغت شفقتها وغديها بألوان من
المساحيق ، حتى غدت دمية ، فراح يسألهم ، هل يمكن لأحد أن
يرتضي مثل هذه الفتاة زوجة له ؟ وهل ماتت نخوة الزوج حتى يسمح
لزوجه أن تظهر على هذه الحال ، كأنها تريد أن تدخل مزادا علينا ؟
وهل يسرّ الزوج أن ينهش عرضه في كل مجتمع وناك ؟ ان لم يكن لهذه
المتبرجة زوج يردعها عن الاستمرار في غيها ، أليس لها أخ يحرض على
عرضها ؟ أليس لها محرم عاقل يصون شرفها من الضياع ويتألم لها ؟
وذلك في قوله :

هذي فتاة حسنها رائج قد أبرزته فتحة للعباد "٢"
قد ارتدت ثوبا تعرت به يشق عن أعضائها أويكاد

-
- (١) الفتح، السنة الخامسة ، العدد ٢٢٤ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ
ص ٨ .
(٢) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٤ ، ١٨ ابريل / نيسان
١٩٢٩ م ص ٥ .

والشفتان ارتدتا قمرًا
يشدّ في الفتنة أيّ اشتداد

والخد وردا زاهيا لونسبه
له الساحيق شبيه السمسار

.....

من منكم بالله زوجا لهسا
تلفه اشهارها فسي المزاد

في معرض الحسن غدت زوجته
بذكورها في كلّ ناد يشاد

ان لم يكن زوج فهل من أب
أو من أخ أو محرم ذي رشاد

اذا رآها خرجت مرة
فانتقدت ألمه الانتقاد

هل ماتت النخوة من بينكم
فقال كلّ قد لزمت الحيناد

ونشرت البلاغ الأسبوعي قصيدة بعنوان " السفرور " دعا فيها

الشاعر النساء أن تفود الى الحجاب ، لأن أخلاق الشباب قد فسدت ،

وأصبحت الدناة شعارا محببا الى نفوسهم ، فلا يحميها من دنائتهم سوى

الحجاب ، فكيف تأمن الفتاة على عرضها ، وهي سافرة في غابة مليئة

بالذئاب ؟

أتشكو من سهام اللحظ جرحينا

وسهم اللحظ يقصيه الحجاب " (١)

فلا تنفي حياة في سفورور

متى تومن على شاة ذئاب

لقد اتخذوا دنائتهم شعسارا

يمييزهم اذا عسى النصاب

تاهوا بالمفاسد نخر قسوم

أعدّهم متى حلست صواب

وعلى الرغم من الجمعيات التي استحدثت وغيرها بمض المصلحين ، لم

يجد كل ذلك مع المرأة نفعا ، فقد عمّ داء السفرور في مصر ، وأصبحت

النساء يعشن ولا رقيب عليهن من ضائكرهن ، يدفعهن الى وضع حدّ

(١) البلاغ الأسبوعي ، ٦ مارس / آذار ١٩٢٩ م ، العدد ١٠٣

للفساد ، فقد مشت النساء في الأسواق مشية مريهة ، وكشفن عن سيقانهن
وشعورهن ، وأصبحت محاسنهن بادية لكل فاجر بعد أن كانت مصونة ،
لأنه وقرني ، أذهان النساء أن التبرج علامة على التمدن ، وصدقن
مأنق دعاة السفور من أقوال ، يقول ابن رواحه :

أليس في مصر من رقيب
لقد فشت بينهم أمسور
انظر الى الناس كيف تمشي
ولا على الناس من حسيب ؟ "١"

محاسن كن في حجاب
قد غرّ ربّاتها كسلام
فصن مرعى لكل نيب
منعق ليس بالمصيب

ويقول محمد حسن النجمي مصورا ما أدى اليه السفور من فساد ،
جنت ثماره الفتيات بوارا في سوق الزواج بعد أن كره الارتباط بها من
كرهوا تذلها من المحافظين ومن غيرهم .

زعم السفور والاختلاط وسيلسة
للمجد قوم في المجانة أفرقوا "٢"
كذبوا متى كان التعرض للخنساء
شيئا تعزّ به الشعوب وتسبق
أ يكون كشف السواتين فضيلسة
فيديمها هذا الشباب الاحمق
مابالم والبنت قد فتنت بمسا
قالوا وحلّ بها الجنون المطبق
وبدت مقاتل عرضها لرماتسه
حتى لهم به الجبسان الأخرق

(١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٠٣ ، ٥ يوليو/ تموز ١٩٢٨ م

ص ١٢ .

(٢) الفتح ، السنة التاسعة ، العدد ٨٠٩ ، ٧ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ

ص ٥ . وانظر هذه القصيدة في كتاب "قولي في المرأة" ، لمصطفى

صبري ص ١١٣-١١٦ .

والقول أصبح في الخروج لها فلا
كف تكفّ ولا رتاج يخلق
كرهوا الزواج بها وباتت سوقها
بعد التبدّل عقدهم لا تنفق
ماخطبهم كلّفوا بنزع حجابهم
وتكلّفوا فيه الهيان وتمقّوا

ويرى النجمي أن السفوريين بفعلهم هذا قد ضلّوا السبيل ، وغرهم
بريق المدينة الغربية ، فالضعيف مغرم بتقليد القوي ، حتى أنه لا يرى
في سيئاته إلا حسنات ، والتمدن عند النجمي لا يكون باباحة المتع الحرام
وازهاق روح الحياء ، عن طريق السماح بانتشار الخلاعة ، كما أنه
لا يكون بترك الفتاة تتصرف حسب هواها ، وإنما يكون التمدن بالعلم ، فقد
ضلّ المشرق الطريق على حين اهتدى الغرب بالعلم :

أعدت مشاكلنا الكبيرة كلمهسسما
ذيلا يجرجره السفور المطلق
أم أنهم ضلّوا السبيل وغرهم
ببريقه هذا الجديد المخلق ؟

.....

لم يقصدوا خيرا بها لكنهم
رأوا القسوي يسيخها فتعلقوا
ولربما اجترح القسوي خطيئة
فمضى الضعيف بمدحها يشترق

.....

ليس التمدن أن نرى روح الحيا
بيد الخلاعة كلّ يوم تزهرق
والبنت يدفمها براحتة الهسوي
فتروى تهسوي من تشاء وتمشق

لكنه العلم اهتدى بضائسه

غرب البسيطة حين ضلّ المشرق

هكذا تجاوزت المرأة المدنية ما أراكم لها قاسم ، فبعد أن كشفت نقابها ، انتقلت إلى الكشف عن الأذرع والسيقان والصدور ، وأسلمت أمرها إلى صانعي الأزياء ، واتخذت الملابس الضيقة ، ثم ظهرت على رمال الشواطئ بما لا يكاد يستر من جسمها شيئاً ، وحطمت ما كان يفصل بينها وبين الرجل في المسارح ووسائل النقل ، وتتابع هذه التطورات في صورة مذهلة ، ولم يمد جرح المحافظين على التقاليد يفيد في شيء ، حتى أن بيوتهم أصبحت عرضة للتأثر بهذا التيار .^(١)

وبعد صراع مرير بين المحافظين وأنصار المدنية الغربية الحديثة ، كانت النتيجة في صالح السفوريين ودعاة التحرر ، حيث اختفت - أو كادت تختفي - المرأة المحجبة من الحياة الاجتماعية في مصر ، وبرزت المرأة المصرية السافرة المتبرجة ، التي اتخذت من نساء الغرب قدوة لها ، وتلك صورتها كما رسمها خليل مطران :

برزت في الغداة غادة وادي النيل تخفي جمالها في الحبير^(٢)
جثة الحاجبين ، فاحمة الفودين ترنو . بطرف ظبي غريـر
علة المعطفين ، ناهضة الثديين يزوي أديمها بالحريـر
لونها ظاهر انتساب إلى الخمر ، له مثل فعلها في الصدور
أما صورتها عند أبي شادي ، فهي تحب الاختلاط بالناس جميعاً ، ولا ترضى أن تعيش في عزلة عن الرجال ، وتهدى حسنهما في سخاء يطمع الناظر إليه ، ولا تمتنع عن معازلة أندادها من الشبان والتطف معهم ، يقول أبو شادي من قصيدة له بعنوان " فتاة العصر " :

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/٢٤٨ - ٢٥٦ .

(٢) ديوان الخليل ، لخليل مطران ١٨٢/٢ ، الحبير : الناعم الجديد من الثياب .

بروح الصبّ ماتبيدي
فتاة من محاسنها
تجلت للعيون كما
سخي حسنهما أبدا
أغازلها على أدب
بلا لفظ بلا قبيل
ويحضر العطف كالصدّ (١)
جمال الطبع والقصد
تجلّى المسعد المجدي
فيقيمنا عن الزهد
فتستقيني من الشهد
هواهما انصت في مهد

ويخيل لمن يتأمل هذه الفتاة أنها ملك ، فقد اهتنت بجمال
جسدها ، فضيقت على خصرها ، وثانقت في كلامها حتى عذب
هديشها ، وهي جريفة لا تشهيب أحدا كالحاكم المشلط ، وهي تضي
من يريد وصلها برقتها ، لكنها سرعان ما تصده ، لأنها متقلبة المزاج :

تأملها تجد ملكا رشيق اللفظ والقد
جريفا من جلالته جلالة حاكم فرد
ويوما جفتها فرحا لأطلب وصلها وعدي
فأغررتني برقتها ونظرتها وما تهدي

.....

وأقصتني بما جمعت من الكتمان والنرد
فهذي حال فاتسة مشار النقد والحمد

ان هذه الفتاة كما يقول أبو شادي غلبت حريقتها صرامة العادات ،
فلم تسمح لها أن تتحكم في تصرفاتها ، ولكنها مع ذلك تسيطر على عواطفها ،
وتكبح جماحها ، وتهزأ ممن يخشون عليها الزلل ، لأنها شديدة الثقة
بنفسها ، وهي تحب المخاطرة ، ولا تعد ذلك عيبا ، لأنها
تعتمد على الحظ كلاعب النرد ، يقول :

(١) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادي ص ٤٢٨ - ٤٣٠ .

لها حرية غلبت	هوى العادات والوجد
تسيطر غير هائبة	ولا تقسوا على الفبد
وتهزأ بالظنون ولا	تخاف سوى هوى يردي
تخاطر غير عائبة	كملقي الحظ للنرد

وكما رسم أبو شادي صورة الفتاة العصرية رسم صورة معاظة للمرأة العصرية ، فما هي صفات هذه المرأة ؟ وكيف تفهم الحياة ؟ وهل تستوحي الدين والأخلاق في تصرفاتها ، أم أنها تستلهم في حياتها مقاييس جديدة ؟ .

انها كما صورها لا تهتم بالدين ، ولا تحترم التقاليد ، بل تسير بوهي من جمالها وعقلها ، وبهما وحدهما تستطيع أن تسيطر على كل من حولها ، وهي عنده لا تخشى على نفسها من الرجال ، فتقابلهم في كل وقت ، وتحبيهم بشعرها الجميل وبيانتها العذب ، وهي مفرمة بالحديث عن الفنون والآداب العالمية ، لأنها لم تعد محجبة بآداب قومها ، كما أنها بارعة في العزف على العود .^(١)

هذه الصورة للفتاة والمرأة العصريتين كما رسمها أبو شادي ، وهي لا تبعد عن صورة المرأة الغربية الحديثة ، فهل يعني ذلك أن الصورة التي كانت عليها المرأة العربية في مصر قد اختلفت ؟ .

الواقع أننا لانستطيع أن ندعي ذلك ، لأن تأثير الحضارة الغربية لم يستطع أن يصل الى أعماق الريف المصري ، على الرغم من قوة هذا التأثير ، فسلمت الريفية الى حد كبير من صت المدنية الغربية ، ان بقيت على تمسكها بالتقاليد والعادات ، التي سادت مصر منذ زمن بعيد ، كما حافظت على عفافها وطهرها ، ولم تفقد ماء وجهها ، فظلت حياء خجولة ، تتجنب مقابلة الرجال ، ولا تسعى لهم في مجالسهم ، لأنها ليست معنية

(١) أشعة وظلال ، لأحمد زكي أبو شادي ، مطبعة الشباب بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٣١ م ص ٥٢ - ٥٣ .

بمعرض جمالها عليهم ، حتى رأى الشعراء في سلوكها تجسيدا للعفاف
والطهر والحياء ، وهي أهم الصفات التي يتمنى الرجل أن تتوفر لسدى
المرأة ، خصوصا بعد أن تخلت كثير من نساء المدن عن هذه الأخلاق ، وقد
وصف محمد الأسمر ريفية في مقتبل العمر ، كانت تلهو بمفزلها ، فلما
رأت الرجال قد اقتربوا منها فرت مختفية ، حفاظا على سمعتها ، وخشية
على طهرها حتى من النظر ، يقول :

من القرى عادة أنست صبايتها

صباية الفاتكات اللاء في الحضرة^١

ان أنس لا أنسها تلهو بمفزلها

لهو الحمامة بين الماء والشجر

حتى رأتنا ، فقامت وهي مسرعة

تمدو وأكبادنا تمدو على الأثر

فيالها الله من عذراء نافسيرة

تخشى على طهرها حتى من النظر

كم في المدائن من شوها قد وضعت

خز الحرير طس جسم من الحجر

(١) ديوان الأسمر ، لمحمد الأسمر ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

الفصل الثامنسي

قضية تعليم المرأة

أجمع المفكرون - كما أسلفنا في الباب الأول - على ضرورة تعليم المرأة وتربيتها ، ولكنهم لم يتفقوا على طريقة تعليمها ، فبعضهم رأى أن تتعلم ما يعينها على تصريف أمور حياتها ، والقيام بواجباتها كزوجية وأم ، على أن تهتم المدارس بالأمر الدينية والتشجيعية ، ورأى بعضهم الآخر أن لا مانع أن تصعد الفتاة إلى أعلى درجات العلم والمعرفة ،

ويلاحظ أن تعليم المرأة كان في بداية عهده ، وحتى فترة طويلة في أيدي المدارس التبشيرية والمدارس الخيرية ، أو النصرانيات من السوريات ، وهذا يعني أن تعليم الفتاة وتربيتها في مصر ظل مصبوغين بصيغة هذه المدارس ، ولم تستطع مصر أن تتخلص منه ، حتى بعد أن أصبح التعليم تابعا للحكومة .

لكن ماذا كان موقف الشعراء من قضية تعليم المرأة وتربيتها ؟ وهل اختلفوا حول تعليمها كما اختلفوا حول حجابها وسفورها ؟

يبدو أن نظرة المجتمع إلى المرأة في القرن التاسع عشر لم تكن واحدة ، فهي عند بعضهم أصل كل فساد ومهلكة ، وهي مسئولة عما يعانیه القوم من شقاء ومصائب ، فتمنى هؤلاء لو نهذت ، وابتعدت عن المشاركة في ميادين الحياة المختلفة ، حتى لا تفسد بدائها على الرجال حياتهم ، بينما رأى آخرون أن القرب منها أمنية ، وأن الحياة معها نعيم دائم ، وأن الرجل بدونها لا يساوي شيئا ، فهي كالبدن في كبد السماء ، ولكن أديب اسحاق لا يقر هؤلاء ولا هؤلاء ، فالصواب عنده أن المرأة في كل تصرفاتها ليست الا صورة للبهت الذي عاشت فيه والرجال الذين دعوها ، فهي شيطان مدمر اذا فسدت تربيتها ، وهي ملاك من ملائكة الرحمة ، اذا هذبت وأعطيت من العناية ما يليق بها ، وفي ذلك

قول :

حسب المرأة قوم أفسدة
ورآها غيرهم أمنيعة
فتنى معشر لو نبيذت
وتنى غيرهم لو جعلت
وصواب القول لا يجهلسه
انما المرأة مرآة بهمسسا
فهي شيطان اذا أفسدتها
من يدانها من الناس هلك^١
فازبالذة منها من ملك
وظلام الليل مشتت الحلك
في جبين الليث أو وسط الفلك
حاكم في مذهب الحق سلطك
كل ما تنظره منك ولك
وانا هذبتها فهي ملك

وكأديب اسحاق في دعوته الى تهذيب المرأة وتربيتها كثيرون ، نخص بالذكر منهم حافظ ابراهيم ، وأحمد شوقي ، وأحمد محرم ، ومصطفى صادق الرافعي ، وخليل مطران ، لأن لكل منهم وجهة سنتينها من شعره ففي قصيدة لحافظ ابراهيم دعا فيها الى اعانة مدرسة البنات ببورسعيد توة بتربية البنت ، وبالمستقبل الذي ينتظرها ، وينتظر أمتها اذا ربيت على الفضيلة ، واستبانة طريقها ، يقول :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقسي
في حب مصر كثيرة العشاق^٢
من لي بتربية النساء فانهمسا
في الشروق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتهمسا
أعدت شعبها طيب الأعراق
الأم روض ان تمهده الحيسا
بالري أو رق أيما ايراق

(١) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الأول ، ١٨٩٦ م ص ٥٠ .
وانظر في الأدب الحديث ، لعمرالدسوقي ١/٩٨٠ .
(٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٧٩ - ٢٨٣ .

الأم أستاذ الأساتذة الألمسي
شغلت ما أثرهم مدى الأفق
ربوا البنات على الفضيلة انهمسا
في الموقفين لهم خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم
نور الهدى ، وعلى الحياة الباقي

لكنه في الحفل الذي أقامته كلية البنات الأمريكية لتوزيع الشهادات
وأقر على الفائزات ، أبدى إعجابيه بطريقة تربيتهم وفهمهم لمعنى
الحياة وحرصهم على كل دقيقة فيها حرصا ليس لخيرهم ، كما نوه بنشرهم
العلم ، وما تعلمه قومه منهم ومن مدارسهم في بلده ، حيث يقول :

أي ، رجال الدنيا الجديدة مهلا
قد شأتم بالمعجزات الرجالا^١
وفهمتم معنى الحياة فأرصد
تم عليها لكيل نقص كمالا
وقدّرتم دقيقة العمر حرصا
وسواكم لا يقدر الأجيالا
وفرستم للعلم روضا أنقصا
فوق دنيا الوري يمد الظلالا
وحللتهم بأرضنا فعرفتنا
كيف تتمون بيننا الأطفالا

سهل كان حافظ راضيا عن الأساليب التي اتبعتها مدارس الرسائل
بيئة ؟ وهل كان راضيا عن أخلاق الفتيات اللواتي دفعت بهن هذه
المدارس إلى اعتبار الحياة ؟ أم أن طبيعة المناسبة فرضت عليه أن يجاري
التي هي على أمر المدرسة ؟ قد يكون ذلك سببا معقولا ، ولكننا نعترف

أن حافظا كان من تلاميذ محمد عبده ، ومن أكثر المؤيدين لقاسم فسي دعوته الى تربية البنات على أخلاق الغربيات ، خصوصا الأمريكيات اللواتي عدّهن قاسم المثل الأعلى للنساء. "١"

وأما شوقي فلا يقل حماسا عن حافظ في الدعوة الى تعليم المرأة وتهذيبها ، لكنه لا يرضى أن تكون المرأة منقادة في تصرفاتها للمرأة الغربية المتهتكة ، بل يطالب أن تكون نهضة النساء قائمة على تعاليم الكتاب والسنة وسيرة السلف ، فقد دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن تتال النساء حقوقهن في العلم ، ومن ثم ضرب شوقي بنسائه المتفقهات مثلا يمكن لنساء المسلمين أن يتبعنه ، ورأى أن نساء المسلمين في عصورهم الزاهية اتجهن الى دراسة العلوم والشعر وروين الحديث ، واشتغل بعضهن بتفسير آيات الكتاب ، ويستدل على ذلك بحضارة المسلمين في بغداد ودمشق وقرطبه ، فانها تشهد بما كانت عليه النساء من مكانة علمية سامية .

خذ بالكتاب والحديث	ث وسيرة السلف الثقات "٢"
وارجع الى سنن الخليفة	قة ، واتبع نظم الحياة
هذا رسول الله لم	ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريفة	لنساءه المتفقهات
كانت سكيننة تملا	الدنيا وتهزأ بالبرواة
روت الحديث ، وفسرت	آي الكتاب البينات
وحضارة الاسلام تد	طق عن مكان المسلمات

وفي قصيدة له بعنوان " المرأة الحثانية " أشاد بالأمر ، وعدّها نورا وهدى ورحمة من الله ، فالأم هي التي تربي الأبناء على الجبن

(١) المرأة الجديدة ، لقاسم أمين ، راجع ص ٧-٨ ، ٦٧-٦٨ .
(٢) الشوقيات ١٠٣/١ - ١٠٤ .

أو الشجاعة ، وإمكانها أن تجعل من أبنائها رجالا راشدين يتصرفون بحكمة وتعقل ، ويرى شوقي أن المرأة مليكة بيتها ، وهي الآمرة الناهية فيه ، وتربية أبنائها لابد أن تكون صدى لخلقها وسمو شرفها ، فالطفل كالنفساء مفرغ بالتقليد ، يأخذ من أمه ما عودته عليه ، والانسان يشب ويكبر على ما تمود ، يقول :

أنت شعاع من عسل	أؤزله الله هدى ^(١)
لولا الثقة لقلت ؛ لسم	يخلصق سواك الولد ا
ان شئت كان العبير أو	ان شئت كان الأ سدا
وان ترد غيا غوى	أو تبغ رشدا رشدا
والبيت أنت الصوت فيـ	به ، وهو للصوت صدى
كالبيفا في قفص	قبيل له ، فقـلدا
يأخذ ما عودته	والمسرة ماتصودا

وهذا يوضح أن شوقيا لم يكن متحمسا للدور الذي كانت تقوم به المدارس التبشيرية ، فقد كان يرى أن تربية المرأة وتعليمها ينبغي أن ينمضا على أساس اسلامي ، هذا الى أنه كان يرى في تربية المرأة التركية ، ما يدعوه الى الاعجاب بها ، وحض نساء مصر على تقليدها .

وكان أحمد محرم من أكثر الشعراء حماسا لتعليم المرأة ، وثقيفها ثقافة تلائم طبيعتها ، على الرغم من كونه من أشد الشعراء تمسكا بالحجاب ووقوفا في وجه دعوة قاسم أمين ، ولكن الحجاب عنده لا يمنع تعليم المرأة ، فالأم المتعلمة تدفع أبنائها الى مراتب العز والكرامة ، وهو غير راض عما يحيط بالمرأة من جهل وضحة واستسلام للخمول والكسل ، ويرفض أن تبقى جسما ميتا لا حراك فيه ، فقد أفوضته هذه الحالة ، يقول :

سئنا حياة المستعيت المصنفة
وأفرطنا صوت المهيب المنشد "١"
وطارت بنا عن مجثم الهون هيسنة
أخذنا لها الأسباب في كل مصعد
ومن يستتم للحا ديات يمتنسه
ويدرجن منه فوق شلو مبسود
أتعرف شعبا لم تلده عليمسنة
مهذبة ، فاستن سنة سؤود
اذا نحن علنا البنات سمت بنسا
الى سورة من يفتوعها يمجسد

ويهيب محرم بالشعب أن لا يسمح لروح اليأس أن تسيطر عليه ،
وأن يكون حريصا على اعداد الأم اعدادا سالحا ، لأنها اما رحمة
وهدى بعلمها ، واما نكبة مدمرة بجهلها ، واذا كانت الأم ذات خلق
عال ورأي سديد نشأ الشعب على قوة الأخلاق وصدق العزيمة ، أما
من يعترضون على تعليم الفتاة بحجة أن العلم يفسد أخلاقها ، فانه
يدعوهم الى عدم التسرع ، قرب فتاة جاهلة تقضي بجهلها على بلده
بأكملها ، وعنده أن المجتمع لا يصلح الا اذا كانت لديه عناية بالفتاة ،
التي تدبر البيت ، وتحسن تربية الأبناء ، يقول :

لاتياسوا وأعدوا الأم سالحة
فهي السبيل الى اصلاح مافسدا "٢"
الأم للشعب اما رحمة وهسدى
أو نكبة مالها من دافع أبدا

(١) ديوان أحمد محرم ١٠٢/٢ .
(٢) ديوان محرم ١٥٠/٢ ، وانظر شاعر العروبة والاسلام ، احمد
محرم ، لمحمد ابراهيم الجيوشي ١٧٥ - ١٧٦ .

لا يذهب الشعب في أخلاقه صبيا
والأمّ تذهب في أخلاقها صعبدا
لن يرفع العلم والأخلاق فاسدة
والنفس جامحة لا تتبع الرشدا
وجاهل ظنّ أن العلم مفسدة
للبنات فانقض التحليم وانتقدا
مهلا قرب فتاة أهلكت أسسرا
بجهلها وهجوز أفسدت بلسدا
أعلمت رأي في معنى الحياة لمن
يني الحياة فكان البيت والولدا
هذا يسان بتدبير ومحرقة
وذا يعدّ لاصلاح البلاد غدا

ثم عاد الى تأكيد دور الأمهات وبيان أنهن الهانبات بمن
ينشئن ، لأن الأم اذا صلحت وكانت داعية خيرة قدمت للأمة جيلا صالحا
يسهم في بناء الأمة ورفع مكانتها ، واذا كانت جاهلة فاسدة أفسدت أبناءها
وقدمت للأمة جيلا يهدم ما بنى غيره ، ويفسد على المجتمع حياته ، يقول :

رأيت الأمهات لكل شسي* يكون لدى المعالك محدثات^ا
دعاة الشرّ والاصلاح منها ورسل الموت فيها والحياة
فهنّ يكنّ اما بانبيات انا نهضن ، واما هاد مات
اذا ما الشعب شبّ على صلاح فمن تلك السجايا الصالحات
واذا كان الفساد له قرينا فمن تلك العفاسد والهينات

وهذا يعني أن معارضة محرم لدعوة قاسم كانت مقصورة على السفور ، أما
تعليم الفتاة فقد كان محرم من أكثر المتحمسين له ، لأنه يؤمن بحاجة المرأة
الى العلم ، كي تخرج به من الظلمات الى النور ، وتعارض دورها فسي

تربية الشعوب ، وتنشئة الأبناء على الخير والصلاح ، وكان محرم
يصدر في رأيه هذا عن عقيدته الدينية التي تدعو الى العلم ، وتجميل
طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، كما تجعل صيانة المرأة عن الابتذال
والحفاظ عليها من أوجب الواجبات .

أما مصطفى صادق الرافعي فيرى أن الشرق كله أشبه بانسان
مريض يردد أنفاسه ، لشدة مايمانيه من تأخر وجهل ، فقد تعقدت
سبل النجاة في وجهه ، وأصبح انقاذه مما هو فيه محضلة كبيرة وأمرًا
صعبا ، ولو أراد واحد من العقلاء أن يصوّر هذه المحضلة لكانت صورة
لامرأة اصطيفت حياتها بمختلف أنواع الجهالات :

تعقدت والتوت كالمستحيل فمسا

تريك من موضح فيها لامكان "أ"

لو صوّروها لكانت صورة امسسرأة

مصبوقة من جهسالات بالوان

وعنده أن الصلاح لهذه المحضلة لا يكون الا بتربية المرأة تربية
روحية سليمة ، حتى يجد الشرق في روحها شفاء دائه الروحي ، وفي
عواطفها فطرة الدين الخالصة ، وفي صفاتها عهد الملائك ، وفي
حنانها عهد الأنبياء ، وفي فضيلتها مايفريه بالفضيلة ، ولو أنه وجد الأم
المنشأة على هذه الصفات ماصار الى الذل والهوان ، ولكن أنسى له بها ،
وقد تلقاها بنوه على الفطرة ، فأفسدوها بسوء القدوة ، وحجبوها عن
النور ، حتى صارت كالمرأة في يدي أعشى :

(١) حديث القمر ، لمصطفى صادق الرافعي ، الناشر دار الكتاب
العربي ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
ص ١١١ .

ربوا لذي الشرق يا قومي مريضه
تحنو عليه باحساس ووجدان^١
تطبت روحها مما ألمَّ بسببه
فان أقتل داء الشرق روحاني
يرى عواطفها الأديان خالصه
انذا تلعب أهلسوه بأديان
يرى بها عهد عهد الملائك ال
بز الطبعي في حسن واحسان
يرى هنا كعهد الأنبياء ومسا
تشتاقه الروح فيه منذ أزمان
يرى الفضائل بعد اليأس قد ظفرت
آمالهن ونالت قلب انسان
ربوا له الأم يا قومي فلو وجدتم
في الشرق ما طاح في ذل واهوان
تلك التي ترفع الدنيا وتخضعها
بطفلها ، فهو والدنيا بميزان
تلك السماء التي تلقي لهم ملكسها
فلا يرونسه الا كشيطان
تلك التي جعلوها في المتنازل كال
مرآة مطروحة في دار عيان
ذنب الرجال ، ولكن النساء بسبه
معاقبات بالأم وأشجان
كمقلة العين في الأمها اعتجست
والداه ماس منها غير أجفان
لهفي لغاية عذراء ما وضعت
الا بمنزل أسواء وأضغان

وهذا يظهر أن الرافعي مهتم جدا بتعليم المرأة ، لأن فـي تعليمها صلاحا للأسرة ، والبيت عنده ليس سجنًا للمرأة ، وإنما هو مدرسة تربي فيه وتمعد ، من أجل القيام بوظيفة الأمومة على خير وجه .

أما خليل مطران فقد دعا إلى تربية المرأة وإعدادها للقيام بوظيفة الأمومة ، فالأم إذا لم تتل حظها من العلم والأدب ربت أجيالا ليس فيها نفع لأمتها ، بل ربما تكون وبالاً على الوطن وخسارة تحلّ به ، يقول :

إذا الأم أخطأها حظها من العلم والأدب العاصم^(١)
غدا نسلها مريحا للعدا وخسرا على الوطن الفارم

وعبر مطران عن رغبته في تعليم البنات ، عن طريق مساهمته بقصائده في المشاركة بالدعوة إلى إنشاء المدارس للبنين^(٢) ، فألقى قصيدة بمناسبة افتتاح مدرسة للبنين والبنات ، تبرعت ببنائها إحدى نساء النصارى السوريات ، فأشاد مطران بفضلها ، وأثنى على صنيعها ، بينما لام القوم الذين ضنوا بأموالهم على دور العلم ، يقول :

يامن بنت بيد في الله أيمنسة
صرحا على أسس الفضل المثين بنسي^(٣)
أنتي عليك وأنتي عن مواعيسفة
يراعتي لفريسق بالحلى قممن
بوركت مشربة سنّت بقدمتمسسا
لكلّ غانية نهجا وكسلّ غني
بوركت في بيوت العلم مدرسيه
زادت مدينته تيهها على المسدن

-
- (١) ديوان خليل ، لخليل مطران ٣/٢
(٢) انظر المرجع نفسه ٢/٢ . حيث دعا مطران في قصيدة له إلى تعليم المرأة ، لأنه أقصر طريق يصل به الشعب إلى تحقيق أمانيه ، لأنه لا حياة للأمة إذا لم تكن الأمهات متعلمات ، يقول :
- هذب بنات الشعب ان شئت أن تلبغه أقصى المنى من أم
ان لم تكن أم فلا أمية وإنما بالأمهات الأمم
- (٣) المرجع نفسه ٣/٣٠١ .

منارة بين كثر من منائرهم
فيها الهدايات للألباب والسفن
تديرها مسعدات باهرات جليبي
من كل طالحة شمسا على غصن

على أن الدعوة الى الاعتناء بتربية الأم لم تظل محصورة فـي
شعر الشعراء من الرجال ، وانما شاركت بعض النساء في هذا المجال ،
فقد حضرت أوليفيا عويضة على تربية الأم ، لأنها معدن الأبناء ، وطمهسة
المفكرين وكاشفة الهموم ، تقول :

الأم أفق في سماء سعودها	أبنائها بين السماء بدور ^١
الأم أستاذة الفلاسفة الأولى	بقيت محارفهم ومنها النور
الأم صخر للرزية دافع	بالمكرات كما تشاء تسيير
فيها النعيم فعلموها سادتي	لا ظم الا علمها المبرور

وعدت منيره هنا البنت فخرا للبلاد ، وزهرة لا يجف غيرها اذا
تسلحت بالعلم والأخلاق ، وترجو المجتمع أن يحسن الى الفتاة بتعليمها
وتخليصها مما يحيط بها من جهالات ، حتى تقم على تهذيب الجيل
الجديد بهمة ونشاط ، فالأم اذا تعلمت كان لها تأثير عجيب على من
تربى من الأبناء ، فتصيرهم بعلمها غرسا بانها ، يحب العلم ويتجه
اليه اقتداء بها ، وعلى فتيات مصر أن يندفعن نحو العلم ، حتى ينهضن
ما هن فيه من جهالة ، وأن لا ينصرفن عن العلم الى الاهتمام بالمظاهر :

البنت بالأخلاق والعرفان	فخر البلاد وزهرة الأزمان ^٢
فتمهدوا روض الفتاة تجد لكم	بالزهر فهي أسيرة الاحسان

-
- (١) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الأول ، ١٥ أكتوبر / تشرين أول
١٩١٢ م ص ٢٠٢
- (٢) فتاة الشرق ، السنة الثانية عشرة ، الجزء الثالث ، ١٥ ديسمبر / كانون
أول ص ١٠٥

بنوا العلوم بعقلها كي لا تسرى
فتهدّب النشىء الهديث بهمة
للأم تأثير عجيب مطلق
فتصير الأبناء غرسا يانعا
فتيات مصر الآن قمن بنهضة
لا تنصرفن لزينة الأبدان
لخوملات الجهل من سلطان
عليا يقصودونها القمران
فيمن تربيتهم من الولدان
يسقى بوابل علمها الهتان
لا تنصرفن لزينة الأبدان

وربما كانت نبوية موسى من أكثر الشاعرات حرصا على تعليم المرأة ،
ودفعها الى السير في طريق العلم ، فالعلم عندها خير وسيلة لعلو مكانة
الوطن ، خصوصا ذلك العلم الذي يكون سببا في رقي الفتاة ، فيجمل
منها أما مبصرة ، والنساء في رأي نبوية أساس كل فضيلة ، فاذا تدهورت
أخلاق النساء ، أصبح الفضل صحراء مقفورة ، والمرأة المتعلمة تكون
عونا للرجل وبمساعدهتها يصل الى آفاله ، فاذا تتعاست عن الوقوف الى
جانبه خاب سعيه وفشل ، والمرأة اذا تعلمت طاب عنصرها ، وتطور عقلها
وقومت ميول اولادها :

ولخير ما تعلمو به أوطاننسا

علم توالبه الفتاة فيثمر^(١)
علم تعزبه الفتاة وترتقيسي
وتسود حين تكون أما تبصر
ان النساء عماد كل فضيلة
فاذا هوت فالفضل قاع مقفر
ان النساء يد الرجال وعونهم
فاذا هوت خاب الرجال ودور
ان النساء تقيم ميل وليدهنسا
فاذا ارتقت طابت وطاب العنصر
ان النساء اذا تتور عقلمنسا
بالعلم ، فهي أجل نخرنخير

(١) ديوان نبوية موسى ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٨ م ، مطبعة مجلة الفتاة
بمصر ١/٢٢٠

لا ترتقي أم بغير نساءهنسا
أبدا وتعلو بالنساء وتفخسر
هذي نساء الغرب قد طارت به
فوق السها ، والشرق لاه ينظر
من رام للأوطان عزا فليكين
لمعاهد الفتيات عونا ينصر

ويبدو أن حماس نبوية موسى لتعليم المرأة لم ينضب ، لأن جهلها
سيكون وسيلة هدم لكل ما تقوم الأمة ببنائه ، ومصر لن تسود ولن يرتفع
شأن أبنائها مالم تتعلم الفتاة ، لأن تأثيرها في نفوس القوم لا ينكسر
الا مكابر ، وإذا كان من الصعب على شعب من الشعوب أن يرقى ويتقدم
دون أن يعلم بناته ، فان من الظلم أن نلقي بهناتنا الى معاهد لا تحسن
رعايتهن ، وتهت في نفوسهن الفرور والاستهزاء بالوطن وقيمه ، تقول :

والبنت أصل رقي الشعب ان جهلت
مال البناء الذي نرجوه وانهدما "١"
فعلّموها تسد مصر بها وكفسي
أن تفرس المجد في الأبناء والشيا
تأثيرها في نفوس القوم ينكسره
من أنكر الشمس في الأفلاك واتّهما
فكيف نرضى بأن نلقي بهما عبثا
الى معاهد لا ترعى لنا الذمما
تبث في نفسهما ماشا منشغمتسا
من الفرور فتسى المجد والشما
قد أهمل الشرق اعلا النساء وفي
رقيهن فخار الشرق لوعلما

وإذا كانت الشاعرة قد نبهت إلى الخطر الذي يتهدد الفتيات ،
من جراء دراستهن في مدارس الرسائل فأنها رأت خطراً آخر لا يقل
أهمية عن سابقه ، وهو عبث رجال السياسة بالتعليم وتسخير الفتيات لخدمة
أغراضهم الحزبية وتحقيق أطماعهم ، دون النظر إلى المصلحة العامة
تقول :

غرسني أخاف عليه من وقع الردى
بعد الكمال وذاك غرس طيبسب "١"
أرجو لبنت النيل كل فضيلة
لا تمبث الأيدي بها أو تلعب
ويحارب الدهر الخئون ما غرسني
ويمينه نرق الرجال فيغلب

وتنعي نبوية موسى على رجال الفكر اهتمامهم بأمور لا تفيد المرأة في
شيء ، فقد دعا بعضهم إلى تمثيلها في البرلمان ، لكنهم أهملوا شعور
المدارس ، حتى عجزت عن القيام بواجبها ، وتحفز المخلصين أن يهتموا
بدور العلم ، وأن يتعهدوا المرأة بالنصيحة ، فمضى أن يتراجع المفسدون
عن خططهم المدمرة :

حاولتم الاصلاح في تمثيلنا
وتركتم للعلم دورا تخسب
ولوا إلى دور العلوم وجوهكم
وتعهدوها بالنصيحة واكتبوا
فمضى يضيق المفسدون ، فانهم
أخفوا بما فعلوا الكمال وغيبوا

وبالنظر فيما أوردنا من الشعر الذي تناول قضية تعليم المرأة ،
نستطيع القول أن الدعوة إلى تعليمها لم تكن مقصورة على الشعراء الذين

(١) المرجع نفسه ٤٣/١ - ٤٤ ، وراجع قصيدة أخرى لنبوية موسى ،
بمبتوان " شكوى من التعليم " ٤٦/١ - ٤٧ .

دار الزمان فأصحت طبيائته
يسرزن للآسك في الأجمات
دار الزمان فسابت فتيايته
فتيانه ، فسبقن للغايات
كلّ يجاهد في سبيل حيايته
ان الجهاد قوام كلّ حياة
فاسمي الى المجد الذي تبخينه
فسبيله مأمونة العشرات
الدين والعلم الصحيح كلاهما
نور يقيك مواطن الشبهات
ومكارم الأخلاق أفضل عسدة
لك في الشدائد ، بل أعز قنائة
ان الفضيلة للسمو وسيلسنة
تاج الفضيلة حلية الفتيات

لكن الجامعة المصرية لم تفتح أبوابها للفتيات الا بعد وقت ليس بالقصير من تأسيسها ، لأن المجتمع المصري لم يكن يستسيغ اختلاط الجنسين في دور العلم ، وقد أشار شوقي الى دور الأميرة فاطمة بنت الخديوي اسماعيل في تأسيس الجامعة المصرية ، حيث تبرعت بما كانت تملك من أرض وحلي "٢" ، وتمنى شوقي لو أن الله مدّ في عمرها ، حتى تشيد جامعة أخرى للمرأة التي تخلصت من حجابها ، وتحررت من التقاليد التي تقف في طريق تعليمها ، ويرى شوقي في الأميرة فاطمة اسماعيل صورة أخرى عن سكينه بنت الحسين في عطفها على العلم والأدب ، يقول :

ياجزع العلم على
أمسى بربيع موحش
" سكينه " الموقرة "٢"
منها ودار مقفورة

(١) في الأدب الحديث ، لعمره شوقي ١٧٤/٢ .

(٢) الشوقيات ٨٨/٣ - ٨٩ .

من نأ يواسي هذا جامعة المستعبرة
لو طشت شدت مثلها للمرأة المحسرة

حتى اذا كان حزب الأمة الذي أدار ظهره لفكرة الخلافة ،
ونادى بالاصلاح الفكري والسياسي على الطريقة الخيرية ، واستبدل فكرة
الوطنية بفكرة الدين ، شجع سفور المرأة واختلاطها بالرجال ، وأنشأ
احمد لطفي السيد مفكر حزب الأمة قسماً ليليا في الجامعة المصرية تلقى فيه
المحاضرات على النساء "١" ، ثم قبل أول مجموعة من الفتيات تقدمن للدراسة
في الجامعة ، وحرص أن يتم ذلك في هدوء ، دون أن يشرعنه شيء في
الصحف ، حتى لا يثير قبولهن احتجاجاً من قبل المحافظين الذين لا يؤيدون
الاختلاط بين الجنسين . "٢"

ويبدو أن أمر قبول الطالبات في الجامعة ظل طي الكتمان ، حتى
أنهين دراستهن ، فأقام الاتحاد النسائي الذي كانت تتزعمه هدى
شعراوي حفلاً لتكريم خريجات الجامعة المصرية ، أنشد فيه خليل مطران
قصيدة أثنى في مطلعها على هدى شعراوي ، التي أشمرت جهودها في
اخراج جيل جديد من النساء ، يستطيع مواجهة الحياة المصرية ومتطلباتها ،
ويصف عهد خريجات الجامعة بأنه عهد رقي ، فقد سبقت هؤلاء الخريجات
أترابهن ثقافة وعلماً ، وغزون قلوب الرجال بفضلهن ، فلم يعدن بحاجة
الى الحلي ، كي يتزين بها ، لأنهن استخنين بعلمهن عن الذهب
واللؤلؤ ، الذي كانت نحورهن تتقلده ، يقول :

بشت فراسك عن بواكيسر الفساد

ويدت تباشير الهدى للمهتدي "٣"

-
- (١) الحركة النسائية الحديثة ، لاجلال خليفة ص ٨٤ .
 - (٢) احمد لطفي السيد (أستاذ الجيل) للدكتور حسين فوزي النجسار
ص ٢٧٥ . وكان لطفي السيد زعمناً حضروا حفل افتتاح الجامعة
المصرية في القدس ، ممثلاً للجامعة المصرية .
 - (٣) ديوان الخليل ، لخليل مطران ١٦٣/٤ .

تجدد الدنيا فمن يبغى بهيئتها
أن يدرك الغايات فليتجدد
بوركت يا عهد الرقي وبورك مسنت
متهونات الصدر في هذا الندي
هن اللدات السابقات ثقافسة
أخواتهن من السلاح الخرد
الغازيات قلوب عشاق النهيسى
بالفضل لا بمثقف ومهنسد
الغانيات بمعنويات الحليسى
عن لولو بنحوهن وعسجد

ويشير مطران الى العلم التي تلقتها خريجات الجامعة والتخصصات
التي خضن فيها ، حيث حلقت في سماء العلم ، فدرست واحدة منهن
الحقوق ، لتصبح محامية تصون للناس حقوقهم ، وتودع عنها من تسول له
نفسه الاعتداء عليها ، واتجهت ثانية لدراسة الطب ، كي تضمد جروح
المصابين وتحنو عليهم ، ودرست أخريات الآداب حديثها وقديمتها ، وقد
اتخذن من عفافهن قيدا يتقيدن به ، دون التنازل الى أمر سواه ، وهؤلاء
الخريجات اللواتي بلغ عددهن تسعا يحدهن الشاعر رائدات لمن بعدهن ،
حيث أصبح طريق التعليم الجامعي مفتوحا على مصراعيه لكل الفتيات اللواتي
يرغبن فيه :

ونصيرة لأولي الحقوق تصونها من يمول على الحقوق ويمتدى
وطيبة تأسو ، ولا تقسو فمن يدها يبر الفئسل مر الصرود
وأدبية بلغت مدى مطلوبها في العلم من مستطرف أو متلبس
زاد التأهب للغمار عفافها وخير ناك القيد لم تتقيد
تسع برزن من الصفوف تواركا للاحققات الشوط حد مهسد

ويتوقع مطران أن تصبح الفتاة منافسا قويا للشباب من الذكور ، لأنهن
وردن مناهل العلم التي وردوها ، ويتعنى أن تكون الساحة عنوان المتنافسين ،

فالتسابق على المعرفة بين الجنسين ، هو السبيل الأمثل الى العلى ،
وهذا الطريق هو الذى يقبل الشعب من عثراته ويعزز مكانته ،

نافس فتيان الحق فوزدن مسسا
يردون ، والحرفان أسلح منور
نعم الثافس والطالب حقبسة
فهو السبيل الى العلى والسود
وهو المقييل لكل شعيب عاشسسر
وهو المعز لكل شغب أيسند

وفي بداية مرحلة دخول الطالبات الجامعة ، خصصت لهن مقاعد ،
ولكن بعد مضي عشر سنوات ، ألغت الجامعة ممثلة في مديرتها أحمد لطفي
السيد هذه المقاعد ، لتصبح الدراسة مختلطة ، وقد أثار هذا التصرف
بعض طلاب الجامعة ، فرفعوا التماسا الى مديرتها وأساتذتها ، يطلبون
فيه الفصل بين الطلاب والطالبات ، وادخل التحليم الديني في الجامعة^١ ،
ولكن هذه الطلبات قوبلت بالرفض ، يقول أحمد لطفي السيد : (فقامت
ضجة تنكر علينا هذا الاختلاط ، فلم نأبه لها ، لأننا على يقين أن التطور
الاجتماعي معنا . . .)^٢

وقد وقف مصطفى صادق الرافعي الى جانب الطلاب ، وحيا فيهم
الروح الطيبة ، التي كانت سببا في ازواج المسئولين عن الجامعة ، ورأى
أن مطالبهم تصدر عن تعاليم الدين الذى لا يبيح الاختلاط ، وتمثل قوة
روحية جديدة ، لأن الشباب يريد مع حقيقة الحلم حقيقة الدين ، ويريد
قوة النفس مع قوة العقل ، ودعا الرافعي رجال الجامعة أن يفرقوا بين
حرية الفكر وحرية الأخلاق ، فان كان هناك شيء اسمه حرية الفكر ، فليس
هناك شيء اسمه حرية الأخلاق ، ويرى أن التحليم في الجامعة بغيره

(١) الاتجاهات الوطنية ، للدكتور محمد محمد حسين ٢ / ٢٦١ .
(٢) احمد لطفي السيد ((أستاذ الجيل)) ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

يعصم الشخصية ، هو تعليم الرذيلة تعليمها الحالي "١" ، وظل الرافضي على تأييده لمواقف الطلاب ، فكتب مقالا آخر بعنوان ((شيطان وشيطانة)) "٢" سخر فيه ممن يدعون أن تجربة اشترك الجنسين في الجامعة قد نجحت ، وأنه لم يحدث خلالها ما يدعو الى قلق القلقين والنادين بالفصل .

ويبدو أن طلاب الأزهر قد اشتركوا مع زملائهم في المطالبة بضرورة منع الاختلاط في الجامعة المصرية ، فجن جنون هدى شعراوى التي كانت تعمل على تشجيع الاختلاط ، وأرسلت برقية الى شيخ الأزهر ناشدته فيها أن يتدخل ، لمنع طلاب الأزهر من الخوض في هذا الموضوع ، زاعمة أن الذين يعملون ضد الاختلاط ، انما يعملون ضد وحدة الأمة ، وقالت في برقيتها : ((أناشد فضيلتكم ايقاف الفتنة القائمة ضد الجنسين باسم الدين البرى ، لتدارك عواقبها السيئة في وحدة الأمة وزيحها)) . وأرسلت برقية أخرى صالحة الى رئيس مجلس الوصاية الأمير محمد علي توفيق ، قالت فيها : ((روح خبيثة بدأت تنفث سمومها بين الطبقات وبين الجنسين باسم الديمقراطية والدين ، مهددة وحدة الأمة وسمعتها بين الأمم المتدنية)) "٣" .

ويبدو في هاتين البرقيتين جزع هدى شعراوى على ضياع جهودها ، فيما يتعلق بارساء قواعد الاختلاط ، لأن الوقوف في وجه الاختلاط على حد زعمها ، يهدد سمعة مصر بين الأمم الغربية التي تعده علامة من علامات التقدم .

على أن هذه المعركة بين المحافظين ودعاة السفر والاختلاط كانت آخر المعارك ، فقد أصبح الاختلاط بعدها صفة مميزة للحياة الاجتماعية في مصر ، وفي مختلف نواحي الحياة العامة ، ان غفقت بعدها أصوات

(١) وحى القلم ، لمصطفى صادق الرافعي ، دار المعارف (١٩٧١ م ، ١٥٨/٣ - ١٦٢ . وراجع مقالة أخرى للرافعي بعنوان " قنبلة البارود لا بالما المقطر " .

(٢) المرجع نفسه ١٦٣/٣ - ١٦٩ .

(٣) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧

المعارضين ولم يعد صوتهم مسموعاً .

ولم يقتصر أمر اختلاط الفتيات بالشباب على الجامعة المصرية فقط ، بل تعدى الأمر الى أكثر من ذلك ، حيث سافرت الفتيات الى أوروبا من أجل الدراسة في جامعاتها ، ليمدن بعد تخرجهن للعمل في الجامعة المصرية ، فقد كتب محمد عبد الغني حسن قصيدة هنا فيها زينب كامل ، بمناسبة تخرجها من جامعة انجليزية ، وتعيينها محيدة في الجامعة المصرية ، وعبر عن اغتباطه بنجاحها ، وعدّها عليها في الجامعة فتعاضدوا للمرأة ، وشكر لها دأبها على تحصيل العلم ، واتخاذها الكتاب صديقا ، حيث يقول :

نجاح يسرّ العلا طيّب	وفتح من الله يازينب "١"
دنوت فلا العلم في مجده	زهاك ، ولا غرك المنصب
صديقك في العلم هذا الكتاب	وصاحبك المخلص المكتيب
وسلوتك البحث عما يفيد	وغيرك سلوته الملمع
فما صدّها مذهب الجامدين	ولا غرّها ذلك المذهب
ولكنما أطربتها المعالسي	وكلّ كريم بها يطرب
أعدي الحديث على مسمي	فان المحيدة قد تطرب

وكما هنا زينب بنجاحها هنا "دريه شفيق" بحصولها على الشهادة الجامعية من "السوربون" وأثنى على جدها وقوة عزيمتها ، التي حفزتها الى المغامرة في سبيل طلب العلم ، والانكباب على المطالعة والدراسة ، حتى حازت قصب السبق :

أدبية قد نجحت في الأرب	وليفت في العلم أعلى الرتب "٢"
واتصلت فيه بأقوى سبب	وقامرت وشمرت في الطلب
بين الدراسات وبين الكتب	وحازت السبق فيا للمجب

(١) من نبع الحياة ، لمحمد عبد الغني حسن ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٥ .

وأيضاً عبر عن اغتباطه بنجاح فاطمة فتحي التي تكنت من الحصول على شهادة في علم النبات من جامعة انجليزية ، وهداها الشاعر مفخرة للبنات ، وطالبها أن تضع علمها تحت تصرف المصريين ، وأثنى على ثباتها وتصميمها :

نجحتِ وكنت مفخرة البنات فهاتي علمك المذخور هاتي^١
ونلتِ على أناتك كل حميد وما كسب المحامد كالأنثاة
يزينك الثبات وربّ ركبتن من الدنيا يقيم على الثبات

ثم قرر أن الزمان قد تغير ، وأن ثقة الفتاة بنفسها قد ازدادت ، وأن عزميتها وهمتها قد حفزها أن تتخذ من العلم نورا تحتذى به ، بعد أن كانت مجرد دمية محبوسة في البيت ، تعيش في فياهب الجهل ،

دار الزمان وأصبحت فتياتنسا

يطلبن كالرجل الحياة سوا^٢
في الجامعات ترى لهن مقاعدا
وتسرى لهن عزيمة ومضاء
يمشين يسرعن الخطا في عالم
تأبى خطاه أن تكسبون بطاء
سبحان من ملأ الفتاة عزائمنا
وأشاع فيها الهمة العلياء
العلم نورها وكانت دميمسة
مقصورة وغيابمسة سوا^٣

ان هذا النور الذي قادها الى منابر الخطابة والبيان بعد جهاد طويل ، قد ألهم شاعرا آخر في التنويه به ، فاستطاعت المرأة بجهادها أن تسمع الأذى الذي علق بقلبها نتيجة المصارمة ، التي واجهتها

(١) المرجع نفسه ص ١٥٩

(٢) المرجع نفسه ص ١٦٥ - ١٦٦ .

أول الأمر ، فأصبح لها الحق أن تسابق الرجال ، سعياً وراء الفضائل ،
حيث يقول :

سطعت بين بيان زاهسر
كالدراي وأجديث طلييه "١"
وكفاح نسج النصر بسبسه
لابنة الثغر برودا قصبويه
وانتجاع العلم في نائي الرئسا
أو بأكناف العروج الجامعيه
وجهاد مسحت فيه الأذى
عن قلوب قرحتهم الأذى
بعض هذا الفضل في ساح العاد
منح المرأة حسق الأفضليه

وهكذا نجحت الجامعة في اخراج جيل من النساء قادر على التحدث
في كل أمور الحياة ماعدا أمر الهيت والزوج ، وهذا يعني أن الجامعة أصبحت
تكمل الدور الذي كانت تقوم به مدارس الارساليات .

على أن الدعوة الى تعليم الفتاة لم تكن حكراً على شعراء مصر ، بسبل
شارك شعراء الأقطار العربية الأخرى في هذا الميدان ، فقد كانت بسلاط
الشام أسبق من غيرها الى تعليم البنات ، لأن الارساليات الأجنبية نزلت
سواحل سوريا ولبنان قبل أي بلد عربي آخر ، وأنشأت المدارس ، وكان
حليم دموس من الشعراء الذين اتخذوا شعرهم وسيلة لتشجيع البنات على
نهل العلم ، وهدر الفتيات من السعي وراء الاهتمام بالمظهر واهمال الدين ،
لأن العلم خير زينة للفتاة ، وأن من تهمل العلم تقضي حياتها متألماً ، ويذكر
الشاعر الفتيات بأن اليابان ودول أوروبا لم تصل الى ماوصلت اليه الا بجدها

(١) من وهي الاسكدرية ، لعادن الفضبان ، مطابع دار المعارف بمصر

وعلمها ، ورجا حلیم د موس أبنا^١ وطنه أن يربوا فتياتهم على العلم الصحيح ،
فالفتاة الشرقية المتعلمة نور يضيء للشرق حياته ، ويشهد عقول بنيه :

ماذا يفيد فتاة العصر أن لم تنسيت
أثواب خبز بلاد دين وإيمان^١
فالمرء أن لم يزنه علمه فلسفه
عمر يقضي بالأم وأشجبان
فانهضن نحو المعالي مثلما نهضت
رجال سكسون أو أبطال يابان
رقوا الفتاة على العلم الصحيح لكي
تلقى البلاد بأزهار وعمران
رقوا الفتاة فتاة الشرق فهي لنا
شمس الحياة وتؤوير لأن هان

ويتمنى حلیم د موس أن تنهض الفتاة الشرقية ، كي يستطيع الشرق
أن يجارى الغرب في جدّه ونشاطه ، فقد طال أمك الجهل ، حتى أصبح
الناس أرقاء له :

يا ابنة الشرق انهضي حان القيام
لنجاري الغرب جمدا واعتزاز^٢
طال عهد الجهل في أوطاننا
واسترقّ الناس والناس نيام

وكان مصطفى الفلاييني ممن تحمسوا لتعليم المرأة ، فقد حمل على
قومه وسخر منهم ، لأنهم ناموا على الجهل وأعماهم تعصبهم عن أهمية تربية
الفتاة ، ولهذا يدعو النساء أن يتخطين مرحلة الجهل والضعف بنهضة

(١) ديوان حلیم ، لحلیم د موس ، مطبعة دار الأيتام السورية بالقدس

١٩٢٠ م ، ١١٨/١ - ١١٩

(٢) المرجع نفسه ١٠٥/١

تحيي الآمال المعلقة عليهن ، فلا حياة للمرب الا اذا صفا عيشهم مما
يه من كدر ، ولن تطيب لهم حياة الا اذا أصبحت سيدة الدار قادرة على
تنمية عقلها ورعاية أولادها :

يامعشر الآنسات ، الخطب منسكب
والجهل يسطو ، وفي أهل الحمى خور "أ"
فانهضن تحيين آمالا معلقسة
بكن ، يقضي عليها اليأس والضجر
حياتنا أن نرى في المرب جمهرة
منكن ، يصفو بها عيش لنا كدر
وهل يطيب لنا ورد الحياة ، وما
في الدار سيدة ينمو بها العمر
تحوط أولادها بالمصالحات ، كسا
تحنو على الدار ، ان دارت بها الغير

والغلاييني لا يقصر الغاية من تعليم النساء على مجرد قيامهن بواجب
الأمومة ، ولكنه يريد للمرأة أن تتخذ من علمها وسيلة للعمل وكسب الرزق ،
انما أصابت أحداث الزمن رب الأسرة ، ولكن خروجها من خدرها
للعمل والكسب يجب أن لا يفقدها عفتها ، بل عليها أن تتخذ من عقلها
وحيائها رقيا عليها :

تلازم الشغل ، ما تنفك عاطسة
بالعلم تزهي ، وبالأعمال تفتخر
وان تكن برزت من خدرها بمسرت
يحفها الأطميان ؛ العقل والخفر

وانا كان الغلاييني قد أيد عمل المرأة في حالة اضطرارها ، فانه
حذرنا في الوقت نفسه من السعي وراء مظاهر المدنية الخادعة ، فالسعي

وراء التفرنج ، سيف يحزّ عنق المرأة :

وذري التفرنج لا يفرك برقسسه
تلك السيوف تحزّ فسي الأوداج "١"
ليس التمدن ما علمت ، وانمسا
يرجسو العلا بالمالحات الراجي

ولم يقف شعراء المراق متفرجين على الجهل الذي كان يطبق على
النساء في المراق ، وإنما اندفعوا في قصائد هم ينهجون الى ضرورة تعليم
المرأة ، فالأم اذا أحسن الشعب اعدادها سعت بأخلاق أبنائها ،
فأخلاق الأبناء صورة عن أخلاق أمهاتهم ، والطفل الذي ترعاه أم واعية
متعلمة لا تقاس أخلاقه بأخلاق طفل آخر تربى في حضن امرأة جاهلة ، وقد
عبر الرصافي عن وجهة النظر هذه بقوله :

فحضرن الأم مدرسة تساميت
بتربية البنين أو البنات "٢"
وأخلاق الوليد ، تقاس حسنا
بأخلاق النساء الواليدات
وليس ربيب عالية المزاييسا
كمثل ربيب ساغلة المفقات

ويشكو الرصافي من شدة الجهل الذي يخيم على النساء ، ويحاول
بينهن وبين تربية الأبناء على الفضيلة ، ويفزع الرصافي الى أم المؤمنة
عائشة - رضي الله عنها - فيشكو لها تعنت المسلمين وجهلهم ، لأنهم
يرفضون تعليم النساء ، فقد أصبحت الحادات عندهم دينا يدنون به ،
فكان ذلك سببا في شقائهم وشقائ نساءهم ، فالزموهن الإقامة في البيوت ،
وصدوهن عن سبل الحياة والعلم :

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٩ - ٢١٠
(٢) ديوان الرصافي ، ص ٣٤٩ - ٣٥١

أمّ المؤمنين اليك نشكسو مصيبتنا بجهل المؤمنين
فتلك مصيبة يا أمّ مشهبا (تكاد نخص بالماء الفرات)
تخذنا بمدك العادات دينا فأشقى المسلمون المسلمات
فقد سلكوا بهنّ سبيل خسسر وصدّوهن عن سبل الحياة

ثم يعرض الرصافي الحجج التي يعترض بها المحترضون على تعليم المرأة ويفندها ، فقد زعم هؤلاء أن العلم يحتاج الى الصبر والجلد ، وليس عند المرأة منه شيء ، ان سرعان ما تضيق به صدور الفتيات ، وزعم آخرون أن الجاهلة أكثر حرصا من المتعلمة على عرضها ، ولكن الرصافي يعد كل ذلك كذبا ، ويرى أن طريق التعليم في هذا العصر اختلفت عما كانت عليه في عصور سابقة ، فبعد أن كان يلقن للمرأة في بيتها ، أضحى تحصيله غير ممكن الا بارتياح المدارس :

وقالوا : ان معنى العلم شيسي

تضييق به صدور الخانيات

وقالوا : الجاهلات أعف نفسا

عن الفحشا من المتعلمات

وكان العلم تلقينا فأسسسى

يحصل بانتياب المدرسات

وهذا يعني أن وجهات نظر شعراء الشام والعراق قد تلاقحت مع وجهات نظر شعراء مصر ، في ضرورة افساح المجال للفتاة كي تنال حظها من العلم ، من أجل اعدادها لوظيفة الأمومة ، والقيام بوظيفة رب الأسرة في حالة موته أو مرضه .

ولو حاولنا أن نعود ثانية الى التأمل في الشعراء الذي تناول قضية تعليم المرأة في مصر ، لوحدنا أن مواقف الشعراء تطورت كثيرا عما كانت عليه بادي الأمر ، فقد كانوا ينظرون الى تعليم الفتاة على أنه وسيلة للقضاء على جهلها وتخليصها من الخرافات ، كي تتمكن من تربية أبنائها ، وتمكن الشرق بهذه التربية من نهضته .

وقد سلك الشعراء في سبيل دعوتهم هذه اتجاهين ، أحدهما محاولة اقناع المرأة بضرورة أن يكون تعليمها منسجما مع تعاليم الكتاب والسنة ، وأن تتخذ من نساء السلف قدوة لها ، وكان شوقي ممن يمثلون هذا الاتجاه ولكن بعضهم الآخر ، ومنهم حافظ ابراهيم اعجبوا بنمط التربية الغربية للبنات ممثلة لهم في كلية البنات الأمريكية ، وتفرّد محرم من بين الشعراء بموقف واضح ، فقد كان متحمسا في دعوته الى الاعتناء بتربية المرأة تخليصا لها من الجهالات ، لكنه ظل مصرا على ضرورة التمسك بالحجاب ، الذي لا يعيق الفتاة عن تلقي دروس العلم .

واتفق جميع الشعراء على خطورة الدور الذي تلعبه الأم في ترقية الشعوب أو هدمها ، ثم لم يكتف بعض الشعراء بمجرد الدعوة الى تعليم المرأة ، لتقوم بواجباتها نحو الأسرة فقط ، بل دعوا الفتاة الى خوض غمار العلم ، لتنافس الفتيات في هذا المضمار ، وعبر هؤلاء عن اغتباطهم بالفتاة المصرية التي دخلت الجامعة ، وجلست الى جانب زميلها ، كي تتلقى العلم ، كما عدّوا هذه الخطوة تحولا في حياة المرأة ، أهلها أن تتطلق الى حياة العمل .

وهكذا تغير الحال ، فبعد أن كان الخوض من تعليم المرأة مجرد تهذيبيها ، كي تكون أما سالحة ، أصبح الهدف منه اعداد الفتاة ، كي تنافس الشاب في ميدان العمل ، بغض النظر عن كونه ملائما أو غير ملائم لطبيعتها .

والغريب في الأمر أن الشعراء الذين اغتبطوا بدخول المرأة الى الجامعة لم يشيروا الى المتاعب التي ستعرض لها المرأة نتيجة اختلاطها بالرجل ، هذا الى كون الاختلاط أمرا لا يقره الدين ، بل عدوا دخول الفتاة الى حياة الدراسة المخططة انتصارا على من اعترضوا على الاختلاط .

الفصل الثالث

قضية عمل المرأة

١

كانت واجبات المرأة حتى أواخر القرن التاسع عشر محصورة في نطاق البيت والأسرة ، وكان الرجل وحده المسئول عن كل ما تحتاجه الأسرة من خارج المنزل ، ولم تكن العادات عند أكثر الأسر ، خصوصاً العربية منها تسمح بخروج النساء من البيوت الا عند الضرورة ، وفي حالة رغبة بعض أرباب الأوسر الموسرة في تعليم بناتهم ، كانوا يحضرون لهن المدرسين الى البيوت ، ولكن تأسيس الرسائل الأجنبية لبعض مدارس البنات في عهد اسماعيل ، وهجرة كثير من نصارى الشام الى مصر مع زوجاتهم ، اللواتي درسن في معاهد البعثات التبشيرية ، ثم عملن في التدريس بعد اقامتهن ، كل ذلك أدى الى نشوء طبقة جديدة من النساء في مصر حاولن أن يدخلن ميدان الأدب والصحافة ، وربما كانت عائشة التيمورية من النساء القلائل اللاتي تطبقن علومهن في المنازل ، فقد أحضر لها والدها اثنين من الأساتذة ، تطقت على أيديهم مبادئ الخط والفقه والنحو واللغة الفارسية ، ثم حفظت القرآن ، واتجهت بعد ذلك الى الدواوين الشعرية ، فترت عندها ملكة الأدب ، فنظمت الشعر بالفارسية والتركية والعربية^(١) ، وكان لديوانها " حلية الطراز " الذي نظمته بالعربية ، وقع خاص في النفوس ، لأنه يمثل ميداناً غابست عنه المرأة في مصر منذ زمن طويل ، فقرّظه كثير من محاسريها ، وربما كانت

(١) عائشة التيمورية ، شاعرة الطليعة ، لعي زيادة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ م ص ٩٠.

وردة اليازجي من أكثر الشعراء اهتماما بالكهوان ، لأنه أثار صبح المرأة
بمعد ليل بهيم - على حد تعبیرها - وقد وصفت اليازجية عائشة التيمورية
بأنها درة في جبين العصر ، فقالت :

هكذا " حلية الطراز " أتت من
مصر تزهو باللؤلؤ الخالص^(١)
قد أعاد الزمان عائشة فيها
فماشت آثار علم قد يسم
هي فخر النساء بسبل درة قسي
جيد نبي العصر زينت بالعلوم
فأدام المولى لها كل عسسز
مابدا الصبح بمعد ليل بهيم

ويبدو أن الخطوة التي خطتها عائشة التيمورية بدخول ميدان الشعر،
قد شجعت بعض نساء عصرها على قرع باب آخر ، كان موصدا في وجوههن ،
ونعني به ميدان الصحافة ، التي انتشرت في مصر منذ عهد اسماعيل ،
وازدادت انتشارا ورواجا على أيدي السوريين ، فأنشأت هند نوفل مجلة
الفتاة في القاهرة عام ١٨٩٢ م ، وكان يغلب عليها الطابع الاجتماعي
والعائلي^(٢) ، وكما أشادت وردة اليازجي بدوان عائشة التيمورية ، أقرت
التيمورية بفضل هند نوفل ، وعدت مجلتها فاتحة عهد جديد للمرأة في
وادي النيل ، فقالت :

فتحت فتاة الهي أبواب المنى ففضلها من كل ناطقة ثنا^(٣)

-
- (١) حديقة الورد ، لورده ناصيف اليازجي ص ٤٣ - ٤٤ .
 - (٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، لأنيس الخوري
المقدسي ص ٢٧٢ .
 - (٣) حلية الطراز ، لعائشة التيمورية ص ١٧٥ .

لله درّ مصونة قد جسدت بحافل الأتراب مصباح السنن
فانظر ترى لبها الفتاة جريدة فخرت بها آل العمامة أعيننا
ياقلب قد جاد الزمان بهنده فاسمى بمنشور البشارة معلنا
هند محت تذكارة " هند " هذا عوض به ربّ البرية أحسننا

ولكن أكثر المجلات النسائية التي صدرت في مصر بعد ذلك كانت
باشراف نساء المهاجرين من النصارى ، فأنشأت " لويزا حبالين " ^١
مجلة " الفردوس " في القاهرة عام ١٨٩٦ م ، وقد قرّظتها وردة
اليازجي ، وأطرت منشئتها ، فقالت :

ياحبذا فردوس علم ناضر من كل فاكهة به زوجان ^١

ثم أنشأت " الكسندرة أفرينو " مجلة " أنيس الجليس " فسي
الاسكندرية عام ١٨٩٨ م ، وكانت الكسندرة قد وفدت من بيروت إلى
الاسكندرية ، وهي في العاشرة من عمرها ^٢ ، وقد اتخذت من مجلتها
مجالاً لدعوة نساء مصر والشرق إلى كل ما هو أوربي ، وقد أثنى الشاعر
نجيب الحداد على مجلتها ، ومدحها بما يمدح به الرجال من علو الهمة
والسمي وراء المجد ، وذلك في مقدمة ديوانه ، الذي أهداه لصاحبة
أنيس الجليس ، يقول :

وأنت غادة خدر قد جمعت لنساء

حسن الفتاة إلى همت فتیان ^٣

وأنت أول حسناء بها ظلمت

الطاف انسانية في حمم انسان

-
- (١) حديقة الورد ، لوردة اليازجي ، ص ٥٥ - ٥٦ .
(٢) فتاة الشرق ، السنة العاشرة ، الجزء الأول ، أكتوبر / تشرين أول
١٩١٥ م ص ٣ - ١١ .
(٣) تذكارة الضياء ، لنجيب الحداد ، ص ٢ - ٣ .

هم النساء بتزيين وتطويره
وهمك المجد يبق بعد أزمان
أنشأت للناس ، والآداب قد خدت
مجلة أصبحت نورا لأذهان
فهي الجليس لمن أعفت مجالسه
وهي الأنيس لذي همم وأشجان

وتوالى بعد ذلك صدور المجلات الساعية في مصر بإشراف الوافدات من سوريا ولبنان ، فأنشأت " روز أنطون " مجلة " السيدات والبنات " في الاسكندرية عام ١٩٠٣ م ، ثم أنشأت " ماري فرح " مجلة بنفس الاسم في الاسكندرية عام ١٩٠٣ م ، وأصدرت " روجينا عواد " مجلة " السعادة " في القاهرة عام ١٩٠٣ م ، واستمر صدور مثل هذه المجلات بعد ذلك ، وركزت جهودها على نشر أخبار شهيرات النساء في الغرب من ممثلات ومغنيات وملكات مع التركيز على عرض صور للأزياء ، التي كانت ترتديها النساء في الغرب ، كما اهتمت هذه المجلات بالدعوة الى السفر والاختلاط ، لأن النساء اللواتي أشرفن عليها ، كان أكثرهن من النصرانيات خريجات المدارس التبشيرية .

ولم يقتصر نشاط المرأة على دخول مجال الصحافة الشهرية أو الأسبوعية ، بل دخلت بعض النساء ميدان الصحافة اليومية ، على الرغم مما يحيط بهذه المهنة من متاعب ومشقات ، فقد تولت السيدة " بتسي " بعد وفاة زوجها بشارة تقلا ادارة جريدة " الاحرام " حقبة من الزمن ،

حتى اذا ماتت رثاها خليل مطران ، "١"

(١) انظر ديوان الخليل ، لخليل مطران ١٥٤/٢ - ١٥٧ . رثى خليل مطران السيدة " بتسي " بقصيدة طويلة نوه فيها بمعرفتها للعلوم واللغات ، وبقدرتها على البيان والتبيين ، وحرصتها للفتاة أن تتخذ من العلوم والفنون مقتناها وسلوها ، كما نوه بقدرتها على ضبط المشاعر ، وعدم التسرع في الحكم ، وبمضاء عزمها وحسن ادارتها وتمكينها للأهرام ، ثم بدورها في نهضة النساء ، يقول :

لك قسط من المعارف موفور ، وقسط من راقيات الفنون
تحسنين اللغات شتى كثارا مع لطف البيان والتبيين
وترين العلوم أنفع ما يقـ نى ، وأسنى على الغواني العين
وترين الفنون أنسا وسلوى وفتى عن خدينة وخدين
تضبطين الشعور في كل آن ضبط مستأثر بكنز فين
فانذا ماشحك يوما سماع فبازن من الضمير الرصين
كنت أمضى من الرجال وقد زلت أعمالهم بحزم متين
فجعلت الأهرام تلقاء صرف الكهر في ذلك القرار المكين
وأدرت الشؤون أحسن ما كان خبير ادارة للشؤون

.....

لك في نهضة النساء مساع حركت فضلياتها من سكون
وعلى ثابت من الأسس شادت مجدهن الجديد في تمكين

لكن هذا الاطراء على زوجة بشارة تقلا مؤسس جريدة الأهرام ، لو صدر عن غير خليل مطران ، لكان أقرب الى الحقيقة وأدعى الى التصديق ، لأن خليل مطران كان موظفا في جريدة الأهرام أول حياته في مصر وكان صديقا لأسرة تقلا ، مما يجعلنا نميل الى القول ، انه بالغ في تعداد مناقب المتوفاة .

انظر الأدب العربي المعاصر في مصر ، لشوقي ضيف ،

وفي هذه الأثناء - أي مطلع القرن العشرين - بدأت المحاولات لإنشاء جمعيات نسائية ، وكانت دعوة قاسم أمين ، ثم محاولة لطفي السيد تنظيم محاضرات لبعض النساء ليلا في الجامعة المصرية ، لكن على الرغم من ذلك ، لم تستطع المرأة في مصر أن تندفع خارج بيتها ، وتشارك في الأحداث العامة ، إلا بعد أن اشتركت في المظاهرات ، التي اشتعلت عام ١٩١٩ م ، وكان حزب الأمة قد استغل حماسها ، فأوما إليها أن تتخلص من حجابها في زحمة المظاهرات ، مما أكسب تصرفها هذا طابعا وطنيا ، خصوصا بعد مقتل " حميدة خليل " (١) احدى المتظاهرات على أيدي الجنود الانجليز ، وأراد حزب الأمة أن يصنع هالة من المجد والبطولة حول مظاهرات النساء ، فروج حافظ ابراهيم لتلك المظاهرات ، حين وصف موكب النساء اللواتي طفن شوارع القاهرة ، لتقديم احتجاجهن الى السفارات على مقتل " حميدة خليل " ، ثم قصدن الى دار سعد كاشفات الرؤوس ، لكن الجيش الانجليزي فرقهن بعد محاصرتهم - وتهديدهن ، يقول حافظ :

خرج الفواني يحتجب
فإذا بهن تخذن من
وأخذن يجتزن الطر
يمشين في كنف الوقا
وإذا بجيش مقبل
فتطاحن الجيشان سا
فتضع النسوان ، والنسوان ليس لهن من
ثم انهزمن مشتتا
ن هرحت أرقب جمعهنه (٢)
سود الثياب شعارهنه
يق ودار سعد قصدهنه
ر وقد أبهن شعورهنه
والخيل مطلقه الأعنه
عات تشيب لها الأجنه
ت الشمل نحو قصورهنه

(١) المرأة المصرية ، لدريه شفيق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ٨٧/٢

كذلك أبدى محمد عبد المطلب رضاه عن دور المرأة في مظاهرات عام ١٩١٩ م ، حين وصف صحوة مصر من فقلتها ، واشتراك النساء فيها حاسرات من شدة الحسرات ، متواصيات ألا يضيعن دينا أو يعطلن سنة في قوله :

دهش الناس يوم قيل صحت مصر ، وكانت في غفلة وسبات "١"
ان لقينا الخطوب وهي شداد فتولت جمعها مدبرات
وركبنا متن الزمان نلولا فمضينا لشايسة الفايات
بين شيب بالحزم تحد وشبابا صادقي الحزم ثاقبي النظرات

.....

أفزعتهنّ حاد ثات الليالي في بنيهنّ بالردى راميات
فترامين من وراء خـدور كنّ فيها الهدور مخدرات
سافرات ولسن أهل سفور حاسرات من شدة الحسرات
وكتبن الوفاء للنيل عهدا في قلوب بحبه داميات
وتواصين ألا يضيعن دينا أو يعطلن سنة المؤمنات
ايه ، لله سعيكن جميلا يابنات الأنجاب والمنجيات

ثم أثنى عبد المطلب على المرأة ثانية ، ورأى أن موقفها الحازم من الاستقلال ، وحماسها في الدفاع عن الوطن ، دعا المصريين أن ينحنوا لها اجلالا ، ويغضوا عيونهم عنها مهابة ، لكن ذلك من النساء لم يجب الانجليز ، فطافوا حولهن منتقلين من مكان الى آخر ، وقد صوّروا حرايم نحوهن ، ويشفق عبد المطلب على النساء من هذا الموقف ، فيصب جام غضبه على جنود الانجليز :

تفضي عيون بني البلاد مهابة من حولهن وتحنني اجلالا "٢"
وأرى ابن لندن نحوهن مصوبا بيض الطبا متوشبا مجتالا "٣"

-
- (١) ديوان عبد المطلب ص ٣٣ - ٣٤ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٩٤ - ١٩٥ .
 - (٣) المجتال : المتقل الطواف .

يا ابن اللكيمة انهن عقائل يفدين من فتكاتك الانجالا "١"
يا ابن اللكيمة انهن عقائل يسألن حقا لا يردن قتالا
يا ابن اللكيمة ، ما حملن صوارما لبني أبيك ولا دعون نزالا

ثم تبعه شوقي ، فأشاد بدور النساء في سبيل استقلال مصر ، حين
نفثن الشجاعة في نفوس أبنائهن وعرضن أنفسهن لحراب الانجليز ، ورأى
أنهن أثبتن جدارة وهمة أكثر من الرجال ، الذين عدوا أنفسهم قادة
للأمة ، حيث يقول :

لما حضن لنا القضية كن غير الحاضنات "٢"
غذيها في مهدها بلبانهن الباهرات
وسبقن فيها المصلمين الى الكويمة معلقات
ينفثن في الفتيان من روح الشجاعة والثبات
يهوين تقبيل المهند أو مطانمة القنصاة
ويرين حتى في الكرى قبل الرجال محرمات

(١) اللكيمة : اللثيمة . ولكن عبد المطلب تراجع عن موقفه السابق
عندما رأى النساء قد ترعن الحجاب ، ورفض العودة الى ما كن
عليه ، وأسرعن في تقليد المرأة الخرومية ، مما جعل عبد المطلب يعبر
عن خيبة أمه في النساء ، وذلك في قوله :

ما في بنات النيل من أرب لذي غرض نبيل
أصبحن عابا في الزما ن وسواة في شرهبيل

انظر ديوان عبد المطلب ص ١٨٥ .

(٢) الشوقيات ١٠٥/١

وكانت النتيجة أن اتجهت المرأة بعد عهد المظاهرات التي
العمل في ميدان السياسة والمشاريع الخيرية ، وتأسيس الجمعيات النسائية ،
ذلك الاتجاه الذي أشاد به محمد الهراوي وبألوان النشاط فيه ، حيث
يقول :

نهضن فما غادرن للمجد مطلبنا
وقمن فما أبقين في النفس مأربنا "أ"
عقائل مصر قد نزعن إلى المنسلا
وأقسمن لا يلويمن عنها تنكبنا
فثرن وراء الخدر ثم عدوننسنه
يوالين أحداث الزمان تعقبنا
خرجن يظاهرن الرجال على هدى
وألفن في يوم المواكب موكبنا
تسنمن أعواد المناكب فسندوة
يثرن جموى الأعمشاه حتى تلهبنا
نزلن إلى الأسواق تجسار رخمسة
وما رمن إلا جانب الله مكسبنا
فحيا فريق طلعة الفيد مثنينا
وعاب فريق أن نرجن من الخبنا
ومن عائب في حب مصر عقائسلا
طرحن قليلا للبلاد التحبنا
لقد مشت الدنيا إلى الخاية التسي
ينادي بها الأحرار شرقا ومغربنا
وقامت نساء الغرب يفلون في المنسى
فما قيل : شطت في الأمانى مذهبنا
أكان عجبا أن يقيم نساوتنا
ولو هن لا زمن الخبا كسان أعجبا

ثم لم يكن عجيبا مع هذه الاشادة أن تحتل صفة زغلول زوجة سمعد زغلول زعيم حزب الأمة وابنة مصطفى فهمي رئيس الوزارة المصرية في عهد كرومر مكانة مرموقة في نفوس المصريين ، خصوصا بعد نفي الانجليز لسمعد عام ١٩٢٢م "١" ، ولحوقها به في منفاه بجبل طارق "٢" ، حتى أنهم سمعوا لقبها بلقب " أم المصريين " ، وقرنوا اسمها باسم سمعد في مدحهم له ، على أنها الساعد الأيمن له ، وعند سفرها الى سمعد في منفاه أرادت أن تشمر المصريين ، أن مخادرتها لمصر عمل وطني ، لأنها ستكون في خدمة الزعيم ، فوجهت اليهم كلمة قالت فيها : (طلبت سمعد أن أوافيه الى حيث هو وحيد مريض ، فعلى الرغم مني ومنه أن أفارقكم ، قضا على سمعد بالوحدة ، فوق ما قضا عليه بالنفي ، فهو اليوم يعاني من ذلك عذابا ، وقضا على رفاق له بالهقاء في سيشل ، وعلى آخرين بالاعتقال والسجن ، فاصبروا فأنتم لا محالة منصورون) "٣" .

وقد رأى علي الجندی أن توديع أم المصريين فرض عليهم مثل الصيام ، وأن رحيلها أبكى النيل سادت له جوانب الأهرام حزنا ، فقد ذهبت الى سمعد تواسيه في منفاه ، وقامت بالأمر من بعده ، حتى فاقت الرجال في هذا المجال ، ولهذا كله ليست امرأة وفيه فحسب ، بل من النادر أن يكون بين نساء الدنيا مثيلا لها ، فهي ليست فخرا لعصر ، وانما هي فخر الشعوب جميعا ، حيث يقول :

قف فودّع " أم الكنانة " فالتسو

ديع فرض عليك مثل الصيام "٤"

-
- (١) الهلال ، السنة ٧٦ ، العدد الثامن أول أغسطس / آب ١٩٦٨ م ص ١٢٥ .
 - (٢) الحركة النسائية الحديثة ، لاجلال خليفة ص ١٦١ .
 - (٣) أغاريد السحر ، لعلي الجندی ص ١٥٥ .
 - (٤) المرجع نفسه ص ١٥٥ - ١٥٦ .

أذنت بالفراق فاستحضر النيسبل
وما دت جوانب "الأهرام"
لم تطق أن ترى "الرئيس" يعانني
مايحانني من فادح الأسقام
أم مصر، وأنت نادرة النسيب
نيا وفخر الشعوب والأيام
قمت بالأمر بعد سعد على الرض
م من الحاديات حيق القيام
وشأوت الرجال في حلبة السب
ق ، وجلت فني مجال الصدام
أقرئيه أماه عنا التحيسا
ت وقومسي بواجب الاعظام

وعندما عاد سعد وظل من منفاه ، ورفقته أم المصريين ، استقبل
استقبال الأبطال ، وألقيت عشرات القصائد تحية له ولقرينته ، على أنها
شريكة كفاحه ، فكانت نبوية موسى من الشعراء الذين احتفلوا بهذه
المناسبة ، وكان وصفها لصفية أنها لا مثيل لها ، خصوصا في أوقات
الطلمات ، وأنها بهجة لبنات النيل ، بل ملاكا ، وكعبة للمعالي
يفتديها أهل وادي النيل بأرواحهم ، حيث يقول :

أدهشتم ذات عز سرحيسا
أن تذال النفس في نيل رضاك^(١)
زوج سعد ليس في مصر لميسا
من مثيل يرتجى عند الدراك

(١) ديوان نبوية موسى ٣١/١
(٢) مصريات ، نظم أحمد زكي أبو شادي ، جمع ونشر حسن صالح
الجدوى ، المطبعة السلفية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ -
١٩٢٤ م ، ص ٤٧ .

أنت يا زوجة سعد بهجة
لبنات النيل ، هل أنت ميلاك
فابق فينا للمحالي كعبسة
وجعلنا من أذى الدهر فيداك

كما كان من بين المحتفلين أبو شادي الذي استأذن الزعيم فسي
الإشادة بقرينته ، مشبها له ولها فيما تحلاه بالنبي - عليه الصلاة والسلام
وخديجة - رضي الله عنها - ، يقول :

أيجيز لي الهطل الزعيم قليبسلا
حتى أقدم للموسيا جيبلا "١"

.....

وأشيد من تقدير مصر لأهمسلا
ذكرنا كذكرك للخلود منيلا
أنت " النبي " شقيت وهي " خديجة " .
وكذا نجل شيلسة ومشيلا

وظلت صفة ذات مكانة في نفوس القوم ، حتى أن أباشادي لم
يجد من يخاطبه بشأن تفسخ حزب الوفد بعد وفاة سعد غيرها ،
فدعاها أن تنقذه من التفسخ والانشقاق ، الذي دبّ بين أعضائه ، وحسب
الوفد كلمة من صفة ، حتى يعود الى توحيد صفوفه ، لأن لديهم
أقدام سعد وأباؤه .

عانيت ماعانيت من ايسلام حين الوجال ضحايا الاستسلام "٢"

-
- (١) مصريات ، نظم أحمد زكي أبو شادي جمع ونشر حسن صالح الجداوى ،
المطبعة السلفية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ص ٤٧ .
- (٢) فوق العباب ، لأحمد زكي أبو شادي ، مطبعة التعاون في القاهرة ،
الطبعة الأولى ١٩٣٥ م ص ٧٠ - ٧١ . وانظر ديوان مختارات
من وحي العام ، لأحمد زكي أبو شادي ، دار العصور للطبع
والنشر ، الطبعة الأولى ، ص ١١ . حيث نظم الشاعر قصيدة
بمعنوان " الى أم المصريين " ، وذلك بعد وفاة سعد .

يا أم مصر وياضفة سعدها من ذاك سواك أحق بالاقدام
ولديك منبعها السليم وحسبنا أن نستقي من ذلك الالهام

- ٢ -

وهكذا دخلت المرأة ميدان السياسة ، بعد أن دخلت ميدان
الأدب والصحافة ، ولكن حزب الوفد الذي تعلم السلطة بزعامه سعد ،
لم يقدم شيئاً مما كانت تأمل المرأة أن يحققه لها ، ولم يشر سعد في خطبته
التي ألقاها أمام البرلمان المصري ، وبين فيها سياسة حكومته الى الدور
الذي قامت به المرأة ، أضف الى هذا أن برنامج الحكومة التي ألفها
سعد لم يتضمن مطالب مصر الحقيقية ، () وكان من الطبيعي أن يفض
لذلك ممثلو المرأة ، وهن أعضاء الاتحاد النسائي ، فمقدت اجتماعاً
بدار هدى شعراوي ، وأصدرن مذكرة أرسلت صورة منها الى رئيس
الوزراء سعد زغلول . (١) ، وحذرت هدى سعدا من مغبة تقديم
التنازلات للانجليز ، لكنه ظل مصراً على موقفه ، فوقفت موقف المعارضة
لحكومة الوفد ، وكانت نتيجة ذلك أن أعلنت انفصال لجنة الوفد المركزية
لل سيدات ، وما تضمه من لجان متفرقة عن حزب الوفد " ٢ " ، واستقلت عام
١٩٢٣ م بالاتحاد النسائي المصري ، فعالت به نحو النشاطات الاجتماعية " ٣ "
وبذلك أصبحت هدى شعراوي محط أنظار الشعراء والكتاب ، الذين
كانت تنفق عليهم بسخاء ، وتبسط لهم يدها بالهدايا ، وتدهوهم
للمآدب والحفلات " ٤ " ، فامتلت الصحف بتصريحاتها ونشاطاتها ،
وعملت جاهدة على نشر الشفور وتقليد الغربيات في كل مظاهر الحياة ،

-
- (١) الحركة النسائية ، لاجلال خليفة ص ١٦٢ - ١٦٥ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ١٦٧ - ١٦٩ .
 - (٣) المرأة المصرية ، لدربة شوقي ص ١٤٤ - ١٤٨ .
 - (٤) نساء شهيرات من الشرق والغرب ، لوداد السكاكيني وتماضرت
توفيق ص ٤ .

حتى أنها تسمت باسم زوجها "أ" ، وكان شوقي من أوائل المشمرين
الذين رحبوا بقيام الاتحاد النسائي ، وأثنى على جهود العاملات فيه ،
وتعاونهن من أجل المنفعة العامة ، حتى لقد دعا الرجال أن ينظروا
ويعتبروا بتعاونهن على تجديد حياتهن وحياة مصر :

ادعوا الرجال لينظروا	كيف اتحاد الغانيات ؟ "ب"
والنفع كيف أخذن فسي	أسبابه متعاونات
لما رأين يد الرجال	ل تفاخرا أو حسب ذات
أقبلن بينين المناسا	عز للنجاح موفقات
يمشين في سوق الثوا	ب مساومات رايحات
يلبسن نزل السائلا	ت ، وماذا كرن البائسات
فوجوههن وماوهسا	ستر على المتجملات
مصر تجدد مجدها	بنسائهما المتجددات
النافرات من الجسمود	كأنه شبح المسات
هل بينهن جوامدا	فرق وبين الموميات

لكن ثقة شوقي بالحركة النسائية وبقيادة هدى شعراوي لها لم تستمر
طويلا ، لأنه بعد حين وقف يذكرها بمسئوليتها نحو هذا الحيل من النساء
الذي يتخبط في حياته ، لأنه يفتقر الى قدوة يتخذها مثلا أعلى له ،
وذلك في الحفل النسائي الذي أقيم بدار التمثيل العربي في القاهرة
عام ١٩٢٨ م ، حيث يقول :

-
- (١) اسم والدها سلطان باشا ، وقد عمل رئيسا لأول برلمان مصري فسي
عهد الخديوي توفيق ، وتنكر للثورة الصرايية وتحالف ضدها مع الخديوي
والانجليز ، وكان يفرق الناس عن عرابي ويجمعهم لمعاونة الانجليز .
انظر الاعتصام ، السنة الثانية والأربعون ، العدد التاسع ، أغسطس /
آب ١٩٢٩ م ص ٢٠ - ٢١ .
- (٢) الشوقيات ١٠٤ / ١ - ١٠٥ .

لقد اختلفنا والمصلا
في الرأي ، ثم أهاب بي
.....
في ذمة الفضلى " هدى "
أقبلن يسألن الحضا
ما السبل بينسة ولا
شوقد يخالفه العشير "١"
وبك المنادم والسيير

وفي سنة ١٩٣٤م أقيم الاتحاد النسائي حفلة تكريم لخريجات الجامعة
المصرية ، فأشاد خليل مطران بالاتحاد وروعيته هدى شعراوي والتسبي
أثمرت جهودها جيلا جديدا من الفتيات ، يلائم الحياة الجديدة ،
ويبشر نجاحه بمستقبل مشرق للمرأة في مصر ، ثم أثنى على الروح الوطنية
التي تسود مجتمع المرأة ممثلة في الاتحاد النسائي ، وتغن أن يكون التعاون
والتعاقد هدفا للرجال يسمون اليه ، بدلا من الفرقة التي تحكم علاقاتهم ،
وذلك في قوله :

شبت غراسك عن بواكير الضمه
وبدت تهاشير الهدى للمهتدي "٢"
تجدد الدنيا فمن يهني بهمسا
أن يدرك الخايات فليتجدد
أنصفت يانور الهدى ولحكيمسة
ان كيت شحلة عزمك المتوقسد
نعم المثال مثالك الأطس لمسن
بك في الرئاسة والكياسة تقتدي

(١) ديوان شوقي ، طبعة مصر عام ١٩٤٨م ٢٠٨/٢ - ٢١١
(٢) ديوان الخليل ١٦٣/٤ - ١٦٥ . وانظر مجلة أبولو ، العدد
الخامس ، يناير / كانون ثاني ١٩٣٤م ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

فضل من الله اتحاد نسائنا
هين الرجال كوثيق متبند
حاكين نظم عقودهن وفرقت
ازواجهن خلاصن لهم تعقد
ياحسن هذا الائتلاف ولطف
فيه من الارشاد للمسترشد

وكما أقامت هدى حفلا لخريجات الجامعة المصرية ، أقامت حفلا
آخر بمناسبة افتتاح دار الاتحاد النسائي ، ودعت الشعراء لالقاء القصائد
فألقي محمد الأسمر قصيدة تعنى فيها أن يقلد الرجال النساء بوحدة تجمع
شملهم ثم أتى على هدى بأنها غير محض ، وغير أهل الحمى خلافا ،
يقول :

دار اتحاد النساء من لسي بوحدة تجتمع الرجالا "١"
هدى وأنت الهدى أراني مقصرا فاعذري الخيالا
مهما أخلق فأنت أظنى من شمسي ان تعالسي
رعاك ربي فأنت خير محض ، وغير الحمى خلافا

ثم بدا لها أن تنشر ظلها على كثير من نواحي الحياة ، فأعلنت
عن رصد جائزتين لأفضل قصيدتين عن الريف المصري ، وولت الى مجمع
فواد اللغة العربية مهمة التحكيم ، وأقامت في قصرها حفلا كبيرا ، دعت
اليه العلماء والأدباء والفنانين تكريما للفائزين ، فجاءتها قصائد المديح
من كل جانب تثني على رعايتها الفنون والآداب ، ومن ذلك قصيدة للعوضي
الوكيل :

وهي هدى ما أطاق الكلام وأنشد بها ما استطاع النشيد "٢"
رعت وحدها في البلاد الفتو ن ومدت لها كل كف رشيد
أراعية الفن دومي لله وعشت برفسه وعيش رغيد

(١) ديوان الأسمر ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
(٢) أصداء بعيدة ، للعوضي الوكيل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،
ط ١ ، ١٩٤٥ م ، ص ١٥ - ١٦ .

وكان الشاعر محمد الأسمر من حضروا هذا الاحتفال ، فأثنى على
زعامة هدى ، ووصفها بأنها " جان دارك " وادى النيل ، وهي الأب
والأم لمصر ولم تغف عنها لحظة عن رعاية شعونه ، ولهذا فهي جديرة
أن يفتديها الرجال بنفوسهم ، يقول :

" جان دارك " وادى النيل ان ربح الحمى
صانت حماها ربها يصوننا "١"
فهي أب فيه وأم ، ماغفست
عن حفظه أو رعيت عيونها
ان صحت المرأة كانت وجسلا
بل أسدا وخدرها عرينها
فيا لها سيدة فوق الحمسى
رجاله بالنفس يفتونها

وأشاد مصطفى الطاحي بفضلها على الكتاب والشعراء ، وعطفها
عليهم في أكثر الأوقات حرجا ، على حين كان آخرون يضطهدونهم ويضيقون
عليهم ، وذلك في قوله :

أهلا بمن عطفت على الكتاب والشعراء في الزمن المتي الجاني "٢"
وعرفت هدى أن الهدايا والبهيات هي وسيلتها لفزو قلوب الشعراء ،
فكانت تتحفهم ببعض الهدايا الثمينة ، كلما عادت من احدى أسفارها ،
ما جعلهم يسبحون بحمدها ، ويجرون في ركابها ، فيها هو علي الجندي
يعترف أن أيادي هدى عليه كثيرة ، وبأنه طاجز عن نقل مشاعره الفياضة
نحوها ، بعد أن قدّمته هدية ثمينة ، فقال :

(١) ديوان الأسمر ص ٢٧٥ - ٢٧٧ .

(٢) ديوان الطاحي ص ١٠٨ .

الله أكبر يا هدى جازت صداعك المندى "١"
اني عجزت عن الصداح راجعرا ومقصدا

على أن من الشعراء من أدرك حرص زعيمة الاتحاد النسائي على تقليد
المرأة الغربية ، بكل ما أوتيت من عزم وتصميم ، فزين لها هذا الاتجاه ،
ودعاها أن تعمل على الأخذ بوسائل الحياة الغربية ، حتى تثبت لأوروبا
أن المرأة المصرية لا تقل شأنًا عن أختها الأوروبية في الجري وراء وسائل
الرفق المادية ، يقول حسن الحظيم في قصيدة له بعنوان " زعيمة النهضة
النسائية " :

هيا اعلمي أنت الرئيسة يا هدى أنت الامامه "٢"
هيا اثبتي للغرب أن الشرق يستقضي نظامه
يجري على سنن الرقسي ليسترد به مقامه

كما عد حضورها للمؤتمرات النسائية العالمية فخرا كبيرا للمرأة المصرية "٣"
وأنها كانت تعود من كل مؤتمر بوسام وتقدير ، ولم تقف هدى عند هذا
الحد ، بل وقفت خطيبة في كثير من المناسبات :

أعليت شأن السيدات ، فكلت رمزا للشهامه

-
- (١) الحان الأصيل ، لعلي الجندي ص ٥٦ .
(٢) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، أول ابريل / نيسان ١٩٣٧ م
ص ٥٥ .
(٣) أشاد محمد عبد الغني حسن بهدى شعراوي ، فذكر أن نشاطها
لم يكن مقصورا على النواحي النسائية ، بل شملت جهودها كل
نواحي الحياة في مصر ، ولم تكن لها قفزة طوال عشرين سنة ،
فقد كانت - على حد تعبيره - في جهاد دائم ، يقول في قصيدته
" زعيمة نهضة " :

أعليت في صرح الهلاد بنا ، بلغ السما وجاوز الجوزاء
عشرون عاما من جهاد دائم لم تحرفي تعبولا اعياء

انظر ديوان من نهج الحياة : لمحمد عبد الغني حسن ، ص

في كل مؤتمر حضر ت ، فحدثت حاملة وسامه
في كل مجتمع خطيب ت و رفعت للشرقي هامه

كذلك نوّه أبو شادي ببيانها الذي رفع هامة الشرقيين ، وأرضى
المسلمات والمسيحيات ، لأنه عمق فكرة الوطنية بين النساء ، بغض النظر
عن الدين ، وطالبها بتمزيق حجاب الظلام ، الذي يحول بين المرأة
وسين الانطلاق في قوله :

بمثلك في ظلمة يهتسدى فشقى حجاب الدجى يا (هدى) ^١

.....

اذا ما كتبت تغنى اليراع قوبراء وقبل منك اليبدا
وشاق بآياته الفاتتات وأرضى الكنيسة والمسجدا

لكن الحقيقة كانت غير ذلك ، فهدى شعراوى لم تكن كاتبة ، وانما
كانت تكلف المحامي ابراهيم الهلباوى محامي الانجليز في محاكمات دنشواى
بكتابة الخطابات لها ، فقد كتبت مجلة الفتح مقالا بعنوان : ((هدى
شعراوى شيخ وهمي يختبئ وراءه أشخاص آخرون)) ، ذكرت فيه
أن هدى شعراوى : ((أضاءت مالها ودينها في سبيل الشهرة ، ولأجل
أن يقال انها تكتب وتخطب ، ولكن خبثاء الصحفيين يتأثرون بخطواتها ،
وقد ذكرت جريدة العالم الأسبوعية ، أن الخطبة المنسوبة لهدى شعراوى
هي من كتابة ابراهيم الهلباوى)) . ^٢

ولم تكف الزعيمة النسائية بما حققت من شهرة في مصر وأوروبا ، فأرادت
أن تمد شهرها ، لتشمل البلاد العربية الأخرى ، فدعت الاتحادات
النسائية العربية ، لعقد مؤتمر نسائي في القاهرة في ١٢ ديسمبر / كانون
أول ١٩٤٤ م ، وحشدت الشعراء ليشيدوا بفضلها ، ويرهبوا بالقادسات

(١) مصريات ، لأحمد زكي أبو شادي ص ٧٩ .
(٢) الفتح ، العدد ٦٧ ، ٢٠ أكتوبر / تشرين أول ١٩٤٧ م ص ٩

من الأقطار العربية المجاورة ، فرحب محمد الأسمر بعضوات المؤتمر ، وأعلن إعجابه بما سمع منهن من خطب تدعو الشرق الى نهضة يكون للمرأة فيها دور كبير ، ولم يضيع الأسمر هذه المناسبة ، فأضفى على هدى مزيدا من المناقب ، فهي ليست أما لمصر وحدها ، بل هي أم العرب جميعا ، يقول :

مرحبا جاراتنا كم سرّنا ما هتفتن به من خطب "١"
نهضة مرجوة للشرق ان يوعها الله أثت بالعجب
نهضة ان بارك الله بها ينمض الشسرُق بأم وأب
لست في مصر بأم للحسنى وحده ، بل أنت (أم العرب)

حتى اذا انتهى المؤتمر ودعت ضيفات مصر بمثل ما استقبلتهن ، فأقامت حفلا ، ودعت الشعراء ، فكان مما قاله محمد عبد الفنى حسن فسي حث المدعوات على النهوض بالشرق ، بعد أن مهدت هدى لهن الطريق :

يهنت عدنان اجعلي الى السماء مصعدا "٢"
لا تحسبي الباب الى مجد الفتاة موصدا
اني أرى طريقه مهيدا محبسا
قد كتب الله الهدى له على يدي هدى

(١) ديوان الأسمر ص ٢٧٨ - ٢٧٩ . وانظر قصيدة على الجندي التي ألقاها في نفس المناسبة في ديوانه أغاريد السحر ص ١٠٥ - ١٠٩ ، ومطلعيها :

يابنات الشرق أنتنّ له حلية أوزت بسط الدرر

(٢) من وراء الأفق ، لمحمد عبد الفنى حسن ص ٣٥ - ٣٦ .

وكما أهدق الشعراء مدائحهم على هدى أثناء حياتها ، لم يخلصوا
عليها بقصائد الرثاء بعد موتها ، فقد أقام الاتحاد النسائي حفلة تأسين
لها ، ألقى الشعراء فيها قصائدهم ، وقد توفيت في عام ١٩٤٧ م ،
فرثاها خليل مطران ، وعدّ وفاتها خسارة للعالم العربي كله ، لا لمصر
وحدها ، يقول :

مصاب مصر مصاب العالم العربي سي

هل مدمع في ربوع الضاد لم يصب "أ"

ثم راح يعدد مناقبها ، فذكر فيما ذكر سعيها في سبيل المرأة ،
ودفاعها عنها حتى حررتها برغم المعارضين ، وذكر تأسيسها للاتحاد
النسائي ، الذي جمعت فيه النخبة من النابيات ، عدا مؤسساتها
الأخرى لاعداد البنات والأمهات ، يقول مطران :

أما رسالتك المثلث فما برحست

كما بدأت بها موصولة السبب

ماذا صنعت لانصاف النساء وكسم

دفعت عنهن من كيد ومن ريب ؟

حررتهن برغم الكاشحين ، ومسنن

يسعى بعزمك لم يخفق ولم يخيب

وكان خير اتحاد ما جمعت بسنه

من نابيات الفواني نخبة النخب

مؤسساتك لو عدت ولو وصفست

لما انتهى عجب الا الى عجب

آيات عصر جد يد للرقى ينسرى

مستقبل الشعب فيها كل مرتقب

بها تعد البنات الصالحات لسنه

والأمهات لجيل هامسل در ب

على أن كثيرا من الشعراء رثوا هدى شعراوى ، وأظنوا في الثناء
عليها ، ولكننا نكتفي بما أوردنا من اشارات ، "١"

(١) كان العقاد من الشعراء الذين تأثروا بعوت هدى ، فرتاها وأشار
الى مساعيها في ميادين النهر ، فقد كانت تمثل على حد تعبيره
نمطا فريدا من النساء في الشرق ، وهداها قدوة للنساء في تعزيقها
للحجاب ، الذى كان يمثل في حياة المرأة ليلا بهيما .

ريسة النهر والندى لم يضع سعيها سدى
سفرت والحجاب كاللي بل فيسمان أسودا

انظر ديوان من دواوين ، لعباس محمود العقاد ص ٢٧١ - ٢٧٣ .
وانظر الرمزيات ، لمحمود رمزي نظم ، جمع وترتيب محمد علي
أبو طالب ص ٢٤١ - ٢٤٣ ، حيث رثى هدى شعراوى بقصيدة
مطلعها :

فقدت مصر هداها واختفى نور سناها

وراجع ديوان الأسمر ص ٦٤٧ - ٦٥٠ ، حيث رثى هدى شعراوى
بقصيدة مطلعها :

على مثلها فليكن من كان باكيها

ويرثى العلا والفضل من كان راثيا

وراجع قصيدة أخرى في رثائها ، بمناسبة مرور سنة على وفاتها ، ديوان
الأسمر ص ٦٥١ بعنوان (بعد عام) :

عام مضى وكأنه أحصوام طالت علينا بمدك الأيام

وراجع ديوان شعري لمحمود أبو الوفا ص ١٧٥ - ١٧٩ ، وقيد
رثاها بقصيدة مطلعها :

الى أن أجازي بعض فضلك يا هدى

سأبكي وأستهكي وان طال بي الصدى

وله قصيدة أخرى في رثائها ، بمناسبة مرور عام على وفاتها " شمري
ص ١٨٠ - ١٨٥ " ومطلعها :

أي النسائم عطرت مسراها

اني أشم الآن نفع شذاها

ولم تكن هدى شعراوي وحدها في ميدان العمل النسائي ، فقد كانت الى جانبها " سكرتيرتها " سيزا نبراوي ، التي رافقتها في طريق عودتها من فرنسا ، حيث أسفرتا معا عندما نزلتا من الباخرة " ١ " ، وكان ذلك عام ١٩٢٣ م ، وقد عبر احمد زكي أبو شادي عن تقديره لسيزا نبراوي التي تملك من الحسن والفضل الشيء الكثير ، مما يمكنها أن تكون قدوة لبنات مصر ، ويشكر لها ما قدمت من خدمات لوطنها في مدة وجيزة :

وليق فضلك مثل حســـــــك
ولتهن (مصر) بحظم ما قدمت في فتر وجيزه " ١ "

كما كان مع هدى أستر فهمي وبما التي اشتركت في انتخاب لجنة الوفد المركزية للسيدات في الكنيسة المرقسية ، والتي اختيرت عضوا عاملا في هذه اللجنة " ٣ " ، فقد برزت في ميدان الخطابة والكتابة والعمل النسائي حتى امتدحها أبو شادي بذلك ، ورأى فيها قدوة يقتدي بها المصريون في جهادهم :

في شعرك المنثور سلوى له لله كم يهفو الى شعرك " ٤ "
كم يذخر الوعظ الجميل السني من ترك الخالي ومن تبرك
من رائع مصغ ومن ناطق سيان في صحتك أو جهرك
علمتنا سرّ الجهاد الذي يشتق محن النصر من صبرك

ولاننسى الأميره " عين الحياة أحمد " أول من دعت النشاط النسائي في مصر " ٥ " ، وتبعتها أميرات مفهمن " سميحة حسين " التي

-
- (١) المرأة المصرية ، لدربة شفيق ص ١٢٧ .
 - (٢) أنين ورفين ل احمد زكي ابو شادي ص ١١٧ .
 - (٣) الحركة النسائية ، لاجلال خليفة ص ١٦١ .
 - (٤) مصريات ، لأحمد زكي أبو شادي ص ٨٥ - ٨٦ .
 - (٥) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٥ فبراير / شباط ١٩٣٧ م ص ١٣ .
- الحان الأصيل ، لعلي الجندى ص ٤٢

تبرعت بجملة من حلبيها النفيسة لجمعية الهلال الأحمر المصري ، وقد أشار على الجندي الى ذلك بقوله :

حيوت الهلال جزيل النوال فأقمر في غرة الأشهر "١"

وكان افتتاح المستوصفات من ميادين العمل التي جذبت المرأة ، ويبدو أن المرأة النصرانية في مصر كانت أسبق من المسلمة في هذا المجال ، فقد أثنى خليل مطران على فتاة شابة متفانية تمضي وقتها في خدمة المرضى ، وقد هجرت في سبيل ذلك كل زخارف الدنيا ومباهجها من أجل أن تلم بأحوال مرضاها ، وتبادر الى تقديم ما يحتاجونه من خدمات ، حتى ألفت العمل في المستوصف ، على الرغم من المناظر الموهلة التي تراها أثناء عملها ، وحتى ألفتها المرضى وانتظروها ، كما ينتظرون النور بعد الظلمة لرفقها بهم :

تبدد مرضاها بالمأمهسا	والصهد أن الأحوج الأبدر "٢"
تألف لا تأنف "مستوصفا"	للهموس في أكافه محشور
يمض من مرّ به ناظسرا	لفرط مايوالمسه المنظر
ماحال من تدأب تتنايه	تخير من بلواه ماتخبسور
ياحسن تلك المفداة التي	آياتها في الهرّ لا تعصور
لاحت فلاح النور بعد الدج	جاءت فجاء الدهر يستغفرو
تأسوبرفق أو تواسي بسه	قد يضر الرفق ولا تضجور

كذلك وصف حافظ ابراهيم أيادي المعرضات التي تمتد لمساعدة

(١) الحان الأصيل ، لعلي الجندي ص ٤٢ .

(٢) ديوان خليل ٢/٢١٣ - ٢١٧

المرض بأنها أياد بيضاء طاهرة ، لا تتوانى عن صنع الجميل ، وتبادر إليه في الحال ، وأنهن يعطن في هذه المهنة حبا في المساعدة ، وليس طمعا في المال ، ويعاملن المرضى برفق ، كأنهن أمهات يتعهدن أطفالهن ويحلمون عليهم ، يقول :

وإذا بأيدي طاهرات عسودت
صنع الجميل تطسوهت في الحال^(١)
جاءت تسابق في العبرة بعضها
بعضا لوجه الله لا للمال
فتناولت بالرفق ما أنا حاصل
كالأم تكلأ طفلها وتوالى

ويبدو أن المؤسسات الخيرية التي أنشأتها الجمعيات النسائية ، وألحقت بها المستوصفات ، وتطوع بعضهن للقيام بمهنة التمريض فيها ، لم يكن لها مورد مالي ثابت ، فكانت تضطر إلى جمع المال عن طريق التبرعات وإقامة الحفلات الخيرية ، وبيع الأزهار في تلك الحفلات ، وقد وصف مطران بائعات الزهور في حفلة من الحفلات ، بأنهن من بناء الجاه والمنزلة الرفيعة ، ورأى أن في شراء زهرة من الزهور ، تخفيفا لويلات المصابين ، وسترا لأعراض الفتيات اللواتي فقدن ذويهن ، وهرا بذوي الرحم الذين جانهم الحظ ، ومواساة للجرحى ، وابقاء على حياة البنائين ، الذين ألصقهم الجوع بالأرض :

بينات الروض تسعى رفقة
من بنات الجاه والقدر الرفيع^(٢)
زهرات بائعات زهرا
يالقومي هل دريتم ماتبيع ؟
من شراها فما يبذلنه
بعض تخفيف لويلات الرسوع
ستر أعراض وير بذوي
رحم نلوا وارقاء دموع
وأسا جرحى وابقاء على
أسد الصقها بالأرض جوع

(١) ديوان حافظ ابراهيم ٢٧٧/١

(٢) ديوان الخليل ١٧٢/٢

ووصف محمد الأسمر في قصيدة له حفلا خيريا أقامته هدى شعراوي ،
حيث كلفت بعض البنات الصغيرات أن يظفن على المدعوين ، ليمرضن
عليهم شراء الورود لصالح جمعية الاتحاد النسائي "١" ، والظاهر أن
الجمعيات النسائية استوردت عادة بيع الزهور في الحفلات الخيرية ،
كما استوردت غيرها من العادات ، فقد انتشرت هذه العادة في أوروبا
منذ زمن بعيد ، وقد أشار ايليا أبو ماضي في قصيدته " بائعة الورود "
الى امتهان الفتيات لهذه المهنة في باريس ، فقال :

تجنن اللجين ، ويجفن الهاندلوه لها

من كفاها الورود منظوما ومنتشرا "٢"

على أن من الوافدات الى مصر من اتخذت الضرب على العود مهنة
ترتزق منها ، ولم تكن هذه العادة قد انتشرت في الشرق بعد ، فقد حكى
مطران قصة فتاة رومية ، رفضت أن تنزل على الرض من فقرها ، واستعاضت
عن ذلك بالضرب على العود للحصول على رزقها :

أفقرنا فتاة الروم ، والحسن مخنم

وطهرها وهذا الحصر عصر تمتع ؟ "٣"

الى كم تطوفين الربوع تسولا

تبعين صوت العود للمتسمع

ولو شئت قال الحبيب امرة قمار

لمجدب هذا العيش أزهر وأمرع

وكأنها تأثرت المرأة المصرية بذلك ، حين اتجهت الى ممارسة
بعض الأعمال ، كالتجارة والتدريس والمحاماة والاذاعة ، أما التجارة فقد
احترفها بعض النساء ، وأيدهن بعض الشعراء ، كمطران الذي أعجب

(١) ديوان الأسمر ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) ايليا أبو ماضي شعر ودراسة ، لزهير ميلا ص ٤٦٣ - ٤٦٥ .

(٣) ديوان الخليل ١٠٥/١ - ١١٠ .

بامرأة تتاجر في النفائس والحريير ، وعدّ عليها رداً على من ذموا التجارة
وخلقها ، ودليلاً على أن السوق حرز للحرائر كالخدور ، وتحطيماً للقييد
في عصر لا خطر فيه لأحد إلا بالعمل ، يقول مطران :

أتاجرة النفائس والغوالسيسي

من الطرف المصوغية والحريير^١
لأنت عجيبة بين الغوالسيسي
كعصرك بين خالصة العصور
وهل عجب كهانوت غدونسنا
نراه مطلع القمر المنير
علام بحسبك الأُسواق تحلّسى
وتعطل منك بانخنة القصور
يقولون التجارة خلق سوسو^٢
بدعوى الشح والطمع النكير
وانّ لها خلا لا قد تنافسي
صفات الفيسك من خير وخير
وكم أثر اشتباه أعلقتسسه
بأنيال الحفاف من الفجور
فما استرعى سماعك عن تحمال
صدى تلك الوسوس في الصدور
وكم حققت أن السوق حسرز
حريزّ للحرائس كالخدور
ألا يا بنت عصر مالحسيسي
به خطر بلا عسل خطير
حطمت القيد فيه ولم تراعيسي
سوى قيد الفضيلة فسي المسير

وأما العمل في المحاماة ، فلم يتح للمرأة إلا بعد أن دخلت الجامعة ، وأتمت الدراسة فيها ، وقد وصف محمد البرعي امرأة ، اتخذت مسن القانون ميداناً لدراستها ، فظهرت بمظهر يدل على الوقار والالتزام ، وأبدت الاهتمام بتخصصها ، من مراجعتها لبعض المراجع التي ثعنيها على جلاء ماغض من أمور ، كما اهتمت بزيتها الذي أضفى على مظهرها مسحة من التقى ، وزاد في هيبتها ، يقول :

عليك وقار وضيء السنسلي	وفي بردتيك ثبات النهي ^١
وبين يديك أزي مرجصا	تعرّ به الحين مر الخطى
وماذاك يهفو على منكبـ	يك رداً له وقفة ترتجى
عليه مسوح التقى زانسه	وشاح يزيد جلال الروى
وقفت على منبر سامسئق	فخر سجودا لمن قد علا
ودافعت في جراءة الوثائقـ	بين عن الحق والمنهج المتقى

لكن البرعي الذي أعجب بهذه المحامية ، كان فأشفق عليها ، ورشى لحالها ، لأن سعيها وراء الدراسة ، ثم العمل أضع عليها ريبس حياتها ، وهت قواها ، فأضحت هيكلها محطماً ، بعد أن كانت ذات جمال وضيء ، ولا يخفى الشاعر احساسه بالمشقة ، التي تعانيها في هذا الجو الذي يعيق برائحة الجريمة ، مما يفرض على الحاملين فيه مزيداً من الصلابة ومتانة الأعصاب ، ولهذا تبدو في هذا المجال ، كالزهرة بين أشواك الجبال :

أراك صرفت ربيع الحياة
جهاداً وجهاداً يذيب القوى
وماكنت إلا سناءً يضيئ
فأمسى ذبلاً ضئيل السنسلي

(١) دموع وشموع ، لمحمد البرعي ، ص ٧٢ - ٧٦ . وراجع قصيدة لمحمد الأسمر ، هنا فيها إحدى المحاميات بعيد ميلادها ، ص ٣٧٠ .

فيازهرة بين شوك الجبسال
لها نفحة فوق تلك الرسي

وأما الاذاعة ، فمن الصيادين التي فزتها المرأة ، حيث علمت
مذيمة ، وقد وصف البرعي تأثير صوت المرأة على قلبه ، وكيف جعله
يقبل على المذيع ، ويصفي اليه بعد أن كان من أعدائه ، فقال :

أيقظت أحلام الأثير الخافسي
بمقاطع من صوتك الرنان "١"
ياربة الصوت الجميل ومن لها
أصفي مشوقا محسن الارهاف
قد كنت للمذيع من أعدائه
فقدوت أثره بخير خلافا

هكذا شاركت المرأة الرجل في بعض الأعمال مشاركة أغرتها بالمزيد ،
ولقيت على ذلك التأييد ، حتى أن بعض أعضاء مجلس النواب تقدم باقتراح
الى المجلس من أجل انشاء معهد صناعي للبنات . "٢"

وليس أدل على منافسة المرأة للرجل أن بعض الفتيات حاولت التدرب
على قيادة الطائرات ، حتى طار بعضهن ، وكانت ظاهرة جديدة ، نوه
بها محمد عبد الغني في قصيدته " مصرية في السماء " حيث هنا أول
مصرية طارت عام ١٩٣٢ م ، وتدعى عصمت ، فقال :

طيرى وكوني بهجة الطيور وطاولي مساح النسيور "٣"
واخترقي مساح الأثيوسر كوني جفاحا من شعاع النور
على جناح الأمة الكسيوسر وورفني فوق ذرا القصور
كامل يرف في الصيوسر حوريسة فاقت بنات الحور

(١) دموع وشموع ص ٨١ - ٨٥

(٢) المصرية ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، أول مارس / آذار ١٩٣٧
ص ٣٤ .

(٣) من نبع الحياة ، لمحمد عبد الغني حسن ص ١٥٧ - ١٥٨ .

وخلمت^٥ بالعلم كل نيسر
عزيمة المخاطر الجسور
تحمل قلب البطل الكبير
بل خلقت للمركب الخطير
" عصمت " طيرى في السماء طيري
وأثبتت في همة الصبور
وظلعت في جسمها الصغير
ماخلقت للمهو والفسور
والمطلب اليسير والمسير
وسابقي الطيور في البكور

وقد طارت " عصمت " وطار غيرها من الفتيات ، حتى أغراهن الطيران بالدخول في مسابقاته ، وقد نالت " لطيفة النادي " عام ١٩٣٣ م الجائزة الأولى في سباق الطيران الدولي بين القاهرة والاسكندرية ، فهناها غير شاعر بهذا الفوز ، من ذلك قول أبي شادي ، منوها بعشقها للجو ، وتساميها الى المجد ،

قد عشقت الجوهتى عفت أسباب السبات "١"
وتنفست التمثالي من محالي الكائنات
أنت يا عنوان (مصر) في هوى للمجد آت
هكذا تمتز (مصر) بك بين المحسنات

.....

امرحي يا مصر تيمهي بطل مصر الفتاة
هومت فوق نسور لانتالسي بالنجاة
وبنت في الجو ذكرا من أعاجيب البنات

(١) الينوع ، لأحمد زكي أبو شادي ص ١٢٠ . وراجع الديوان نفسه ، حيث هنا أبو شادي " لطيفة النادي " بقصيدة تحت عنوان (لطيفة النادي) ، انظر الينوع ، ص ٨٤ - ٨٦ ومطلعها :

يا يوم أنت قرين أعياد وسناك خلف جمالك البادي

وفتح أبو شادي مجلة أبولو للشعراء كي يطروها ، فكتب مختار الوكيل قصيدة عدّ فيها هذا الحادث دليلا على قيام النهضة الكبرى في مصر^١ .

لكن الشعراء الذين هتفوا بشعرهم للمرأة عندما دخلت ميدان الطيران نسوا أن طبيعة المرأة لا تساعد على أن تتخذ من الطيران مهنة ، وأنها وإن استطاعت أن تدخل هذا المضمار في حالة السلم ، فمن الصعب بل من المستحيل الاعتماد على قدراتها المحدودة في حالة الحرب ، ولا نستطيع أن نفسر فرحة الشعراء هذه إلا أنها مجرد اندفاع منهم ، لتأييد دعواتهم القائلة بأن المرأة المعاصرة تستطيع أن تجاري الرجل في كل الميادين ، وقد كان الأجدد بهم أن يشيدوا بأول طيار مصري قاد طائرته من أوروبا إلى مصر عام ١٩٣٠ م ، كما أشاد به الرافعي في مقاله التسي كتبها بعنوان " فاتح الجو المصري " .^٢

وإذا كان هؤلاء ومن سبقهم أيدوا عمل المرأة ، ومنافستها للرجل ، فإن أيليا أبو ماضي عارضهم في ذلك ، ورأى أن خروجها من بيتها عرضتها لهذا ما وجهها على كل باب ، فهذا يصدّها زهدا فيها ، وهذا يدخلها طمعا في النيل منها ، فهي والحالة هذه ، كالصقور الذي اشتد به العطش ، ولكنه يخشى أن يقع في يدي الصياد الذي نصب شركه على الماء ، يقول :

(١) أبولو ، العدد السادس ، فبراير / شباط ١٩٣٤ م ص ٤٧٨ - ٤٧٩ حيث أبدى مختار الوكيل دهشته بما أظهرته " لطيفة النادي " مسن جراءة ، وهو يرى أن من طبيعة المرأة أن تسبي قلوب الرجال وعيونهم ، لا أن تحلق في الجو ، ولكن الله منحها قلب فتى لا يتهبب المخاطرة ولا يخشى المركب الصعب ، يقول :

قد أد هشتني عادة خلقت للعب تسبي القلب والنظرا
أعطى لها الرحمن قلب فتى فحل يرم المركب العسرا

(٢) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ، ٢٥٤/٢ - ٢٥٧ ، وله مقالة أخرى بعنوان (أجنحة المدافع المصرية) وحي القلم ٢٥٨/٢

ولها في كل باب وقفنة
تتقي قول أغربي خشيتها
فهي كالمصفور وافي صاديا
كامنا فإصاع يديه الظما
ولكم طاقت بي آمنة
كامري القيس حيال الطلل^١
قولة القائل "يا هذي ادخلي"
فرأى الصياد عند المنهل
ثم يقصيه اتقا الأجل
وانثنت تقطع خيط الأمل

ثم يتساءل أبو ماضي عما دفعها إلى هذا الموقف ، هل فقدت صوابها ،
وعطل الخبل تفكيرها فرضيت بهذا الواقع المهين ؟ كيف رضيت أن تترك
أطفالها في البيت ، وتحرمهم من عطفها ورعايتها سعيًا وراء المال ،
الذي كلفت نفسها في سبيله مالا تطيق من الأعباء ؟ لقد أطاعت مسن
زينوا لها العمل ، وخرجت من المنزل الذي لم تخلق لغيره ، وأهملت
أولادها من الصباح إلى المساء ، حتى ألفت ما عودوها على كره ، كما
ألفت الطيبة أكل الحنظل على مرارته ؛

مايها ؟ لا كان شرا مايها
ماليها من أمرها في خييل^٢
سائلوها أو سلوا عن حالهن
ان جهلتم ، كل طفل محمول
في سبيل المال أو عشاقهن
تكدح المرأة كدح الابل
ماتراها وهي لا حول لهن
تحت عبء فادح كالجبيل
شدت الأمراس في ساعدهن
من رأى الأمراس حول الجدول ؟
جشموها كل أمر محضيل
وهي لم تخلق لخيسر المنزل

(١) ايليا أبو ماضي ، شعرودراسة ، لزهير مبرزا ص ٥٩١

(٢) المرجع نفسه ص ٥٩٢

طالبين فيها () باشتراك النساء مع الرجال في حق الانتخاب ولو بقيود في الدور القادم ، كاشتراط التعليم أو دفعها نصيبا معيناً على مالهن من الملك ، ولا يكون من الانصاف الاعتراض على اشتراك هذه الطبقة من النساء ، سيما وقانون الانتخابات ، يجعل للرجل الأمي والخالي من الملك حقاً في أن ينتخب وينتخب ، وليس من المحقول ولا من العدل ، وأغلبية الرجال كذلك أن تحرم المرأة مع الشروط المتقدمة من المساواة بمثل هذا الجمهور من الرجال ، كما أنه ليس من العدل أن يخضع النساء للتشريع ، ويتجرعن آثاره ، وهن نصف الهيئة الاجتماعية ، دون أن يكون لهن رأي في وضعه () . "١"

فلما انفصلت هدى شعراوى بجمعية الاتحاد النسائي عن لجنة الوفد المركزية ، وتركت العمل السياسي ، تولت منيره ثابت زعامة لجنة الوفد ، وأخذت تطالب بدخول النساء إلى البرلمان زائرات مستعانت بعد أن فشلن في دخولهن عضوات ، وأسست في سبيل ذلك مجلة أسماها ((الأمل)) بينما ظل آخرون يثيرون القضية من حين إلى آخر ، حتى وصل الأمر بغاطمة راشد أن أسست حزبا سياسيا برئاستها . "٢"

ولم يكن الشعراء بمحزول عن هذه القضية ، لأننا نجد منهم من طالب بمساواة المرأة للرجل ، كأبي شادي وصالح الشرنوبى ومحمد البرعى ، حيث يقول أبو شادي لمنيره ثابت :

بسمت فجددت حلوا الأمل وأطلعت بالهرحرجنا أفسل "٣"
وأثبت أن الكمال العصل ولا قدر للحسن حيث امتثل
وما بمتاع الحياة الفخسار

-
- (١) المرأة الحديثة وكيف نسوسها ، لعبد الله حسين الصحامي ص ١٥٥
 - (٢) ثورة في البرج العاجي ، لمنيره ثابت ، طبع دار المعارف بمصر ص ٢٥ وانظر صورة المرأة في الرواية العربية ، لطفه وادى ص ٤٣ .
 - (٣) الشفق النياكي ، لاهمدي زكي أبو شادي ص ١٣٠ .

وثرت فيا نعمت الثائره على الخطل الرثة الجائره
فعيشي لجنسك يا استره مخلصه وارفعي قصادره
لواء المساواة أبهى منسار

وفي قصيدة للشرنوبى بعنوان " أعطوها حقها " طالب بفتح
البرلمان وانتخابها له ، مستدلا بتفوقها على الرجل أحيانا بتاريخها ،
الذى يدل على نبوغها ، وذلك في قوله :

أفسحوا للذي تريد المجالا ودعوها اذا أردتم كسالا^١
افتحوا البرلمان وانتخبوها فلکم فاقت النساء الرجالا
ولد يك تاريخها فأقراوه تجدوها على النبوغ مثالا
مزموا هذه الغياهب عنها تعرفوها حقيقة وظلالا
تعرفوا القوة التي لم تروها فتقيموا لمجدها تمثالا

ودعا محمد البرعي الى تأييد مطالب المرأة ، فيما يتعلق بحقوقها
في الانتخاب ، ويعجب من موقف مجلس النواب ، الذى رفض الاقتراح
المقدم من أحد أعضاء المجلس ، والخاص بحق المرأة في الانتخاب ،
ويتساءل الشاعر ، هل كان رأيهم صائبا ؟ وكيف سولت لهم أنفسهم
أن يحرموا المرأة حقا من حقوقها ؟ ونسوا الصرخة المدوية التي صدرت
عنها أثناء مشاركتها الرجل في الدفاع عن الوطن ، حتى بارك الله سمعها ،
واستجاب لصوتها ، ورأى البرعي أن المرأة حين طالبت أن تشارك في
الانتخابات كان الحق الى جانبها ، لأنها لا تريد من وراء ذلك غير
فك القيود ، التي تحيط بعنقها ، وقد تعودت أن تلاقى الصعوبات
والقيود في طريقها ، كلما رامت الوصول الى هدف من أهدافها ، ولكنها
سرعان ما تحطمها ، يقول :

كيف ردوا لكن حقا مجابسا

هل ترى مارأوه أمرا صوابا^٢

(١) ديوان صالح الشرنوبى ص ٥٤٩ .

(٢) دموع وشموع ، لمحمد البرعي ، ص ١٢٠ - ١٢٧ .

صرخة في السماء والأرض دوت
بارك الله صوتها واستجابيا
خالط الحق صوتها منذ فنّست
فسما الحق مأملا وطلايبيا
مالها في الحياة والسعسي الا
فك قيد يشدّ منها الرقابيا
كلما حطمت على الدهر صرحيا
من صروح القيود لاقت صعابيا

لكن طانيوس عبده رفض الرأي القائل بضرورة مساواة المرأة بالرجل ،
لأن الله تعالى زوّد كل مخلوق من مخلوقاته بسلاح يناسبه ، فإذا كان قد
سلح الأسد ببرائه والنسر بمخالبه ، فقد سلّح المرأة بالجمال والحسن ،
فقدت بفضلها سلطانة تتحكم في الرجل ، فإذا استرجلت زال حسنهما
ولطفها ، وانطلقت قوة الرجل من أسرها :

انما المرأة قد سلّحها بسلاح الحسن والحسن بلاه (١)
فقدت في ظله سلطانية تحكم الأرض وتقضي في السماء
قوضته عرشها ، فاسترجلت فانقضى الملك وأصبحنا سواه
ان تكوني امرأة يبقى لك الملك ، والسلطة من حق النساء
فإذا استرجلت أبقيت لنا قوة نهلخ فيها مانشاه
أنت للطف وللين فسلا تستمضي بزئير عن ثفا
أنت بالضعف تفوزين وبيا طالما جرّبت بأس الضعفاء

(١) ديوان طانيوس عبده ، مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٥ ، ٤٥/١ - ٤٦ ،
وانظر ديوان أنين ورنين لأبي شادي ، حيث دعا الى انصاف المرأة
في قصيدة له بعنوان " المرأة المصرية " ص ١٢٤ - ١٢٥ . ومطلعها :

أنصفت ياملكا هنوته غيرته لرفع نسوتنا للمنزل العالي
فالملك شطران شطو للرجال به شأن وشطر له ربّات أهجال

فالشاعر يرى في الدعوة الى المساواة بين الجنسين اسطورة لا يمكن تحقيقها ، لأنها تنافي طبيعة المرأة ، التي اتخذت من ضعفها سلاحا لها ، فما يحققه الرجل خارج بيته بقوة عضلاته ، يمكن للمرأة أن تحققه في بيتها بلطفها وحسن معاملتها ، وكما أن الأثوية لا تشرف الرجال ، لا تشرف الرجولة النساء ، وانما شرف كل جنس بمحافظته على خصائصه .

وكتانيوس عبده في رفضه للمساواة عزيز فهمي الذي سخر من النساء سخرية مرة في قصيدته المشهورة ، لما اتخذن قرارا في أهدموه تراتسهن بعدم استعمال (نون النسوة) ، فقال ساخرًا من القرار ومن رغبتهم متخذاته في " ميم المذكر بدلا من نونهن " :

هل أتاك حد يثمنه	النون ليست نونهنه ^(١)
هذا القرار وثيقه	أفصح وذكر جمعهنه
النون تخدش سمعه	ن . . . وما أرق شعورهنه
النون فرض كفايته	يكفي النساء فروضهنه
الميم أحسم للخلا	ف ، فل تشهروا كيدهنه
برى النساء من الأنو	ة مذ ملكن قيادهنه
عفن الخباء وما الحيا	ة اذا لزم خدورهنه
عب الأمومة فادح	حسب العقائل حملهنه
حسب العقائل ما احتملن	، وما حملن من الأجنه
ماللفوانسي والرضا	عة ؟ ان هذا الفرض سنه

ان أمر هؤلاء النسوة مثير حقا ، لأنهن ، كما قال - لا يدين أي تحفظ عندما يطرش عليهن الزواج ، بل يوافقن على الشروط ، التي يشترطها الزوج في عقد الزواج ، لكنهن بعد ذلك يحاولن بما يطقن

(١) ديوان عزيز ، لعزير فهمي ، دار المعارف بمصر ص ١٠٩ - ١١٠ ، وانظر مجلة الرسالة ، العدد ٦٠٢ ، ١٥ يناير / كانون ثاني

من مكر وخديعة أن يمتلك الرجال ، ويتمردن عليهم كما يتمرد الحمل
الوديع على الذئب في غفلة من أمره ، يقول عزيز :

عقد الوثاق ، فما شكيتن ولا برمن بحالهننه
ومكرن مكر خديعة وجذبن من يده الأعنه
الطير راش جناحسه قدر يفر له الدجنه
وتمرد الحمل الوديع على الذئب المطمئنه

- ٥ -

الى هذا الحد خرجت المرأة على العادات والتقاليد ، فيما
زاوت - أو طمحت اليه - من أعمال ، مدفوعة بتأثير المدنية الغربية
وتأييد مناصريها في آن ، لكن خروجها كان أعطرحين احترفت البغاء
وسيلة للارتزاق ، لأنها به تجاوزت كل حد ، ويبدو أن هذه المهنة
قد وفدت مع الأوروبيين الذين دخلوا مصر في أواخر القرن التاسع عشر ،
حيث شجعوا المصريين على ترك العادات الشرقية ، وأدخلوا في روعهم
أنهم لن يستطيعوا مجاراتهم في المدنية الا اذا أقبلوا على الخمارات والزنا ،
ووسّع الأوروبيون دائرة اللهو ، فازداد تهالك المصريين على الخمر
والملاهي ، (وارتحل اليها الموسسات وأرباب الملاهي تحويلا للثروة
وازهاقا لروح الدين ، حتى أصبح المتلبسون بهذه الفضائح والقبائح
لا شرقيين ولا غربيين ، واتخذتهم أوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها
الى مقاصدها من الشرق ، وهي تحثم على المطهرة ، على عملهم باسم
المدنية ...) (١)

وينحي النديم باللائمة على المصريين الذين عملوا مع الانجليز في
بداية عهد الاحتلال ، ويحملهم مسؤولية الترويج للدعارة ، وذلك بموافقتهم
الانجليز على السماح للنساء أن يمتهن مهنة البغاء ، حيث يقول :
((أيرون أن الانجليز هم الذين نشروا منشور الموسسات ، ورخصوا

للنساء أن يخرجن للبخاء تحت حماية القانون ، أم هم الذين سنوا كشف
الأطباء على البخايا وأعطائهن شهادات بألمهن صالحات للزنا ، (٢٠) "١"
لكن مجلة الهلال وافقت عن الحكومة ، التي أتاحت للمؤسسات
ممارسة الدعارة ، وأطلقت لهن عفان الحرية ، () ومهدت السبيل السنوي
ذلك بما عيشته من الأطباء لفحص المؤسسات فحصا طبيا ، فازدادت أعدادهن
تمكنوا في تلك المهنة ، واتخذن لهن مقاما في أواسط المدينة ، وبالقرب
من الحدائق الفسوية وأماكن اللهو ، فسهيلا لاستجلاب الشبان بما
ينصبه من الشرك ، (١٠٠) "٢"

ويبدو أن الحكومة في مصر لم تكن جادة في القضاء على هذا الداء ،
لأنها كانت تسمح بفتح مواخير رسمية ، وتأخذ من البخايا رسوما مالية ،
كما هو الشأن في المدن الأوروبية ، وقد قامت الحكومة باحصاء المواخير
في الاسكندرية ، فكان عددها اثنين وثمانين ماخورا ، وذلك سنة
١٣١٥ هـ "٣" ، وكأننا صار هذا الداء واقعا محترفا به ، لأن مجلة
المنار لم تطالب الحكومة بالقضاء عليه واقتلاع جذوره ، بل اكتفت بمطالبتها
أن تشدد الرقابة الصحية على من احترفن البخاء ، وذلك في قولها :
() لا توجد في القاهرة مراقبة البوليس ولا مراقبة الصحة ، فالعاهر حرة
تطبخ بالأمراض من أصابته ، وتنقض على الناس انقضاء الوحش المفترس .
فلماذا لا تكن شوارع مصر ، كما تكن شوارع باريس من هذه الماهرات ،
ولماذا لا تعزل النساء الوطنيات ، ولا تطرد من البلاد النساء الأجنبية
المريضات . (٢٠٠) "٤"

-
- (١) المرجع نفسه ٧١/٢ .
 - (٢) الهلال ، السنة الثالثة ، الجزء الثالث ، أكتوبر / تشرين أول ١٨٩٤ م ص ٤٣ .
 - (٣) المنار ، المجلد الأول ١٣١٥ هـ ، الطبعة الثانية ص ٤٦١ .
 - (٤) المنار ، المجلد العاشر ، الجزء السابع ، ٧ سبتمبر / أيلول ١٩٠٧ م ص ١٥٣ - ١٥٦ .

وحتى المطالبة التي تقدم بها الاتحاد النسائي المصري إلى
البرلمان عام ١٩٢٤ م ، "لأفام البغاء" لم تحظ بغير الاهتمام .^١
وكان من نتيجة ذلك أن كثيرا من الشعراء الذين تناولوا الموضوع
أشفقوا على المرأة ، وعدوها ضحية المجتمع الذي لم يبصرها أو يسد
حاجتها ، فهذا نقولا رزق الله على الرغم من عده لبعضهن "الخليلة
الخائنة" ^٢ في قصيدة له بهذا العنوان ، وقف في قصيدة أخرى

- (١) المرأة الحديثة وكيف نسوسها ، لعبد الله حسين المحامي ص ١٥٢
(٢) انظر الضياء ، السنة السادسة ، ١٩٠٣ - ١٩٠٤ م ص ٢١١ .
حيث حكى نقولا رزق الله في قصيدته "الخليلة الخائنة" قصة حبسه
لفتاة أعجب بمظهرها ، وسلم لها قلبه ، ولكنه سرعان ما اكتشف
أنها تخدعه وتخونه ، وأنه ليس سوى ضحية واحدة من ضحاياها
المديدة ، وقد عجب الشاعر من هذه المرأة ، التي فرطت في
جمالها الملمم ، وأصبحت جسدا بلا روح ، وسلعة يرتادها كل
وارد ، وذلك في قوله :

علمتني كيف تميت الهوى	خيانة الفاسق والفساد
كنت ولا أنكر فتانسة	وكان قلبي ريشة الطائر
كنت أرى الظاهر لا غيره	والعرق قد يخدع بالظاهر
واعجبا من فاسد خائن	يلبس ثوب العلك الطاهر

.....

كيف هوى ذاك الجمال	الذي كان اله والشعر والشاعر
أفندق دارك أم منتدى	للناس من ضيف ومن زائر
خاطرت بالروح ولا علم لسي	أنك في حسنك كالتاجر
وحسن غادات الهوى سلعة	كثيرة الوارد والصادر

يحلل موقفها من عرضها وعفتها وحياتها وحسنها ، ويرى أنها ضحيحة
المجتمع ، لأنها حين اضطرع الخير والشرف في نفسها ، فانتصر الثاني ،
لم تجد من يبصرها ، بل وجدت مع الجهل والفقر من يضلها ، فالكل
مذنب في حقها ، وعليهم أن يعدلوا اذا حكموا عليها ، أو يدوا يسد
العمى اليها ، يقول :

وقفة يا ابنة الهوى وأجيسبي
كيف صيرت عرضك المبدولا^١
وهماك الباح للناس طسيرا
وهواك الغضيبسج المبرذولا
أذكرينا فاننا قد نسينسبا
ذلك الوجه يوم كان خجولا
يوم كان الحياء والحسن كسلا
فيه يسبي قلوبنا والعقولولا
ملكا يوم كنت جمينا وروحسبا
لابسا من عفافسه اكليلا
بك قام القتال بين عد ويسن
فكان المفضل المخذولا
برز الاثم للعفاف فألقسبا
على ساعة الفجور قتيلا

.....

هم أضلوك ثم قالوا بسسرا^٢
نحن منها فهم أضل سببلا
ان يكن ذنبك الجهالة والفقر
فعديه عندك المقبولولا
كلهم مذنب اليك ومسبلا
قيت الا مذبلا وبخبلا

أيها الناس ذنبكم ذلك الذئب
فكونوا اذا حكمتكم عند ولا
أو فجدوا على الفتاة بما يحفظ
وجه الفتاة حسرا جميلا

ومثله في هذا الموقف خليل شبيب وطلانيوس عده ، الأول في
قصيدته " عزيزه " " ١ " التي دافع فيها عن الهني ، بقوله أن الذين
أغروها هم الذين أنزلوها منازل الهوان ، وحرام أن تتركها للشر ، بل
يجب انقاذها منه ، والثاني في دعوته المجتمع أن لا يسبها بسقوطها ،
لأنها لم تسقط الا بعد مقاومة ، وعليه أن يشكرها بالحب ، الذي يعيدها
سيرتها الأولى . " ٢ "

(١) انظر قصيدة " عزيزة " في ديوان الفجر الأول لخليل شبيب ،
ص ٦٤ - ٦٥ ، حيث يقول :

ثم قالوا صارت من الفاجرات
وقالوا : غدت من الهالكات
نهبوه غدوه في المخزيات
من فجور النفوس والعاطفات
بطل الحذر فيه للعاشرات
بستر العفاف في الأسرات
ويقضي فريسة الشهوات
ويدلي اليه هبل النجاة

(٢) انظر قصيدة " المرأة الساقطة " في ديوان طلانيوس عده (١ / ١٩١) ،
حيث يقول :

لا تسبها اذا سقطت يوما
حاربه فكان فقرا وجوعا

.....

هي طلّ الندى الجميل فلما
وقليل من الشعاع شعاع ال

كذلك اتجه هذا الاتجاه شعراء جماعة أبولو ، ان على الرغم من طابعهم الذاتي ، تناولوا حياة البغي وهدوها ضحية مظلومة ، وأن كل من يأتيها ناهب سارق "١" ، ولهذا يعطفون عليها ، حتى ليقول أبو شادي في تحليل سقوطها : (. . . لا ترى أمامها ما تتعیش منه ، لأنها معرضة للطرد من أي مكان توهمه ، وترغب في العمل به ، وليس أمامها ملجأ تأوي إليه صيانة للعفة ، فهل تلام اذا فرطت في عرضها ، وهي لا ترى وسيلة غير ذلك لحفظ حياتها) "٢"

ولم يكتف صالح جودت أن يرثي لحال المرأة التي ابتذلت جسدها ، كما فعل أبو شادي ، بل وصف تجربة له مع بغي ، هزته مأساتها ، فأنسته كل ما لجسدها من مفاتن ، وكل ما يمكن أن تثيره في نفسه من رغبات ، فراح يدافع عنها في حماس ، ويحمل المجتمع مسئولية الظلم الواقع عليها "٣" ، وقد صور موقفه هذا في قصيدة له بعنوان " الهيكسل المستباح " :

وقفت في الباب في ثوب رقيق تفتح الباب لقطاع الطريق "٤"
كم سرور نال منها جانباً ومضى . . . ما أعجب للصر الطليق

- (١) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ، لعبد المميز الدسوقي ، المطبعة الثقافية القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١ - ١٩٧١ م ص ٤٦٣ .
- (٢) قطرة من يراع في الأدب والاجتماع ، تأليف أحمد زكي أبو شادي ، مطبعة الظاهر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ ص ٣٧٣ . وانظر في نفس المرجع ص ٣٧٤ قصيدة لأبي شادي تعاطف فيها مع البقايا ، وطلعها :
- (٣) تطور الأدب الحديث ، لأحمد هيكل ص ٣١٥ . وانظر جماعة أبولو ، لعبد المميز الدسوقي ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .
- (٤) أبولو ، العدد الثامن ، ابريا ، نيسان ١٩٣٣ م ص ٨٧٥ - ٨٧٦ .

ويبدو أن صالح جودت ، لا يجد غضاضة ولا حرجا من زيارة الساقطات ، بل يعلن أنه أتاها ليلا ، فاستقبلته متمسة له مرحبة به ، داعية اياه أن يظفر منها باللذات :

جئتها في ليلة فابتسمت
بسمة تفتّر من حمّر الشهيق
ثم قالت : مرحبا يا مرحبا
بأخي اللذات أهلا بالمشيق

ويمضي صالح جودت في وصف جسد الخائبة العاري الا من ثوب رقيق لا يقيها شرّ البرد ، ويصعب الشاعر من الليالي ، التي اضطرت هذه المرأة أن تجعل من جسدها سلمة ، يستغلها تجار الرقيق ، ويضطرونها الى السير في طريق صعب المسالك ، ويجبرونها أن تعرض مفاتها على كل مار في الطريق :

زمهرير البرد يضني جسدها
عاري الا من الثوب الرقيق
جعلت منه الليالي سلمة
ما الليالي خير تجار رقيق
عرضوها في طريق شائك
تقرب المبتاع من أهبل الطريق

ويرى حسن الصيرفي أن الأضواء البراقة بما فيها من سحر واغراء وفتنة ، هي السبب في سقوط بعض النساء ، حيث تساهم كؤوس الخمر والغناء والرقص في دفعهن الى البحث عن المهوى والاثم والسخرية من كل ما هو طاهر ، يقول على لسان احدها ، بعد أن عرفت حقيقة ما أقدمت عليه :

غرنتي الأضواء براقية
أخذت من كف الأسي كأسه
فانسقت في تيارها المارم^١
وت أسقى من هوأثم

وغني عن القول ، أن هؤلاء جميعا قد تأثروا بالمدينة الغربية
وبأدبها الذي عطف على البغي ، ومن ثم عطفوا عليها ، وعدوها ضحية
مظلومة لازانية تتاجر بجسدها ، واعتذروا عنها بالجوع والفقر ، وكلاهما
ليس بمعذر ، فللكسب وسائل أخرى ، ولا ريب أنهم بموقفهم هذا قد هونوا
الأمر على الساقطات ، وروجوا لانتشار المفاسد ، أضف الى هذا أن أبا
شادي وأضرابه اتخذوا من مجلة أبولو ميدانا فسيحا لنشر لوحات فنية لرسامين
أوروبيين ، تصور المرأة عارية وفي أوضاع مزرية ، مما حدا ببعض المجلات
أن تنتقد هذا التصرف من أبي شادي ، الذي كان يصر على وضع لوحة
عارية في كل عدد من أعداد مجلته ، ثم يصف هذه اللوحة بقصيدة له ، حتى
أن جريدة الوادي وصفت أبا شادي ، بأنه كان يتخزل في الصور العارية
المطبوعة على بطاقات .^١

ولكن أبا شادي أصر على موقفه هذا باعتباره اتجاها جديدا ، فقال :
((وربما أتيج لنا أن نضع كتابا فنيا مصورا عن جمال المرأة وتحليل عناصر
ذلك الجمال ، لأننا نعتقد أن كتابا من هذا الطراز ، مما يساعد على
تربية الذوق الفني والنظر الى المرأة نظرة فنية ، وقد لاحظ أصدقاؤنا
كيف أن جميع الشعر الذي تناول المرأة ، ونشرناه في هذه المجلة أو في
دواويننا الخاصة كان يحوم حول تقديسها ، وحول تربية الذوق الفني
المتطلع اليها ، وبعبارة أخرى اننا كنا نحارب بهذا الشعر الخشونة
المتوحشة وشعور الاحتقار للمرأة والشذوذ والشهوة السقيمة ، كما نرسي
الذوق الفني العام ، فاذا لفظ بعد ذلك من لا يفهمون شيئا من أصول
الفن . . . بتفسير يجعلها كل أديب مهذب كالأباحية ، فيجب أن ترتد
تفسيرهم الى نفوسهم ، فانما نحن نعلم على أرقى النماذج الفنية . . .)^٢

(١) أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث ، لكامل نشأت
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص

٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٢) مجلة أبولو ، نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٦٤ م ، ص ٣٩٢ .

والواقع الذي لا ينكر أن أبوشادي كان مخزوما بوصف المرأة عارضة ، فكيف نعد ذلك منه محاولة للرقى الفني والارتفاع بالمرأة عن الخشونة والاحتقار ، وكيف نصدق أنه كان يحتد على أرقى النماذج الفنية ، ومجلة أبولو التي كان يرأس تحريرها حافلة بالصور التي يخجل أي صاحب ذوق أن ينظر إليها لشدة ازرائها بالمرأة .

ولكن الأمر لا يبدو غريبا إذا عرفنا أن أبوشادي كان من المتحمسين لمبادئ الماسونية ، التي كان الشرويح لمبادئ الفساد والاباحية والانغماس في حماة الرذيلة واشباع الشهوات عن غير طريق الزواج من أهم مقوماتها ، هذا إلى اعتمادها على نشر الصور الداعرة المتهتكة " ١ " ، وهي الطريقة التي سار عليها أبوشادي ، وليس هذا تحاملا عليه فقد جعل من شعره بوقا لمبادئها ، كقصيدته التي ألقاها في الاحتفال الذي أقيم في بورسعيد أمام وفد المحفل الأكبر الوطني المصري ، بمناسبة تثبيت أحد المحافل الماسونية في بورسعيد ، فقال :

باسم الاخاء أحيي كل مأثرة

فيكم وانصاف مخبون ومظلم " ٢ "

بمثلكم يبلغ " الماسون " غايتهم

من وحدة الناس في بر وتعليم

واحتفل أبوشادي في الذكرى الخمسين لتأسيس أول محفل للماسونية في مصر ، وعدّ الثامن من اكتوبر عيدا أحيي الآمال ، وفجر مجد النيل ، فقال :

أضأت بالبرّ والاغلاص يا عيسد

في فضل نورك للاحسان تعيسد " ٣ "

(١) المذاهب المصاصرة وموقف الاسلام منها ، للدكتور عبد الرحمن عميره ،

ص (٧١ - ٧٤) .

(٢) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبرشادي ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

فأنت عهد لآمال " مكرسة " وأنت فجر له وحي وتأيد
وأنت ملهمنا الأسترار نثبهمسا
حتى يدوم لمجد النيل تمجيد
وما العقائد في ألفاظ سيرتهمسا
ان العقائد تطبيق وتهديد

لكن اذا كان أبو شادي ومن اليه قد دافعوا عن البغي وعدّوها مظلومة ،
فان آخرين ممن لم تفسد هم المدنية ، ولم يضعف الوازع الديني عندهم ، قد
هاجموا هذه الظاهرة ، وطالبوا بتطبيق الشرع ، ونخص بالذكر منهم
محمد صادق عرنوس ، الذي كان من أشد الشعراء هجوما على البغاة ،
باعتباره خطرا يهدد الفضائل " ١ " ، ويكاد يقضي عليها ، يقول :

ما للفضيلة من شعبانها واتمسي
لم تجد فيه فتيلاً نفضة الراقسي " ٢ "
سرى بها السمّ حتى لا وقوف لسيه
يامن لسمومة ميسن غير ترياق
من ذا يشاطرني بلوى منيتهمسا
من بعد ما رمي العصى باخفاق

ولأن القوانين التي وضعتها الحكومة لا تستطيع اقتلاع هذا الداء من
جذوره ، ينصح بالرجوع الى تطبيق عقوبة الشرع ، فهي كافية أن تومد بكل

-
- (١) وشارك عرنوس في رأيه هذا شعراء آخرون منهم محمد الأسمر .
انظر ديوان الأسمر ص ٤٧٥ - ٤٧٧ . وراجع محمود عماد (١٣٨ هـ -
١٩٦٦ م ص ٧٥ - ٧٠ ، حيث حذر من خداع الفواني ، وذلك
في قصيدة له بعنوان " المتصافية " ، ومثلها :
ذهب الشباب ولا كلام وفرقت من ذاك المنام
(٢) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٥٠ ، ٦ يونيو / حزيران
١٩٢٩ م ص ٤٠

من تسول له نفسه أن يرتكب جريمة الزنا ، ويحمل عرنوس الحكومة مسئولية انتشار الزنا علنا ، لأن القوانين الموضوعة لا تحاسب من يقدم على هذا المنكر ، مادامت المرأة راغبة في ذلك وغير قاصدة ،

عقوبة الشرع في التأديب كافيحة
فجددوا عهدكم تحفظوا بأخلاق
أوضاعنا سوفت فعل الزنا علننا
مادام آتية حرا غير منساق
والبنت مالم تكن في السن قاصرة
أو أكرهت منحوها كل إطلاق

ثم يحذر من الأخطار التي تهدد المجتمع نتيجة انتشار هذا الداء ، الذي يودي إلى ضعف النسل وتهديد الأموال في سبيل التخلص من الأمراض ، هذا إلى أن شيوع الفسق ينتج عنه اغتلاط الأنساب ، وعدم نسبة الأبناء إلى آبائهم :

نسل ضعيف ومال تاهب همدرا
في الطبّ تتبع انفاقا بانفاق
إذا فشا الفسق يدعو الابن أي أب
وأي شخص به أولسى بالصاق

وعنده أن ياب تعطيل الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين ، هو الذي أدى إلى انتشار الفحشاء ، حتى أن الفاسق لا يلاقي مجرد كلمة زهر ، ولم يعد يهتم أحد بكرامة الدين وعزة الدنيا ، وما يزيده ألما أن مصر التي تدعي الاسلام قد رضيت أن يكون الفسق علنيا :

باب التناهي الذي أوصى الكتاب به
الناس قد أغلقوه أي اغلاق
كرامة الدين والدنيا معا قضتيا
لم يبق شيء لديهم منهما باقى
مصر التي تدعي الاسلام قد رضت
أن يصبح الفسق محروضا بأسواق

على أن الأوروبيين الذين نشروا الدعاية في مصر عن طريق ابناخة البغاء ، لم يكتفوا بذلك ، بل اتخذوا من المرأة وسيلة لترويج الخمر ، فجعلوها عاملة في الملاهي ، تقدم المشروبات للرواد ، وقد وصف قاسم الهلالي بائعة الخمر ، وحذر من اغرائها في سياق تحذيره من اتباع هوى الدخلاء والتطبع بأخلاقهم ، فقال :

ارجع الى التاريخ فهو مترجم
يفنيك عن نظمي ورقش مداي " ١"
وهناك تعلم ما الحصر لأهنة
تبعت هوى الدخلاء والرواد
حتى تطبع أهلها بطبائع
تدع البلاد بلاقعا وسواي

.....

أو أين بائعة الخمر تنيس نسي
حانوتها بقوامها المي
تغنيك عن أقداحها أعداقتها
ويديع نخمة لقلتها عن شيا
هذي بلايا مصر لا يرجي لها
دفع بلا سحبي من الأفراد

ويبدو أن الأوروبيين قد اتخذوا من منطقة " الأثينية " في القاهرة مركزا لاقامة الملاهي ، فقد وصف محمود خيرت في قصيدة له بعنوان " تلاعب الحسان بحقول الفتیان " كيف يستغل أصحاب الملاهي الفتيات ويسلطنهن على الشباب ، من أجل ابتزاز الأموال ، وذلك في ملهى مزدان بالأضواء ملي بالفتيات الأورصيات ، اللواتي يطفن على الرواد ، ويمننهم بالوصل والغرام :

(١) الثريا ، السنة الثالثة ، الجزء الثالث ، أكتوبر / تشرين أول ١٨٩٨م

فقدت نحو " الأزيكية " عُنسي
أحو بها تلك الهموم وأمحق "١"

.....

قد زينت بالكهرباء أرجسناوه
حتى كسأن الشمس فيه تشرق
وأجمع الى هذا الجمال أوانسنا
يسرزن للقلب الخلي فيعششق
حتى دنست من بينهن مليحسنة
رومية ترمي القلسوب وترششق

.....

جلست بجانبه فخامره الهيسوى
وأخو الغلامه بالتهتسك أخلق
ثم انثنت من بعدها ويكفميسنا
خمر تذيب بها القلوب وتحرق

كذلك اتخذ أصحاب الملاهي من الأوروبيين وغيرهم في محلاتهم راقصات
لاغراء الزبائن ، على الرغم من أن التقاليد والعادات في مصر كانت
تعد هذا العمل مخالفاً للآداب الصومية ، حتى أن الحكومة المصرية أمرت
رسمياً عام ١٨٩٤ م بإبطال هذه العادة من المحلات العامة حفظاً
للآداب ، () ولكن يسوءنا أن هذه الأوامر لم تتخذ على الأجنب ، ولذلك
فقد نما الينا أن بعض الراقصات في الأماكن الصومية لا يزالن على ماكن عليه ،
لا يعترضهن معترض ، بدعوى أنهن في حماية دولة أجنبية ، وتلك الدولة
لم توافق على إبطال الرقص ، فياحبذا لو أتت الحكومة المصرية جميلها باقناع
تلك الدولة أن هذه العادة ، وإن كانت اعتيادية عندهم فهي لدى المشاركة
تعد من الخلاعة وقلة الأدب ، يجب ملاقاتها . . .) "٢"

(١) الجامعة ، السنة الرابعة ، الجزء الرابع ، يونيو / حزيران ١٩٠٣ م

ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٢) الهلال ، السنة الثانية ، الجزء الثالث والعشرون ، أغسطس / آب

١٨٩٤ م ص ٧٢٩ .

وهذا يعني أن الذوق العام في مصر كان يعد الرقص خروجاً على
الذوق والعادة ومخالفة للدين والتقاليد ، ولكن ما الذي حدث حتى
أصبح الرقص فناً من الفنون ، وأضحت الراقصات والمغنيات يستقبلن من قبل
الطوك وتعلق عليهن الأوسمة ، ويلاقين من تقدير الشعراء واطرائهم
مما يلاقيه فأنح عظيم أوقائد ملهم ؟

في اعتقادنا أن هذا التغيير يعود إلى الدور الذي لعبته المدارس
الأجنبية التي كانت تعد المعرف جزءاً مهماً من المناهج المدرسية التي تقدمها
لطالباتها ، يقول محمد عمر في كتابه حاضر المصريين ؛ ((لكنا نراهن
لا يتعلمن في مدارس الأجانب سوى فن البيانو واللغات الأجنبية ممن
فرنساوية وانجليزية ، . . .)) "١" وتقول مجلة المجلات العربية في
نقدتها المدارس الأجنبية ؛ ((والواقف على ماهية التعليم في تلك المدارس
والعارف بأخلاق خريجاتها ، يرى أن هؤلاء الفتيات لم ينفن الا بضرب
البيانو وعزف الموسيقى . . .)) "٢"

وقد أدى ذلك فيما بعد إلى إنشاء جمعية مختلطة في الإسكندرية
مهمتها ، ((السمر بين الأسر وأحياء الحفلات الراقصة)) "٣" ، كما
وصل الأمر ببعض محلات السمر أن تكتب على أبوابها ؛ ((هنا تعلم
القبائح ، وتعود المعاصي ، هنا المدرسة الابتدائية للآثام والشور)) "٤"
ثم أصبح عمل الراقصات والمغنيات في العواخير مادة دسمة يستوحينها
الشعراء في قصائدهم ، ويعبرون فيها عن تجاربهم مع هذا الصنف من
النساء ، ومن ذلك قصيدة لبراهيم ناجي بعنوان ((قلب راقصة))

-
- (١) حاضر المصريين ؛ لمحمد عمر ص ٣٥ .
 - (٢) مجلة المجلات العربية ، السنة السابعة ، يناير / كانون ثاني
 - (٣) فتاة الشرق ، السنة الخامسة ، الجزء الثاني ، ١٥ نوفمبر / تشرين
 - ثاني ١٩١٠ م ص ٧٠ .
 - (٤) قطرة من يراع في الأدب والاجتماع ١٠٢/١ .

وصف فيها امرأة تعمل في أحد الملاهي التي حرصت أن تقدم لزيائنها
كل ما تستطيع من أنواع اللهو بما فيها النساء كعالمات وراقصات وساقيات ،
يقول :

فرايت فيها أبصرت عيني مليء أحد ليهج الناس^١
يجلون فيه فرائد الحسن وبياع فيه اللهو أجناسا

.....

ودخلته أجتاز مؤد حسبا بالخلق أفواجا وأفواجا
وأخوض بحرا بات ملتطما بالناس أمواجا وأمواجا
فقدوا حجاجهم حينما طربوا ودوا نوي البحر صخابا
فإذا استقروا لحظة صخبوا لا يملكون النفس اعجابا

كذلك وصف عبد الحميد السنوسي ما يدور من صخب وطيش في مرقص
من المراقص ، حيث اختلط المزف بالغناء والرقص ، وبدت فيه النساء شبه
عاريات ، يدرن بالكوس على الحاضرين ، يقول :

انظر الى الرقص واسمع ما تخللته

من الأغاني التي تنحو ضاحيه^٢

الرقص متسق بالمزف متصسسيل

والمزف مثل الرقص يذكيه

والغيد راقلة تزهي وعاريسسة

والحسن مستوره يخسري وعاريسه

ولم يكتف بعض الشعراء من الحانات بوصف ما يدور فيها من الصخب ،

بل اتخذوا منها مقرا لهم يجتمعون فيه ، فقه رسم علي محمود طه صورة

للحانة التي يلتقي فيها الشعراء ، ووصف النساء اللواتي يتحلقن حولهم ،

فهن بين عازفة على وتر وهورا تقدم لهم كوس الخمر ، وحلقات الدخان

تعلو رؤوسهم ، يقول :

(١) ديوان ابراهيم ناجي ، دار العودة ، بيروت ص ٤٥ - ٤٩ .
وانظر المقتطف ، الجزء الثالث ، أكتوبر/ تشرين أول ١٩٣٢ م

ص ٢٨٥ .

(٢) المقتطف ، الجزء الثالث ، مارس/ آذار ١٩٣٤ م ص ٣١٠ .

منهن عازفة على وتر
وغريرة حورا كالقصب
ان تسأل الخمار قال هو
لولا دخان التبغ هلتهمو

متفجر بأرق احساس^١
لحنو طلى شفقيه بالكاس
عشاق فن أهل آداب
أنصاف آلهة وأرباب

وهكذا تحوّل الشعراء من مدح الطوك الى مدح هذه الطبقة من النساء ، وعدوا عملهن فنا ساميا يرتفع بالذوق الحام ، ولم يتركوا مناسبة تتر باحداهن الا اتخذوا من شعرهم وسيلة للتقرب منها ، فقد قدم أبو شادي تهنئه لاحدى المصنعات بمناسبة حصولها على وسام من ملك ايطاليا ، حيث يقول :

ملكته تقدير أهل الفن فصي ولسن
الفن أعلامه أصحاب تيجان^٢

وإذا زلت قدم احداهن ، سارع الشعراء اليها بقصائدهم ، يدعون لها بالشفاء ، ويتحنون لو أنهم كانوا قداء لها ، فهذا عزيز فهمي يخاطب واحدة منهن بمناسبة زلة أصابتها ، فيقول :

ياليتهما قد مسني أنسا زلت وضلّ ضلالهما^٣
وسلمت أنت وزال عسني قدم الحبيب كلالهما

وإذا سافرت واحدة منهن للاستشفاء أو الاصلطاف ثم عادت ، هرول الشعراء نحوها يقدمون تهنئتهم ، وقد عدّ الحقاد صوت احداهن ثروة لمصر ، وأن عودتها معافاة عيد من أعياد مصر ، حين قال :

-
- (١) ديوان علي محمود طه ، دار العودة - بيروت ١٩٧٢م ص ٤٧٩
٤٨٤ . وانظر علي محمود طه شعرودراسه ، لسهيل أيوب ،
دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٦٠م ،
ص ١٦-٢٣ . وانظر قصيدة " راقصة الحانة " لعلي محمود طه ،
الديوان ص ٥٠٩-٥١٢ .
- (٢) الشفق الباكي ، لأحمد زكي أبو شادي ص ١٠٥٠-١٠٥٢ .
- (٣) ديوان عزيز ، لعزيز فهمي ص ٦٥-٦٦ .

انه ثروة لمصر
وما أجسزل الشراء "١"
مهرجان لعيدها
حيث رفرف اللسا
وعلى الجرح ان شكت
بلسم ناجع الشفاء

وعبر حسن الحظيم عن الألم الذي أصاب الجميع نتيجة لمرضها ،
وأنهم على استعداد أن يفتدوها ، ويحملوا أعباء دائها سنين وحققا ،
حتى تعود اليهم ، وتشفي قلوبهم ؛

ودّ الجميع لو افتدوك وحطّوا أعباء دائك حقبة وسنينا "٢"

ثم لم يقف الشعراء عند هذا الحد ، بل رشوا المصنّيات عند الموت ،
كما يرثى الملوك ، وعدّوا مناقبهن كما تعدد مناقب الأبطال ، فقد
رثى صالح الشرنوبى احدى المصنّيات ، وكانت قد قضت نحبها غرقا
بقوله :

هات الدموع فأنت شاعسر مالدموع لديك أخسر "٣"

.....

يكفيك من نار الفجيمة أنة تغني الحناجر

كما رثاها أبو شادى ، وعدّ موتها جناية على الحسن ، وفاجسة
ألمت بالفن ، فقد كانت بصوتها الشجي عزاء للمحبين ، وتعبيرا عن
لوعة الحب ، يقول :

أيندثر الفن ؟ ياللقيدر ويجني طن الحسن حتى الحذر؟ "٤"

فوالهفة الفن مات العزاء وبالوعة الحب ، مات القصر

وحتى يحسن الناس الظن بهذه الطبقة من النساء ، أقبلن على التبرع
من ربح حفلاتهن لمساعدة المنكوبين ، وقد كان ذلك في وقت مبكر من القرن

-
- (١) ديوان من دواوين للمقاد ص ٢٥١ - ٢٥٣ .
 - (٢) مجلة أبولو ، العدد الأول ، سبتمبر / أيلول ١٩٣٣ م ص ٦٠ .
 - (٣) ديوان صالح الشرنوبى ، ص ١٣٠ .
 - (٤) من السماء ، لأحمد زكي أبو شادى ص ٨٥ - ٨٦ .

العشرين ، فقد تبرعت مغنية ببيع حفلاتها الخنائية لصالح منكوبي الحريق ، الذي أصاب الأستاتة ، وقد هزت أريحية هذه الصغنية مشاعر مطران ، فخلد هذه المناسبة بقوله :

ليلي اجمعني الناس الي محفـسـل
مصغ وكوبي القينة الشادية^(١)
دعوت للخير فجاءوا لـسـه
بأنفس طيبة راضيه
ماكلمات الشكر ان نهدسـا
ببعض ماجدت بهه وافيه
أها لمنكوبين قد أحرقـت
ديارهم فئالسة جانيه

وهذا يظهر أن خليل مطران وغيره من الشعراء شجعوا المرأة أن تعمل في مجالات كلها ريبة وفساد ، ثم تتبرج بها ضمنيت للمنكوبين والأيتام ، ويبدو أن هذا الأمر أصبح عادة متبعة فيها بعد وأمرًا مقربًا ومعترفًا به ، مع العلم أن مثل هذه المرأة التي تعمل في جو يدعوها الي التفریط فسي شرفها ، ربما كانت أحوج الي الاحسان والتبرع من المنكوبين .

ولم يكن دور الشعراء مقصورا على تشجيع النساء على الاتجاه فسي هذا الطريق والاشادة به ، بل انهم مسئولون أيضا عن الفساد الذي أصاب كلمات الأغاني ، فمن يرجع الي المجلات التي صدرت طوال النصف الأول من القرن العشرين ، خصوصا المهتمة منها بشئون الفن ، يجد أن هذه الكلمات ليست سوى نداء لاستثارة الخرائز ونشر الفحش ، ومن ثم كتسب محمد صادق عرنوس قصيدة بخنوان () ألم الشعر من فساد الغناء ، بين فيها على لسان الشعر كيف أن الشعراء بأسفانهم فيما يكتبون من أغان رتوا الغناء الي الحضيض ، وجعلوا منه وعاء للفساد مع أنه ينبغي للشاعر أن يتخذ من شعره وسيلة للوعظ والهداية والفضيلة :

(١) ديوان الخليل ، لخليل مطران ٢/٣٤ - ٣٥ .

أيها الناس سائلوا الشمر^١
كيف ردوا إلى العفيف الفناء^١
أنا مذ كنت للنساء وعاء^١
انما لست للفساد وعاء^١
مادعونا إلى الفضيلة إلا
صار أعداؤنا لها أصدقاء^١

وكما بين أن الشاعر والمغني قد أساء التصرف ، لأنهما
لا يباليان أساء أم أحسنا ، مادام هذا الأمر يدر عليهما مالا وفيرا ،
حتى ان اسفافهما قد أثر على أخلاق النساء في بيوتهن ، ولأنهما يتعمدان
أن يكون الكلام رخوا بديئا ، لا يستهدف غير اثاره الخرائز :

شاعر غير شاعر ومنسن
لا يبالى كلاهما قد أساء^١
مذ أن أصبحا رسول^١ غنساء^١
طلق الذوق جملة والحياء^١
تخذا نشره أداة شبرا^١
لعن الله مثل هذا شبرا^١
قد أسفا ولم يعفا السى أن^١
أسما الفحش في البيوت النساء^١
بكلام رخو وقول بسذى^١
أفريا الهت والفتى اغرا^١

ويبدو أن اشتغال النساء بالفناء والتمثيل في وقت مبكر من القرن
المشرين ، لفت انتباه العاملين في ميادين الاصلاح ، فقد أصدر محمد
رشيد رضا فتوى حرم فيها عمل المرأة في التمثيل والرقص بقوله : ((نهى
القرآن نهيا صريحا عن ابداء النساء زينتهن لغير محولتهن وآبائهن وغيرهم

من المحارم ، فهل يشتهر بعد هذا في ابداء الزينة مع ما هو شر منها ، وهو الرقص مع الأجنبي ومطارحتهم الفحرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخذان تارة أخرى ؟ لا محل للتردد في تحريم هذا الممسل وتحريم التعاون عليه والمساعدة لأهله ، بل في اقرارهم عليه والسكوت عن انكاره عليهم ، ولا حاجة الى البحث في مفسده ، فانها بديهية . (١)

كذلك تناولت صحيفة دارالعلوم الفناء بالتعليق والنقد ، فرأت أن الفناء في مصر ، أصبح تعبيرا عن أخط النزعات الحيوانية فسي الانسان ، وتصويرا لها في حالة ضعفها ومرضها وانحلالها ، وقد عادت الصحيفة الشعراء والمفنين والملحنين مسئولين عن هذا الضعف ، لهدم تكن العواطف الانسانية النهيبة والسامية في نفوسهم ، كما عدتهم مسئولين عن فساد الذوق لدى السامعين . (٢)

وهذا يعني أن المرأة بخروجها من بيتها الى ميادين الحياة المختلفة ، لرغبتها في العمل والانعتاق من السيطرة المزعومة للرجل عليها ، قد خسرت أضعاف ما كانت تتوقع كسبه ، وكانت النتيجة أن سقط كثير من النساء اللواتي تمررن على حياة البيت فويسة سهلة في أيدي تجار الرقيق ، الذين اتخذوا من أجسادهن وسيلة للكسب الحرام ، الذي يحقق أرباحا طائلة ، وأن كثيرا من النساء اللواتي صدقن دعوى المساواة بين الجنسين لم يجدن فيها غير سراب خادع لا سبيل الى الوصول اليه ، لأن لكل وظيفته واستمداه ، كما لاحظ العقاد حين بين طبيعته العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الرجل وزوجته في قوله : (. . . بل يجب أن تكون علاقة شريكين ، يتوزع بينهما العمل على حسب اختلاف الوظيفة والاستمداك ، وكلاهما خاسر مغبون ، اذا أخل بحق شريكه ونازعه في عمله وكفايته ، وكلاهما رابح اذا عرف أين يحطي وأين يأخذ من

(١) المنار ، المجلد المباشر ، الجزء السابع ، سبتمبر / أيلول ١٩٠٧ م ،

ص ٣٩ .

(٢) صحيفة دارالعلوم ، السنة العاشرة ، العدد الأول يوليو / تموز

١٩٤٠ م ص ٥٢ - ٥٦ .

قسمة الخلق بين الجنسين ...)) "١".

وقد رأى الدكتور محمد محمد حسين أن المرأة بنزولها الى ميدان العمل أساءت الى نفسها ، () فبعد أن كانت ربة عائلة تشم ، أصبحت مشكلا يتطلب الحل ، وكانت عرضا يمان وأمانة تحفظ ، فأصبحت هملا ثقيلًا يضيق به الأب والأخ ، ويتحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش ، نشأ الجيل السابق على أن يكفلها ويكفيها حاجتها ، وكان هذا التقليد عقيدة مركوزة في أعماق كل نفس ، يحرسها الاجماع عليها ، فلما عملت المرأة لنفسها ، وشاع ذلك في المجتمع ماتت هذه العادة ، وماتت معها المروءة التي كانت تدفع اليها حتى أصبحت المرأة التي لا تعمل في أيامنا هذه لا تجد اللقمة ، ولا تجد الزوج ...)) "٢" . وذلك كانت المرأة هي الخاسرة .

-
- (١) القرن العشرون ما كان وما سيكون ، لعباس محمود العقاد ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ص ٢١٢ - ٢١٣ .
- (٢) حصوننا مهددة من داخلها ، للدكتور محمد محمد حسين ، مقالة بعنوان الجنس الثالث ص ١١٢ - ١٣٥ .

الفصل الرابع

قضية العلاقات الزوجية

- ١ -

من الأمور التي استرعت انتباه علماء الحملة الفرنسية أثناء وجودهم في مصر ، أن القوانين المدنية التي تحكم علاقات الناس في حياتهم الاجتماعية مستمدة من المبادئ الدينية^١ ، وأن السنة الثانية عشرة هي السن المناسبة لزواج الفتاة ، وأن من النادر أن تبقى واحدة منهم بلا زواج حتى سن السابعة عشرة ، وأن الزواج في مصر والبلاد الإسلامية عموماً ليس أسراً بالغ التعقيد ، كما هو الحال في الغرب ، فقد كان يتم في بساطة ويسر ، فهو ليس أكثر من اتفاق خاص ، لا يحتاج إلى تصديق ديني أو قانوني ، ان يتمثل في الإرادة التي يعبر عنها الطرفان المتماقدان ، وتكفي موافقتهما المتبادلة ، ليكون هذا الزواج مشروعاً ، وتحظى المرأة موافقتها بنفسها أو من خلال وكيل ، وتحتم الشريعة على الزوج تقديم مهر لزوجته ، والمهر الذي يقدم للزوجات عن طريق أزواجهن عماد أساسي من عماد الزواج ، وهو حق مطلق لهن ، وللرجل الحق في أن يرى تلك التي يعرضون عليه الزواج منها ، فان الشريعة تبيح أن تكشف الفتاة عن وجهها ويديها أمامه بحضور أهلها^٢ .

هذه هي العادات التي كانت شائعة في مصر ، فيما يتعلق بالزواج ، كما لاحظها وسجلها علماء الحملة الفرنسية ، أما عادات الزواج عند الغربيين ، فقد ذكر الشدياق شيئاً عنها في كتابه ((الواسطه في أحوال مالطه)) فقال : ((أما عاداتهم في الزواج ، فهو أن يعاشر الرجل المرأة قبل أن يتزوجها مدة طويلة ، وربما أقام على ذلك ثلاث سنين فأكثر . . ولا يخفى أن النساء

(١) وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ٦٧/١ .

(٢) المرجع نفسه ٥٦/١ ، ٧٩-٨١ .

في بلاد الافرنج هن اللواتي يمهرن الرجال . . . لأن رجالهم غالباً مايتحاشون الزواج ، لما يعقبه من التكاليف الشاقة ، لأن مؤونتهم غالية ، ونساءهم متشبهات بالرجال أخلاقاً ، لاستغنائهم عنه بكثرة المواجهات ، فوجب على المرأة في هذه الحال أن تساعد الرجل . . .) (١)

ثم كتبت مجلة الهلال عن " الدوطه " "٢" ، فذكرت أنها عادة افرنجية نشأت في أوروبا ، وعزت سبب انتشارها هناك الى قلة عدد الرجال بسبب الحروب ، والى انغماس الباقيين منهم في الفواحش وابطاحة أمر المومسات ، حتى أصبحوا لا يعبأون بأمر الزواج ، لاستغنائهم عنه ، بما أحلوا لأنفسهم من الأمور المحرمة ، فكسد سوق البنات ، واضطر الآباء من أجل تزويج بناتهم ، أن يبدلوا العال للشباب ترفيحاً لهم فسي الزواج ، وترى الهلال أن الأمر كان قاصراً في بدايته على جماعة قليلة ، ليس في بناتهم ما يؤهلهن للزواج ، فسدوا النقص بهذه الطريقة ، ثم امتدت تلك العادة ، حتى جرى عليها أهل أوروبا كافة ، وتبعهم نصارى الشرق بعد الاحتلال الانجليزي لمصر ، واقامة بعض الأوروبيين فيها ، فأخذوا هذه العادة عنهم ، تقول الهلال : ((أما نحن فقد قضت علينا الأيام أن نسير على خطوات أهل تلك البلاد ، ونقتدي بهم في أعمالهم ، شأن الضعيف مع القوي ، فأخذنا عنهم كثيراً من العوائد ، وفي جملتها هذه العادة) (٣) .

والظاهر أن هذه العادة قد شاعت ، حتى أصبحت تهدد الفتيات الفقيرات بالكساد ، والحاصلين على العال عن هذا الطريق

-
- (١) الوساطة في أحوال مالطه ، لأحمد فارس الشدياق . ص ٣٧
 - (٢) الدوطه : ما يبدله الوالدان من مال للرجل الذي يريد أن يتزوج من ابنتهما ، أو ما تدفعه المرأة نفسها للرجل ، حتى يقبل بها زوجة له .
 - (٣) الهلال ، السنة الأولى ، الجزء الخامس ، يناير / كانون ثاني ، ١٨٩٣ م ص ٢٠٧ .

بالكسل والاسراف^١ ، ناهيك بتهديدها لنظام الأسرة ، كما لاحظت عائشة التيمورية^٢ . وكما ذكرت باحثة الهادية ، ((أن دافع الصداق هو الصنفرد بالسيادة في البيت ، أما طريقنا الآن فهي معتة ، ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين ، يدفع الرجل الصداق ، فتأتي له المرأة بما يساوي ضعفه أو ضعفه أو أكثر ، فهو بما أنفق يظن أنه السيد ، وهي بما أنفقت ، تظن كذلك ، فيتنازعا على الرئاسة...))^٣

ومن ذلك ماجاء على لسان احدى النساء ضمن مقال تستصرخ فيه الرجال أن يكفوا عن هذه العمادة الظالمة ، حيث تقول : ((اياكم أغنى بخطابي أيها الظالمون من رجال الاستبداد و صبيهان التقليد ، وأتقدم اليكم مطالبة بحقوقتي التي هضمتموها ، وأنتم أوصياء علي ، وبامتيازاتي التي ألغيتموها ، بل عكستموها ، وأنتم تقيمون علي شئوني... أيها الرجال ، ان للوجود عليكم حق الابدان ، فكما أخذتم أعطوا... فما بالكم تقيمون المقبات ، وتزيدون طين الصعوبات بلة في سبيل الزواج .

-
- (١) انظر مجلة الجامعة ، السنة الأولى ، الجزء المشرون ، (يناير / كانون ثاني ١٩٠٠ م ص ٤٩٢ - ٤٩٥ . وانظر كتاب " حاضر المصريين أو سر تأخرهم " ص ١١ . فقد أشار الى أن بعض أغنياء مصر تعود أن يتوغل أول حياته في الآثام ، ويستنزف ملذات الحياة ، حتى اذا سئمت نفسه الملذات ، وأدرك بفض ما كان فيه من الخطأ ، مال الى الزواج بفتاة تكون أكثر منه ثروة وأعرض جاها ، وأرفع منزلة حتى يرقع ما تحرق من جلباب ثروته .
 - (٢) الحركة النسائية الحديثة ، لاجلال خليفة ص (٣١ - ٣٢) .
 - (٣) فتاة الشرق ، السنة الرابعة ، الجزء التاسع ، يونيو / حزيران ١٩١٠ م ص ٣٢٠ .

رضينا قسمة الجبار فينسا وخولنا الرجال حقوق سلطه
وقلنا فيهم بر وخيبر ومحرقة تزيد العيش بسطه
وماتدري بقسمتنا وفيها جرى في اللوح بالتريل "دوطه" "١"
وبعد ذلك بشهور كتب جرجس توما الخوري قصيدة عن الدوطه
والزواج بعنوان : (لسان حال أدبية العصر أو فتاة القرن التاسع
عشر) ، وقد عبّر فيها عن الحسرة التي أصابت الفتاة ، بسبب زهد
الشباب في الزواج من اللواتي نلن حظا من العلم ، فهم ينظرون اليهن
بازدراء ، ولا يريدون الاقتران بواحدة منهن ، لأنها ليست قادرة على
دفع المال لهم ، لأن تهذيبيها لا يفيدهم في تحقيق أطماعهم المادية ،
ما أدى الى بقاء كثير منهن دون زواج ،

دعيني اليوم يا أمي دعيني أردد في خبابيتي أنينى "٢"
دعيني مابدت شمس بتسولا فلا أرضى قرينا يزد رينى

.....

أرى شبان عصرى لم يروموا بخير غضاضة أن ينظروني
فيأبون الزفاف بخير مسال وعند سماع ذكرى حقروني
وينشدني لسان الحال عنهم لقد جاوزت حد الأرمحين
فهذا الا يزال صريع كأس وذلك يقول يا قوم ارحموني
وغيرهما بزنب ظلّ يلهمو يشبّب بالحيون وبالجبين
فيأماه خلّي عن زفاسي ومن مراك دوما زود ينسي
فما ترضين لي رجلا فقيرا وان يك مثريا لا يرتضيني

ثم يضيف أن كساد سوق الزواج في هذا العصر يعود الى تقليد
الشرق للمغرب في كثير من عاداته وشعونه غير النافعة ، حتى غدت حياتنا
طليقة بالأحوال ، وطفى على شبابنا حب الثروات ، فان أراد الواحد منهم
الزواج لم يبحث عن ذات الخلق والأدب ، بل عن ذات المال والغنى ،

(١) الثريا، السنة الأولى ، الجزء الثاني ، ١٥ يوليو/ تموز ١٨٩٦ م ص ٤٢

(٢) الثريا، السنة الأولى ، الجزء الخامس ، ١٥ أكتوبر/ تشرين أول ١٨٩٦ م

وهذا هو الجنون بعينه :

فديتك ان حال العصر أضحست
شقاءً للبنات والبنين
حيانا الضرب آدابا وعلمنا
ولكن محبها ضربات هون
تركنا ذاك الا النذر منسسه
وفصنا في الأخير الى الذقون
فصار المرء يسأل عن نقصنا
ولو كانت على فوس هرون
جنون أين هذا من سسؤال
عن الأخلاق والأدب الثمين

على أن ما أصاب فتيات العصر من بوار وكساد ، قد سرّ بعض الشباب ،
فقد ردّ أحد الشعراء على القصيدة السابقة مشطرا اياها ، دون أن يذكر
اسمه ، واكتفى أن يرمز اليه بكلمة (الفتح) ، حيث هاجم المرأة ،
وتشقى بما أصابها ، ورأى أن تعليم الفتاة جنى طيها ، وأضاع زهرة
شبابها ، وزهد فيها طالبي الزواج ، لأن شباب العصر لا يرغبون في
الزواج من فتيات قضين حياتهن في تحصيل العلوم ، وانما يريدون زوجة
تحقق لهم الثراء :

(دعيني اليوم يا أمي دعيني)
الأم بالنصائح تولمينني ")
دعيني اليوم من درس دعانسنسي
(أردد في غبا بيتي أنيني)
(دعيني مابدت شمسي بتسولا)
تري كيف القفسنن بالجنون

محاليل المدارس شمس حسنسي
(فلا أرضى قرينا يزدريسي)
(أرى شبان عصرى لسم يرومسنوا)
علوصا قد أضحت بها سنينسي
ولم يرضوا على علمسي وفهمسي
(بنفير غضاضة أن ينظروسي)

ويبدو أن طرافة الموضوع جذبت الشعراء ، وفتفتوا في تناوله
بالمعارضة حيناً ، والتشطير حيناً آخر ، فقد طارض عهد الله فريج
تشطير (الفتح) الذى أشرنا اليه ، وسخر من الفتاة المتعلمة ، كما
فعل غيره ، دون اهتمام بمعالجة هذه القضية ، وان كان قد جر عن اليأس ،
الذى يسك برقاب الفتيات ، بسبب تحكم آفة (الدوطة) في عقول
الشبان ، يقول :

دعيني اليوم يا أمي دعيني
أنافس في العلوم وفي الفنون^١
ومن أمر الزواج أطلّ غمسا
أردد في خبا بيتي أنيسي
دعيني ما بدت شمسي بتسولا
أباهي الفيد بالعرض المصون
أبوا مني الزواج بنفير مسال
فيا للفسار من داء^١ دفين
فكم من قاتتي نقروا ضسلا لا
وعند سمع نكري حقرونسي
وأنشدني لسان الحال منمسم
بدون المسال مالك من معين

(١) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الثامن ، يناير / كانون ثاني ١٨٩٧ م

وإذا كانت فكرة الزواج من امرأة غنية قد استهوت البعض ، فان فكرة الزواج من أسرة عريقة النسب قد استهوت آخرين ، منهم الشيخ علي يوسف صاحب جريدة " المويد " الذي أثار قضية زواجه عام ١٩٠٤م ضجة كبرى في الرأي العام ، لم تثرها أية قضية زوجية ، والقضية شخصية بحتة ، لكن الظروف السياسية تدخلت فيها ، فانضمت الحكومة المصرية والسلطات الانجليزية الى الزوج . " ١ "

وتتلخص القضية في أن صاحب " المويد " خطب الى عبد الخالق السادات ، وهو من كبار الأشراف في مصر ، وشيخ السادة الوفايئة ابنته " صفية " فوضى الوالد ، ورضيت الفتاة ، ولم يبق الا تهديد موعد عقد القران ، ولكن والد الفتاة ماطل في اتمام العقد ، فتولى الوكالة عن الزوجه الشيخ حسن السقا ، وتدخل محمد توفيق البكرى نقيب الأشراف وزوج أخت صفية ، ورضي أن يتم عقد القران في قصره ، وكان ذلك مفاجأة لعبد الخالق السادات ، فثار ثورة شديدة ، ورفع الأمر الى القضاء الشرعي ، طالبا فسخ العقد ، لعدم الكفاءة بين الزوجين في النسب ، فحكمت المحكمة الشرعية ، بأن عقد الشيخ علي يوسف على صفية باطل ، لعدم الكفاءة ، (ان ثبت لدى المحكمة بشهادة أهل العرف في البلد واخبارهم ، بأن أبا الزوجه يلحقه العار بزواج صاحب " المويد " ببنته ، لأنه مشهور بالشرف ، وصاحب المويد غير مشهور به ، ولا هو شريف بالفعل ، ان ثبت أن نسبه مزور ، ولأنه من أصحاب المجد الموروث ، وصاحب المويد حديث عهد بنعمة الدنيا ، ولأن حرفة الصحافة لا تكون شريفة الا اذا كان صاحبها على معارف وصفات فصلها القاضي في حيثيات الحكم ، وذكر أن صاحب المويد عار منها ، بل متصرف بها .) " ٢ "

(١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣ .

(٢) المنار ، المجلد السابع ، الجزء الحادى عشر ، اغسطس / آب

وقضت المحكمة بالحيلولة بين الزوجين ، فاحتجت السيدة صفيحة على ذلك بعريضة أرسلتها الى قاضي قضاة مصر ، وأرسلت صورة منها الى ناظر الحقانية ، وفيها تقول : (انها لا يمكن أن تقبل تنفيذ حكم الحيلولة ، لبلوغها سن الرشد ، ولأنها تزوجت من الشيخ علي يوسف باختيارها وكفائها ، . . .) " ١ "

ورفضت العودة الى منزل أبيها على الرغم من موافقة زوجها ، وعقدت محكمة مصر الشرعية الكبرى جلسة أخرى لنظر القضية ، انتهت بتأييد الحكم الأول ، أي بفسخ العقد وعدم صحته ، ولكن طموح الشيخ علي يوسف لمنصب شيخ السجادة الوفاة ، جعله يطلب عودة المصاهرة ثانية ، فأعاد كتابة عقد الزواج في بيت جد الخالق السادات ، وكان منه ، فأصبح صهره ، ثم خلفه على السجادة الوفاة . " ٢ "

ويظهر أن خصوم صاحب الموءيد قد استغلوا ما أشير حول نسبه من شبهات ، حتى ينتقموا لأنفسهم ، ومن هؤلاء إبراهيم المويلحي وابنه محمد صاحب جريدة " مصباح الشرق " ، اللذين أغريا الأدباء والشعراء ، كي ينظما في الحادثة تحت عنوان " عام الكف " " ٣ " ، وذلك ردًا منهما على الحملة التي شنها عليهما علي يوسف في (الموءيد) تحت عنوان " عام الكف " " ٤ " ، فكان من ذلك قصيدة للشاعر حافظ إبراهيم ، أعلن

-
- (١) مذكراتي في نصف قرن ، لأحمد شفيق ٦٠/٢ - ٦١ .
 - (٢) تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، لأنور الجندى ص ٣٢٩ .
 - (٣) تراجم الأعلام المعاصرين ص ٣٢٦ - ٣٢٧ . عام الكف : هو العام الذي أشيرت فيه قضية الزوجية ضد علي يوسف ، واتهم بمسندم كفائها ، وضمنه نسبه .
 - (٤) عام الكف : حدث أن كان محمد المويلحي جالساً على مقهى ، فدخل عليه شخص يدعى محمد نشأت ، فأستقبله المويلحي قائلاً : أهلا بالفتان ، فلم يلبث أن صفع المويلحي على وجهه ، وخرج هارياً وسبب المناقشة التي كانت بين الموءيد ومصباح الشرق ، التي كان يصدرها المويلحي ، استغل علي يوسف الحادث ، وأغرى الشعراء بالنظم في الحادثة ، وفتح باباً يومياً في الموءيد يد سماه " عام الكف " . انظر تراجم الاعلام المعاصرين ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

فيها أنه حطم قلمه ، وكره كتابة الشعر ، لأن مصر لم تعد ذلك البلد الطيب الذي يحنو على الأديب ، ويرجو مصرا ألا تتبدله لسكوته ، فقد ضاق ذرعا بتصرفات القوم ، الذين عميت أبقارهم عما تعدده الدول الكبرى ، ضد هم مسن مؤامرات ، حيث سكتوا سكوت الجمان ، ولهبوا كالأطفال ، ولم يلتفتوا الى الاتفاق الذي تم بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ م ، والذي تكون إنجلترا بمقتضاه مطلقه اليد في مصر ، مقابل اطلاق يد فرنسا فسي مراكش ، يقول :

حطمت اليراع فلا تعجبي وعفت البجان فلا تعتبي "أ"
فما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنست بالهلك الطيب

.....

فلا تعذليني لهذا السكوت فقد ضاق بي منك ماضق بي
أيعجيني منك يوم الوفاق سكوت الجمان ولعب الصبي

لقد يئس من الجيل الناشئ ، كما يئس من الجيل السابق ، لأنهما خطر على مصر أكثر من أعدائها ، فالناشئون يقضون أكثر أوقاتهم في " الأزيكية " بحثا عن اللهو ، بينما يعكف آباؤهم على الإقامة في المساجد ، ويترك الجيلان مصر تعاني من المتاعب :

يقولون في الفصح خير لنسبا

وللنش شر من الأجنبي

أفي (الأزيكية) مشوى البنيسن

وبين المساجد مشوى الأب

(ومكنا بمصر من المضحكات)

كما قال فيها " أبو الطيب "

أما الشدة التي أصابت صاحب " العود يد " بما أثير حول قضيته

الزوجية ، فهي عند الشاعر نتيجة طمعه الأشعبي ، لأنه أغرم بابنة
عبد الخالق السادات الذي ينتسب الى بيت النبوة على الرغم من كبر
سنه ، فكان الضجيج الذي كان بين مؤيديه ومعارضيه :

وقالوا " المؤيد " في غمرة	زماه بها الطمع الأشعبي
دعاه الفرام بسن الكهول	فجئن جنونا ببنت النبي
فضج لها العرش والحاطوه	وضج لها القهر في يشرب
ونادى رجال باسقاطه	وقالوا : تلون في المشرب
وعدّوا عليه من السيئات	ألوفات ورمع الأحقاب
وقالوا : لصيق ببنت الرسول	أغار على النسب الأجنب
وزكى " أبو خطوة " قولهم	بحكم أحد من المضرب " (١)

لكن أين الحقيقة اذا كانت فئة تمد على الشيخ السيئات ، وترميته
بالتقلب في الرأي ، وتتكبر عليه زواجه ، بينما أخرى تتوافد على داره ،
وتزف اليه التهاني قبل معرفة رأي القضاة ، لعلمهم بقوة موقفه ، وبينما
الخليفة يقلده وساما ، كان من الأليق أن يعلق على صدر رجل لا يرضى
الدينية ؟ لقد اختلط الأمر علينا :

فما للتهاني على داره	تساقط كالمطر الصيب
وما للوفود على بابيه	تزف المشائر في موكب
وما للخليفة أسدى اليه	وساما يليق بصدر الأبي
فيا أمة ضاق عن وصفها	جنان المفوه والأخطب
تضيق الحقيقة ما بيننا	ويطلي الهري مع المذنب

وكان نقولا رزق الله من الشعراء الذين تناولوا قضية صاحب " المؤيد " في
قصيدة بعنوان ((خلاصة القضية)) ، بدأها باقتراح اليأس على
الشيخ ، لأن عمره قد فني ، ولأن الفطن لا يتعلق بالسراب ، ثم تنس

(١) أبو خطوة : هو الشيخ أحمد أبو خطوة قاضي المحكمة الذي حكم
حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج .

بالأسف على الشرق ، لتشاغله باللهو والخواني ، بينما الغرب ماض في تقدمه وتدبيره ، ثم ثلث بالسخرية من مصر لكثرة المضحكات المبكيات فيها ، ولأنها في الواقع سوّدت الجهلاء ، وتجاهلت العقلاء :

اليأس أنجع أيها الرجل	قد كان يفني عرك الأمل ^(١)
كم يائس أولته جرأتسه	ملا ينال مؤمسل وكسل
لم القرب عزيمة فطننا	يسعى بلا ملل ولا يصل
أيظل هذا الغرب مجتهدا	والشرق آفة أهله الكسل
ولعوا بغانية وشادية	وتشاغلوا باللهو واشتغلوا
كم حادث في مصر قد ضحكت	منه ثخور أو بكست مقبل
كم من رجال لا عقول لهم سم	لهم السيادة حيثما نزلوا
وإذا أصاب الجهل طائفة	كان التجاهل حظ من عقلوا

أما خلاصة القضية ، فهي الحملة على المسلمين ، لأنهم شغلوا ببناتهم وأنسابهم حتى ضيعوا مصر في رأيه ، ولأنهم تنكروا لهدأ الحرية الشخصية ، يتحكمهم في عواطف المخطوبة بعقدة النسب ، ثم يرفضهم رغبتها فيمن خطبها بعد تردد هم في قبوله ، حتى إذا تمّ الزواج يرفضهم رفعوا الأمر إلى القضاء ، وأبطله في شهر العسل ، واليك قوله عن هذه الخلاصة ، حيث يقول :

عظمت بنات المسلمين بها	عن كل شاغلة لهم شغل
ولعت صحافتهم بها زمنا	وتد أولتها الكتب والرسل
قامت قيامتهم لها وهمسو	قد ضيعوا مصرا وما حفلوا
كلّ له أن يستميل وأن	يصبو ولا عتسب ولا عدل
الا ابنة السادات ان خطبت	يوما فذلك خطبها الجلل
يقضي ويحكم في عواطفها	نسب بآل الهيئت متصل

.....

وأب وقوم لا اختيار لها

في حينها الا اذا قبلوا

(١) أنيس الجليس ، السنة السابعة ، الجزء التاسع ، ٣٠ سبتمبر /
أيلول ١٩٠٤ م ص ١٩٩٥ - ١٩٩٦ .

ولقد أتاها خاطب رغبت فيه وطال بأمره الجد
ومضى الزمان فكان منتظرا يرجو فما قطعوا ولا وصلوا
تركوه يأمل أن يزوجهما حتى اذا علقته به عدلوا
فازداد خطب الخاطبين ولم تجده الوسائل فيه والحيل
عقد الزواج برغمهم ولقد حسباه عقدا ليس ينفصل
فكانا حلم زواجهما وكذا الهنا زواجه عجل

.....

ففضى القضاة وربما ظلموا من حيث أنوأنهم عدلوا
وتفرق الزوجان وانقطعت صلة الزواج وشهره غسل

ومن شارك في هجاء صاحب الموءيد أحمد شوقي وأحمد نسيم ، أميا
أحمد شوقي فقد تهكم به ، واتهمه بالخطورة والغرور والتكرار لماضيته ،
الذى عانى فيه من الفقر ، ان يقول :

قل للموءيد : ما هناك يداك قد صفت قفاك ^١
فلم التظنرس والخرور ، ألمت تذكر مبتداك ؟
أيام كنت تملك ك كسرة لتسد فاك

وأما احمد نسيم فكان من أعنف الشعراء هجوما على صاحب الموءيد ،
لأنه نظم قصائد ومقطوعات كثيرة في عام الكفة ، تتسم بالاقذاع والافحاش ،
فقد اتهمه في بعضها ، بأنه من أصل قبطني ، وأنه يطلبه ماهرة بيوت
السادة الوفائية هناك غدور الفيد ، وفك عرى الطير المحقودة ، وهجم
على الفضيلة ، حتى عفى على آثارها ، على الرغم من انعدام الكفاءة
في شخصه .

(١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣١ . والواقع أننا نستبعد هذا
الموقف من شوقي ، لأن علي يوسف كان ذا صلة قوية بالخد يوى عباس
الثاني ، الذى كان شوقي أحد موظفيه ، ولأن الأبيات وردت في
جريدة " الظاهر " لصاحبها محمد زكي أبو شادى بتوقيع " ش " .
ما يشكك في صحة نسبة الأبيات لشوقي .

هتكت من الفيد أقدارها ومزقت بالهتك أمستارها^١
وكانت عرى الطهر ممقودة ففكك جهلك أزارها
نبذت الفضيلة نبد النوى وخفيت في القوم آثارها
وفيك الكفاءة معدومة فخل المعالي وأصهارها

كما أنب صفية السادات بطة القضية في تصيدة أخرى ، لأنها هامت
بوغد جاهل دعي النسب ، حتى شبهها برقاش أخت جذيمه ، التي
هامت بساقي أخيها عدي بن نصر^٢ ، إذ يقول :

- (١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣٣ .
(٢) كان عدي بن نصر يحمل ساقيا لملك العراق جذيمة الأبرش ،
فشغفت رقاش أخت جذيمة بعدي ، ودعته إلى التزوج بها ،
وقد احتال عدي على جذيمه ، بأن سقاه شرابا صرفا ، وصبا
للحاضرين شرابا ممزوجا ، وعندما أخذت الخمر منه مأخذها
خطبها إليه ، وأشهد عليه الحاضرين في مجلسه ، ثم عاد إليها
فأعرس بها ، فلما أصبح جذيمه علم بزواج رقاش من عدي ،
فعظم عليه الأمر ، واختفى عدي عن الأنظار ، وخاطب جذيمة
أخته بالبيتين اللذين اقتبسهما نسيم ، راجع ذلك في تاريخ
الرسل والملوك ، للطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١ / ٦١٥ .
وراجع كذلك مروج الذهب ، للمسعودي ، دار الأندلس
للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ -
١٩٧٣ م ، ٦٧/٢ .

مالبنت الحسيب هامت بوغد سافل جاهل ، غوي ، خئون "١"
قل لها عن جذيمة لرقاش حين باتت والعرض غير مصون
حد ثيني وأنت غير كذوب أبحر شفقت أم بهجسين ؟
أم بعبد وأنت أهل لعبد أم بدون وأنت أهل لبدون

— ٣ —

وإذا كان من الشبان من آثر يسار الزوجة على فقرها كما قد منا ، فان من الزوجات كذلك من آثرت يسار الزوج ، ولا مته على فقره ، حتى ساءت العلاقة وانفصلا ، مما أدى الى نفور البعض من الزواج ، واشترط آخرين فيمن يختارونهن مناقب معينة ، وقد صور الشعراء كل ذلك ، وأدلووا فيه بأرائهم ، فهذا حوار طريف بين محرم وزوجته في موضوع فقره ، ضمنه قصيدته " تخيل شاعر " حيث بدأ يكتمها عن لومه على الفقر ، لأنها تبادت في ذلك حتى أشارت همومه ، وهيجت أحزانه ، وكادت تذهب بحلمه ، ثم لفتها الى مكارمه الجديدة بتقديرها ، من أنه على فقره أبي مترفع كريم ، متجمل صبور على الضراء ، ثم هو محب لأولاده عطوف عليهم بار بهم ، بر بها في حالي الفقر والغنى ، وذلك قوله لها :

لك الخير نامي عن طوم محسب ل
وكفي والا تستطيمي فاجلبي "٢"
أثرت هموم النفس من كل مكسب
وهيجت أحزان الفؤاد الملبل

(١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣٣ .
(٢) أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء الثالث ، ٣١ مارس / آذار ١٩٠٣ م ص ١٣٥٩ - ١٣٦١ .

جهلت على من طال مساوي حلمسيه
والا تكفي غرباً جهلك يجهسسل
تلومين أن أسمى سواي مستسولا
يسرك متواه ولما أسهسسل
فاما تريني معدما ذا خصاصيه
فاني لم أسأل ولم أثبلسسل
أبي ذاك نفس تأنف الضيم حمرة
متى ما تكلف خذلة الهيون تجفل
أقلي ملاهسي انما اللوم ضلوسيه
وانعي لا أهوى ملام الهضسسل
وفيتي الي يحصل كريم خلالسيه
اذا راب صرف الدهر لم يتبدل
يهون وقع الخطب والخطب مضلسل
ومهما تصبه فاقمة يتجسسسل
ويزجسي الليالي ترتصي جان ثاتهما
بصير على ضرائهها وتوكسل
ويثني على أولاده عطسيف مشفوق
ويسدي اليهم بمره غير موء تسل
يسرك مشتاه معما ومصيفسيه
لدى مخصيب من متواه ومحصل

.....

رأيت لثيم القوم واللوم كاسمسيه

متى ما يفتته العان يطلب ويسأل

لكن زوجته لم ترض منه بهذه الاطالة عن خلاله ، وطلبت منه أن يعدل
عن ذلك الي ذكر حظه من المال ، أو الي طلبه ، لأنها لن تلبس من أحساب
قومه ثوبا زاهيا طويل الذبول ، ولأنها تريد كزوج جارتها كثير المال ،
وان كان مقلا من المجد والحسب ، فقد أصبح المال خير وسيلة لنيل احترام
الناس وتقديرهم :

أطلت وما يخفي الفتى عيب نفسه
إذا ما بدا يوماً بقول مطوّل
فلا تذكر الأحساب واذكر من الخسوس
نصيبك إن كنت امرأةً ذات تبتل
أليس من أحساب قوميك يارتسبا
واسحب منها ذيل مرط مرجسبل
أرى جارتى لا يشتكي الفقير بعلمها
وان كان عن مجد أثيل بمصزل
دع المجد ، ان المجد من يهخ نيلسه
على نك الأيام مثلك يهسزل
وسرفي طلاب المال انك ان تصيب
شراء تكلم بعصده وتهجسل

فماذا كان موقف الشاعر من هذه الزوجة ، التي تابى أن تشارك زوجها حياته ، وتريد أن تدفع به الى اجتلاب الثروة من أي طريق ، حتى لو كان في ذلك امتهان لكرامته ؟ لقد طلقها ، لأنه يرى أن الزوجة التي تسرف في اللوم والعتاب ، حتى تجعل حياة الزوج مرة كالحنظل ، ليست جديرة بالعشرة الزوجية ، وأن أمثالها يحبين حياة العزوبة والتبتل الى الرجل :

فقلت لها بيني فانك طاليسسب
وما أنت الا ترحمة المتهمبل
أطلت التلاهي والقرينسان مسؤون
تلاعيهما يوماً يوشك التزيبل
وأسرفت في لومسي ومعتيتي محسبا
فأصبح عيشي طعمه طعم حنظل
لقد نقت طعم العيش زوجاً وأيسسبا
فأبصرت لذات الفتى في التبتل
عقلت فما آتي الذي كنت آتيسسبا
ومن يلق ملاقيت ماوى يعقل

ويبدو أن الشاعر أمين الحداد قد أعجب بقصيدة أحمد محرم ،
وموقفه فيها ، فمارضها بقصيدة وافقه فيها ، على أن هذا الخلق من
النساء يفري الرجل بالتبتل ، وصرف النظر عن الزواج ، وقد أغبراه
بالفعل ، فاختر كصاحبه التبتل على الزواج ، ليهيئ له مجده الشعري ،
ولتسلم نفسه من شر الجفا ، والترمل ، يقول الحداد مخاطبا محرما :

تخيلت ماسرّ الغيبي وانمسيا
تخيلت ما يفسري الفتى بالتبتل^(١)
وصفت لنا عقبى الزواج كأنمسا
يعبّ الورى منه مجاجة حنظل
تظن الفواني انما العيش فى الخنى
وما العيش الا فى الحسى والتبتل
تود سليمى أننى كنت بعلمهما
وقد حيل ما بين العنى والموسل
ومالى وقاها الله منى حاجسبة
البيها ، وكان الله دوما لها ولي
ينيل يراعى المجد والمجد باطل
لديها ، وخير منه شقة مفضل
قد اخترت من لا تبرح الدهر عاتسا
وقد أمنت شر الجفا والترمس

(١) أنيس الجليس ، السنة السادسة ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل / نيسان
١٩٥٣ م ص ١٣٩٩ - ١٤٠١ هـ . وصور محمد مصطفى العاصي
حيرة الشباب عند البحث عن الزوجة ، وعيل بعضهم الى الزهد في
الزواج . انظر ديوان العاصي ص ٨٠ . حيث يقول :
أتراك قد أبصرت ما آلت اليه يدع النساء غواية وضلالا
ورأيت أخلاق الحسان تهدلت ففدا الحوام متى رغبن هلالا
وغدا الحياء عدوهن تهالا فازدن منقصة وزدن مسالا

أيا سائرا في سبيل الزواج

رويدك قف قبل نقل القدم "١"
وحاذر فان وثاق الزواج
محط الشقاء ومهد الألم
وليلة عرسك قبر صباك
ويتلوا الهشاشة فيهما السأم
وتصبح عبدا وقد كنت حسرا
وفي الرقّ تذيل زهر الشيم
وتملك قيدك ذات الخضاب
فتسي وحالك حال النقم

وإذا كان خليل داود قد استعذب المحرمة هربا من الزواج ، فان
أحمد الكاشف قد اضطر اليها ، لأنه في قصيدته " اختيار الزوجة " وضع
مواصفات للزوجة التي يريد أن تشاركه حياته ، لا يمكن أن تجتمع في امرأة ،
فقال :

.....

لا بدّ أن يوجد هـ ذا الملك المطهر "٢"
هذا الذي أراه في ال حلم خيالا يهـ

.....

اني أردت زوجة بليفيها لا أظفر
لأجل هذا لا أزا ل عازبا أنتظر

وقريب من الكاشف ، بيدو حلیم دموس الذي انتابته الحيرة فسي
الاختيار ، وخشي أن يختار من لا توافقه لأسباب عددها ، حين قال :

(١) الهلال ، السنة السادسة والعشرون ، الجزء العاشر ، يوليو /

تموز ١٩١٨ م ص ٨١٠ - ٨١١ .

(٢) أنيس الجليس ، السنة الرابعة ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل / نيسان

١٩٠١ م ص ٦٢٥ - ٦٢٨ . وقصيدة الكاشف هذه مترجمة عن

الفرنسية .

بين العزوبة والزواج قلب يمارسه التمتع "١"
ويلاه ان هوي الفتاة وفي طوائفها اعوجاج
أو راح يطلب كفا حيا هلة بها سوء انتهاج
أو ذات حسن رائح مازاقه معسسه ازواج
أو ذات مال تبتغى من بعلها فتح الرتاج
أبدا تصيح بمسرة: اما الخسوع أو الخراج
تنهى وتأمير وهي نيا عمة للطف في المزاج

على أن بين الشعراء من عبر عن رأي المرأة المعتدلة في شريك حياتها،
فمع أنه جعلها تؤثر علاقة الزواج على غيرها من العلاقات ، جعلها تؤثر
أن يتم بعد اختيار الطرفين وتوافق القلبين على الزواج الذي كان سببه
حب المال ، ذلك ماصوره نقولا رزق الله في قصيدة له بعنوان " قبل
الزواج " حين قال :

من ترى ذاك الذي يقصر بابي
قبل أن يوءن ليلسي بذهاب "٢"
أصديق زائر أم مستهيام
شقّه الوجد فأضناه التصابي
وزواج المرء أولى من فسرام
فيه معنى زلسة أو ارتياب
فالزواج اليوم لا يعقد ما لنسب
يك من بعد اختيار وانتخاب
واتحاد يجمع القلبين حتسسي
يأمننا كل نفسار وانقلاب
والهوى الثابت يولي المرء جددا
وثباتا في سبيل الاكتساب
لا رعى الله زواجا كان حبّ العال فيه سبب للاقتراب

(١) ديوان حلیم ١٣٥/١ .
(٢) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء الرابع ، ٣٠ ابريل / نيسان
١٨٩٩ م ص ١٤٥ - ١٤٨ .

وبين الزواج الموفق وغير الموفق ، يوازن عبد الرحمن شكري مبنينا
مالكل من الزوجين عند صاحبه ، فيقول :

انما عقدة الزواج عقسبال

واسار أنصم به من اسار^(١)

هو ذلك النصم لو أسلس الحذل

وساب الجحيم عند العشار

(١) ديوان عبد الرحمن شكري ، لالي الأفكار ١٢٩/٢ . وانظر
ديوان عبد الرحمن شكري ، لالي الأفكار ١٤١/٢ . حيث
عبر شكري عن النظرة الجديدة ، التي بدأت تنظر بها المرأة الى
نفسها ، فهي لا ترضى أن تكون مجرد عتار يملكه الرجل أو سلعة
يتصرف بها كما يحلوه ، وهي ترفض أن تلاقى الاهمال على يديه ،
وأن يقتلها الأس دون أن يشاركها الرجل آمالها ، والزوجة
الحدیثة ترفض منطق الزوج القاسي ، الذي يدعي أن زوجته
مجرد خادمة أو أمة عنده ، لأن المرأة تريد أن ترى نفسها ندا
للرجل ، وأن تكون العلاقة بينهما قائمة على الاحترام المتبادل
وتود أن يتبدل خوفها من الرجل أنسا به ، يقول :

ليس الجمال عقارا أنت مالكة ان الجمال جمال الله والناس
تعتمدني سلعة في ملكها رب تموتك اء ولا يد نولها الآسي

.....

وتحسب البعل مولى زوجته سفها فهل يشايح رأيي رأيك القاسي
وحاجة النفس في ند أخي كرم بجم ورفق واعزازوايناس
لا يطعم البعل منكم حب زوجته فليس يعرف فيه غير أرجاس
لا يصحب البعل منكم روح زوجته دعم الود ان بأطناب وأساس

وهذا المعنى أورده ولي الدين يكن في قصيدته بين الوحشين
الأب والزوج^(٢) انظر ديوان ولي الدين يكن ص ١٢٣ .

وهو مأوى المظلوم من حداث الذهب
ر بشؤوب ديمسه مسد رار
انما الزوج موئل حيث لاسسسو
ئل ينجي من صولة الأقدار
وهي كالنجمه المنيرة فسي جنسسو
ح دجس الخطب للشريد الساري
ولجت في الصميم من حيسه القل
ب ، وحلت بموطن الأسرار

وكذلك بين علي علي العزبي صورة العلاقة الزوجية الناجحة في
قصيدة له بعنوان " الحياة الزوجية أو نصيح الزوجين " ، فذكر أن من
دواعي ذلك احترام كل من الزوجين للعقد الذي بينهما ، وحرصهما على
بقاء الوئام واقامة المرأة في خدرها ، والتخفيف من نفقات الزواج واطهار
الود والثقة مع التعاون والرضى بمتقلبات الأحوال ، حيث يقول :

سمت والوئام على اثرها فمن خدرها والى خدرها
وسارت لمن عاقدت بينه عقودا وهي الدهر عن نثرها
.....
أته وكان الرضى مهرها وقد رخص الدر في مهرها
فما غلبوه على أمره ولا غلبوها على أمرها
وما كان يهجم في صدره لها كان يهجم في صدرها
تبرّ وتعزّو الى برّه يبرّ ويحسّزو الى برها
تروح تعضّد فسي أزره وينخدو يحضّد في أزرها
فكانت معيناً على دهره وكان نصيراً على دهرها
تواسيه حتى تريبه المنى لدى أمره ولدى أمرها
فلم يوهن اليأس من حزمه ولم يضعف الهوس من صبرها

(١) انيس الجليس ، السنة العاشرة ، الجزء الأول ، (٣١ يناير / كانون ثاني

على أن من الآباء من استبعد بالاختيار ، ولم يسمع للأبناء
أو البنات ، لحرصه على النسب أو الفنى أو الجاه ، كما رأينا في تزويج
بنت السادات ، حيث رفض الأب الزواج لعدم الكفاية في النسب ، وأيد
موقفه كثير من الشعراء ، وموقفه هذا موقفه الأغنياء الذين رفضوا أن يزوجوا
ابنهم من فقيرة أو ابنتهم لفقير ، على الرغم من تعلق الابن أو البنت ، وهو
ما تصدى له الشعراء ، وبينوا خطره كما فعل مطران في قصيدته ((الوردة
والزنبقة)) ، حيث حكى قصة فتاة حرمت من الزواج بمن تعلقت به أو تعلق
بها ، لأن أهل الأغنياء رفضوا أن يزوجوه منها ، وهي فقيرة ، فكانت
النتيجة إصابة كل منهما بداء قاتل ، وهذا قوله على لسان الفتاة :

أبانوه عني فابتلوه بقاتسسل
من الداء والداء الذي بي أقتل " ١"
فليس على قرب المزار بمائسدي
وما بي أن اسمى إليه فأفمسل
حييان سراً ساعة ثم عوقبسا
طويلا ، كذاك الدهر يسخو ويبخل

ويبدو أن قصة مطران هذه قد أعجبت خليل شهبوب ، فنظم على
منوالها قصته ((سليم وسليم)) ، حيث جعل سليمي التي تنتمي
الى أسرة غنية تحب سليما ، الذي لا يملك غير شهابه وعقله ، دون أن تلتفت
الى ما بينهما من فروق ، وجعل هو أيضا يحبها حبا عظيما ملك عليه قلبه
وتعبيره ، ودفعه الى مضاعفة الجهد ، لمروضتها باعلاء شأنه ، وودعه أن
يكون حليلها ، وكانت ممن يصدقون في وعودهم ، ويوثق بكلامهم :

أحبته ملء الصدر في مرح الصبسا
جميل المحيا فاطر اللحظ أصيدا^(١)
ولم تستشرفيه النهي أن حكمتها
يعيد لها وجهه المحبة أسودا

.....

لقد نزلت من قلبه في مكانة
ينم عليها خده متسورا
ودل على حب عظيم مثولسته
لديها حبيبا واهيا متجدا
إذا لحظتها مقلتها تهندت
وان لحظته مقلتها تهندا
تعشقها بنت السراة ولم يكسب
يضارعها عزا وجاها ومحتدا
وليس له في العمر الا شبابه
وعقل يراه في الأمور مسودا
يكد ليرضيها باعلاء شأنسته
إذا نال في الدنيا علا وسودا
ان انحط عنها في الحياة لانها
أقامت له مراقبة حب ليصمدا
وقد وعدته أن يكون حليلهسا
ولم تك ممن ليس يصدق موعدا

لكن الأمر لم يكن منوطا بها وعدها ، بل كان يتطلب موافقة
والدها الذي يرى أنه ليس من حق الأبناء أن يتصرفوا دون إذن آبائهم ،
ويرفض منطق العصر ، الذي يسمح للأبناء أن يتزوجوا من يحبون ، إذ
أنه يعد ذلك خلقا فاسدا ونقصا في الأخلاق جلسته معها المدينة الحديثة.

(١) الفجر الأول ، لخليل شيبوب ص ١١٨ - ١٢٥ .

ولاشك عنده أن الكمال حليف القديم ، وأن النقص صفة كل جديد ،
مثله في ذلك مثل كثيرين ، عدهم الشاعر جهلاء ، وذلك في قوله :

لها والد لم ينضج العلم رأسه
فما انفك في الطبع القديم مقيدا
يرى سطوة الآباء حقا مؤسسدا
تبيح على الأبناء حقا مؤيدا
ولا يفهم الدنيا الحديثة ان يسرى
تدين أهل العصر للخلق مفسدا
ولاشك في نقص الجديد وانما
يفوق كمالا للتقديم غذا سدى
وانّ أبا سلمى كثير مثالسسه
يضيقون حصرا فسي الورى وتمددا

فماذا كان موقف الهنت هل استسلمت للتقاليد التي يؤمن بها
والدها أم رفضتها ؟ لقد جعلها الشاعر تصارح أباهها بموقفها وبرغبتها
في الزواج من سليم ، على الرغم من فقره ، مادام ذا خلق عال وجسد
واجتهاد ، وجعل أباهها يزجرها وينتهرها ، لأنه كان الأخرى بها
أن تخجل من طلبها ، وسليم الفقير حامل الذكر أن لا يتعلق
بمثلها :

وجاءت أباهها مرة وشكست لسسه
غرام سليم ، وهوان طال أقصدا
وقالت له : ماضرّ لو زوجت بسسه
وما كان الا كامل الخلق أيّدا
فان يك عنهم قد تدانى مقامسسه
فمن يتزوج سيّدا كان سيّدا

ولكن أبوهما كان ضلها طباعه
وكان عليها قاسي القلب أصدا

.....

وأوسعها سبا وخلق نهاره
ظلاما بما أرغى عليها وأزيدا

.....

أتمشق بنت الشوم ثم تجيشه
ليسعفها فيمن تحب وينجدا
ولا تستحي فيما تقوله ومن لسه
مكان سليم أن يزوجهما الردي
أيجراً أن يهنوي فتاة كينتسه
ويخطب قلبا منه أسسى وأبصدا

وهنا أبدى الشاعر سخطه على الأغنياء الذين ظنوا أن الفنى في شدة
التشبث بالأحساب والحرص عليها ، مع أن الفنى - في رأيه - حريصة
القلب والعقل ، ثم تبادوا في هذا الظن ، ولقد بعضهم بعضا فيه ،
حتى توقعوا الضرر في تزويج بناتهم بمن هو أقل منهم رتبة في الفنى ،
مع أنه لا ضرر في ذلك ، ولا تقدم للقوم مالم يتجددوا في عاداتهم
يقول :

وأن الفنى حرية القلب في السورى
وما زاد عنها فالحكاية والصدا
وما ضرّ تزويج الوضيع بنفسه
أجلّ مقاما منه ان كسان أغيّدا
على أنها الأحساب أكثر ماتسرى
لتدعر أن يدنسى اليها وتتقدا
يقلد بعض الناس بعضهم وهمسلا
يعيش الذى يقضى الحياة مقلدا

ألا انها المعادات سلعة خاسر
ولن يترقى القسسوم الا تجد دا
ولن يلد العقل الكبير كبيسرة
اذا لم يجل في حومة القوم مجهدا
فتنسخ عادات وتنشأ غير هسسا
فان راج بعض أصبح البعض مكسدا

نعم زوجته سليبي - كما يقول - من رجل ينتمي الى طبقة غنية ،
تمشيا مع رغبة والدها في الحفاظ على الأحساب ، وقد ورث ثروة طائلة ،
لكنه اتخذ ثلاثا من الفواجر خليات ، وجعل من العانات مقرا له ، يقضي
فيها جلّ وقته ، ويحتسي الخمر ، ويبدد ثروته على منضدات القمار ، وقد
نصحته سليبي ، فردّها بعنف ، ولم يكف بذلك بل أصبح يقص عليها
أخبار سافاهاته وطيشه ، ويروي لها ما يجري في المقاصف ، وقليل ما كان
يمكث في بيته ، وكثيرا ما كان يخرج منه غاضبا ، مما جعل سليبي تستهون
الموت على أن تبقى في هذا الذل المقيم ، وتتنازل عما حولها من عز
وجناه ، في سبيل التخلص مما هي فيه من العذاب :

نعم زوّجوها جاهلا غير أنسسه
له ثروة طابت كما طساب مسودا
أخو بدوات في الحياة مرافقسا
ثلاثا ملاحما في الفواجر خردا
فيصرف في العانات محظم وقته
على منضدات اللعب جنحا ومفتدى
ويغرم بين الكاس والطاس صحمة
ويغرم مالا فمي القسسار مسودا
فان أخلصت سلمى له النصح ردها
ثقيلا عليها ناهيسا متمردا
يقصّ سفاهاة الأفة كهمسا
ويروي فظاعات المقاصف منشدا

ويضجر أن يأوى الى البيت ساعسة
 فيخرج غضبانما ويأتي معرصة
 فلاقت عذابا هون الموت بمفضه
 بما وردت من شرمسة الذل موردا
 وساعة تعذيب تساوي ثرا^١
 وتسي جميع الجاه والفزه والجندي

واذا كان هؤلاء قد صاروا بائنتهم الى عذاب دونه الموت بحرصهم
 على الثراء وحده ، فان آخرين قد صاروا بائنتهم الى الانتحار ،
 بحرصهم على الجاه مع الثروة ، ظانين أنهم بذلك يضمنون لبائنتهم حياة
 رغدة ، ويكسبون لأنفسهم ثروات طائلة ، متناسين أنهم حكموا على بنائهم
 بالسجن وسط القصور الشاهقة ، وتركونهم ييكن الالام الدفيئة ، كما يقول
 عزيز فهمي من قصيدة له بعنوان (الذنب ذنب الوالدين) :

وسط القصور الشاهقات اسمع بناء الفانيات ^(١)
 الناعسات الموقظات الزاميسات الفاتتات
 ييكن من ألم دفسين

قد زوجها من وزير أيامه كسندب وزور
 في الليل يرتشف الخمر لكن مضميه خطير
 والذنب ذنب الوالدين

مازوها انما في السوق بيعت كالاما
 والوالدان تساومنا والشاريسان تغمنا
 والبنت زفت للمنعون

لأن من زفت اليه عاد بعد شهر من زواجه الى سابق عهده ،
 ليمش بين أحضان الفانيات ، ويرتشف الكؤوس ، ويجلس على مفضة

(١) ديوان عزيز ، العزيز فهمي ص ١٤ - ١٦ .

القمار ، حتى خس كل ماله من ثروة ، وفقد ضياعه وقصره ، وزجَّ به في السجن ، لعدم وفائه بما عليه من ديون ، مخلِّفا وراءه الزوجة التي اشتراها بأمواله ، وطفلا لم تجد ماتقده اليه ، فحشت سدس زوجها بالرضاص ، وأطلقت على نفسها النار ، فخارت قواها ، وعجز الطب عن انقاذها ، وحمل الشاعر والديها مسئولية ما أصابها ، لأن جشمهما هو الذي دفع بها الى هذا المصير :

لعب القمار مع الجياع واللعب يرح أوضياع
خسر البيوت مع الضياع خسر الأواني والمتاع
والمالك ملك الدائنين

...
قالت : بني ، انظر السيِّ تجدن عودة من خلال
شدي جديب ما به لهن وليس لدي مال
أواه مالي من ميسين

...
أخذت سدس زوجها حشت الرصاص بنفسها
وتشجعت وحلا لها هجر الحياة فما بها
غثَّ يسر ولا ميسين

وكفقراء الجاه فقراء المال الذين تطلعموا الى الغنى ، فزوجوا بناتهم من أصحابه ، غير مباليين بالمصير الذي ينتظرون ، وهذه واحدة من ضحايا هؤلاء الآباء ، يحدثنا عنها عبد الرحمن خليفة في قصيدته " طريق المقبرة " ، انها فتاة نادرة المثال في صفاتها ، فهي حية خفيرة ، تفوقت على قريناتها بحديثها العذب وروحها المرحة ، التي ترك أثرها في أعماق النفوس ، لم تر يوما دون صواحبها في جمال المظهر ونظافة الثياب ، كانت متفوقة على زميلاتنا في الدراسة ، وكانت خطيبة كاتبة :

عرفتها في سننها المبكسرة
حييسة بين البنات خفسره (١)

(١) أبولو ، العدد الثاني ، أكتوبر / تشرين أول ١٩٣٢ م ص ١٣٧-١٣٨

حديثها العذب كذوب الشكرة
يترك في أعماق نفسي أثره
بين نواع حسان البشيرة
يمشين في سوادح وحبيرة
لم تر يوماً دونهن مقسيرة
وان تكن حال أبيهما محسيرة
لم تك في واجبهما مقصيرة
أو تك في توبيتها مؤخره
بل هي أولى فضلها المصيرة
خطيئة ان دعيت مؤثيرة
منشئة ان كتبت محسيرة
فنانة بارعنة مصورة
عازفة بنانها مقسيرة
طاهية ، ألوانها مبتكرة
وأحرزت شهادة معتيرة
ثم رأى والدها مالم تيرة

لكن أباهما على الرغم من ذلك قرر أن يزوجها لرجل ثري طمعا
فيما يملك ، وظنا منه أن هذا الزواج سيكون صفقة مريحة تعود عليه
بالنفع ، دون أن يقدر الحواقب السيئة ، التي ستجر إليها هذه الزيجة
غير المتكافئة ، وازاء اصرار والدها قبلت الفتاة مجبرة ، مع أنها
لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها ، ولم تزال ظموا بالكرة كغيرها من الأطفال
الى جانب تحولها :

زواجها من جاهل ذي ميسره
ان ظنّ فيه ربحه ومتجره
رأي فطير لم يقدر خسره
وسعد لأي قبلتسه مجبره
فاعجب لذات هيئة مصفوره
ناحلة الجسم لمسوب بالكوره

ماجاوزت في السن احدى عشرين
قد خطبت واحتجبت مستترة
وانقطعت عن درسها محثورة
ان أمهروها مائة مقنطرة
وأزوجهها من غبي نكسرة
ذي ثروة موروشة وأثورة

ان التفاوت الذي لحظه الشاعر هنا ، وعدّ البنت به في طريق
المقبرة ، هو ما ذكره من خفتها ودكائها ومهارتها وتعلمها ، بينما
الزوج جاهل غبي نكره ذو ثروة موروشة ، وليس له عمل معروف ، وقد
أشار مع ذلك الى تفاوت آخر ، هو صغر سنهما بالقياس الى سنه ، ولكنه
لم يصرح به ، ولم يقطعه في انكار الموقف ، كما اعتمده عبد العزيز
عتيق في قصيدته (شقوة الجمال أو خواطر حسنة في ساعاتها
الأخيرة) (١) ، أو كما اعتمده ايليا أبو ماضي في قوله على لسان فتاة

(١) حكى عبد العزيز عتيق قصة فتاة جميلة زين لها أهلها الزواج بشيخ
كبير ذي ثروة ، ظنا منهم أن في الثروة متنفسا لها ، وما دروا أنهم
ألقوا بها الى شيخ ذهب أفضله ، ومع رضاها بحظها وتأميلها الخير
فيه ، فوجئت بأنه صاحب قلب خليع دائم التشبيب بالفواني ، فلم
تجد بدا من الانتحار . انظر البلاغ الأسبوعي ، العدد ١٠٩ ، ص ٢٧ .

ذاك حظي وقسمتي ونصبي
آه يا قلب من عصابة شر
حسبوا القلب يطبو بنضار
فرموا بي أمام هيكل شيخ
وغرهم ماله المطاح ولكن
وضبرنا على القضاء وقلنا
فاننا الشيخ ذو فواد خليع
أقطع الليل نابغيا طويلا
وبرغمي ورغم ما أتمنى
فعلو الحسن أدمي وتحبيبي
غدغوني بكل قول خلوب
انما القلب يطبو بحبيب
أعمل الدهر فيه بالتخريب
ليس ذو المال كالنسيب الحبيب
رب شيخ فتى قلب أريب
وانا الشيخ دائم التشبيب
بين دمع وبين صمت رهيب
سألتي المنون بالترحيب

زوجت من شيخ طاعن ، تنعى على عصرها حب الطمع وعلى أهلها تفريطهم
بها ، وأخذهم المال بدلا منها ، فانطق هذه الضحية بما تعاني فسي
سخرية لاذعة ، فقد أرغمت الفتاة من قبل ذويها على الاقتران برجل طاعن في
السن ، يظنه الناظر اليه اذا حاذى زوجته أبا لها ، وبعد ما بينهما من
الزمن ، حيث عبر الشاعر عن رغبة الفواني بالاقتران من شباب يماثلونهم
في الحيوية والصبا ، ونعى على الأهل تفريطهم بهذا الجمال ، الذي
يسومونه كما تسام الثلعة ، ولو قدّر الأهل ما تقاسيه بناتهم من ألم ،
وما يلاقى صباهن من ازدراء ، لعدلوا عن ضلالهم ، ولكن حبّ الذهب
أعماه عن رؤية الحقيقة ، يقول ايليا أبو ماضي :

لي يعمل ظنّه الناس أبسي
صدّقونسي انه غير أبسي "١"
زغوا أن الفواني لعسب
انما اللعبة طبعسا للصبي
وأنا مازلت في شرح الصبسا
فلماذا قرط الأهلسون بي ؟
لي قدّ وجمال يسزدي
ذاك بالخصين وذا بالكوكب
أخذوا الديتارمني بسدلا
أترانسي سلمسة للعكسب ؟
لا ، ولكن راعهم عصر بسنه
ساد في الفتيسات حب الذهب

وهذا محمد الأسمر يعد زواج الفتاة بالشيخ ماتما في شكل
عرس ، ويصا بخسا لا زواجا ، وذلك في قوله :

(١) ديوان أبي ماضي ، دار العودة ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

مازفان الفتاة للشيخ الا

ماتم هيئسوه في شكل عرس "١"
ضل من زوجوا الفتاة بشيخ
أي ليل ضموا لاية شمس
ان بيع الفتاة للشيخ بالما
ل على وفره لبيصة بخس

وقد ألف " محمد فريد عين شوكة " مسرحية شعرية بعنوان " سعاد " أجري في آخر مشهد من الفصل الثالث حوارا بين الفتاة وعمها ووالدها - بعد شكوى لعمها من والدها الذي حاول تزويجها لشيخ طاعن ، ووجد من العم بانقاذها من هذه الزيجة ، وقد دارت أحداث هذا المشهد في بيت الوالد ، عندما زاره أخوه الكبير ، وبعد أن شربا القهوة معا ، أخذوا يتحدثان في موضوع هذه الزيجة ، وأطن الأخ الأكبر أنه غير راض عن أخيه ، لأنه لم يستمع الى صوت الحقل في موافقته على زواج سعاد من اختاره لها ، ولأنه اغتر بما لديه من أموال ، وفض النظر عن كبر سنه ، ولأنه ذكر أنها راضية ، والواقع أنها غير راضية :

عم سعاد لأخيه :

ألا انني غير راض عليك ولست أراك شقيقا لييه "٢"
والد سعاد : لماذا
عمها : لأنك لم تستمع
وغرك ماترتجي من غنسي
الى الرشدا في حكمتي الهادية
فأوقمت بنتك في الهاويصة
والدها : تهيل أخي وأبن ماتريد :

(١) ديوان الأسمر ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .
(٢) أبولو ، العدد السادس ، فبراير / شباط ١٩٣٣ م ص ٦٨٤ - ٦٨٧

عمها :
لقد جئت مرة زائرا
وقلت : أتاني يرجو (سما
وماكان الا مسنا قضي
وقد ضمضتته حياة السقا
فرجل الى القبر مدودة
خيال كأسطورة الهازليين
وقلت بأنك شا ورثها
ولو صح أن الرض كالأبنا
وخادعتني بأرق الحديث
فقد جاءت البنت تشكو الي
ولو أنصفت محضتك المحقوق

اذن سأجيبك عما بيته
ونفسك جذلانة هانيه
د) غني ومن أسرة راقيه
زمان الفتوة والعافيه
م وكانت على نفسه قاضيه
وأخرى تمد الى الهاويه
أو الطيف من حفرة خاليه
فكانت بمخيلته راضيه
فذاك رض مهجة آبيه
ك ، ولكنها خدعة واهيه
اعتسافك في لوحة ياكيه
وثارت على روحك الطاغيه

والدها (في دهشة) ، أحقا تقول

عمها : وهل افتـرى عليك؟ وهل ذاك من شأنه ؟

والدها : كذلك حالي ؟

عمها : (في تهكم) : أتحسب يجدي عليك خداعك لي ثانيه ؟

وينادي العم سعاد ، ليسمح رأيها أمام والدها ، ولكنها تصمت

خشية غضبه ، ولكن عمها يشجعها على الكلام ،

أدلي برأيك في مصيرك واطمي أن ليس في قول الصراحة عار

سعاد : ماذا أقول وأنتما أدري بها فيه لنفسي ذللة ووار

ويحاول والدها أن يقتحمها بصواب اختياره ، ومالخطيبها من مزايا ،

فهو سيد وقور ، ومن أغنياء المالكين ، وعيشه رغد ، ولهذا كله ينصحها

أن ترضى به ،

أسعاد مهلا ؟ ذاططيك سيد

من أغنياء المالكين ، وعيشه

فارضي بحكمي ، انني لك ناصح

واصفي لرأيي ليس فيه ضرار

ويسأل عمها والدةها ، ماذا تقول ؟
والدها (في عنف) : أقبول مهادنا
لا بد أن ترضي بمن أختار

* أتكون أمرة وتلك بنيتي ؟

وتحاول أخت سعاد أن تتدخل الى جانب والدها ، وتمتدح سمعاد
لعدم استحابتها لرغبة والدها ، وتتهمها بأنها لم تراع لوالدها حرمة ،
ولم تكن مؤدبة في حديثها معه ، وأنها باصرارها على رفض هذه الزيجة ،
أخطأت خطأ كبيرا ، وزلت بها القدم ، تقول مخاطبة سعاد :

أسعاد انك لم تراعي حرمة
لأبيك أو تهدي التأديب في الجدل
وعصيته فيما أراد وما ارتضى
ولو أنه لك خادم لسم يحتمل
حقا لقد أخطأت كل خطيئة
ووقعت فيما قد وقعت من الزلل

ولكن سعاد ترفض منطق أختها ولا ترى في موقفها هذا ما يدل على
خطأ أو عصيان ، وإنما تحاول بذلك أن تدافع عن حقها في الحياة ، وفي
اختيار شريك حياتها ، تقول :

أنا لست مخطئة ولست عصية
بل ذاك حقي في الحياة ونظرتي
ويثور الأب عندما يسمع رأي سعاد ، ويصيح بأعلى صوته : بل
أنت غاشمة .

ولكن عمها يمسك بوالدها ويحنقه ويترجمه بالحق ،

عمها : لاتعجلن بالسفسط
ان الحمق شمس بليسة
أشفق على هذي الفتاة فانهمسنا
في القول لم تخطي * ولم تتمعت

بل حقها ثروى ، ولأنك بصحتها
بيع السوائم ، دون أئمة رغبة

ولكن والدها يصر على موقفه ، ويعد رفض سعاد لهذه الزيجة غير
منطقي ، لأنه قائم على العاطفة ، وهكذا استطاع " محمد فريد عيىن
شوكه " فى هذا المشهد أن يعبء عن رأيه ، وأن يتخذ موقفا واضحا
من وواج الفتاة بالرجل الطاعن فى السن ، فهو ينهى على الآباء حشمتهم
وتعصبهم لآرائهم ، منتهيا الى أن للفتاة الحق فى رفض رأبى والدها ،
إذا كان هذا الاختيار ضد مصلحتها .

وهذا يعنى أن المسرحية الشعرية والقصة الشعرية ، قد اتخذتا
بعض موضوعا تهنا من قضايا الزواج ، التى أصبحت تثور جدلا عنيفا بين
فئات المجتمع المختلفة .

— ٥ —

وإذا كان من ذكرنا قد خصوا الآباء باللوم على هذا الزواج غير
المتكافى ، فان آخرين قد لاموا هؤلاء الشيوخ المتصابين ، فهذا شوقى
يتناول الموضوع ، فىنكر على الشيخ ندى السبعين سفاهة رأيه وصغر همته
وغايته عين يكتم شبيهه ، ويحاول الزواج مرة أخرى من بكر ، تكون سببا فى
شغله عن بر أهله وأولاده ، وعن التوبة الى الله قهل المعات ، لقد بذل المال
لوالديها ، حتى قبلوا ، وليتهم ما قبلوا ، لأنهم بهذا دفعوا ابنتهم
لأشأم مضجع ، بل باعوها بالمال ، وطازوجوها ، ما داموا لم يراعوا الكفاة
بين الزوجين فى السن ، وهى أهم كفاة فى رأبى شوقى ، حيث يقول :

من كل ندى سبعين يكتم شبيسه
والشيب فى فؤاده ضوء نهار " ١ "

يأبى له في الشيب غير سفاهسة
قلب صغير المم والأوطار
ماحلّه عطف ولا رفسسق ولا
برّ بأهل ، أو هوى لديار
كم ناهد في اللاعات صفيصرة
ألته عن حفيد بمصر صغار
مهاغدا أوراخ في جولا تسنه
دفعته خاطبسة الى سمسار
شغل المشايخ بالمتاب ، وشغله
بتعدل الأ زواج والأصهار
في كلّ عام همّه في طفلة
كالشمس ، ان خطبت فلأقار
يرشو عليها الوالدين ثلاثسة
لم أدر أيهم الخليل الضاري
المال حلل غير كلّ محلسل
حتى زواج الشيب بالأبكار

وحمل شوقي الأم القسط الأكبر من المسؤولية ، لأنها بقولها هذا
الزواج ، دفعت بابنتها الى أشأم مصير ، فان تحللت بالشرع كذبها في
ذلك ، لأن شرع الله لا يجيز الظلم ، وأن الذي حدث لم يكن زواجا ،
وانما هو بيع للصبا بالمال ، مما جعل شوقي يعيل الى اعتبار هذا
الزواج أقرب الى الزنا والاسترقاق :

دفعت بنيتها لأشأم مضجسج
ورصت بها في غريسة واسار
وتحللت بالشرع ، قلت : كذبتسه
ماكان شرع الله بالجزار
مازوجت تلك الفتاة ، وانمسا
بيح انصبا والحسن بالدينار

بعض الزواج مذموم ، ما بالزنىسا
والرق ان قيسا به من عمار
فتشت لم أر في الزواج كفساة
كفساة الأزواج في الأعمار

وهذا أحد محرم في قصيدة من قصائده ، يسوق قصة رجل متقدم في السن ، تعلق بفتاة سلبت له ، وافقدته القدرة على السداد في التفكير ، حتى اختلط الأمر عليه ، ولم يجد قادرا على التمييز بين السقيم والصحيح ، فأصبح يقابل تحية أبنائه بالازدراء ، وييدي سأمه من تصرفاتهم ، وكلما حاولت زوجته الأولى أن تعرف سر تصرفاته ، لعلمها تخفف عنه ، انهال عليها بالضرب ، ولولا أن أبنائها كانوا يحولون بينهما ، لأصبحت حطاما ، ولم يهدأ له بال ، حتى تزوج من كانت في سن بنيه ، دون أن يفكر في العدل بين زوجتيه :

صبا ربّ البنين الى فتاة	سنته اللب والرأي السليما ^١
فأصبح أمره أعين عليه	فما يدري صحيفا أم سقيما
يحويه البنون فيزدريهم	ويلوي عنهم وجها سووما
وتسأل أمهم ماذا دهاه	فيحسبها جننت زنا عطيما
فيضربها ، فيدركها بنوها	فلولا دم غدت عظما رميما
تزوجها فلم يعدل فأمسى	رهينا في حالتها مقيما

وقد جعل علي الجندی من شخصية الشيخ المتصابي مادة طريفة لاحدى قصائده ، فطالبه وأمثاله أن يكفوا عن ملاحقة الحسان ، وقد بلغوا أرذل العمر ، ان الأولى بهم وقد شارفوا على الموت أن يصونوا شيخوختهم عن هذا العبث ، لأن من يخطب ودد الملاح ، لا بد أن يكون في صفة الصبا وملاحه الشباب ، فان الشمس لا تحب وصالها لغير اليدر ، حيث يقول :

(١) ديوان محرم ، مطبعة الجريدة بمصر ، الطبعة الأولى ،

يا أيها الشيخ السدي
مالي أراك على الحسا
ياخاطبا ودّ المهسا
ان الملاح مهورهنّ
هيئات أن تحبو الشمو
أولى به سكنى القيسور^١
ن تحوم مشبوب الزفير ؟
والرأس يخمسه القثير
ملاحمة وصبا غريسر
س وصلها غير السدور

وكما هاجم علي الجندي الشيخ المتصايفي ، وجّهه محمود عماد نقسده
اللائع للنساء اللواتي ذوى صباهن .^٢

(١) الحان الأصيل ، لعلي الجندي ص ٣٤٥ - ٣٤٨ .

(٢) انظر ديوان عماد ، لمحمود عماد ص ٧٠ - ٧٥ .

حذر محمود عماد المجائز اللواتي يحاولن أن يفظين آثار
الكبر باستعمال الخضاب والطلاء ، كوسيلة للخداع من أجل
أن ييقن قادرات على لفت الأنظار ، وقد نصح الشاعر هذه
الفئة من النساء أن تتقبل وضعها ، وأن تستبدل هذا
الضلال بالوقار والحشمة والتجمل بالصمت ، وذلك في قوله :

واريت شبيك بالخضاب
ورفوت جلدك بالطلاء
ضلتهم بظلام شعير
هذا ختسام أن يسئو
فتقبله في وقسا
وتجمل بالصمت فهسو
ب ، فما خضابك للسقام ؟
فما طلاءك للعظام ؟
ك ، فاعتدوا بعد الظلام
ك ، فانه عقيم لكزام
ر مستحسب واحتشام
معبر شمل الكلام

ولم يقف الشعراء عند حد مهاجمة زواج المسنين بالأبكار ، لأنه
جناية على المرأة ، بل تعدى الأمر إلى اظهار سخطهم على فكرة
تعدد الزوجات ، التي عدّها قاسم أمين من الحوادث القديمة ، حيث
لا تكون في الأمة الا عندما تكون المرأة منحلة الشأن - على حد زعمه -
وتقلّ أو تزول عندما تكون حالها مرتقية^١ .

ويبدو أن آراء قاسم هذه وجدت آذانا صاغية لدى بعض الشعراء ،
ومنهم اسماعيل صبري باشا ، الذي ذمّ التعدد ، ورأى أن العدل بين
الضرتين غير ممكن ، وأن الذي يقدم على ذلك ، إنما يلقي بنفسه إلى
الهاوية ، يقول :

يامن تزوّج باثنتين ألا اتشد

ألقيت نفسك في الهاوية^٢

ما العدل بين الضرتين بممكن

لو كنت تعدل ما أخذت الثانية

كذلك عاب شوقي فكرة التعدد ، لأنه لم يجد لدى أكثر من عدد ووا
سبها مقنعا ، بل وجد انتقاصا منهم لزوجاتهم اللواتي شاطرنهم حياة
الشباب ، وبذلن ما استطعن في سبيل اسعادهم ، وولدن لهم البنين
والبنات مع المحافظة على الأعراض ، فكان جزاؤهن عندهم ، أن يأتوا
لهن بالضرائر :

يتزوجون على نساء تحتهم
لا صاحبات يفي ولا بشرار^٣

(١) تحرير المرأة ، قاسم أمين ص ١٥١ - ١٥٣ ، ١٥٧ .

(٢) ديوان اسماعيل صبري باشا ص ١٤٤ .

(٣) الشوقيات (١/ ١٢٩ - ١٣٠) . وراجع قصيدة محمد عثمان جلال

((الشيخ الذي تزوج مرتين)) في ديوانه العميون اليواظف في
الأمثال والحكم والمواعظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مطبعة
دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٧٨ - ص ١٥٨ . حيث سخر
جلال من يتزوج باثنتين ، لأنها ستعيلان حياته إلى جهيم لا يطاق .

شاطرنهم نعم الصبا وسقينهم دهرها بكأس للسور عفار
الوالدات بنيمهم وبناتهمهم الحائطات الحرض كالأسوار
الصابرات لضرة ومضرة المحييات الليل بالأنكار

وكما عاب شوقي المتزوج على امرأته ، عاب المزوجة التي تنتقل
من زوج الى آخر ، فقد نظم مسرحيته الشعرية (الست هدى) فسي
عجوز متصابية ثرية ، كلما ذهب عنها زوج اقتربت بآخر ، وقد طمعت
في مالهم - كما طمعوا في مالها - وكان الظفر لها ، لأنها ورثتهم
جميعا واحدا بعد واحد ، مما جعلها مضفة على الالسة ، فلما سمعت
بما يقولون أخذت تدافع عن نفسها ، بأنها ليست السبب في موتهم ، وبأنها
أنفقت على زيجاتها من مالها ، يقول شوقي على لسانها :

يقولون في أمري الكثير وشغلهم

حديث زواجي أو حديث طلاقني (١)

يقولون : اني قد تزوجت تسعة

واني واريست التراب رفاقي

وما أنا عزيل ، وليس بمالهم

تزوجت ، لكن كان ذاك بمالسي

وتلك فد اد بني الثلاثون كصا

تولى رجال جثفتني برجال

فما أكثر عشاقسي

وما أكثر خدائسي

ولولا المال ماجأوا

أزلاء السن باهسي

(١) الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث ، لمحمود حامد شوكت ،
مطبعة عابدين ، مطبع الطبع والنشر دار الفكر العربي ، الطبعة
الثالثة ، ١٩٢٠ م ص ١٤٥ وما بعدها . وانظر مسرحيات شوقي
لمحمد مندور ، مكتبة النهضة المصرية ومطبعتها ، دار النهضة
للطباعة ، الطبعة الثالثة ص ١٠٥ - ١٠٩ . مسرحية الست هدى ،
لأحمد شوقي ، مطابع دار الكاتب العربي - بيروت ، الناشر المكتبة
التجارية الكبرى ، ص ١٤ .

ثم مضت تحتج لزوجاتها مبينة عيوب كل واحد من أزواجها ، ومعترفة
بغايبتها من الزواج بكل واحد منهم في أسلوب ساخر ، وقد وصفت زوجها
الرابع ، بأنه كان أدبيا على غير ما تنهوى في الرجال ، فقد اختارته بمسند
أن زينوه في عينيها ، لكنها اكتشفت فيه رجلا ضائعا ، يقدو وييسر
على الصحف ، فيكتب مرة في " اللواء " وأخرى في " المؤيد " دون أن
يجني أية فائدة ، ومع ذلك كان كثير المباهاة بعمله :

ولست أنسى زوجي الرابع لأننا كان ولا شافعا ١
قالوا : أديب لم يروا مثله ولقبوه الكاتب البارعا
قد زينوه لي فاخترتني ما اخترت الا عاطلا ضائعا
رائح أكثر الزوا ن على الصحف مفتدى
يكتب اليوم في " اللوا " وغدا في " المؤيد " ن
ليله أو نهـاره فارغ الجيب واليد
ويعجبني عند المباهاة قوله : بنيت فلانا أو هدمت فلانا
وقد يصبح المبني أوضع منزلا وقد يصبح المهدم أرفع شأننا

وهكذا تستمر في تبرير كل زيجة من زيجاتها ، وتعدد عيوب كل واحد
من أزواجها ، والمتأمل في هذه الملهة يلاحظ أن شوقيا أبدى استياءه
من تصرفات بعض نساء عصره ، اللواتي اتخذن من أموالهن وسيلة لاصطياد
الأزواج .

ومن الموضوعات التي جذبت الشعراء ، وتناولوها (فساد الحياة
الزوجية) ، وذلك عندما يهجر الزوج زوجته التي قضى وطره منها ،
أو تجذبه الحانات عنها ، وعندما تخدر الزوجة أو تجذبها المظاهر ،

(١) الست هدى ، لأحمد شوقي ، ص ١٦ - ١٧ .

ومن ذلك قصيدة لعبد الرحمن شكري بعنوان " الزوجة المهجورة تعالج
السحر " ، وصف فيها امرأة تحاول أن تستعيد زوجها الذي هجرها بممارسة
السحر ، وذكر ما تشعر به من وحشة في ظلمة الليل ، حيث امتلأت عينها
بالشرر ، وتقرح جفناها لكثرة ما ذرفت من دموع ، ودون أن تجد من تشكو
إليه خلاعة زوجها وتهتكه غير النجوم ، وكان زهداً فيها سبياً لشكواها ، فبعد
أن كان يبكي رغبة في وصالها ، صار يبكي في وجهها كراهية لها ،
وقد فركها قلبه بعد أن اصطادها بنظراته الفاترة :

أيها الليل أفض من ظلمة تشعل النار بجفن ساهر " ١ "

(١) ديوان عبد الرحمن شكري ، لالي* الأفكار ١٥٦/٢ - ١٥٧ . ومثل
قصيدة عبد الرحمن شكري هذه ، قصيدة لعبد العزيز عطية بعنوان
" البائسة " التي حكى فيها قصة فتاة قادها الحظ إلى الاقتران برجل
غرها منه ما أبدى من مروءة وكبرياء ، حتى إذا وثقت به ، واتخذها
زوجة له ، وقضى منها وطره ، ونال بخيته ، وأبدى لها العيوس ،
وحبسها في بيت مظلم ، وأحال حياتها جحيماً لا يطاق ، مما
جعلها تتمنى أن تعود إلى حياتها السابقة ، حيث يقول :

غرها منه كبرة أوقعتهمسا	في شباك الردى تذوق العذابا
ونما الحب طفرة فتاهت	في هواها وأوشكت أن تيبلا
دخلت دارها تريد المقامسا	بعدها هيئت وباتت عروسا
ورأتها يحنو لها اعظامسا	بعد أن كان جامحا وشموسا
ظل يبدى السرور حتى إذا ما	نال منها المرام أمسى عيوسا
ساقها نحو حجرة أدخلها	في ظلام الدجا تحاكي القبابا
وتداعت أحلامها وذوى عودها ، واضمحل جسمها لكثرة ما سامها من الذل والخسف ، حتى بدت لها الحياة هوانا ، وصدمت أحلامها في الزواج ، فبعد أن كانت تظن الزواج نعمة ، وجدتته نقمة ، ولم يقف الأمر بالزوج عند هذا الحد ، بل ضاعف أحزانها ، بعد أن باع ما تملك من حلي ومتاع ، وأصبح ينظر إليها نظرة استخفاف ، يريد بذلك أن ينهي ما بينهما من علاقة زوجية ، فأحست أن الخطوب مقبلة عليها ، مما جعلها تهكي شبابها :	

وتداعت وأسقطت من ذراها	وغدا الجسم ذابوا مضمحلا
سميت الخسف واستبيح حملا	ورأت في الحياة هونا وذلا
ظنت الزوج منحة منحتها	فراته بعد الزواج عقابا

ونشرت مجلة الفتح قصيدة بعنوان : ((زوجة تشكو)) ، حيث وصف الشاعر فيها حال الزوج الطائش ، الذي يحاول أن يفالط الناس حين يظهر أمامهم بمظهر الرجل الكريم ، ولكنه لم يستطع أن يخفي حقيقته أمام زوجته ، بعد أن أمعن في الخلاعة والفجور ، وصار للراقصات عليه سلطان صين ، حتى سلبته من زوجته وأبنائه ؛

عنا تحاول أن تعدّ من الرجال الأكرمين^١
عنا تفالط من يراك بعين نقاد أمين
أولست قد أوغلت سرا في الخلاعة والمجون
فاخترت بنت الحان في كاساتها صبت خدين
وغدا لبعض الراقصات عليك سلطان ميسن
قد سيرتك كما تشاء بكيدها وهو المتسين

==
ورأت دارها وقد دخلتها
ضعف الزوج حزنها فتجافى
ورأتها يرنو لها استخفافا
فتردت في غمرة أفقدتها
تشبه القفر البياب خرابا
بعد ما باع حليها والمتاعا
ولأصل الزواج يفي اقتلاعا
في دجى الليل عقلها والصوابا

وهذا يعني أن الحب لم يكن هو الدافع إلى الزواج ، وإنما اتخذته وسيلة للإيقاع بمن وهبته ثقتها ، ولم يقف به الأمر عند حد ، بل انسه بعد أن قضى منها مأربه ، أراد أن يجرد لها من كل ما تملك ، وعاملها بقسوة ، حتى تضطر إلى الخلاص منه وتترك له كل ما لديها ، وقد رفض الشاعر مثل هذا السلوك ، لأنه يرى أن رباط الزوجية يجب أن يسمو به الناس عن الأطماع المادية ، وألا ينظروا إليه نذرة شهوانية فقط .

انظر السياسة الأسبوعية ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٤ ، ٨ نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٣٠ م ، ص ٢٣ .
(١) الفتح ، السنة العاشرة ، العدد ٤٦٦ ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ص ١٩ ، ولم تنسب المجلة هذه القصيدة لشاعر بعينه . وراجع في معنى هذه القصيدة قصيدة أخرى لمحمد اليزم بعنوان (الأسيره) تناول فيها نفس الموضوع ، فدعا الزوج إلى ضرورة رعاية حقوق زوجته والوفاء لها ، وعدم قضاء الوقت في الحانات وبين الراقصات .
==

وينعي الشاعر على هذا النوع من الأزواج سعيه وراء الخلاعة فيسي
العائنات ، وملاحقته الراقصات مع اهماله لزوجته التي ضانت عرضها ، ورعت
أبناءها ، وحاولت أن تعوضهم بحنانها وعطفها ، عما افتقدوه من عطف
أبيهم ، فكانت تقضي نهارها مشغولة بأعمال البيت والأطفال ، وتقضي ليلها
ساهرة حزينة نادية حظها عند هذا الزوج ، الذي قابل متاعها ووفاءها
بالخيانة ، ثم تتساءل عن أباح له هذا ، وكيف يرفع رأسه بعد كسل
ما فعله :

وهناك عقر الدار فيه ربة العرض المصبون
من حولها الأطفال بين بكاء وضحك يلعبون
كل يحاول أن ينال منسأه مسن أم حسنون
فوصيهم من عطفها أضاف ما يستوهمون
هي في انشغال بالنهار ، وبالخشية في شجون
تلقي الجزاء على المتاعب والوفا زوجا خفسون
من ذا أباح لك انطلاقك في سبيل المسرفيين ؟
أيهكون هذا منك ، ثم تعيش مرفوح الجهميين ؟

وقد أجاد الشاعر أيما اجادة في التحبير عن مشاعر المرأة ، التي
يستلها الدهر بزوج لا يقدر الروابط الأسرية حق قدرها ، فمهما عظمت
المصائب فان خسارة القرين هي أعظم رزء تصاب به المرأة ، وعلى الرغم مما
تعانیه الزوجة من مرارة لا تزال تكن لزوجها الحنين والا خلاص ، وترجو ليه
السعادة والخير ، وتناشده ان كانت لديه بقية من رحمة أن يعود الي
ما كانت تمهده فيه من الخلق ، وتذكره بأن العودة الي طريق الحق
خير من التماذي في الباطل :

==
عاهدتها فوفت ، وفرحت محاولا
غادرتها نضو الجوى بينه الهوى
خاصرت راقصة المجامع سادرا
وجملت همك كل خود مومسس
اعنائها ، فتمنعت في اصرها
تشكو النوى متلذذا في حصرها
والصهر يقطر سائلا من حصرها
وتركتها ترب الأسي في قصرها

للدهر أرزاء ، ففنها مايجل ومايمسسون
لكن رزئي فيك رزء فوق نسدب النادبيسن
ان الخسار اذا تقام كان خسيران القريسن
ان كنت تعرف ما تكن الزوج لحوك من حنيسن
أو كنت تعلم أنها لك من كسار المخلصين
ترجو لك الخيرات والاسعاد حينما بعد حيسن
فارجع الى الخلق الذي عرفتك صاحبه سنين
وانكر بأن الخير كل الخير في دنيا وديسن
أن تستقيم على الطريقة في صفوف المصلحين

هكذا كان الرجل سبب فساد الحياة الزوجية عندما تفسد نفسه ،
ويتطلع الى غير حليلته ، وكذلك كانت الزوجة اذا غدوت وفسدت طباعها ،
وقد صور عبد الرحمن شكرى صدر الزوجة في قصة شعرية يصل عدد أبياتها
الى ثمانين بيتا بعنوان " الزوجة الخادرة " ، بدأها بسوءال من صديق
الى بطل القصة عن سبب زهده في وصل الخواني ، فكان السبب - كما
قال - أنه تعلق بفتاة أصابت قلبه ، كما أصاب قلبها ، حتى حدثت
موعد الاقترانها ، ولكنه فوجي بأخيه يطرق بابها بلمهفة ، ليبلغه أن " أسماء "
لا تحبه ، وأن عليه أن يستقبل هذه الفائزة بحزم وجلد ، وأنه - أي
أخاه - يريد الزواج منها ، لاعتقاده أنها روحه التي يعيش بها ، ومأواه
الذي يلجأ اليه عندما يشتد عليه الدهر ، ومجناه من موت محقق ، وازاء هذا
الحب الجارف الذي يكنه أخوه لأسماء ، طالها أن تقبل على أخيها ،
وأن تمنحه حبا طهورا ، وأعلمها أنه تخلص من أسر حستها ، ونفض عنه
غبار حبتها ، يقول :

كنت في صحة من الميش دهسرا

أتعنى زبادة المستزيد " ١ "

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى ١٨٠/٢ - ١٨٤٠ . وانظر أيضا قصيدة
عبد الرحمن شكرى " قبلة الزوجة الخائفة " ١٥٩/٢

فألاحت لي الخطوب لحيفسي
بفتاة كفيفة المستجيد^١
ولجت في الصميم مني ونالست
مايشاء الهوى بدل غرير
وتأدى بصي الغرور فيا لهست
ففي على نشوة الهوى والغرور
عنت موعدا فبت أناجيس
به السى أن دعا نذير الوفود
فأذا طارقي أخني صنو نفسي
ونصيري على المعنى وعقيدتي
جاء يسعى سعي اللهيف ويهتسز
اهتزاز المحسوم والمقرور
قال والدمع مل عينيه واللحس
ظ شريد في اثر دمع شريد
ان أسماء لا تحبك فاستقب
بل بحزم فواقصر المقصور^٢
هي روعي التي أعيش بهما وهست
بي الذي به وهو عودي
.....
قلت والدمع كاشف ما أد اريسته
وصوتي صوت القسوي الجليد
فاستبيني "أسماء" رأينا رجيسا
وأعيني أخني بحب طهور
واعلمي أنني خلصت خلصت السس
حر من أسر حسنةك المعبود

(١) الأبح بالشئ : أشار به .

(٢) الفواقير : المصائب التي تقصم الظهر .

فماذا كان موقف أسماء ؟ سددت اليه نظرة كالسهم أصابت قلبه ،
ثم قالت والدموع تنهلّ على خديها متلاحقة كقطرات المطر : هل تحسبان
العروس أمة تشتري من السوق بصر المال ؟ ثم هتفت قائلة : ماذا
سيجني أخوك من زواجه بفتاة لا تكن له غير النفور ؟ وازاء ذلك انسحب
الأخ راجيا منه أن يقبله من عشاقه وأن يخفر له ذنبه ، الذي لا يدل على
غير اللوم والحسد ، وأعلن أنه من السفاهة أن يروم من لا ترغب فيه ، فعقد
قرانه عليها ، وتوثقت عرى المحبة بينه وبين زوجته ، وساد الاستقرار والنعيم
حياتهما :

فرمتني بلحظة هي كالسهم
م اذا ما استوى بقلب الصيد
ثم قالت والدموع يطرد السند
مع على خدها طمراد المغير:
تحسبان العروس مثل امساء ال
سوق تشرى بصره من نقود
أى شي يجني أخوك اذا ز
وج من لا تقويه غير النفور^(١)
فدعاني أخي ، وقال : أظنني
ان ذنبي ذنب اللئيم الحسود
وعقدنا عقد الزواج وثيقا
ونحننا بيومسه المشكور

وتمرّ الأيام ويجي أخوه زائرا ، فيستقبله بالترحيب والبشاشة ، ويفيض
عليه من كرم الميث ، لكنّ خادمه يسرّ اليه أن زوجته وأخاه قد عادا الي
حبهما من جديد ، وتماقدا أن يدسا له السم ، وأن الزوجة لم تعد
قادرة على مغالبة الحب ، الذي ثار في نفسها لأخي زوجها :

(١) تقريه : تعطيه .

رَبَّةَ الْبَيْتِ فِي يَدَيْهَا سِقْمَاءَ الْ
سَمِّ وَالضَّيْسُفِ خَلْفَهَا كَالْعَقِيدِ
قَالَتْ أَهْدَأُ دَعْنِي أَبُوفَ لِسْمِ السِّ
مِّ وَأَبْنِي غَفْرَانَ رَبِّ غَفُورٍ^١
قَدْ أَتَانِي هَوَاكَ فِي فِلسَةِ عَدَمِ
كَ ، فَلَمْ يَفْتَقِدْ لَهُ مَجْلُودِي
أَنْتَ رُوحِي الَّتِي أَعِيشُ بِهَا فَاسَدِ
تَبَقِ رُوحِي مَحْضِي وَكُنْ لِي أَمِيرِي

وعندما تأكد الزوج مما سمعه من الخادم ، وعلم أنها سينفذان ما اتفقا عليه أبدى تجاهله وقرر في نفسه أمرا ، وانتظر حتى وضع الطعام على المائدة ، وأفرغت له زوجته السم في الكأس ، ثم غافلها بأن أفرغ كوبه في كوبها ، دون أن تدري بما فعله ، فنامت نومتها الأبدية ،

نحن حول الخوان ننتظر الطعم
وهي قد أفرغت لي السم في كؤي
ثم غافلتها وأفرغت كؤي
ثم نلنا من الطعام بلاغيا
ثم جاء اليوم الجديد فنامت
زوجي الرود نومة المقبور

والظاهر أن المدنية الحديثة قد هيأت المرأة لكثير من ألوان الفساد والخيانة ، لأننا نلتقي بنخيل صورة شعرية في ذلك عند عدد من الشعراء ، وهذا أبو شادي في قصيدته " الزوجة الطائشة " يحيب على المرأة جموحها ، وطيشها وحبها للمظاهر الخادعة وسيطرة حب المال والسلطان على نفسها ، حتى جفت زوجها ، وعسيت في وجهه ونقضت حياته ، وخرجت إلى الملاهي غير ملقبة بالا لما يبذله في سبيل اسعادها ، وكان باستطاعتها أن تصون نعيمه ، وأن تسعد وتسعد له لو كانت عاقلة ، يقول أبو شادي :

ماذا دهى ذاك الغرام فلم تحسبه
أزهاره تحييه أو تحيييك^(١)
وطلبت مانثر "العمر" وان يكسبن
أولى بابقاء لعهد بنيك
وهدمته بينا هو الساعي لمسنا
بينك أو يفنيك أو يهنيك
.....
وبخلت بالبسات فهمي عزيزة
لفتاك ، وهي رخيصة لذويك
فإذا العبوس أرق ما يحظى بسسه
أكذا يكون جزاء من يفديك
يشقى سعيدا في سبيلك ناظرا
لسعادة الأعلام من ماضيك
.....
فإذا الحقيقة مرة وأليمة
من يحسب العميان ما يهديك
ولكم هجرت المنزل الباكسي السوي
ملهي ويترك مثل عرش مليك
وتخذت عذرك للفساد زينة
لأبيك حتى ضاع رشد أبيك
أوصت كل شكايه وعرضتمنا
لتنفص الزوج الذي يحميك
فيظل محروما من النعمي ومسسن
سلوى الحياة لعامل منهوك
لو كنت عاقلة لصنت نعيمه
بجناتك العاطسوع والمطسوك

(١) الشفق الباكسي ، لأحمد زكي أبو شادي ص ١٢٧ - ١٣١ .

لكن الشعراء الذين صوروا ذلك ، ونفروا منه وعابوه لم يخفوا
اعجابهم بالمرأة التي ترضون عرضها ، وتضمن به أن يبتذل ، وعدوا
ذلك فضيلة للمرأة ، خصوصا بعد أن ساءت أخلاق كثير من النساء والرجال ،
لما أتيح للمرأة والرجل أن يلتقيا معا في الميادين العامة والطرقات والسهرات
المختلطة ، فقد أشاد بعض الشعراء بالنساء اللواتي حافظن على
طهارتهن ، ومن ذلك قصيدة (آية الحفاف) لاسماعيل صبري باشا ،
التي وصف فيها امرأة كانت تعيش مع زوجها في راحة واستقرار ، فحاول
أحد ضعاف النفوس أن يستدرجها ، ولكنها رفضت أن تحادثه ، أو تستجيب
لرغبته ، فاحتال على زوجها حتى وثق صلته به ، وأصبح يزوره في بيته ،
ثم حاول أن يمتدي على عرضه أثناء غيابه ، وهدد زوجته بالقتل ان لم
تستجب له ، فاحتالت عليه ، بأنها تريد أن تنم طفلها ، ثم عادت اليه ،
وهي تحمل في يدها مسدس زوجها ، وأعلمته أنها ترفض أن تلوث عرضها ،
وتخون زوجها ، فلما رآته مصرا على ارتكاب حماقته ، مزقت أحشاه ببرصاصة
أطلقتها عليه ، فأردته قتيلًا :

وافى اللئيم لسلب عرض صد يقسسسه
ولسلب عرض المرء شرّ بلاء (١)
وافى وقال الوغد هيت لك أن عسسسي
اني أتيت لرئيسة وخلاء
فتأملت عن رده برجائسسسه
لرجوعه عن ذاك خير رجاء
فاستلّ مديته وقال بجفسسوة
وخشونسة ووقاحسة وجفلاء

(١) النحسان ، السنة الأولى ، العدد الحادي عشر ، ٢ ديسمبر / كانون
أول ١٩٢٥ م ص ٦-٧ .

ان لم تجيبي ما أردت فانصي
أقضي عليك بطمئة نجلاء
.....
ورجته تضي كي تنوم طفلها
في غرفة أخسرى بحسن دها
ونجت به وعرضها وتلفست
بعد النجاة تلتف الصمصمدا
حملت له نار القضاء وأقبلت
وعيونها كالجمرة الحمراء
جاءت وفي يدها سدس زوجها
وحشته سهم منية وقضا

وانا كانت هذه الزوجة قد استطاعت أن تنتصر لعرضها ، وتنقم
لشرفها بقتل المعتدي ، فان امرأة أخرى قتلت نفسها ، لتجو بشرفها ،
كما صور مختار الوكيل في قصة له بعنوان ((الدخيل المعتدي)) ،
حيث أتى فيها على حكاية فتاة أراد بعض الدغلاء أن يعتدي عليها في عقر
دارها ، فلم تجد وسيلة للتخلص من العار ، سوى أن تقتل نفسها بخنجر ،
مفضلة الموت على أن تمكنه من نفسها :

أمسكت احسان بالخنجر وارتاحت اليه " ١)
وضعت بين نهديها وقد مالت عليه
هتفت والموت قد قرب منها ملكيسه
مرحبا بالموت صينت روعة المجد لديسه

ويبدو أن الأمر لم يعد مقصورا على اختصاب الأعراض بالقوة ، بل ان
فريقا من ضميري النفوس حاول أن يستغل سداجة الفتيات وساطة تفكيرهن
من أجل اشباع رغباته الدنيئة ، وذلك بعد أن زحف تأثير الحضارة الغربية
الى عقول الفتيات ، وصدّقن دعاوى الداعين الى ضرورة توثيق عرى المحبة

(١) أبولو ، العدد التاسع ، مايو/ أيار ١٩٣٤ م ص ٨٤٢ - ٨٤٥ .

بين الشاب والفتاة قبل الزواج ، وشحميق فهم كل منهما للآخر تشبهها
بالفريسين ، مما أدى الى وقوع بعض الفتيات فريسة سهلة في أيدي شباب
لا يهمهم غير اشباع رغباتهم بأية طريقة ممكنة ، ومن ذلك قصيدة للشاعر
" محمد برهام " بعنوان " العتحة " حكي فيها ماجرى لفتاة كانت
تعيش حياة طهر في ظل أسرتها ، حتى أعجب بها فتى خسيس الطبع ،
فراح ينصب شراكه حولها ، مدعيا أنها سحرته ، وأنه يريد أن يتخذها
زوجا له ، حتى سلّمت اليه زمام أمرها ، فلما نال منها بغيته ناصبها
العداء ، وتخلّى عنها ، فلم تجد أمامها وسيلة تفصل بها العار الذي
لحقها سوى النيل :

أسى يبادلها زور الكلام طسسى
زم الزواج فأقواها وأغراها^١
ألت اليه زمام القلب وانخدعت
حتى اذا انتمت ألقه غلاها
فيا شراة نذب مارأى حنسىلا
حتى انتقى وهو فاد من ضحاياها
تري أيسم أنات لمعولسىسة
وتلك شهوته للنفس أداها
خلت الي نفسها تشكو ظلامتها
لما رأات خدنها بالأس عادها
طافت بها الذكريات السود فاندفعت
للنيل تفسل من عار خطاياها

(١) صحيفة دار العلوم ، العدد الرابع ، إبريل / نيسان ١٩٣٥ م ،
ص ٥٤ - ٥٦ ، وراجع قصيدة " صفقة خاسرة " لخليل مطران
ديوان الخليل (١/١٢٦ - ١٢٧) ، وانظر قصيدة " الجنين الشهيد "
لخليل مطران أيضا (١/٢٢٣ - ٢٤٥) .

على أن الشعراء المحدثين الذين عالجوا المشاكل الاجتماعية التي تواجهها المرأة في حياتها قبل الزواج وأثناءه ، لم يخضوا أبصارهم عما تلاقيه المرأة من عناء وآلام عند ما يصاب أحد أبنائها بمرض أو عاهة ، فصوروا جزعها عليه " ١ " ، ووصفوا جزع المرأة عند ما يتوفى عنها زوجها " ٢ " ، وتتوفى

(١) انظر قصيدة " ولدى " لجليله رضا في ديوانها اللحن الباكي ، دار مصر للطباعة ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ص ٤٦ . حيث وصفت ماتعانيه من حرقة وألم وجزع ، وصورت حياها للبقاء على قيد الحياة من أجل أن تظل الى جانبه ترعاه ، وذلك في قولها :

بني فديت بالصر القصير فخذ ماشئت من عهد السرور
لقد حكم الاله عليك حكما ومالك غير ربك من نصير
ومالك يابني بما نـراه ولم ترهيف زيف أو غرور
فرب صنيعة فتت عيوننا وأقبلنا عليها بالصـدور
بني جعلتني أهوى بقائسي فغشت لفصنك الغض النضير
وجرعني الزمان كوس هم وضح علي بالصيش القـرير
ولكني سقيتك ماء قلبي وجددت عليك بالحب الوفير

(٢) انظر ديوان أحلام النخيل ، لعبد العزيز عتيق ، دار مصر للطباعة ، مكتبة مصر ص ٢٣٩ - ٢٤٣ . نظم الشاعر قصيدة بعنوان " غرفة الأجران " صور فيها أرطاة مات عنها زوجها ، وقد جلس أطفالها السبعة الأيتام حولها ليلة العيد في غرفتهم العابسة ، وهم يسألونها متى سيمود والدهم ، ويرجونها أن تطلق سراخهم صبيحة العيد ، حتى يشاركوا الأولاد فرحتهم ، يقول :

سبعة خيم الشقاء عليهم فتراهم مما بهم في انزوا
وجثوا حول أمهم وهي تخفي عنهم دمحا بطرف السراد
كلما ضج بالبشائر طفلس خارج الكوخ أجهمشوا بالبكا
ثم صاحوا بأهم أطلقينا بعض وقت في زمره السعد
يالسها صيحة تمزق منها قلب أم لم تستطع أن تحببا
كتب اليتم والشقاء عليهم وسواهم يقضي الحياة طروبا
شهد الله لا يبينون الا أو شك القلب منهم أن يذوبا

تاركة وراءها أبناءها "١" ، فأفردوا القصائد التي تعالج آلام النساء بمسند
الشكل ، فقد صور خليل مطران مشاعر أيم حزينة فقدت زوجها ، ولم تجسد
غير النجوم تبثها أحزانها ، وتجعلها شريكة لها في مصابها ، بمسند أن
أفقرت حياتها من أليفها ، وتناثرت أمانياتها ، ولم يبق لها غير الدموع ،
لقد كانت هذه المرأة غافلة عما يدبر لها الدهر ، فلم تكن تعرف للحياة
غير طعم السرور والفها الى جانبها ، فلما افتقدته أظلمت الدنيا في عينيها ،
يقول مطران :

طال ليلي والثريا في سهيسا د
وكلا لنا في ظلام وحساد "٢"
ايه يا أختي في الوحشة هسل
لك الف مثل من أبكيه مات ؟
فتناثرت ولم يبق الأسي
منك الالهجات ذاكيات
كنت لا أعلم والالف مسي
غير أني في سعد ونميم
كنت أنظرك في جنح د جسي
لا أرى فيك سوى د ر وسيم

== ويبدو أن بعض الشعراء قد تعاطفوا مع هؤلاء النسوة اللواتي فقدن
أزواجهن ، فبرروا علمهن بالبنفاء على أنه ضرورة د ففتن لها الحاجة ،
والفقر ، ومن هؤلاء الشعراء طانيوس عهد ، وانظر قصيدته " الريال
الزائف " في ديوانه ص ٤١ ، وانظر ديوان الغلابيني ص ٢٠١ -
٢٠٦ . وقد تعاطف مع فتاة باعت عرضها ، بحجة تقديم الطعام
لأخوانها الذين مات عنهم الأبوان ، وذلك في قصيدته " لأجل الرغيف
أو احدى بلايا الحرب العامه " ، وذلك في قوله :

الفقر أسقمني ، والجوع أنحلني واخوة لي صفار خطبهم عزم

قد بيعت نفسي لأحيي صبية هلكت وأحرق لها من قلبه شيم
تيا لمن يشتري عرضا بدرهمه عن الدنية ، تعلق نورها الظلم

(١) انظر ديوان حمام للشاعر محمد مصطفى حمام ، المهيق المصرية العاممة
للكتاب ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٤ م ، ص ٧٥ ، وانظر قصيدته " من وحسي
عيد الأم " على لسان أب يخاطب أبناءه ، ويذكرهم بأهم المتوفاة .

(٢) ديوان خليل ١٨٤/٢ - ١٨٥

وكانت ورده اليازجي اسبق من خليل مطران في التعبير عن المصيبة التي تحلّ بالمرأة عند فقد زوجها ، لأنها عاشت هذه التجربة ، ورأت أن الزوج بالنسبة الى المرأة انسان العين ، والأليف في الشدة والرخاء ، والنصير في النوائب ، اذا فقدته أصبحت مهيمّة الجفاح ، وذلك في قولها ترثي زوجها :

سلبتني العيون انسان عيني
ورفيقي وهدتي وعميادي^١
يا أليفي في شدتي ورخائسي
ونصيري في الغائبات الشداد
كيف غادرتني بقلب جريسيح
يتلظى في مثل جمر القتياد
شئت الدهر شملنا وافترقسنا
وكذا الدهر مولس بالمنساد
فسأبيك ما حبيت السى أن
نلتقي في جوار ربّ العباد

وعند ما نعيد النظر في الشعر الذي تناول قضية العلاقات الزوجية ، نجد أنه حاول أن يواكب التحولات التي طرأت على الحياة الاجتماعية في العصر الحديث ، فتمرّض بعض الشعراء لحادة " الدوطة " ، التي كان لها تأثير سلبي على الزواج مع أن الأسباب التي أدت الى انتشارها في أوروبا لم تكن قائمة في مصر ، وإنما انتشرت لعجود الرغبة في التقليد ، واستنكر الشعراء تصرفات بعض الشباب ، الذين أرادوا أن يتخذوا من زواجهم وسيلة للاثراء ، أو الوصول الى الجاه والمجد عن طريق مراهة أسرع النسب . كما هاجم آخرون المادات التي تحول بين الشاب أو الشابة وبين الاختيار ، ورأوا أن الفنى والفقر يجب ألا يحولا بين الشاب والزواج ممن يرتضيها لنفسه أو ترتضيه لنفسها .

وعبر الشعراء عن سخطهم على الأثنياء وذوي المناصب ، الذين يتخذون من ثروتهم الطائلة أو مناصبهم الرفيعة وسيلة لاصطياد الفتيات الصغيرات ذوات الجمال ، واللواتي ينتهين إلى أسر فقيرة ، مع كبر سنهم وعجزهم عن القيام بواجب الزوجية ، وأبدوا احتقارهم للأباء الذين يتخذون من بناتهم وسيلة للفن والثروة .

وطالب الشعراء في قصائدهم الزوجات بمراعاة التقاليد ، وهاجم بعض الشعراء الرجال الذين يحدون المرأة وسيلة للمتعة ، حتى إذا قضوا منها مآربهم أهملوها ، فوصفوا أخلاقهم بالدناءة ، ودعا بعضهم الرجال أن ينظروا إلى المرأة على أنها مساوية لهم وأهل لتقديرهم ، وأنها تستحق منهم ألا ينظروا إليها نظرتهم إلى سلعة .

وأظهر شعراء آخرون سخطهم على الرجال الذين أخذوا بنظام تعدد الزوجات ، واتهموهم بخيانة زوجاتهم اللواتي شاركنهم مر الحياة وحلوها ، وأنهم يقدمون على هذا الأمر من أجل إشباع شهواتهم ، ولكن الشعراء الذين انتقدوا هذه العادة كانوا منساقين وراء عواطفهم ، ومتأثرين بسوء استفلال بعض الرجال للتعدد ، ونسوا أنه لا يمكن أن يكون شراً كله ، وأنه على سوءه - حسب زعمهم - يعصم الرجل عن الزنى ، ويبعدو أنهم بموقفهم هذا كانوا متأثرين بالتقاليد الخربية ، التي تستهجن التعدد ولا تجهيزه .

وتناولوا قضية الخيانات الزوجية من قبل الزوجين ، وعدّها من أهم العوامل التي تعمل على تقويض الأسر ، ولكنهم لم يشيروا إلى أن التساهل في الاختلاط بين الحنسين وطفیان الحياة المادية وسوء التربية وعدم تطبيق الحدود الشرعية ، هي التي تسوي غالباً إلى قيام علاقات غير شرعية بين كل من الرجل والمرأة ، وناقش شعراء آخرون مسألة الاعتداء على الأعراض ، وتناشوا أن خروج المرأة من بيتها على غير هدى ، وسهولة احتكاكها بالرجال في الميادين والطرقات والمقننات وغيرها يعرضها للفتنة والخديعة .

ولعلنا بعد ذلك نستطيع القول أن الشعراء فيما كتبوا من شعر ، وعالجوا من قضايا تتعلق بالعلاقات الزوجية يمثلون اتجاهات متعددة ، فبعضهم تأثر بالفكر الغربي وصدروا عنه ، خصوصا النصارى منهم ، وبعضهم صدر عن دينه وأخلاق أمته ، وحاول فريق ثالث أن يوفق بين التقاليد الموروثة وبين ما قدمته الحضارة الغربية من عادات لم تكن معروفة .

الفصل الخامس

القيمة الانسانية للمرأة عند الشعراء المحدثين في مصر

— ١ —

عرضنا في القبول السابقة أهم القضايا التي تمس حياة المرأة في العصر الحديث ، وحاولنا مع ذلك أن نبين وجهات نظر الشعراء المختلفة منها ، فرأينا مواقف تتراوح بين المحارضة والتأييد ، حيث وقف بعضهم موقف المدافع عن الحجاب ، وهداه رمزا للفضيلة وحاكلا دون اختلاط النساء بالرجال ، بينما دعا آخرون الى تعزيقه ، لأنه يبقى على عزلة المرأة ، ويسد في وجهها فرص الحياة الكريمة - على حد زعمهم - ولا حظنا أن المعركة بين الطرفين تمثل معركة بين التقاليد الموروثة والتقاليد المستوردة ، فمثلا عندما أثرت قضية تعليم المرأة ، اتفق الفريقان على ضرورة تعليمها ، وأنه حق لا يمترض عليه عاقل ، ولكن الفريق الأول أصر على أن يكون التعليم مرتبطا بالقيم الدينية والخلقية للمجتمع المصري ، وبطبيعة المرأة التي ستكون أما وزوجة ، بينما دعا الفريق الثاني الى تعليمها من أجل اعدادها للعمل في جميع ميادين الحياة العامة ، وكانت النتيجة أن تركت منزلها وخرجت لتقوم ببعض الوظائف والأعمال التي أسندت اليها .

لكن ذلك لم يبلغ الدور الرئيسي الذي أسندته الحياة الى المرأة بحكم فطرتها ، وظل كثير من الشعراء يذكرها بهذا الدور في مناسبات عديدة ، فأشادوا بها أما وزوجة ، ورأوا أن أثرها على الرجل ليس مقصورا على مدة محددة من حياته ، بل ان هذا الأثر يبدأ منذ ولادته ، ويستمر حتى وفاته ، فهي التي تملأ عليه حياته بأموتها ، عندما يكون

طفلا ، لا يعرف من حوله غيرها ، ثم تملك عليه قلبه ووجدانه عندما
يعمل اليها باحثا عن نصفه الآخر ، وفي مرحلة الثالثة يجعل منها زوجته التي
تشاركه حياته ، فينجب منها كي يكون أبا ، وقد صرّ مصطفى صادق الرافعي
عن هذه العلاقة الوثيقة والدائمة بين المرأة والرجل في قصيدة له بعنوان
" الشعر والحسان " :

الطفل أول ما يفكر في التسي

هي أمه حتى يشب ويكسرا "١"

وتراه يفكر بعد ذلك في التسي

هي قلبه حتى يحب ويشعرا

ويظل يفكر بعد ذلك في التسي

هي زوجه حتى يزيد ويكثرا

ويعود يفكر بعد ذلك في التسي

هي روحه حتى يموت ويقبـرا

يا هذه حسب النساء فهن أو

ل من رأى رجل وآخر من يرى

كذلك صرّ عبد الرحمن شكري عن الهامها للرجل في فنه وتمزيتهما

له في أساه ، حين قال من قصيدته " حواء الخالدة " :

أنت يامن ألفت بين الفئسوس

وهي لولا ماجنت منك ظنون "٢"

دوحة الفن التي تحبب السورى

بجناها من قطوف القاطيسن

(١) فتاة الشرق ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ / يونيو /

حزيران ١٩٠٨ م ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٢) ديوان عبد الرحمن شكري ص ٦٥١ - ٦٥٢ .

كنت أما كنت أختا كنت زوجنا

كنت في البومس عزاء البائسين
فعلى صدرك بيكسي همطسسه
وأساه موجع القلب حزيبين
كم نفوس وقلوب بسطسست
لك ما تضرع في ماضي السنين

ومثل شكري في ذلك محمد طاهر الجبلوي الذي عدّ المرأة رسول
الجمال ومعلمته ، بما صبغت عليه من حنان ولطف ، فلولاها لأصبحت
قلوب الرجال كالصخور ، ولقدت نفوسهم قفرا ودهورهم غابا ، وطلت الرغيم
من ذلك لم ينصفوها ، بل تركوها تسبح في دموعها ، وتعاني البومس في
حياتها ، مع أن مرآها يثير البهجة في القلوب والضمير :

يارسول الجمال في كسسل أرض
أرشدينا اذا ضللنا السبيل^(١)
علمينا معنى الجمال ، فانسنا
ما عرفنا لولاك شيئا جميلا
صاغك الله من حنان ولطيف
فهبينا مما رزقت قلبنا
يا حياة القلوب ، من لم يلقهن
منك درس الحياة عاش جهولا
لا تزال القلوب كالصخر حتمسسى
تلعننها تطفئها وقبوسولا
أى نفس لولاك لم تك قفسسرا
أى دار لولاك لم تك غيمسلا

(١) ديوان ملتقى العبرات ، لمحمد طاهر الجبلوي ، مطبعة الشعراتي

نعم الناس منك في هذه الدنيا
ولكن ما أنصفوك فتيها
أنت يابنهجة العيون ومرعى القلب
تسمين للدموع مستهيا
أنت يازينة الحياة وأنس الدهر
تسمين للعنقاء ليسهيا
أنت أنشودة السعادة والسيها
من أغني بها الطي ترثيهيا

والظاهر أن المحدثين - على هذا - كانوا أقدر على تعبير العلاقة الزوجية ، لأنهم من خلال قصائد الرثاء التي رثوا بها زوجاتهم ، صوروا ما يتركه رحيل الزوجة من أسى ، وما يخلفه من فراغ ، فقد رثوا في الزوجة شريكة الحياة وأم الأبناء ، والمحمية على نوائب الدهر ، ولهذا عدوا موتها مصيبة مشتركة بين الزوج والأبناء ، حتى أن الزوج يشارك الأطفال فقد همهم لهم ، وربما كان صالح مجدى تلميذ رفاعه الطميطاوي من أوائل الشعراء المحدثين الذين أتوا على هذه المعاني في رثائه لزوجته ، حين صور المصيبة التي مني بها ، والدمار الذي حلّ ببيته بحد رحيل زوجته عنه ، يقول :

أعاش ، لولا أنني لعجيبك
وليّ وأخشى أن يضيع سفاها " ١"
لشيّع نعشي قبل نعشك صيارم
يلغ نفسي سولها ومناها
أعاش ، لو تفدى ببعل حليلسة
لكان لنفسي في الفداء رضاها
أأطمع في الدنيا ولست محي بهمسا ؟
وأنت لعيني نورها وضياها

أعاش ، أمي حين ماتت ثخرتست
ديار أبي قبل انقضاء عزاها
وعاش قليلا بعدها بمن أهلها
عليلا حليف الحزن ثم تلاها

وكان محمود سامي البارودي من الشعراء الذين أبانوا عن دور المرأة
في حياة زوجها وأسررتها ، فقد ورد اليه نحي زوجته وهو منفي بسرندي بسبب
(سيلان) ، وكان قد خلفها مع بناتها الأربعة في مصر ، فكان موتها فجيمة
عظيمة مني بها ، فوثاها بمسابقة صادقة وقلب معزق ، مما جعل النقاد
يعدّون قصيدته في رثاء زوجته من عيون قصائد الرثاء في العصر الحديث ،
يقول :

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يسدي
تقوى على ردّ الحبيب الفادي^(١)
يادهر فيم فجمعتي بحليسة ؟
كانت خلاصة عذتي وعتيادي
ان كنت لم ترحم ضنای لبعدها
أفلا رحمت من الأسي أولا دي
أفردتني فلم ينمن توجسسا
قرحى اليحيون رواجف الأكباد

.....

بيكن من وله فسراق حفيسة
كانت لمن كثرة الاسماء
أسلية القمرين أبي فجمسة
حلت لفقد أي بين هذا النادي
أعزز عليّ بأن أراك رهينة
في جوف أغبر قاتم الاسداد

وكشف الحملأوي في رثائه لزوجته ، عما تعانیه الزوجات من آلام
أثناء الحمل والولادة ، وتمنى لو أنها كانت عقيماً فسلمت من الموت ، لأن
موتها أفقده طعم الحياة الحلوة ، وأحال بهاءها إلى ظلمات :

ان يك الوضع والمغاض سقاها
كأس حتف فربّ عقم مسلّم^(١)
ان عيشي بقربها كان حلوا
وفدا الآن مثل صاب وعلقم
وكان حالي وحالتي في بهاء
وأرى الآن أن ذاك تصمّم

على أن من الشعراء من لم يكثف بقصيدة أو قصائد في رثاء زوجته ،
بل وصل الأمر ببعضهم أن رثى زوجته بدويان كامل ، ومن هؤلاء عليز
أباظه ، الذي كان أول شاعر عربي في العصر الحديث يخصص ديواناً
بأكمله ، لوصف ما كان بينه وبين زوجته من مودة ومحبة ، منذ عرفها وفكر في
خطبتها ، حتى آخر لحظة من حياتها ، وهذا يعني أن الديوان - مع كونه

(١) ديوان الشاعر احمد بن محمد الحملأوي ، تصحيح مصطفى السقا ،
الطبعة الأولى ١٣٧٦ - ١٩٥٧ م ، ٢٢٦/١ . وراجع قصيدة احمد
شوقي في وصف ما عانته زوجته من آلام الوضع ٩٧/٤ . وانظر قصيدة
حفني ناصف التي وصف فيها ما تركه الأم من فراغ بعد موتها (شعر حفني
ناصر جمع مجد الدين حفني ناصف ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م -
ص ٦٨ - ٦٩ . وراجع رثاء اسماعيل عبري أبو اميه لزوجته ، ص
١٥٦ - ١٥٧ . تحقيق محمد القصاص وآخرون ، المؤسسة المصرية
العامة للتأليف والنشر . وراجع قصيدة " رثاء زوجتي " ل احمد زكي
أبو شادي في ديوانه من السماء ص ٨٩ - ٩٤ .

في الرثاء - تصوير للحياة الزوجية في أرفع صورها وأجلها ، ومن هذا الجانب نستطيع القول ان عزيز أباظة استطاع بديوانه أن يرسم صورة مثالية للحياة الزوجية ، حيث أبرز في ديوانه دور المرأة زوجة تشارك الرجل حياته وأفكاره وآماله وهمومه ، ووضفها أما تحنو على أبنائها وترعاهم ، فكان ديوان "أناث حائرة" مثلاً فريداً من نوعه في الشعر الحديث ، فقد ضم أكثر من ثلاثين قصيدة ومقطوعة تدور جميعها حول غرض واحد ، وهو الرثاء لمن كانت أنسه وربة بيته وأم بنيته ، حتى ليصح أن نقول : ان الصربية لم تصرف لشعرائها هذا المنحى في رثاء الحلائل وبكاء الأحبة الا عند عزيز أباظة ، الذي لم يرق في فقيدته زوجة فقط ، بل رأى فيها هبيرة تكاد تغنيه عن الماء والزاد ، وموثلاً يجد عنده الأمن والرعاية والرأي الهادي في غمرة الأحداث ، لكن الزمان غلبه على أمره واختطفها منه ، يقول عزيز :

فقدتها خلة للنفس كافيصة

تكاذ تغني غناء الماء والسيار (١)

وموثلاً أجد الأمن الكريم بسه

إذا تعاورنسي باليفي حسادي

تحنو علي وترعاني وتيسطلي

في غمرة الرأي رأي الناصح الهادي

مال الزمان بئنا لما أحيط بهنا

في ساعة لا فدى يغني ولا فساد ي

.....

يا أختي ذي الرنونو الموشي من عمري

وعدل نفسي من الدنيا وأولادي

قد نقت بمدك يتماً حز في كبدي

وزاقه في ربيع العمر أكبادي

(١) ديوان أناث حائرة ، لعزيز أباظة ، الطبعة الثالثة ص ١٣ - ١٤ .

ان عذا اليتم الذي ذاقه أولاده خاصة ، يذكره باللحظات الأخيرة من حياة زوجته ، وقد تهاوت بين يديه ترجوه أن يرعى الأطفال بعد موتها ، وأن يبقى على محبته ورعايته لهم ، فيقول :

وأشارت لطفلة تشهد الهول

بقلب دام وجفن غريق^١

قالت : ارع الأولاد ، وابق كما كنت

شال الأب المحب الرفيق

أما يتمه هو ، فلأنه فقد ملاذنه الدائم وصديقه الذي لا يتنكر له حين فقدها ، ومن ثم راح يسأل في أسى : لماذا خلّفته وراءها يصطلي عذاب الفراق ؟ فمن الذي سيوارى مافيه من نقص ، بعد أن كانت تحاول اصلاح نقصه بحزمها الرفيق ؟ ومن يسرّي عنه اذا اعترته الهوم وأسقامت جسمه ؟ ومن يحرص على مدايته الى الطريق القويم اذا ضلّ ؟ ومن السذّي سيحفز همته ، ويمينه على تخلي اليأس ، ويدفعه الى طريق اليقين ؟ ومن سينا جي من النار اذا ألمّت به ضائقة ، أو ريع صدره بخطب ؟ هذه تساؤلات يطرحها الشاعر على نفسه ، فلا يجد جوابا ، يقول :

يا ملاذي اذا افتقدت ملاذي

وصديقي اذا تجنّى صديقي^٢

كيف خلّفتني وقد كنت روحيا

وسلاها أصلى عذاب الحريق ؟

من يوارى نقصي ويعمل ما استطأ

ع على حسه بحزم رفيق ؟

من يسرّي عني اذا شقني الهيم

ويشفي نفسي ويهدي طريقني ؟

(١) المرجع نفسه ص ٣٠

(٢) المرجع نفسه ص ٣١

وأرى وجهه الصبيح فألفسي

في تقاسيمه سنى التوفيق

من يقيني مضارع اليأس بالتشجيع

يزجيه في يقين عميق ؟

من اليه نجواي ان ربيع صدري

بلم من الخطوب محيق ؟

وفي قصيدة له عنوان " ذكريات " يحاول عزيز أباطه أن يستذكر

حياته مع زوجته في كل مكان وكل حين ، ويذكرها عند كل أمر عظيم ويسير ، فهي

لا تفارق روحه ، وأنه ليراها بخياله ، في روعة شبابها سائلة أمامه ، يقول :

ذكريك عند كل جليل أمر

وكلّ يسره فيكيت نفسي^١

إذا سكب الصباح فأنت همي

وان سكن المساء فأنت أنسي

.....

دعاك الله ما فارقت روحني

وان فارقت بعض الوقت حسني

أراك كما رأيتك يوم كنا

على حرم الصبا نضحني ونسي

وعندما توضع مائدة الطعام ، ويجتمع حولها أبناؤه ، لتناول

طعامهم مساءً أو نهارة ، ويرى مقعداً خالياً ، لا يملك نفسه من البكاء ،

ومما يزيد فؤاده ألماً ويفرجه ، أنه ينظر حوله ، فلا يجد غير أطفال حيارى

نكبوا بموت أمهم ، يقول :

تذكرني بك الصور التوالسي

فينشطر الفؤاد بها انشطاراً^٢

(١) المرجع نفسه ص ٣٢ - ٣٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٣ .

إذا قننا لئلا نسا
وان قننا لئلا نهيارا
يطالعنا مكانك وهو خيال
فتبتدر الدموع لها ابتعدارا
وما يغري فؤاد أب حزين
كأطفال له نكبوا صفارا
نأت كالشمس أمهمو فأمسوا
- وان كنت الحفي بهم - حيارى

على أنه لم يغفل الجانب الروحي في حياتها ، بل استطاع فسي
قصائد . متعددة أن يرسم لزوجته صورة وضيئة تمثلت فيها الفضيلة ، والحرص
على تأدية الشعائر الدينية ، كحرصها على فريضة الحج التي ذكر حوارها
معه بشأنها في قوله :

وذكرت عزك غير وانيسة والعزم لم يعطل من الأجر^١
فجملت أستأنيك معتنذرا بموه رث من العذر
لم أنس قولك جد عاتبة في أدمع تنهل كالقطر
هيني انتظرت لقابل أتري يطوي الزمان لقابل عمري

ثم يذكر هذه الرغبة أثناء زيارته يثرب ، فتمنى لو أنه كان أجابها ،
لأنها دعتة الى تأدية فريضة الحج أول مرة فلم يجيبها ، وعندما رجته ثانية ،
ولم تجد لديه رغبة عاتبة ، وكان عتابها بكا^٢ ، فوعدها أن يحجا في السنة
التالية ، فتهللت أساريرها ، لكن الموت لم يمهلها ، يقول من قصيدة له
بمنوان " من وحي يثرب " :

ذكرت التي كانت تمنى لو أنها

تناهت الى روض الرسول ركابها^٢

(١) المرجع نفسه ص ٥٤ .

(٢) المرجع نفسه ص (٧١) .

دعتني فلم أطلب ، وثنت فلم أجب
فكان بكاء القانتات عتابها^١
وقلت لها في قابل فتهللت
فما إن دنا حتى دعانا نهابها
وددت بعيني لو أجبت طلايبها
وكان يسيرا أن يجاب طلايبها

- ٣ -

وتبع عبد الرحمن صدقي عزيزا ، فنظم هو الآخر ديوانا في رثاء
زوجته على اثر وفاتها ، هو ديوانه " من وحي المرأة " الذي صور فيه
قصة ذلك الحب العميق الذي ربط بين قلبه وقلب جارته الفتاة الايطالية ،
التي كانت تستعير الكتب منه ، والتي أصبحت زوجته فيما بعد ، فكانا يقرآن
معا ، ويجلسان الى الطبيعة معا ، ويتطلعان الى الحياة في اشراق ، وفجأة
تمرغ الزوجة ، ثم ينقطع خيط الحياة ، وينظر صدقي فاذا هو قد سلب
أعز ما كان له في حياته ، فتضطرب نفسه وتهتز ، وتبدو الحياة في نظره شيحا
مخيفا ، فتنفجر عسا طفته في شعر حزين مكوم ، يتدفق على لسانه تدفق
السيل ، حيث كتب أكثر قصائد الديوان خلال مدة وجيزة ، بعد أن كان
قد انقطع عن نظم الشعر سنوات طويلة ، يقول : () وهذه القصائد نظمت
جميعها تقريبا في شهر واحد على أثر الوفاة ، فهي الحصاد المشثوم لشهر
وبعض شهر ، واني لا أدري كيف نظمت ، وكيف كان النظم على هذه السرعة ،
وأنا لست من أهلها ، ولكن الذي أدريه أنني ليس لي فيها شيء ، وانها هي
لصاحبيتها ، فهي التي حفزتني منذ حين الى التوفر على اخراج ما أخرجت
من كتب ، وهي الآن التي تلي علي ما أنظم من قصيد بعد أن انقطعت

(١) لم أطلب : لم أجب طلبها .

عن قوله سنوات وسنوات . . . وأخيرا يكتب لي أن أعود اليه ، وأن يكون
العود غير أحمد . . . (١) .

ولكنه كان عودا أحمد في الحقيقة عندما صار بنا الى ظاهرة جديدة
تسجل في الأدب العربي للمرة الثانية ، وذلك ملاحظه العقاد حين
قال : (. . .) ان الزوجة شريكة الحياة تمثلت في شمرنا المعصرى تمثالا
واضحا بليغا صادق المدلول ، لأننا قرأنا في سنوات مقاربات ديوانين
كاملين في رثاء الزوجة الفقيدة . . . (٢) .

وصف عبد الرحمن صدقي حياته قبل الزواج ، فذكر أنه كان ميالا
الى الضحك ، وقلبه في ظلام داس ، لانه كان يجاوز مرحلة الشباب الى
وعن الكبر ، حتى منحه الله زوجة طيبة ، أصبحت مهجة نفسه وأنسها ،
فاستساغ قلبه الهوى ، وعاش حياة راضية معها ، مما جعله يشكر ربّه
على التوفيق ، الذي حالفه في زواجه ، ولكنه ماكاد يطمئن الى هذا الزواج ،
ويقطع بعرض ثمراته ، حتى يادره سهم الموت فأردى زوجته ، وهدم ما بنى
من أحلام وآمال ، يقول :

ضحوكا وفي القلب تقطيعا

تفوق ظلام الدجى في العكس^٣

وكدت أجاوز شرخ الصبا

وتدركني وهنئة من كبر

فسقت الى مهجتي أخستها

كعهدك من حيث لا ينتظر

فمالي وقد صار لي مؤسس

كغيري من عرض هذا البشر

وأشعر قلبي الهوى والرضى

وغصّ خيالي بأحلى الصور

(١) من وحي المرأة ، لعبد الرحمن صدقي ، الدار القومية للطباعة والنشر

ص ٦٠ ، من رسالة لعبد الرحمن صدقي بعث بها الى عزيز أباظه .

(٢) من وحي المرأة ص ١٢٩

(٣) المرجع نفسه ص ١٣ - ١٤ .

ويت على الشكر مستكفيا
وهق المزيد لعبد شكر
بيادر سهم الردى زوجتي
وتهدم بيتي عوادي الغيـر

وعندما بكى عبد الرحمن صدقي زوجته ، كان يبكي فيها نفسه ،
وما آل إليه أمره بعد موتها ، فهو يعد السنوات الأربعة التي قضاها
معها حلما ، ويتمنى لو أن عشرته لها طالت ، لأنها صنو نفسه ، الذي
لا نظير له عنده ، حيث لم تظهر نقيمتها على أبي نقص لديه ، ولم ينقم عليها
أى خلة سيئة ، فقد توحدت مشاعرهما ، حتى أصبحت عمومهما واحدة
وتفكيرهما واحدا ، وما زاد في ألم الشاعر أنه لم يكن يطلب من زوجته
المتعة المحدودة ، بل انه كان يحس بجانبها اللذة الفنية التي سمت بهما ،
فقد كانت رفيقه الذي يبادل له الشعور ، ويعنى معه بالدراسة ، ويشاركه
متعة الفهم ، فلم تترك فراغا في حياته ، الى أنها نظمتها بعطفها وحنانها
وعقلها ، فارتضى منها ذلك كله ، وشعر أنها عوضته عما عانى من الحرمان
في السنوات التي سبقت اقترانه بها ، لكن هذه الحياة المنظمة المفعمة بالحيوية
والتفكير والفهم المشترك لم تدم الا لحظات ، لأن الدهر هدم كل ما بناه ،
وعفى على آثاره ، يقول :

كان لي في أخريات ال	عمر بيت فعدمته "١"
سنوات أربعم ؟ أم	كان ذا حلما حلمته
ليته طال ، ولو طا	ل لما كنت سمعته
زوجتي صنوي ومالني	غيرها صنو علمته
هي لم تنقم على نقت	صي ، ولا شي نغمته
همها همي ، فلا تعز	م الا ما عزمته
همنا الدرس ، وما	تفهمه منه فهمته

وارتضينا من لقائنا عوضا عما حرقناه
برهنة واتقنه الدهر ر فعقوى مارستنه

وينظر صدقي حوله بعد موتها بأيام ، فيرى أن فقد ها ، وهي فسي
ريعان الشباب أصاب منه مقتلا ، وأثار من حوله المشاكل ، فقد كانت تغنيه
عن التورط في كثير من الأمور ، التي تسبب له القلاقل والاضطرابات ، وكانت
تسد كل حاجاته سواء كانت نفسية أو حسية أو عقلية ، وهذا يعني أنها
لم تهمل أي جانب في حياته ، فجمعت له كل لذة ، وأكملت كل نقص ، وقد مت
له ما حرم منه ، وعقد ما يذكر كل ذلك ولا يجدها الى جانبه يتصور نفسه كالشريد ،
الذي حرم هواه ، وفقد منزله ، لأن المنزل والهوى كانا يتحققان بها ،
ويقارن صدقي بينها وبين المواني ، فلا يجد فيهن غير ميل الى اللهب
والمظهر ، أما هي فقد تمثلت فيها رقة الاحساس ، وعبق النظرة وجمال
اللفظ وسمو التفكير ، فكانها محفل للفضائل :

ماتك في الريعان أصحى مقاتلي
وفقدك من عيشي مثير مشاكلي^١
وكنت الغنى من مشكل بعد مشكل
وعقدات نفس تستديم قلاقلني
مشاكل شتى : حاجة النفس للهوى
وحاجة ذي حس ، وحاجة عاقل
جمعت لي الدنيا ، فأغنيت معدمي
وامتعت محرومي ، وزينت عاطفي
أدور بعيني كالشريد بلا عوى
ولا منزل مثل الهوى والمنازل
وما منزلي الا الذي أنت ملوؤه
وما من هوى الاك بين العقائل

رأيت الفواني وهي لهو ومظهر
وأنت مزاج من جميل وكامل
ورقة احساس وعفوة نظيرة
ولفظ وتفكير وحفل فضائل

.....

خيالك في التابوت غير مفارقي
يطالمني في وحدتي والمفاحل
لمحتك فيه لمحة ثلجت دمي
وأودت بأعصابي ، وهدت مفاصلي

ولم يكن تحرقه على فقد زوجته ناجما عن مجرد اعجابه بثقافتها
ومشاركتها له في المطالعة ، بل لأنها لا تغفل عن شأن من شؤون الزوج ،
فقد كانت تهتم بمواعيده ، فتوقظه في الصباح ، وتذكره بمواعيد خروجه ،
وتهتم بطعامه ، وتنتقي له ملابسه ، وتشاركه الجلوس على المائدة ، وكانت
تلقاه بكامل زينتها حرصا منها على ارضائه ، يقول :

لقد كنت يازوجي لدى الصبح موقظي
وكنت حسيبي في خروجي وأويتني "١"

.....

ألا تسأليني كيف أصبحت في الضحى
وترجين لي طيب الكرى في العشيمة
عهدتك لا ألقاك حتى تزينني
ألم تفرغي لي من حلى وزينة
شريكة عيشي ، أسفر الصبح فاطلمسي
أعددي فطوري وانتقي لي حلتسي

وفي قصيدته " حيره " صور العيش الهاني ، الذي كانت توفره له
زوجته بتدبيرها أمور المنزل وحرصها على ماله ، وكانت الى ذلك تصون شرفه ،
وتخلص له في حبه ، وتتقرب اليه شأن الزوجة العروب التي تتقرب الى

الى زوجها ، يقول :

وبازوجتي ، كنت المدبّر عيشتي
فصيتي أهنا الخيش طرا وأطيب
حرصت على مالي ، وصنت مخيبي
وأخلصت لي في الحبّ والحبّ قلب
تقومين في شأني ، وثمة خادصي
وحبّ من الزوج الحروب التمرب

وتعرا الذكري المشرون على زواجه ، فيشعرون بالأسى والحزن ، ولا يجد
أمامه سوى أن يترحم عليها ، ويهجر داره ، ليزور قبرها ، فطول الزمن
لم ينتزعها من فكره ، لأن ذكرياتها ما زالت تجري في عروقه ، وعلى الرغم
من زواجه بعد وفاتها ، ما يزال قلبه وقفا عليها :

شقيقة زوحي ، حلّ عيد زواجنا
وقد حال عيداً للأسى والترحم
أتى فهجرت الدار فيها أنيسنا
وجئت على أعتاب قهرك أرتسي

.....
شقيقة زوحي ، لا تخالسي شريكسنة
تشارك في قدس المكان المعظم
لأقسمت : حبي ما يزال كحبيسنة
وقلبي ، وان أعزبت غير مقسم

(١) المرجع نفسه ص ٦٧ .
(٢) هوا والشاعر ، لعبد الرحمن صدقي ص ١٤٣ .

ولكن هذا الثناء على المرأة من قبل كثير من الشعراء المحدثين ، لم يمنع بعضهم أن ينظر اليها بعين الشك والريبة ، كالعقاد الذي اتهم المرأة بالقدر ، وعدّ وفاءها شكلا لا أصل له في نفسها ، كما أنه لا يوجد بين النساء امرأة تخلص لالفها ، وماتراه من طاعة بعض النساء ، واخلاصهن ، ليس طبيعا لهن أو خلقا ، وإنما يخلصن مضطرات ، فان من طبيعتهن ألا يفين بعهدهن ، أو يتمسكن بقسم ، يقول :

وفاء بنات حسوا قيسود
تصاغ لهنّ من طبع وعرف "١"
فما فيهن مخلصه لأخسرى
وما فيهن مخلصه لالسف
تطيع على اضطرار كل أنثى
ولا تصفي لعهدهن أول حليف

على أنه لم يتهمها بعدم الوفاء فقط ، بل اتهمها كذلك بالخداع ، فهو يرى أن المرأة جبلت على حب الخداع ، تتخذ منه رياضة وستارا لنفسها ، وسلاحا تستعمله للكيد بكل من يعاد يها أو يخطئها لنفسه ، لا فرق عندها بين عدو وصديق ، لأنها تريد أن تتقم لضعفها الذي يسبب لها الشقاء ، ويحدّر العقاد من مغيبة الثقة بالمرأة ، لأن الطبيعة جبلتها على الخيانة ، وينصح بخيانتها وعدم الاخلاص لها ، وهذه الطريقة فقط يستطيع أن يسوسها ، وأن يسبر غورها ، ويصل الى أعماقها ، يقول :

خلّ الغلام فليس يثنيها
حب الخداع طبيعة فيها "٢"
هو سترها وطلاء زينتها
ورباضة للنفس تحييمها

(١) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ، بعد الأعراس ٧٧٢/٩ .
(٢) ديوان من دواوين ، لعباس محمود العقاد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص ١١٨ .

وسلاحها فيما تكيد به من يصطفئها أو يعاد بها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طول بات يشقيها
أنت الطوم إذا أردت لها مالم يرد قضاء باربها
خنها ولا تخلص لها أبدا تخلص الى أغلى غواليها

والواقع أن تحامل العقاد على المرأة واتهامه لها بالفدر والخيانة
ناجم عن شقائه في علاقته بالمرأة ، التي نخصت حياته ، فقد حاول أن
ينعم منها بالحب مرات عديدة ، لكنه فشل في كل مرة ، مما جعله يتحامل على
جنس المرأة ، ويعلن كراهيته لها ^١ ، ويبدو أن هذه النظرة من قبيل
العقاد للمرأة نتجت عن معاشرته لها خليلة ، وهذا الصنف من النساء ،
لا يهمن في الحياة سوى البحث عن اللذة والعمال ، ولو ارتبط العقاد بالمرأة
زوجة ، واتخذها سكنا وأما للأبناء لتغير رأيه ، وذاق طعم الراحة في
ظل المرأة ، ولكنه اثر ألا يرتبط بها .

وكالعقاد في تحامله على المرأة علي محمود طه ، الذي آثر العزوبة
على الزواج وقضى حياته يتنقل بين الفواني في مصر وأوروبا ، فلم تصرف
روحه للاستقرار طعما ، ولم يعرف من النساء إلا اللذة الجسدية ، ومن
قراءة سريعة لشعره في المرأة ، نرى أنها في معظم قصائده من راقصات
الحن أو الفنانات ، أو بائعات اللذة ^٢ ، وهذا يعني أنه هرم كسا
هرم العقاد من التعرف على حقيقة المرأة ، لأنه لم يعاشرها زوجة ، مما
جعله يحكم على المرأة ، بأنها شعبان في آهالكها لصاحبها ، وشيطان
في اغوائها له ، بل هي عنده ساحرة تتحدى سطوة الجن بسحرها ، وصاحبة
كيد لا يقدر عليه الشيطان ، فالشيطان عاجز عن ادراك ماتعنا المرأة ويقر
بضعفه أمامها ، ولذا قال على لسانه :

أأراني عاجزا عن درك مسا

تتمنى امرأة ؟ عزت مناهيا ^٣

-
- (١) المرأة في حياة العقاد ، لك نور عبد الحميد دياب ، مطبوعات دار الشعب بالقاهرة .
 - (٢) علي محمود طه شعر ودراسة ، لسهيل أيوب ، المقدمة "ص : أس" .
 - (٣) الشوق العائد : لعلي محمود طه ، دار احياء الكتب ، الطبعة الاولى ١٩٤٥ م ص ١٨ - ٣٤ .

آه : ما أضعف سلطاني ، ومنا
كنت إلا بفسروري أتاهني
قالت : الآن سلاما زائسيري
ورضى نفسي ان رمت رضاهنا
أيها الشيطان ، ما أعظم مسنا
قلته ، ما قلت لغوا أوسفاها

ولم يكتف بذلك ، بل وصف المرأة بأنها شعبان ، وذلك فسي
قصيدة له بعنوان ((الحية الخالدة)) " ١ " ، وفي قصيدته " الكيد
العظيم " " ٢ " ، وصف قدرة المرأة على الكيد للرجل ، واستغلال كليل
الوسائل المتاحة ، من أجل أن توقعه في الخواية .

(١) انظر قصيدة الحية الخالدة في كتاب علي محمود طه شعر ودراسة
ص ٦٤٢ وما بعدها ، وتدور القصيدة حول فكرة الفن بين
المرأة والرجل ، وأثر الخريزة فيه ، وحول فتاة اتخذها فنان نموذجا
حيا لفنه ، فأغوته بمفاتن جسدها ، وجعلته يهجر فنه ، وينغمس
في غمار الطذات ، يقول الشاعر :

ولغت ذراعين كالحيثين عليّ وبني نشوة لم تطر
وقد قربت فمها من فمي كشقين من قهص مستعر
أشمّ بأنفاسها رغبيسة ويهتف بي جفنها المنكسر

(٢) وانظر قصيدة " الكيد العظيم " في ديوان علي محمود طه ،
دار العودة بيروت (أرواح وأشباح) ص ٤١٧ - ٤١٨ . حيث
ذكر أن لدى المرأة حيلة كثيرة وفنونا عجيبة ، تستطيع بها أن تسيطر
على الرجل لو خذلتها قوتها ، يقول :

لنا الكيد ان خذلتنا القوى أحابيل شتى وفن عجاب
نلقاه عن ملكات الزمان أقاصيص لم يرو عنها كتاب
وقد نستعير صفا النمير وقد نستمد صراع العباب
وقد نسحب الليل فوق القلب ونخري العيون بقوس السحاب

والواقع أنه ليس هناك تناقض بين موقف الشعراء المحدثين الذين أشادوا بالمرأة ، ورأوا أنها إنسانة تستحق التقدير ، وبين الشعراء الذين اتهموا المرأة بالفحشاء والضلال والتحايل ، وأنها شعبان أو شيطان ، لأن كلا من الفريقين صدر عن تجربة له مع المرأة ، فعزير أباظه وعبد الرحمن صدقي سموا بالمرأة الزوجة ، وأعليا من شأنها ، وأسفا على فقدانها ، بسب وكياها بكاء حارا ، لأنهما عرفا النعيم بجانبها ، أما المقاد وعلي محمود طه ، فلم يعرفا من المرأة سوى أنها بائعة جسد ، وهذا النوع لا يقيم وزنا للفضيلة ، ولا يعاب بالوفاء ، على أنهما فيما يبدو قد تأثرا بما قرأا عنهما في الآداب الأجنبية .

الباب الثالث

الخصائص الفنية لشعر قضايا المرأة

- الفصل الأول : خصائص النماذج الغنائية
- الفصل الثاني : خصائص النماذج القصصية
- الفصل الثالث : خصائص النماذج التمثيلية

الفصل الأول

خصائص النماذج الغنائية

ما عرضنا في الباب السابق بيدوان الشعر العربي السدي تناول قضايا المرأة كان ابان النهضة الشعرية ، ولم يكن قبلها ، لأنه ليس فيه ما نظم قبل البارودي حامل لواء هذه النهضة ، كما بيدوان هذا الشعر انتظم الأنواع الثلاثة التي عرفها الأدب الحديث من غنائي وقصي وتمثيلي "١" ، على كثرة في الأول واضحة .

والشعر الغنائي كما عرفه بعضهم ، هو الشعر الذي يتحدث فيه الشاعر عن نفسه ووجدانه ونزغاته ، وهذا النوع من الشعر يتناول جانباً كبيراً من الحياة ، ابتداءً من تلك النواحي الذاتية الضيقة الى النواحي الانسانية العامة ، ويمتاز الى ذلك بأنه يصور العاطفة الشخصية ، ويعتمد على الخيال الى حد كبير ، وقد تزداد فيه النواحي التأملية والفكرية أحياناً ، فتغلب على النواحي الشخصية "٢" .

- (١) انظر أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٦٤ ص ٣٠٩ . حيث يرى أن النقاد حروا على تقسيم الشعر أقساماً رئيسية ثلاثة قصصي (EPIC) وغنائي (LYRIC) وتمثيلي (DRAMATIC) ، ويذكر أن بعض النقاد قد أضاف الى الأقسام الثلاثة الأولى قسمين آخرين ، وهما الشعر التعليمي ، والشعر الهجائي الذي يهاجم الرذائل ، ولكنه يرى أن بالإمكان رد هذين القسمين الى الشعر الغنائي . وانظر التقسيم الأدبي . أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٢ م ، ٧٦/١ - ٩٠ . ومن هؤلاء الدكتور شوقي ضيف في كتابه الأدب العربي المعاصر في مصر ، حينما تحدث عن الشعر التمثيلي عند شوقي وأشار الى مسرحياته ص ٧٩ - ٨٢ ، وحينما تحدث عن مطران في محاكاته للفربيين في الاتجاه القصصي ص ١٢٧ - ١٢٨ .
- (٢) النقد الأدبي ، أحمد أمين ٧٧/٢ - ٨٤ . وانظر أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب ص ٣١٣ .

لكن ما الخصائص الفنية لما تدروس من هذا الشعر ؟ وهل هي تلك الخصائص العامة التي أجمعناها في الباب الأول ، أو أنهما تزيد وتنقص تبعاً لطبيعة الموضوع ؟

ذلك ما نحاول تبينه هنا من ناحية الشكل أولاً والمضمون ثانياً ، مع علمنا أن الشكل والمضمون في العمل الأدبي لا يفصلان ، لأنهما فسق الحقيقة وجهان لشيء واحد .

- ١ -

ولعل أول ما يستوعب النظر في هذه النماذج أن دوافعها في الغالب اجتماعية ، لأن أصحابها لم ينظموها لأنفسهم إنما نظموها في مناسبات اقتضتها ودعت اليها "١" ، ولو تصفحنا ديوان شوقي مثلاً لوجدنا أنه أوضح موقفه من القضايا المتعلقة بالمرأة في قصائد دعي السق القائها في مناسبات عامة ، أو عرض فيها لقضية اجتماعية معينة ، فقد أقمته قصيدته " مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات " في حفل أقامته السيدات المصريات ، وهجر عن موقفه من الحجاب والسفور في قصيدته التي رثى فيها قاسماً "٣" ، وطالب بضرورة افساح المجال للفتاة المصرية كي تدخل الجامعة عن طريق تأسيس جامعة خاصة بها ، وذلك في معرض رثائه للأميرة فاطمة اسماعيل . "٤"

ولم يكن مطران أقل من شوقي احتفاءً بالمناسبات العامة أو الخاصة ، فدعا إلى تأييد آراء قاسم عندما اشترك في حفلة التأبين التي أقامتها

(١) الشعر العراقي الحديث مراحل وتطورته ، جلال الخياط ، دار

صادر ، بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) الشوقيات ١/١٠٢ .

(٣) المرجع نفسه ٣/٧٦ .

(٤) المرجع نفسه ٣/٨٩ .

نخبة من رجال الأدب والعلم "١" ، ودعا مطران النساء الى الاقبال على التمرير واقامة الجمعيات النسائية من خلال قصيدة هنا فيها احسدى الأوانس بمناسبة عقد قرانها "٢" ، وكانت ممن لهن نشاط في هذا المضمار ، وفي ثنايا قصيدته التي رثى بها احدى النساء العاملات في الصحافة عبّر عن اعجابه بالمرأة العاملة "٣" ، وألقى عبد الحلیم المصري قصيدة فسي احتفال مدرسة البنات الأمريكية "٤" ، ونظمت نهوية موسى قصيدة استقبلت بها "أم المصريين" حين عادت مع سعد من المنفى "٥" ، ونظم عبد الرحمن شكرى قصيدتين رثى بهما قاسما "٦"

ولا نستطيع الاستمرار في ذكر القصائد التي قيلت في مناسبات عامية أو خاصة ، ويكفي أن ندلل بما ذكرنا على أن شعر المناسبات اتسع اتساعا ملموسا ، حتى شمل كل القضايا المتعلقة بالمرأة ، وليس أدل على ذلك من القصائد التي استشهدنا بأطراف منها في مختلف فصول الباب الثاني من هذا البحث ، على أن شعر المناسبات هذا لم يقتصر على جيل دون آخر ، مع كثرة هذا الشعر عند بعضهم وقلته عند آخرين ، فجيل شوقي وحافظ ومطران كثرت في شعرهم قصائد المناسبات ، بينما قلت السعد ما عند جماعة الديوان وجماعة أبولو ومن جاءوا بعدهم ، وهذا يدفعنا أن نعد بعض ما نظموا من شعر يتعلق بالمرأة سواها في المناسبات العامة أو الخاصة شعرا غنائيا ، لأنهم كانوا يصدرون فيه عن مشاعرهم الذاتية ويعبرون عنها مباشرة ، وهذا يعني أنهم لم يخرجوا في شعرهم هذا على نهج من سبقوهم من الشعراء العرب القدماء ، الذين نظموا كثيرا من شعرهم في ظل مناسبات خاصة بهم أو بقبائلهم أو مدوحهم .

-
- (١) ديوان الخليل ، ل خليل مطران ٢/٢
 - (٢) المرجع نفسه ٢/١٣
 - (٣) المرجع نفسه ٣/١٥٤
 - (٤) ديوان عبد الحلیم المصري ٣/٢١
 - (٥) ديوان نهوية موسى ١/٣١
 - (٦) ديوان عبد الرحمن شكرى ١/٥٣ - ٥٤ .

ومما يستلفت النظر أيضا من خصائص الشكل ذلك الاهتمام بالعنوان ، حيث نجد كثيرا من الشعراء الذين نظموها في قضايا المرأة ، يحاولون عنوانة قصائدهم بما يدل على الموضوع الذي تضمنته دلالة دقيقة ، وقد تأثروا في ذلك بصنع القدماء من الشعراء والرواة ، حين عنوانوا القصائد بما يدل على موضوعها أو وصفها دلالة عامة ، فمما يدل على الموضوع : قال يصف أو قال يمدح أو قال يرثي . . . ومما يدل على الصفة : الحوليات والمعلقات والمفضليات . . . كذلك تأثروا بصنع الغربيين الذين قرأوا شعرهم وترجموا بعضه بعناوينه كما سنرى بعد قليل .

لكنهم في هذا الاهتمام كانوا طرائق ، فمنهم من تابع القدماء كنجيب الخداد الذي عنون قصيدة قالها في وصف النساء وهن يتنزهن في العريات هكذا " وقال يصف سيدات هذا العصر في المركبات " ١ ، وكمصطفى صادق الرافعي الذي عنون قصيدة قالها في وصف ما آل اليه الشباب من ميوعة وتخنت وتشبه بالنساء هكذا " وقال في وصف شهاب اليوم " ٢ ، كذلك وضع حسن القاياتي هذا العنوان لقصيدة له عن التبرج : " قال يذكر تبرج النساء في مصر ويحيب ذلك " ٣ .

ومنهم من تأتى في العنوان ، فجعله مسجوعا جريا على طريقة الخمس في اصطناع السجع ، كما فعل جورج ابراهيم الذي عنون قصيدة وصف فيها لبس النساء للقبعات بقوله : " برانيط فتيات الحضر في أواخر الجيل التاسع عشر " ٤ ، ومنهم من كرر العنوان لعدم دقته في الدلالة أو لعدم اخباره الفرض بواحد ، كما فعل جرجس توما الخوري الذي نظم قصيدة بعنوان " الدوطة والزواج " ، ثم وضع لها عنوانا آخر يدت عليه آثار الصنعة

(١) ديوان تذكارات الصبا ، نجيب الخداد ، ص ٤٠ .

(٢) ديوان الرافعي ١٧/١ .

(٣) ديوان حسن القاياتي ٥/١ .

(٤) الثريا ، السنة الثانية ، الجزء الرابع ، سبتمبر/أيلول ١٨٠٩٧ ، ص ١٣٩ .

وهو : " لسان حال أديبة العصر ، أو فتاة القرن التاسع عشر " (١) ،
ومثله في تكرار العنوان علي علي العزبي في قصيدته " الحياة الزوجية
أو نعيم الزوجين " (٢) ، ثم عبد الحميد السنوسي في قصيدته " في مرقص
أو الشاعر والفاوية " (٣) .

ومنهم من عنون القصيدة عنوانا رمزيا عند نظمها ، ثم عاد السـ
العنوان الصريح بعد حين ، كما فعل شوقي في قصيدته " صدّاح ياملك
الكنار " ، حيث نشرها أول الأمر بعنوان (الرق والعبودية والضعف
والقوة) (٤) ، ثم عاد عند طبع الديوان بعد سنوات فنونها بهذا
العنوان : " بين الحجاب والسفور " (٥) ، كأنما خشي اعلان رأيه عند
نظمها .

ومنهم من وضع العنوان دقيقا مركزا صريحا ، كما فعل محمد صادق
عرنوس في قصائده " التبرج " (٦) و " الهباء " (٧) ، و " ملكة الجمال
المصرية " (٨) .

— ٣ —

ومن مظاهر الشكل التي نلاحظها أيضا حرص بعض الشعراء علي
التشطير والمعارضة في تناولهم لقضايا المرأة ، لكنهم في تشطيرهم ، لم

-
- (١) الثريا ، الجزء الخامس ، ١٥ أكتوبر/تشرين أول ١٨٩٦م ص ٢١٤
 - (٢) أنيس الجليس ، السنة العاشرة ، الجزء الأول ، (٣١/كانون ثاني/يناير
١٩٠٧م ، ص ٢٥ .
 - (٣) المقتطف ، ج ٣ ، أكتوبر/تشرين ثاني ١٩٢٢ ص ٢٨٥ .
 - (٤) فتاة الشرق ، يونيو/حزيران ١٩١٠م ص (٣٤١-٣٤٤) .
 - (٥) الشوقيات (١/١٧٦-١٨٠)
 - (٦) الفتح ، العدد ١٤٤ ، ١٨ أبريل/نيسان ١٩٢٩م ص ٥
 - (٧) الفتح ، العدد ١٥٠ ، ٦ يونيو/حزيران ١٩٢٩م ص ٧١٤
 - (٨) الفتح ، العدد ٤٦٨ ، ٢٦ رجب ١٣٥٤ هـ ، ص ١٩ .

يقتصروا على القصائد القديمة المشهورة ، كما فعل سابقوهم ، بل شطّروا
قصائد معاصريهم ، من ذلك قصيدة جرجس توما الخوري الذي تناول فيها
عادة " الدوطة " ، ومطلعها :

دعيني اليوم يا أمي دعيني أردد في خبا بيتي أنيني "١"

وقد شطّرها شاعر آخر بعد أن صرف معناها الى وجهة أخرى ، فهاجم
المرأة ورمز الى اسمه " بالفتح " وقال على نفس الوزن والروي :

(دعيني اليوم يا أمي دعيني) الام بالفصاح تولهمني سي ؟ "٢"

دعيني اليوم من درس عناني (أردد في خبا بيتي أنيني

كذلك نظم اسماعيل صبري باشا قصيدة أتقن فيها على جمال المرأة ،
ودعاها الى صيانته حتى لا يكون فتنة للناظرين ، ومطلعها :

يالوا الحسن أحزاب الهوى أيقظوا الفتنة في ظلّ اللوا "٣"

فأعجب بها علي الجارم ، وشطّرها في قصيدة من نظمه بعنوان " غزل
شاعرين " فقال :

(يالوا الحسن أحزاب الهوى) أجبوا في الحب نهران الجفا "٤"

مد رأوا طرفك بيد و ناعيسا (أيقظوا الفتنة في ظلّ اللوا)

أما المعارضات فهي من فنون الشعر التي التفت اليها البارودي في
بداية رحلته مع الشعر ، وسار شوقي وأضرابه على نفس الطريق ، حيث
اتخذوا من الشعر القديم مثلا أعلى لهم ، فعارضوا كثيرا من القصائد القديمة ،
وكانوا في معارضتهم للقديم يتقيدون بالوزن والقافية ، ويقترنون من موضوعات
القصائد التي يعارضونها ، وقد ظل أثر المعارضة واضحا في الشعر الحديث
حتى بداية القرن العشرين ، لكن الشعراء الذين عالجوا قضايا المرأة لم

(١) الثريا ، الجزء الخامس ، ١٥ أكتوبر / تشرين أول ١٨٩٦ م ص ٢١٤

(٢) الثريا ، الجزء السابع ، ديسمبر / كانون أول ١٨٩٦ م ص ٢٥٨ .

(٣) ديوان اسماعيل صبري باشا ص ١٠٢ .

(٤) سبحات الخيال ، علي الجارم ص ٢٠٣ .

لم يكونوا يتخذون من الشعر القديم ميدانا للمحاضرة ، وانما استعاضوا عنه بمعارضة قصائد معاصريهم ، فقد عارض عبد الله فويح تشطير الفتح الذي نشرته مجلة الثريا ، وأشرنا اليه قبل قليل بقصيدة أخرى مطلعها :

دعيني اليوم يا أمي دعيني أنافس في العلوم وفي الفنون "١"

وقد اتفقت القصيدتان في الوزن والروي والموضوع ، حيث كانت وجهات نظرهما واحدة ، كذلك نظم أحمد محرم قصيدة بعنوان " تخيل شاعر " من بحر الطويل ورويها اللام المكسورة ، حيث حمل فيها على الزوجة التي تقدر الرجل بما لديه من مال ، ومطلعها :

لك الخير نامي عن ملوم محذّر وكفّي والا تستطيعي فأجعلي "٢"

فعارضه أمين الحداد بقصيدة على نفس الوزن والقافية ، عبر فيها عن تأييده له فيما ذهب اليه ، ومطلعها :

تخيلت ماسرّ الغبي وانما تخيلت ما يخزي الفتى بالتبتّل "٣"

ونشر أحمد شوقي في صحيفة " الجريدة " قصيدته التي أهداها السي باحثة البادية ، والتي مطلعها :

صدّاح ياملك الكنا ر ويا أمير البلبـل "٤"

فظنّ بعض القراء أنه ينعي حالة المرأة ، ويأسف لاقامتها في البيت ، ويعتذر عن الرجال بالخوف من تطاول السفها عليهم ، فكتب اليه في " الجريدة " على لسان الباحثة قصيدة عارض فيها قصيدته موافقا له في الوزن - مجزوء - الكامل - والروي - اللام المكسورة - ، حيث قال :

سميتي ملك الكنا ر وأنت ربّ المنزل "٥"

(١) الثريا ، الجزء الثامن ، فبراير/ كانون ثاني ١٨٩٧ م ص ٣٠٤

(٢) أنيس المجلس ، الجزء الثالث ، (٣ مارس / آذار ١٩٠٣ م ،

ص ١٣٥٩

(٣) أنيس المجلس ، الجزء الرابع ، ٣٠ أبريل / نيسان ١٩٠٣ م ص ١٣٩٩

(٤) الشوقيات ١/ ١٧٦ - ١٧٨ .

(٥) النسائيات ، باحثة البادية ، ص ١٤٧ .

لكن باحثة الهادية أرادت أن تقطع كل الثغرات حول قصيدة شوقي ، فنظمت قصيدة عارضت فيها قصيدة شوقي ، ومطلعها :

يا هذه لا تعذلي وإذا أبيت فقللي "١"

وهذا يعني أن المجلات التي كانت تصدر في مطلع القرن العشرين أو قبله بقليل أفسحت صدر صفحاتها للمعارضات الشعرية بعد أن صبغتها بصيغة جديدة ، وجعلتها تتخذ من الموضوعات المعاصرة مادة لها .

وكما أفسحت المجلات صدرها لهذه الظاهرة ، أفسحت صدرها لظاهرة أخرى ، وهي الخروج على القافية التي حافظ القدماء على وحدتها ، فالتزموها في أبيات القصيدة كلها ، ولم يكتف بعضهم بالتزام الحرف الأخير في القافية وهو الروي ، بل التزم تقية أبيات القصيدة كلها بأكثر من حرف ، وهذا يدل على أن القافية في الشعر العربي ذات سلطان يفوق ما للنظائر في اللغات الأخرى ، حتى أصبح مفهوم الشعر عند العرب ، هو الكلام الموزون المقفي الذي يدل على معنى "٢" ، وإذا كان شعراء الموشحات منذ نشأتها في الأندلس قد خرجوا على القافية ، حيث لم يلتزموا بوحدها ، فإن خروج المحدثين لم يكن من هذا النوع ، لأنه لم يكن في موشحات ، ولعله لذلك كان سببا في إثارة معركة حامية شارك فيها النقاد والأدباء ، فانطلق المجددون يدافعون عن تجددهم ، ويهاجمون القوالب التقليدية في الشعر ، لأنها - حسب زعمهم - تحد من حرية الشاعر ، لكن المحافظين من الأدباء والنقاد أصروا على تقاليد الشعر الموروثة ،

(١) المرجع نفسه ص ١٤٧ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، مطابع المنتبي ، دار

الثقافة والعودة - بيروت - ١٩٧٣ م ، ص ٤٦١ - ٤٦٩ .

وانظر موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ،

القاهرة ، ١٩٥٣ م ، ص ١٢ .

ورأوا أن الشعر الجدير بالاعتبار هو الشعر الذي احتفظ بموسيقى الوزن والقافية الواحدة ، فاتهموا الخارجين عليها بالمجهز والتقصير .^١

وعندما نتتبع محاولات هؤلاء الخارجين على الوزن والقافية في الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، نلاحظ أن أولى هذه المحاولات كانت على يد محمد عثمان جلال^٢ تلميذ رفاعه ، والذي قام بالترجمة بعنقيد المؤلفات الفرنسية ذات الشهرة ، فترجم خرافات " لافونتين " إلى شعر سهل لارهق فيه ولا تصنع^٣ ، ومن قصائده التي ترجمها قصيدة بعنوان " قبيح الزوجة " "٤" في ثلاثة عشر بيتا ، استعمل فيها ثلاث عشرة قافية .

وقد كان لهذه المحاولة أثرها فيما يبدو ، لأن المتصفح للمجلات التي صدرت في أواخر القرن التاسع عشر يجد رفعة لدى بعض الشعراء في تنويع القوافي ، فقد نشرت مجلة الهلال قصيدة بعنوان " واجبات الزوجة " تتألف من أربعة وعشرين بيتا ، وقد رتبها الشاعر في ست مجموعات على شكل رباعيات ، التزم فيها جميعا بوزن الخفيف ، ولم يلتزم بقافية معينة بل خص كل مجموعة بقافية ، فاستعمل في الأولى اللام ، وفي الثانية الكاف ، وفي الثالثة الميم ، وفي الرابعة الراء ، وفي الخامسة الهاء ، وفي السادسة الراء .

-
- (١) أنظر التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، بدوى طبانة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ص ٢٧٤ .
وانظر النقد الأدبي الحديث . محمد غنيمي هلال ص ٤٧٠ - ٤٧١ .
وانظر تطور الشعر العربي الحديث ، ماهر حسن فهمي ص ١١٧ .
 - (٢) عاش محمد عثمان جلال بين سنتي ١٨٢٩ م - ١٨٩٨ م .
 - (٣) دراسات في حضارة الاسلام ، هاملتون جب ، ص ٣٢١ .
 - (٤) العيون اليواقظ ، محمد عثمان جلال ، تحقيق عامر محمد بحيرى مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ص ٣٢٧ .
 - (٥) الهلال ، السنة السادسة ، جزء الحادى عشر ، فبراير/ شباط ١٨٩٨ م ، ص ٤١٢ .

ثم كان شكري والمازني والعقاد الذين صارت اليهم راية التجديد ،
والذين يسميهم بعض الباحثين جماعة الديوان ، فقد كان للثقافة الغربية
التي نهلوا منها ، وخصوصا الانجليزية أثرها الكبير في توجيه تيار الشعر
والنقد لديهم ، حيث أجادوا الانجليزية ، وتأثروا بالمدرسة الرومانسية
في أوروبا " ١ " ، وعلى ضوء تأثرهم بما رأوا من الشعر الانجليزي ، قاموا
بمحاولات عديدة للخروج على قيد القافية ، فمثلا نجد عند شكري قصائد
لا يتبع فيها قافية واحدة ، وإنما يجعل لكل بيت قافية مستقلة ، ويجده
في أحيان أخرى يعتمد على القافية المزوجة ، كما في بعض قصصه وسيأتي ،
وفي قصيدته " النساء في الحياة والموت " " ٢ " التي نظمها في عشرة
أبيات ، التزمت الأبيات الخمسة الأولى قافية الدال ، والتزم الهجزة في
الأبيات الخمسة الأخيرة .

وحاول المازني أن يحدو حدو شكري ، فجده في شكل القصيدة
وخرج عما اعتاده عمود الشعر العربي من السير على قافية واحدة ، فاعتمد
في قصيدته " هواً والمرأة " " ٣ " التي ترجمها عن الفردوس المفقود
لمتلون على القافية المرسله ، وعلى اثر موت زوجته نظم قصيدة بعنوان
" أين أمك محاورة مع ابني محمد " " ٤ " لم يلتزم فيها قافية واحدة ،
حيث جعل القصيدة تتكون من خمس وحدات ، كل واحدة بيت من الرمل ،
كتبه في ثلاثة أسطر هكذا :

قلت لما مسحت وجهي يداه	فاعلاتن فملاتن فاعلاتن
أترى تملك هيلسه	فاعلاتن فملاتن
أي هيلسه	فاعلاتن

وكان العقاد أكثر حماسا من غيره ، حيث رأى أن المذهب السذي

-
- (١) مقومات الشعر العربي الحديث ، محمود شوكت ورجاء عيد ، دار الجيل للطباعة ، الناشر دار الفكر العربي ، ص ١٥٠ .
 - (٢) ديوان عبد الرحمن شكري (لالي الأفكار) ١٣٢/٢ - ١٣٣ .
 - (٣) ديوان المازني ١٢٦/٢ .
 - (٤) المرجع نفسه ٢٤٨/٣ .

ينادي بالقافية المرسله لم تكن الحرب تذكره كما نتوهم "١" ، لكنه تراجع عن هذا الرأي فيما بعد ، لأنه رأى أن سليقة الشعر تنفر من الغاء القافية كل الالفاء "٢" ،

وقد حاول قبل تراجعه أن ينظم الشعر دون الالتزام بقافية واحدة فسي تمازج محدودة من شعره ، ومن ذلك قصيدته " آه من التراب " "٣" ، التي رثى فيها مي زيادة ، ونظمها في خماسيات تتشكل كل مجموعة من خمس أبيات لها قافية مستقلة ، وقد جعلها في ثنائي عشرة مجموعة .

ويبدو أن التجديد في القوافي انتقل بعد ذلك الى شعراء أبولو ، الذين حاولوا التجديد في شكل القصيدة ، وكان أبو شادي الذي عاش مدة في إنجلترا ، واطلع على الأدب الانجليزي ، وتأثر بمطران ، ممن كانت لهم محاولات عديدة في هذا الشأن ، فقد نظم قصيدة ((يا أم)) "٤" في ثنائيات ، لكل بيتين قافية .

ومن يتفحص شعر أبي شادي يلاحظ أنه لم يكن يلتزم في بعض قصائده بحرا عروضيا واحدا ، على الرغم من التزامه قافية واحدة ، ففي قصيدة لسه يشجع فيها على الرقص خلط بين تفصيلات العديد والرجز ، يقول :

فاعلاتن فاعلن	ارقصي يا فاتته "٥"	فاعلاتن فاعلن	ارقصي يا غادتي
فاعلاتن فاعلن	سان وعذاف المحسن	فاعلاتن فاعلن	ارقصي في حسن احد
فاعلاتن فاعلن	ن الحسرات المزمته	فاعلاتن فاعلن	وانشري الاحلام تف
فاعلاتن فاعلن	ما شئت لا مستأنه	فاعلاتن فاعلن	ارقصي يا مهجتي
مستفعلن مستفعلن	ناجلك قبل الألسنه	مستفعلن مستفعلن	الا من القلب الذي

ولحسن الصيرفي مع تنوع القافية محاولة تجديد في الشكل ، لأنه

- (١) مطالعات في الكتب والحياة ، عباس محمود العقاد ص ٤١٧ .
- (٢) فصول من النقد عند العقاد ، تقديم محمد خليفة التونسي ، مطبعة دار الهنا ، القاهرة ص ٥٠٨ .
- (٣) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ٧١٤/٨ - ٧١٩ .
- (٤) أشعة وظلال ، أحمد زكي أبو شادي ص ١٢٨ .
- (٥) الشفق الباكي ، لأبي شادي ص ١٧٤ .

في قصيدته "فتنه" التي نظمها في مجزوء البسيط ، لم يلتزم بقافية واحدة ، وقسم البيت الى ثلاث وحدات ، وكتب الثالثة على سطر مستقل هكذا :

بالله يا حواء	لا تخرجسي آدم "١"
فالسحر والاعتراف	من عدتسه الهانسي
الحية الرقطاء	قد دفعا العالم
بالله يا حواء	في كف شيطان
	تساب في ديسي
	والحيسة الفتنة
	لا تشغلي قلبي
	عن رحمة الجننة

والواقع أن ترتيب التفاعيل بهذه الطريقة يدل على مدى رغبة الشعراء في التصرف في ترتيب القصيدة وشكلها .

ولو حاولنا أن تستمر في عرض الامثلة التي تدل على مدى التفسير الذي أصاب القافية على أيدي الشعراء المحدثين في مصر من اهتمام المرأة ، لما استطعنا أن نستوفينا لكثرتها وتنوعها ، ونكفي بها عرضناه لانه يعطي صورة واضحة عن التفسير الذي لحق بالقوافي ، ويفضي عن عرض بقية الامثلة .

- ٥ -

ومع هذا الميل الى تنوع القوافي كان الميل الى الأوزان القصيرة أو الأقصر من قبل كثيرين على الرغم من اختلاف الزمن والاتجاهات والمؤثرات .

(١) صدى ونور ودموع ، لحسن الصيرفي ص ١٠٥ - ١٠٦

قلو نظرنا الى الأوزان التي اعتمد عليها شوقي في صياغة شعره المتعلق بقضايا المرأة ، لوجدنا أنها تعيل الى القصر ، فقد تناول موضوع المرأة في ست قصائد ، منها اثنتان على مجزوء الرجز "١" ، واثنتان على مجزور الكامل "٢" ، واثنتان على الكامل "٣" .

وكذلك الحال بالنسبة لحافظ ابراهيم ، فشعره الذي تناول فيه المرأة كان أكثره من البحور ذات التفاعيل القليلة العدد أو البحور المجزوءة ، وقد تعرضنا أثناء دراستنا لقضايا المرأة لست من قصائده ، فكانت واحدة من عروض المتقارب "٤" ، وأخرى من عروض الخفيف "٥" واثنتان

-
- (١) راجع الشوقيات ٢٨/٢ - ٢٩ ، قصيدة المرأة المشانبة ، ومطلعها :
يا ملكا تعبداً مطلقاً - موحداً
وانظر الشوقيات ٨٨/٣ ، قصيدة شوقي في رثاء الأميرة فاطمة اسماعيل
ومطلعها :
حلفت بالمسترة والروضة المعطورة
- (٢) راجع الشوقيات ١٧٦/١ ، قصيدة شوقي " بين الحجاب والسفور " ،
ومطلعها :
صدّاح يملك الكنا ر وبأمر البابل
وانظر الشوقيات ١٠٢/١ ، قصيدة " مصر تجدد نفسها بنسائها
المتجددات " ، ومطلعها :
قم حيّ هذى النهرات حيّ الحسان الخيبرات
- (٣) راجع الشوقيات ١٢٩/١ ، قصيدة " صبح المشيب " ، ومطلعها :
ظلم الرجال نساءهم وتحسّفوا هل للنساء بمصر من أنصار
وانظر الشوقيات ٧٦/٣ . رثاء شوقي لقاسم أمين ، ومطلعها :
يا أيها الدمع الوفي بدار نقضي حقوق الرفقة الأخيار
- (٤) راجع ديوان حافظ ابراهيم ٢٥٦/١ ، قصيدة " زواج الشيخ علي يوسف
صاحب الوعيد " ، ومطلعها :
حطمت اليراع فلا تعجبي وعفت البيان فلا تمتعي
- (٥) راجع ديوان حافظ ٣١٢/١ ، قصيدة " كلية البنات الأمريكية " ،
ومطلعها :
أي رجال الدنيا الجديدة مهلا قد سأوتهم بالمعجزات الرجالا .

من مجزوء الكامل "١" ، واشتتان من عروض الكامل "٢" .
واعتمد محمد عبد المطلب على موسيقى مجزوء الكامل "٣" في قصيدته
التي هاجم بها السفور :
ولم يقتصر استعمال الأوزان القصيرة على كبار الشعراء ، بل استعملها
أيضا من دولهم ، ومن هؤلاء الكاشف الذي نظم قصيدة بعنوان " اختيار
الزوجة " على مجزوء الرجز "٤" ، ونظم مرسى شاکر طنطاوى قصيدة على
مجزوء الرجز "٥" أيضا ، ونظم علي علي العزوي قصيدة بعنوان " الحياة
الزوجية " على المتقارب "٦" ، ونظم محمد عبد الغني حسن على المتقارب "٧"
أيضا قصيدة هنا فيها أول معيدة في الجامعة المصرية .

-
- (١) انظر ديوان حافظ ٨٧/٢ ، قصيدة " مظاهر السيدات " ، ومطلعها :
خرج الفواني يحتجج ن ، ورجت أرقب جمعهنه
وراجع ديوان حافظ ٢٩٣/٢ ، قصيدة " رثاء باحة البادية " ،
ومطلعها :
- (٢) انظر ديوان حافظ ٢٩٧/١ ، " مدرسة البنات ببور سعيد " ، ومطلعها :
كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق
وراجع ديوان حافظ ١٥٦/٢ " رثاء قاسم أمين " ، ومطلعها :
لله درك كنت من رجل لو أمهلتك غوائل الأجل
- (٣) انظر ديوان عبد المطلب ص ١٨٤ ، ومطلع لاميته هو :
مالي وللربيع المحييل أبكيه بالدمع الهطسول
- (٤) أنيس الجليس ، الجزء الرابع ، ٣٠ إبريل / نيسان ١٩٠١ ص ٦١٥ ،
ومطلعها :
- (٥) وددت لو أني تزو جت وبتني يمصر
الهلال ، الجزء الثامن ، مايو / أيار ١٩٢٥ م ص ٨٧٦ ، ومطلعها :
بنيتي بنيتي أنت حياة المجتمع
- (٦) أنيس الجليس ، الجزء الأول ، ٣١ كانون ثاني / يناير ١٩٠٧ م
ص ٢٥ ، ومطلع القصيدة :
- (٧) سمعت والوثام على اثرها فمن خدرها والى خدرها
المقتطف ، الجزء الخامس ، ١ ديسمبر / كانون أول ١٩٣٠ م ،
ص ٥٩٠ ، ومطلعها :
نجاح يسر العلا طيب وفتح من الله يازننوب

وكان عباس محمود العقاد من الشعراء الذين استهوتهم الأوزان القصيرة ، فنظم كثيرا من قصائده التي تعرض فيها للمرأة على البهور المجزوءة ، ومن ذلك قصيدة الثوب الأزرق التي جاءت على مشطور الرجز " ١ " ، وقصيدة " خليج استانلي " التي جاءت على مجزوء الكامل " ٢ " ، وقصيدتان أخريان على مجزوء الرمل ومشطوره " ٣ " .

وتنظم عبد الرحمن شكرى بعض قصائده التي تناول فيها المرأة على وزن قصير ، فاعتمد على موسيقى مجزوء الرجز في قصيدته " حمام الكازينيو بالاسكندرية " " ٤ " .

واتجه أبو شادي أكثر شعراء أبولو انتاجا الى استعمال الأوزان القصيرة في كثير من قصائده التي تناول فيها المرأة ، خصوصا تلك التي تتعلق بالمناسبات الاجتماعية ، أو المجاملات ، ومن ذلك قصيدته " فتاة العصر " التي نظمها على مجزوء الوافر " ٥ " ، وتنظم مجموعة من القصائد على

-
- (١) انظر ديوان العقاد ٤٩٠/٥ ، ومطلعها :
الأزرق الساحر بالمصفاة
 - (٢) أنظر المرجع السابق ٤٢٥/٥ ، ومطلعها :
يا ويح قلبك من هدف صال المسدد أم صدف
 - (٣) وانظر المرجع السابق ٧١٤/٨ ، قصيدة " آه من التراب " في رثاء مي زيادة ، ومطلعها :
أين في المحفل مي يا صاحب
 - وانظر المرجع السابق ١١٨/١ ، قصيدة " حسفا عميا " ، ومطلعها :
قبرة العين عسزا لك في الكون المنير
 - (٤) ديوان عبد الرحمن شكرى ٢٧/١ ، ومطلع القصيدة :
ماذا دهى القلب من ال أشجان يوم الأحسد
 - (٥) الشفق الباكي لأبي شادي ص ٤٢٨ ، ومطلعها :
بروحي الصب ماتهدى ومعنى العطف كالصد

مجزوء الرمل "١" ، ونظم على عروض المتقارب "٢" .
واعتمد عزيز فهمي في معظم قصائده التي تحدت فيها عن المرأة على
مجزوء الكامل "٣" ،

(١) من السماء لأبي شادى ص ٨٥ ، " غرام وانتقام " في رثاء
احدى المغنيات ، ومطلعها ؛
أيندثر الفن ؟ يا للقدر ويجني على الحسن حتى النظر
وانظر المرجع نفسه ص ٦١ ، قصيدة " بسمة الأرض " وقد أهداها
الى ابنته ، ومطلعها ؛

بسمة الأرض لوجداني في محان كم أراها
وانظر الينبوع ، لأبي شادى ، ص ١٣٠ " تهنئة لاحدى الفتيات
بمناسبة فوزها في مسابقة للطيران " ؛

أنت زين السابقات في التماسي بالحياة .

(٢) أنظر أشعة وظلال ، لأبي شادى ص ٥٢ ، قصيدة " المرأة العصرية " ،
ومطلعها ؛

(٣) زمان تبوأ فيه الجمال عروش النهمي وعروش العلا
أنظر ديوان عزيز فهمي ص ١٤ ، قصيدة " الذنب ذنب الوالدين " ،
ومطلعها ؛

وسط القصور الشاهقات اسمع بكاء الغانيات
وانظر ديوانه ص ٦٥ ، حيث جفامل مثنوية اصيبت بمرض في قصيدة
مطلعها ؛

أوحى اليك جمالها وسطا عليك دلالها
وانظر ديوانه ص ١٠٩ في قصيدة " نون النسوة " ومطلعها ؛

هل أتاك حديثهنه النون ليست نوتهنه

على أن كثرة القصائد التي اتخذ الشعراء من البحور ذات الأوزان القصيرة أو البحور المجزوءة عروضها تمنعها من الاستمرار في عرضها ، وما أتينا عليه يكفي للتدليل على ما ذهبنا إليه .

فان قلت : لماذا اختار الشعراء المحدثون هذا النوع من الأوزان لكثير من قصائدهم التي تتعلق بالمرأة ، قلت : الجواب ليس سهلا ، لأن الأمر لا يتعلق بموضوع القصيدة فقط ، وإنما يرتبط كذلك بالحالة النفسية التي كان عليها الشاعر عندما نظم هذه القصيدة أو تلك ، ثم انه يتعلق بمدى جدية الشاعر في نظرتة ، ومن المهم القول بأنه ليست هناك قواعد معينة تحكم الشاعر أو تفرض عليه استعمال وزن أو آخر ، فالمسألة متعلقة به وحده ، هذا الى أن بعض الشعراء قد لا يخطر على بالهم أن يختاروا وزنا معيناً ، بل انّ منهم من لا يعرفون عن علمي العروض والقافية شيئاً ، ولكننا نميل الى القول ، ان العامل النفسي ربما كان أقوى مؤثر وموح بالموسيقى ، فاذا كان الشاعر مجاملاً - وكثيراً ما كان الشعراء يجاملون النساء في أشعارهم - فان الأوزان القصيرة تناسبهم حينئذ ، وهذا الى أن كثيرين كانوا ينظرون الى المرأة نظرتهم الى انسان يحتاج الى الرعاية ورقة المعاملة ، ولا يخفى أن البحور الطويلة تحتاج الى طول نفس وصر وشروء هائلة من الكلمات ، وهذا ما لم يكن لدى عدد منهم .

أما الصياغة فلم يكن بد للناظمين في هذه الأوزان القصيرة من ايثار الكلمات المألوفة والجميل القصيرة ، لأنها هي المناسبة لطبيعة تلك الأوزان ولطبيعة العصر ، وطبيعة المرأة المقصودة بهذا النظم ، وهذا الى أن ثقافة بعضهم اللغوية ، خصوصاً الذين تصدوا للنظم في الربع الثاني من القرن العشرين ، كانت ضئيلة اذا قيست بثقافة جيل شوقي وحافظ والعقاد ، أما الذين نظموا في الأوزان الطويلة أو الأطول ، وخاصة المحافظين منهم ، ففي ألفاظهم جزالة ، وفي تراكيبهم متانة تناسب

طبيعة الموقف الذي وقفوه ، خذ مثلا أحمد محرم في قصيدته التي ردّ فيها على قاسم أمين وحذّر المرأة من دعوته ، فقد استعمل فيها كلمات وجملا ثلاث هذا الموقف منها : () الأعراس ، المحارم ، الأخلاق ، أقيمي وراة الخدر ، تضييقين ذرعا بالحجاب ؟ سلام على الأخلاق في الشرق ، استبيحت في الخدور الكرائم ، رمي الحجاب ، تلك خطة سوء ، كيف السلامة والأخلاق واهية ؟ تعدوا الذئاب به . . .) (١)

واستعمل حسن القاياتي مثل هذه الكلمات والجمل في صياغته لقصيدته التي نص فيها على النساء تبرجهن ، وحذّر من العواقب الوخيمة التي تترتب على هذا التصرف ، ومنها : () مسلوب العزاة حزين ، معنى ضنين ، انبرت له لوعة ، تحرق أحشائي ، وسواس حلي ، صوت الحجل ، شرت حسنها زورا ، لاتعدلاها في قناع مهلهل ، ان تحتته قناعا من الصبغات ، أوليكم نصيحة مخلص غير خثون ، حذار حذار أن تصاد ظباؤكم ، العرض كالماء طاهر ، تلاقى به الأعراس كل مهين ، رأيت الخسر في صفّ غيدكم ، ألا فاخزنوا الدرّ البديد . . .) (٢)

وعلى الرغم من اعتماد عهد المطلب على الأوزان القصيرة في قصائده التي عالج فيها قضايا المرأة ، ومع أنه عاش في الثلث الأول من القرن العشرين آثر أن يصوغ شعره على طريقة الأقدمين ، حتى عند تناوله موضوعا عصريا مثل الحجاب والسفور ، وربما يعود ذلك الى حفظه للقرآن الكريم ، وتمكنه من العربية ، فقد كان يميل الى الالفاظ التي تتسم بالقوة والجزالة ، والتي تميل الى البداوة ، هذا الى اعتماده على متانة التراكيب ، انظر الى لاميته التي عرض فيها أحوال المرأة ، تجده استعمل كلمات وجارات ليس لها مثيل الا عند الأقدمين ، منها قوله :

() مالي وللربح المحيل ، المعاهد والطلول ، حومل والدخول ، ابن حجر ، الظمائن ، الهواج ، نجب السرى ، المتالع ، أغسن ندى

(١) ديوان محرم ٦٣/٢ - ٦٥ - ٠ وانظر ص ١٧٥ من هذا البحث.

(٢) ديوان حسن القاياتي ٥/١ - ١١ - ٠ وانظر ص ١٧٨ - ١٧٩ من هذا البحث.

طرف كحيل ، الحبرات ، ومن الخنى قصر الذبول ، لهن معاهد فسي
كل غيل ، المجد الأثيل ، شفيف نقابها ، جيب القميص ، خيلع ،
شبا الأسنة والفصول ، مرج الأفيال ، الحوار ، الفصل ...)) "١"

وإذا كان محرم والقياتي وعد المطلب وغيرهم قد مالوا الى استعمال
الألفاظ الجزلة والتراكيب المتينة ، فان شعراء آخرين أمثال ابراهيم ناجي
وعلي محمود طه وأحمد رامي وغيرهم ، قد مالوا الى استعمال الألفاظ
الرقيقة ، بل وتأنقوا في اختيارها ، ويبدو أن سيطرة النزعة الفئائية على
شعرهم قد دفعتهم الى ذلك دفعا ، خصوصا وأنهم كانوا ينظمون بمسح
قصائد هم من أجل أن تفتى ، انظر الى الألفاظ والمبارات التي نسج
منها علي محمود طه قصيدته " راقصة الحانة " نلاحظ أنه استوحاها من
جوالحانة ، وجعلها تقطر رقة وعدوية ، ومنها : ((سرت كالخيال ،
تمائق الجلال ، هوى وامثال ، نشوة حلوة ، الوصال ، جلاها الصبا ،
زهاها الدلال ، اختيال ، اعتدال ، الطيسف ، مائج النور ،
حورية النبع ، زنبقة ، وثوب الفزال ، ذراعان منسابتان ، مفتونه ،
قمرية ، ترائب ...)) "٢"

وانظر قصيدة ابراهيم ناجي " نفرتيتي الجديدة " وتأمل ألفاظها
تجد أن الشاعر بذل كثيرا من الجهد والوقت في سبيل اختيار ألفاظ تتصف
بالرقة والحيوية والعدوية ألقت على القصيدة ظلالة من الرومانسية ، ومن
هذه الالفاظ والمبارات : ((الأعين الساحرة ، العرج القدسي ، الضحكة
الطاهرة ، الحنان العميم ، الموجة الساحرة ، الصبح الشاعرة ، مجد
الجمال ، الجنة الناضرة ، ياقوتة مطهرة ، الروحمة الزائرة ، المهجبة
الفافرة ...)) "٣"

(١) ديوان عبد المطلب ص ١٨٤ - ١٨٨ . وانظر ص ١٧٩ - ١٨٢
من هذا البحث . وراجع في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي ،

٣٥٢/٢ .

(٢) ديوان علي محمود طه ، ص ٥٠٩ - ٥١٢ .

(٣) ديوان ابراهيم ناجي ص ١٨٤ - ١٨٨ .

لكن الجدير بالذكر أن قاموس الناظمين في قضايا المرأة كان ينمو ويتطور ، وتجدد فيه ألفاظ وعبارات لم تكن حتى عند المحافظين بسبب التطور الذي غزا حياة المرأة ، وغزا الناظمين في قضاياها ، وتأمل ان شئت الدليل على ذلك في قصيدتي شوقي ((صدّاح ياملك الكنار)) " ١ " ، و ((قم هيّ هذي النيرات)) ، حيث نظم الأولى عام ١٩١٤ م والثانية عام ١٩٢١ م ، لقد اختلف موقف الشاعر من الإشفاق على المرأة اذا تركت خدرها الى تحيتها وقد تركته ، فاختلفت ألفاظه وعباراته تبعاً لذلك ، فقد وجد في الثانية ما أدى اليه تجديد المرأة من نحو : " هيّ النيرات ، الحسان الخرد المتحفزات ، لا تكن خطبا على مصر الفتاة ، رضن التجارة ، اتحاد الفانيات ، بينين المنائر ، عقائل الوادي ، يمشين في سوق الثواب مساومات ، نساوقها المتجددات ، النافرات من الجمود ، الموصيات ، هضنّ القضية . . . " " ٢ " .

وانظر مع ذلك قصيدة " الملاك الساقط " لعبد الرحمن بدوي التي ظهرت فيها كلمات وعبارات لم تكن مستعملة من قبل ، لكن التطور الذي غزا حياة بعض النساء لم يقف عند حد ، مما دعا الى تطور آخر في الفاظ الشعراء ، وما استعمله عبد الرحمن بدوي في قصيدته : ((ذهبّت تشد الفداء على قبر الهوى ، زيفت نفسها تلغى بالفراغ الموهوم ، أقامت سوقا تبيع بها الحب ، ترسل النظوة الشمية ، الى جنبها شيخوخ تصابوا ، كلم زائف يردده الثغر ، شفاه من النفاق هزيله ، الشراب القتال يسلبها الروح ، يصبّ لها الساقى سموما ، يتهاوى الرجال بين يديها . . .)) " ٣ "

وكما دخلت هذه الألفاظ والتراكيب ، دخلت بعض الكلمات الأجنبية الى الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، بسبب التأثر بالثقافة الغربية ، فمثلا استعمل علي محمود طه كلمة " الافريز " في قصيدته " سارية الفجر " ،

-
- (١) الشوقيات ١/١٧٦ - ١٨٠ . انظر ص ١٨٨ - ١٩٠ من هذا البحث .
 - (٢) الشوقيات ١/١٠٢ - ١٠٣ . وانظر ص ١٩١ من هذا البحث .
 - (٣) مرآة نفسي ، عبد الرحمن بدوي ص ٢٧ - ٣١ .

فقال :

ثقطع" الافريز" من ناحيتي كاسير هارب من أسير" (١)
ووردت كلمة " الدوطة " في أبيات شعر طى لسان امرأة تستكر هذه
العادة في قولها :

وماندري بقسمتنا وفيها جرى في اللوح بالثزيرل" دوطة " ٢"
واستعمل أبو أحمد الأزهري في قصيدة له ، وصف فيها رقصـة
قدمها فريق - رقص ايطالي كلمة " ألبا " ، وهي اسم لرقصة
بعينها ، فقال :

رقصن رقصة " ألبا " حتى فضحن الألبا " ٣"

وفي قصيدة (تلاعب الحسان بعقول الفتيان) التي وصف
فيها محمود خيرت أحد ملامي " الأزيكية " ، استعمل كلمتين غير
عربيتين في قوله :

قالت له ماذا تريد ؟ " أبيرة " ؟

فأجاب لا ؛ " كنيك " ذلك أوفق " ٤"

ونشرت مجلة فتاة الشرق قصيدة بعنوان " العمد " انتقد فيها
الشاعر اقبال النساء على كثير من العادات والكلمات الأجنبية الواردة ، حيث
يقول :

" وكود مورنغ وبون جور " في حديث وألحاب القمار وطول سهد " ٥"

فقد حكى النساء مذنبات بثبحة" ويلوين " ونسر

-
- (١) ديوان علي محمود طه ص ٤٨٦ .
 - (٢) الثريا ، السنة الأولى ، الجزء الثاني ، ١٥ يوليو / تموز ١٨٩٦ م ص ٤١
 - (٣) الثريا ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ يونيو / ١٩٠٨ ص ٣٤١ .
 - (٤) الجامعة ، السنة الرابعة ، الجزء الرابع ، يونيو / حزيران ١٩٠٣ ، ص ٢٤٩ .
 - (٥) فتاة الشرق ، السنة الثانية ، الجزء التاسع ، ١٥ يونيو ١٩٠٨ م ص ٣٤١ .

ونظم أبو شادي قصيدة أثنى فيها على منيرة ثابت التي أنشأت مجلة باسم " الأمل " ، وأخرى فرنسية باسم " لسبوار " ، فقال :
على أمل زانه " لسبوار " (١)
وضمن بعض الشعراء قصائد هم كلمات عامية متداولة في الحياة اليومية ، يقول فليب عطا الله من قصيدة له بعنوان " الهصبمة " .

اترك الحسنا تمشي يا جدع انها تستاه من هذا الدلع (٢)
حسبها منك انتقاما انهنسا كما قلت : اعم قالت : وجع

وانذا كان الشعراء منذ نهاية القرن التاسع عشر قد حاولوا أن يتخففوا من أغلال البديع والمحسنات التي كانت تفسى بها القصيدة العربية ، ولم تعد القيود اللفظية التي قيدت الشعر تمثل غاية عندهم ، فانهم مع ذلك لم يروا غضاة في استغلال فنون البلاغة المختلفة ، سواء كانوا من جيل حافظ وشوقي ، أو من جماعة الديوان أو أبولو ، لكنهم تفاوتوا في ذلك ، فمشلا استعمل شوقي وحافظ هذه الفنون أكثر من استعمال الجيل الذي تلاهم ، وهكذا عاد الشعراء المحدثون مرة أخرى ، ليجعلوا من فنون البلاغة وسيلة لتجويد المعاني ، وخادمة لها بعد أن كانت سيادتها لا تنازع .

وقد تتبعت فنون البلاغة في معظم نصوص الشعر التي استشهدت بها أو منها في الباب الثاني ، فلاحظت أنهم قليلا ما كانوا يستعملون المحسنات اللفظية من سجع واقتباس وجناس ، أما بالنسبة للسجع ، فقد هجره الشعراء الذين تناولوا قضايا المرأة ، وكانهم عدوه عينا من العيوب

(١) الشفق الباكي ، ص ١٣١ .
(٢) مجلة سركيس ، السنة التاسعة ، العدد ٣ - ٤ ، ١٥ ، فبراير/شباط ١٩١٦ م ، ص ١٠٦ .

التي ينهضي على الشاعر ألا يتورط فيها ، وهذا إلى أن السجع ألزم فسي
النثر منه في الشعر .

وأما الاقتباس ، فلم يقبلوا عليه إلا في حالات قليلة ، وكان اقتباسهم
ينسجم مع جود القصيدة التي نظموها ، كما فعل أحمد نسيم ، الذي شبّهه
قبول " صفة السادات " الزواج بعلي يوسف صاحب " المويد " بقبول
" رقاش " أخت جذيمة الأبرش ، الزواج بخادمه عدي بن نصر ، فاقتبس
نسيم بيتي جذيمة اللذين خاطب بهما أخته ، وهما :

حد ثيني وأنت غير كذوب أبحر شفقت أم بهجين " ١ "
أم بعبد وأنت أهل لعبد أم بدون وأنت أهل لدون

كما اقتبس محمود عماد جزءاً من بيت للناطقة الذبياني جرى مجرى
الأمثال ، وضمه بيتاً من قصيدته " المتصافية " حيث يقول :

وفد المشيب فسائلينه " ماذا وراءك يا عصام " " ٢ "

واقتبس علي الجندی فسي قصيدته " عروس البحر " بيتين ينسبان
لمجنون ليلي ، وهما :

بربك هل ضمت اليك ليلي بعيد الصبح أو قبلت فاها " ٣ "
وهل رقت عليك قرون ليلسى رفيف الأحقوانة في شذاها

واقتبس آخرون من الشعر العباسي ، كحافظ إبراهيم الذي اقتبس
في قصيدته " زواج الشيخ علي يوسف صاحب المويد " جزءاً من بيت للمتنبى ،
وذلك في قوله :

-
- (١) خمسة من شعراء الوطنية ص ١٣٣ . وانظر مروج الذهب للمسعودي
٦٧/٢ . وانظر تاريخ الرسل والملوك ، للطبري ٦١٥/١ .
 - (٢) ديوان عماد ص ٧٢ . وعصام هذا حاجب الملك النعمان بن المنذر
على الحيرة . انظر ثمار القلوب للثعالبي ص ١٣٦ - ١٣٧ .
وانظر مجمع الأمثال للميداني ٢٢١/٢ ، حيث جعل الميداني عصاماً
هذا امرأة أرسلها ملك كنده لخطبة ابنة عوف بن محلم له .
 - (٣) أغاريد السحر لعلي الجندی ص ٣٣٣ .

وكم ذا تمصر من المضحكات ، كما قال فيها أبو الطيب " ١ "

وأما الجنس فقليل أيضا ، لأنه لا بد للشاعر إذا أراد هذا الضرب من المحسنات اللفظية أن يجهد نفسه ، وأن يتوقف بعض الوقت ، وهذا ما لم يكن كثير من الشعراء على استعداد أن يفعلوه ، ومن الأمثلة عليهم قول صالح مجدي من قصيدة له رث فيها زينب بنت الخديوي اسماعيل ، وقد جانس في هذا البيت بين كلمتي " بحور " التي مفردا بحر ، و " بحور " الثانية التي جاءت فيها الهاء حرف جر ، ويقصد ب " حور " النساء البيض ومفردا حورا ، وذلك في قوله :

جفون العلامنها كبار بحور جرت لفتاة زهرا لا تقاس بحور " ٢ "

وجانس أمين الحداد بين كلمتي " جد " التي هي بمعنى والد الأب أو الأم " وجد " التي هي بمعنى الاجتهاد ، وذلك في قوله :

ما من يفوز بجدّه بطلا بل من يفوز بجدّه البطل " ٣ "

وجانس حافظ ابراهيم بين كلمتي " تعجبي وتعتهي " وذلك في قوله :

حطمت اليراع فلا تعجبي وعفت الهجان فلا تعتهي " ٤ "

هذا عن المحسنات اللفظية ، أما المحسنات المعنوية التي يمكن حصر أهمها في الطباق بنوعيه والمقابلة وحسن التحليل وتأكيد المدح بما يشبهه الذم وأسلوب الحكيم ، فإنه يمكن القول بعد استقصاء النصوص الشعرية المتعلقة بقضايا المرأة أن الشعراء المحدثين أهملوا أكثرها ، ولم يعنوا منها بغير الطباق والمقابلة ، ربما لأثرهما في توضيح المعاني ، ولأن الأشياء - كما قيل - تعرف بأضدادها ، والحق أنه لا يكاد الكثير من قصائدهم يخلو من الطباق والمقابلة ، فقد طابقوا بين الألوان والجهات والمسافات

(١) ديوان حافظ ابراهيم ٢٥٧/١ . أشار حافظ الى قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة له في هجاء كافور :

" وكم ذا بمصر من المضحكا ، ولكنه ضحك كالبكيا

(٢) ديوان صالح مجدي ص ١٤٠ .

(٣) أنيس الجليس ، السنة السابعة ، الجزء التاسع ، ٣٠ سبتمبر / ايلول

١٩٠٤ ص ١٩٩٥ - ١٩٩٦ .

(٤) ديوان حافظ ابراهيم ٢٥٦/١

والحركات ، وبين المعنويات والمحسوسات والحركات وغيرها ، ولو نظرنا الى بعض القصائد التي نظمها شوقي ، لوجدنا أنه استغل الطباق والمقابلة استغلالا حسنا ، ومن ذلك قصيدته ، التي رثى فيها الأُميرة فاطمة بنت الخديوي اسماعيل ، فقال :

يا بنت اسماعيل في ال	ميت لحسي تهـبـره "١"
أكان عند بيتكم	لهذه الدنيا تسره
هلا وصفتها لنا	مقبلة ومدبـره
ولونها صافية	وطعمها مـكـدـره
.....	
فاطم من يولد يميت	المهد جسر المقبره
وانه من يعمل ال	خير أو الشريره
وانما ينبسه ال	غافل عند الفرغـه
يلفظها حنظله	كانت بغيره سكره

فقد طابق شوقي في هذه الأبيات بين ميت وحى ، ومقبلة ومدبـره ، ويولد ويمت ، وبين المهد والمقبره ، وحنظله وسكره ، هذا الى مقابلته في البيت الرابع بين لونها صافية ، وطعمها مـكـدـره .

وكذلك فعل حافظ في قصيدته " زواج الشيخ علي يوسف " حيث يقول :

تضيق الحقيقة ما بيننا	ويصلى البري مع المذنب "٢"
ويهضم فينا الامام الحكيم	ويكرم فينا الجهول الفبي
على الشرق مني سلام الودود	وان طأطأ الشرق للمفرب

فطابق بين البري والمذنب في الأول ، والشرق والغرب في الثالث مع المقابلة في البيت الثاني .

(١) الشوقيات ٣/٨٩ .
(٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٥٩ .

ولم يقتصر الأمر على حافظ وشوقي ، بل ان خليل مطران تابعهما
في استغلال الطباق والمقابلة ، ولو نظرنا الى قصيدته التي رثى فيها
" ميا " لوجدناه يقول :

ويودّ الحياة عزا وجهدا لا يودّ الحياة خسفا ولينسا (١)
.....

قدّرت لفظا ولحظا وايمسا ، بما ودت النوى أن يكونا
.....

ذاك في العيش ما شغلت به والفيد تلهو وأنت لا تلهينسا
.....

فهو يرعى به لميّ حقوقنا وهو يقضي عن البلاد ديونا

وهذا يعني أن الشاعر قد قابل في البيت الثالث بين شطري البيت ،
بين الفيد تلهو ، وأنت لا تلهيننا ، وطابق في البيت الأول بين يود ولا يود ،
وفي الرابع بين حقوق وديون .

وحتى العقاد الذي كان يمثل في شعره الثورة على التقاليد لم يهجر
الطباق ، بل ظهر في كثير من قصائده ، ومن ذلك قصيدته التي وصف
فيها النساء على الشاطيء ، حيث يقول :

سمر كما اسمر الجنسى بيض كما ابيض الصدف (٢)
.....

تلقى الطويلة كالقصير ة والسماحة ، كالصلف
.....

ان تعلمنا أو تجهلا فلأنت تعلم ما التلّف
.....

مابين شرقي جفنا أو بين غربي عطف

فقد طابق العقاد بين سمر وبيض ، واسمرّ وابيض ، والطويلة والقصيرة ،
والسماحة والصلف ، ثم قابل في البيت الثالث بين " تعلمنا وتجهلا " ، وبين
شطري البيت الرابع .

(١) ديوان خليل ، لمطران ٢٨٥/٤ - ٢٨١ .

(٢) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ٤٢٥/٥ - ٤٢٧ .

وفي قصيدة أخرى للعقاد سماها " شطور " طابق بين ذكور
واناث ، وجسم وروح ، وذلك في قوله :

دليل على أن الكلام محرم اناث خلقا بينها وذكور^١
فما المرء في جسم وروح بكامل ولكن كل العالمين شطور

وفي مقطوعته " عجز أو قدره " والتي تتألف من خمسة أبيات ، استعمل
الطبايق في ثلاثة أبيات منها ، يقول :

علميني كيف لم تضطربسي بين أسما الأفاصي والأداني^٢
.....
الفواني في حجاب دائم عبت كل سفور للفواني
قدرة فيهن أم عجز طفسي أم هما في لحظة مجتمعان

فطابق بين الأفاصي والأداني في البيت الأول ، وبين حجاب وسفور
في الثاني ، وبين قدرة وعجز في الثالث .

وكذلك نجد أبا شادي الذي كانت ثقافته الانجليزية غالبية على شعره
قد استعمل الطبايق في قوله :

وهدمته بينا هو الساعي لما بينك أو يفتيك أو يهنيك^٣
.....
ونخلت بالبسمات فهي عزيزة لفتاك وهي رخيصة لذويك

فطابق بين هدم وبينني ، وبين عزيزة ورخيصة .
وطابق في قصيدته (الأناث والمرأة) بين كلمتي الدين والدنيا في
قوله :

كوني لمصر الدين والدنيا معا واعطي لمصر من السمو خلا^٤

ونظرة إلى ما أوردنا من أمثلة مختلفة على الطبايق والمقابلة ، نخرج
بنتيجة مفادها أن الشعراء لم يدعوا جديدا في هذا المجال ، وإن كانوا
قد اقتصدوا في استعمال الطبايق بالنسبة لمن سبقوهم من الشعراء .

(١) ديوان من دواوين ، العقاد ، ص ١٢
(٢) ديوان العقاد ، المجلد الثاني ٧٣٦/٨ .
(٣) الشفق الباكي ، لأبي شادي ص ١٢٨
(٤) المرجع نفسه ص ١٩٠ .

فإننا تجاوزنا صور البديع إلى صور البيان تشبيهات ومجازات ، واستعارات وكنيات ، وجدنا المأمم بها أكثر ، وحرصهم على إبراز الخواطر والمشاعر في معارض حسية واضحة ، يستمدون في ذلك من ثقافتهم وبيئتهم ، ومن ثم تراوحت صورهم بين قديمة موروثة وأخرى منتزعة من البيئة وثالثة متأثرة بالثقافة الغربية والأساطير القديمة ، لكنها في الغالب عفوية وقوية ، حتى ما استمدوه من سابقيهم لانجده على صورته ، بل نجده عند أكثرهم في معارض جديدة .

فمن الصور البيانية التي ورثها المحدثون عن سبقوهم تشبيه الباكسي أو النائح بالثكلي التي فقدت ابنها ، فأخذ صالح مجدي هذه الصورة ، وتوسع فيها ، ليستطيع أن يعبر بها عن شدة الأحزان التي لحقته بعد وفاة زوجته ، فهو ليس كثكلي فقدت وحيدها فقط ، ولكنه كثكلي أحاطت بها المصائب من كل جانب ، وفقدت ولدها وزوجها وأخاها وباقي قومها ، وذلك في قوله :

وغادرنى من بعد شخ شباهها

أنوح كثكلى جفّ ما بكائها "١"

أنوح كثكلى عند فقد وحيدها

قضى بعلها فورا وغاب رجاها

أنوح كثكلى مات بعد حليلها

أخوها وباقي قومها وفتاهها

وعرف عن القدماء أنهم شبهوا المرأة بالشمس والبدر والظبي والتمثال ، وشبهوا الرجل بالأسد والقمر ، وشبهوا الزمان بواش السهام ، فجاء المحدثون وحاكواهم في ذلك ، فقد وصف صالح مجدي زوجته بأنها شمس العلاف في الاستعارة التالية :

وهيئات إلا أموت بحسرة سريحا على شمس الغلا وضحاها^١
كذلك شبه شوقي الصبية التي يخطبها رجل مسن بالشمس ، لا تستحق
خطبتها الا الأقطار في قوله :

في كلّ غام همّة في طفلة كالشمس ان خطبت فلأقمار^٢
وصور العقاد جبين فتاة هيفاء بأنه ناصع وصاف كالنهار الشمس ، حيث
قال :

هيفاء من أواس الأندلس ذات جبين كالنهار الشمس^٣
وعجب شوقي بالنساء التركيات اللواتي يتزوجن بمصريين ، ويأثين معهم
للعيش في مصر ، فشبه وجوههن بالأهلة ، يقول :

وعلى وجوه كالأهلة روّعت بعد السفور بهرق وخصار^٤

ووصف حسن القاياتي الفتيات اللواتي يخرجن الى التنزه بأنهن ظباء
يتعرضن لمطاردة الصيادين من الشباب ، يقول :

حذار حذار أن تصاد ظباؤكم بكل محير الهدر ضوء جبين^٥

ووصف أحمد محرم جيوش الانجليز وهي تحيط بمصر من كل جانب بالأسد
المغيرة في وضح النهار ، ووصف مايقوم به قاسم وأمثاله من اغارة على عبيدة
الامة وتقاليدها خفية ، بأنه أشبه مايكون بلدغ الأفاعي في الظلام ، وهاتان
الصورتان معروفتان عند القدماء ، يقول محرم :

أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة

ودبت الينا في الظلام الأراقم^٦

وصور حسن القاياتي الفتيات السافرات خارج بيوتهن بالدر المنثور الذي
يجب خزنه ، وذلك على عادة الشمراء العرب ، حيث يقول :

-
- (١) المرجع نفسه ٣٤٧
 - (٢) الشوقيات ١٣٠/١
 - (٣) ديوان من دواوين العقاد ص ١٦٩
 - (٤) الشوقيات ١٣١/١
 - (٥) ديوان حسن القاياتي ص ٩٠
 - (٦) ديوان احمد محرم ٦٣/٢ - ٦٥٠

ألا فاخزنوا الدرّ الهدى يد يسرّكم فلم أرقط الدرّ غير خزين^١

ومن ذلك أيضا تصوير حافظ ابراهيم لنفسه يتأمل فتاة شاحبة بالعابسد
يرنو الى تمثال في الهيكل ، وهذا التشبيه سهقه اليه الأقدمون ، وذلك
في قوله من قصيدة له بعنوان " رعاية الأطفال " ؛

وقفت أنظرها كأني عابسد في هيكل يرنو الى تمثال^٢
وشبهت أوليفيا عويضة المرأة الحديدية التي فقدت حياها بالمعيس التي
تسير في الصحراء دون زمام يوقفها ، تقول :

أصبحت كالعيس في البداة سائسة

بلا حياها كأظمان بلا خطم^٣

ومن ذلك أيضا استغلال عزيز أباظه بعض المجازات والتشبيهات القديمة ،
كي يرسم صورة بيانية للمأساة التي روعته بموت زوجته ، فقد صور الزمان
بأنه رائش للسهام ، وأنه يحدّها ليرمي بها زوجها ، حيث يقول :

راش الزمان سهامه وأحدّها فرماك ثم رماك ، ثم رماك^٤

وهكذا نلاحظ أنه من الصعب علينا أن ندعي بأن هذه الصور البيانية
قديمة ومنقولة بحرفيتها عن الشعراء القدماء ، ذلك أن المحدثين أضافوا
الى الصورة القديمة لمسات جديدة أضفت عليها حيوية ، فظهرت بثوب جديد
وان كان الفضل في احياء هذه الصور يعود الى القدماء .

لكن الصورة البيانية التي أوردنا أمثلة منها ، والتي تدلّ على ارتباط
الشعراء المحدثين بالتراث واستفادتهم منه ، ليست هي الصور الوحيدة التي
يمكن الوقوع عليها في الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، بل ان هناك
صورا بيانية أخرى تبدو فيها الطرافة والجدّة ، وان ما زجها شي من القديم
أيضا ، ومن ذلك أن الشعراء العرب تعودوا أن يشبهوا المتقلب بالحرباء ،

(١) ديوان حسن القاياتي ص ١١

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ٢٧٦/١ .

(٣) فتاة الشرق ، السنة السابعة ، الجزء الثامن ، مايو/أيار ١٩١٤ م ،

ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٤) أنات حائرة ، عزيز أباظة ص ٩٥ .

ولكن الياس الغضبان نقل هذه الصورة نقلة جديدة ، ان شبه التساه
في محاولتهن جذب الأبصار بالكهريا ، وذلك في قوله :

للخود زي ليس يثبت فهو كما لحريرا يهصر دائما متقلبا "١"
يحتلن فيما يجذب الابصار ان يودون لو أصبحن مثل الكهريا

وأبداع عبد الرحمن صدقي صورة جديدة للمرأة المنصتقة من التقاليد
المتعمدة على البيت ، حين شبهها وقد انطلقت من خدرها بحيوان
مفترس موضوع تحت الحراسة المشددة ، وقد أفلتت من حراسه :

حوا هذي قد طلعت كالضاري أفلتت حرسه "٢"
ثائرة الحسن كأن بهما مارا بركان تحتبسسه

ووصف أبو شادي بيت الزوجية بالنسبة للمرأة بأنه مثل العرش الملكي ،
حيث يقول :

ولكم هجرت المنزل الباكي الى ملهى وميتك مثل عرش مليك "٣"
وشبه علي علي العزبي شاطي رأس البهر بمسوح للفرلان لكثرة ما عليه
من فتيات ، لاهم لهن سوى عرض مفاتهن وذلك في قوله :

يا مسرّح الفرلان والخرد وملعب الأبيض والأستود "٤"
ومن الصور الجديدة صورة رسمها محمود حسن اسماعيل للفضيلة ، وهي
تمشي ذليلة الى جانب الكواعب اللواتي فضحت الملابس الشفافة والضيقة ،
أجسامهن ، مثلما فضحت هائل الصياد شباكه ، يقول على لسان رقيقة زلت :

-
- (١) الضياء ، السنة السابعة ، الجزء الخامس عشر ، ١٥ مايو/ أيار ١٩٥٥ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٩ .
 - (٢) حوا والشاعر ، عبد الرحمن صدقي ص ٧٩ .
 - (٣) الشفق الباكي ص ١٢٨ .
 - (٤) أنيس الجليس ، السنة السابعة ، الجزء الثامن ، ٣١ يوليو/ تموز ١٩٥٥ ، ص ١٩٨ .

ونزلت في بلد شهدت به
مشت الفضيلة من كواعبسه
يسرين والأجسام عاريسه
فضحت معاطفهن أردية
قدس الحجاب ممزق الستر^١
مشي الذليل بهيئة الأسمر
تخرى بحسن القد والقامة
كجائل الصياد نمامه

وصور الأسمر احدى النساء ، وهي تطوف بين المدعويين في حفلة
من الحفلات بأنها تتهادى كالطاووس :
تتهادى في الحفل أشبه بالطسار

ووس يمشي من الدلال الهويني^٢
وصور النساء اللواتي يبحثن عن المال بخداع الرجال واستعمال كل
حيلة بأنهن مثل المناشير :

فاحذر غواني ان صدت وان وصلت

فهن أشبه شيء بالمناشير^٣

وصور حسن الصيرفي فتاة وهي تسبح على صفحة الماء ، والبحر يداعبها
بأواجه أنها أشبه برقصة تومى على خشبة المسرح ، وذلك في قوله :
أنت في الماء رقصة حوة فوق مسرح^٤

وصور عبد المطلب العفاف مفتالا والحجاب يهكي عليه ، حيث يقول :
من عادة غال البهافة عفافها فمكي الحجاب عفافها المفتالا^٥

ثم لم يقف الشعراء المحدثون في مصر عند حد الأخذ من القديم الموروث ،
أو الجديد التابع من البيئة المصرية ، بل حاولوا الاستفادة من الثقافة الغربية
والأساطير الاغريقية التي اطلعوا عليها ، فظهرت في شعرهم صور متناثرة هنا
وهناك تدل على ثقافتهم هذه ، فمثلا شبه محمد الأسمر هدى شعراوي
ب (جان دارك) تلك الفتاة الفرنسية التي قادت بلادها على طريق النصر في
احدى المعارك ، يقول :

(١) أغاني الكوخ ، محمود حسن اسماعيل ص ١٢٠

(٢) ديوان الأسمر ص ٣٥١ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٧٥

(٤) صدى ونور ودموع ، حسن الصيرفي ص ٨٩ .

(٥) ديوان عبد المطلب ص ٩٥ .

"جان دارك" وادي النيل ان ربح الحق

صانت حماها ، ربتها يصونها "١"

وشبه حسن كامل الصيرفي البحر للسباحة فيه " بشمشون " تلك الشخصية
الأسطورية ، وذلك في قوله :

ضجة البحر عند مصا تنهد يمين تحمي "٢"
هو شمشون فاهزئني في هواء المبرج
بالقوى منه واسبحي كالخيال المجنح

وشبه أبوشادي السابحات على شاطي " استانلي " ب " فينوس اله
الجمال عند اليونان ، وب " كيويدي " اله الحب ، أثناء ملاحقة " أبولو "
اله الشعر عند اليونان له ، وذلك في قوله :

" فينوس " تعرج فيه بين مفاتسن

ويلي " كيويدي " العزيز " أبولو " "٣"

ووصف أبوشادي احدى الجميلات التي رآهن على شاطي " ستانلي "
في قصيدته " ديمقراطية الجمال " بأنها بنت " أفروديت " لما فيها
من جمال ، يقول :

يا بنت " افروديت " جسمك فاشعل

في جسمك المتمسوج المسحور "٤"

وكذلك فعل عبد الرحمن شكري في قصيدته " هوا الخالدة " عند ما
صوّر هوا في دهائها بشخصيات نسائية افريقية وفارسية ورومية منتزعة
من الأساطير القديمة ، وذلك في قوله :

-
- (١) ديوان الأسمر ص ٢٧٥ .
 - (٢) صدى ونور ودموع ، حسن الصيرفي ص ٨٩ .
 - (٣) أطيايف الريح لأبي شادي ص ٣ .
 - (٤) فينوس ؛ اله الجمال عند اليونان .
الينبوع لأبي شادي ص ١٢٠ . أفروديت ؛ اله الحب والخصب
والجمال عند اليونان .

- كنت " هيلين " التي من أجلها خربت طروادة ذات الحصون ^١
 كنت " شيرين " التي قد ناليت عنق كسرى ، وهو ذو الملك المكين ^٢
 كنت " تاييس " اذا ما هطرت خطر القلب كطيرفي وكون ^٣
 كنت " سيفو " اذا رمت بالشعر كالجمر تذاكي لقطه للسامعين ^٤
 كنت " اسبزيا " التي قد فتئت باقتران الحسن والفهم الفطين ^٥

ومن دراستنا للصور البيانية في الشعر الذي تناول قضايا المرأة ، نستطيع القول أن الشعراء المحدثين على الرغم من تجنبهم الصنعة وبعدهم عن التكلف ، كانت لهم صور بيانية لم تأت عفواً خاطر ، وانما جاءت عن حرص شديد وقصد الى ذلك ، ولكن مثل هذه الصور قليلة ، وقد زادت فيها الصنعة جمالا وتأنقا ، ومن ذلك أبيات شوقي التي وصف فيها النساء سافرات ومبرقات ، وقد خرجن الى ما " جكمو " بقصد التنزه وذلك في قصيدته " كوك صو " بحيث يقول :

تأمل هل ترى الا جلالا تحسّ النفس منه ماتحسّ ^٦
 كأنّ الخود مريم في سفور ورائعها حوارى وقسّ

.....

حملن اللؤلؤ المنثور عينا
 كأنّ سوافر الغادات فيها
 كأنّ براقع الغادات تهفو
 كأنّ مآزر العيون انتسابا
 اذا نشرت فريحان ووزد
 عجبت لهنّ يجمعهن حسن
 كما حملت حجاب الراح كاس
 ملائك همها نظر وهمس
 على وجعائها غيم وشمس
 زهور لا تشم ولا تمسّ
 وان طويت ففسوس وورس
 ولكن ليس يجمعهن لبس

- (١) ديوان عبد الرحمن شكري ص ٦٥٢ - ٦٥٣ . هيلين : حسناء اغريقية كانت سببا في حرب طروادة .
 (٢) شيرين : حسناء فارسية .
 (٣) تاييس : ممثلة اغريقية بارعة .
 (٤) سيفو : شاعرة اغريقية اشتهرت بالفزل .
 (٥) اسبزيا : حسناء اغريقية اشتهرت في عهد بركليز أحد زعماء أثينا .
 (٦) الشوقيات ٥٢/٢ - ٥٤ .

لكن الجدير بالذكر أن هناك صورا بيانية على الرغم من جدتها تبدو غريبة وباهتة بعض الشيء ، ويكاد القارى لا يستسيغها ، ويمكن أن نمثل لذلك بالصورة التي رسمها صالح الشرنوبى لامرأة مستلقية على الشاطيء ، يقول :

تجردت كالحلم العاطفي أو الفكرة الحرة التائسة^١

فزاد الصورة غموضا ، وأحالتها من صورة محسوسة الى صورة معنوية بعيدة عن الذهن والواقع .

ومن الصور الغريبة الغامضة أيضا تشبيه أبي شادى وعد المحبوبة بالخيال ، والتي وعدا خيال بالشعر ، فقال :

الى التي وعدا في الحب أخيلة

كالشعر لكنهما ما انضرت أملا^٢

ونحس غرابة التشبيه أيضا في الصورة التي رسمها أبو شادى للنساء اللواتي يسبحن في الماء ، حيث أحال صورة المشبه التي هي " الأجسام العارية " بما فيها من حركة وحيوية الى صورة هيكل لا حياة فيه في المشبه به على الرغم أنه وصف الهيكل بأنه يشع نورا ونارا ، يقول :

هذي الجسم العاريات هياكل للحب بين النار والأنوار^٣

وهناك صور بيانية ولدت باهتة ، لا تهمز وجدان القارى ولا تشير فيه انفعالا ، فقد شبه أحد الشعراء المحدثين المرأة بصحة الشعر الذي يخلو من الأقواء ، فغلب عليها الجانب العقلي :

هي صحة الشعر التي لو لم تكن معنا لأفقد شعرنا الأقواء^٤

ومن ذلك أيضا تشبيه الأم بأنها صخرة الوادى ، فعلى الرغم من تقبل العقل لمثل هذه الصورة إلا أن أنها لا تشير في القارى انفعالا :

-
- (١) ديوان صالح الشرنوبى ص ٣١٥ .
 - (٢) أشعة وظلال لأبي شادى ص ٥١ .
 - (٣) من السماء ، لأبي شادى ص ٦٥ .
 - (٤) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء السابع ، يوليو / تموز ١٩٩٩ م ص ٢٧٥ .

هي صخرة الوادي اذا ما زوحت

في الشر وهي الهانة الميلاء "١"

ويبدو أن حافظ ابراهيم أراد في بعض صورته أن يراعي الجو الذي يلقي فيه قصيدته ، ففي قصيدته التي ألقاها في حفل افتتاح مدرسة البنات ببور سعيد وصف الأم بأنها مدرسة وأستاذ للأساتذة ، وعلى الرغم من تقبل العقل لهذه الصور ، إلا أنها كانت خالية من الحيوية ، وذلك في قوله :

الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق "٢"

الأم أستاذ الأساتذة الألسي شغلت ماثرهم مدى الآفاق

على أن تشبيه الأم بأستاذ الأساتذة أو أستاذ الفلاسفة أو الصخرية كثرت في الشعر الحديث وشاعت ، فقد صورت أوليفيا عويضة الأم بأنها أستاذ الفلاسفة وبأنها صخر دافع للرزية في قولها :

الأم أستاذ الفلاسفة الأولى بقيت محارفيهم ومنها النور "٣"

الأم صخر للرزية دافع بالمكرمات كما تشاء تسيير

ومن الصور البيانية غير المستساغة تشبيه عهد الرحمن شكري الحسناء بالمعظم العاربية من البهاء في قوله :

كلّ حسناء في لحاظي عظام عاربات من البهاء المنير "٤"

ومن التشبيهات الفاضلة التي استعملها أبو شادي ، أنه شبه فرح الطبيعة بفرح طفلة ، وبكائها بكاء الطفولة ، فزاد الصورة غموضا ، على الرغم من جدة التشبيه ، يقول من قصيدة له بعنوان " خلف الطبيعة " :

فرحت كفرحة طفلي بأبوتي وبكت كما بكت الطفولة للهوى "٥"

(١) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء السابع ، يوليو/ تموز ١٨٩٩ م

ص ٢٧٦ .

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ٢٨٢/١ .

(٣) فتاة الشرق ، السنة السابعة الجزء الأول ، ١٥ أكتوبر/ تشرين أول

١٩١٢ ، ص ٢

(٤) ديوان عبد الرحمن شكري ١٨٥/٢ .

(٥) أطياف الربيع لأبي شادي ص ٢٧ .

وإذا كان بعض الشعراء قد استعمل صوراً باهتة أو غامضة ببعض الشيء فإن آخرين خرجوا في صورهم على المشاعر الدينية أرضاً للمدوحين وبالغصة في تمجيدهم ، ومن هؤلاء محمود أبو الوفا الذي وصف هدى شعراوي في معرض رثائه لها ، بأنها " سينا الهدى " وأتته موسى - عليه السلام - وهو يناجي الله ، يقول :

وكانها " سينا الهدى " وكانني فيها " الكليم " غداً يناجي الله^١

ومن ذلك أيضاً أن أبا شادي شبه سعدا بما لاقى من مشاق بالنبي - عليه الصلاة والسلام - وشبه زوجته صفية زغلول بأمة المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وذلك في قوله :

أنت النبي شقيت وهي خديجة وكذا نجل مثيلة ومثيلاً^٢

على أن هناك شعراء آخرين انحرفوا في صورهم عن الذوق العام ، فقد جرت العادة عند الشعراء أن يشبهوا النساء بنساء مثلهن سواء في الجود أو رفعة المنزلة ، ولكن بعض الشعراء المحدثين آثروا أن يخلعوا على بعض النساء في عصرهم صوراً كانت مقصورة على الرجال ، ومن ذلك أن محمد الأسمري شبه هدى شعراوى بهارون الرشيد وبيتها ببغداد ، وذلك في قوله :

بغداد عادت فهي دار هدى شعرا ونثرا وهدى هارونها^٣

ويبدو أن شعور الأسمري بما طرأ من تغيير على المرأة السافرة وميلها إلى تقليد الرجل فيما لا يحسن تقليده فيه ، فبعد أن كان الشعراء يشبهون الرجل بالأسد ، دفع الأسمري إلى تشبيه هدى شعراوى بأسد الغابة الذي يذود عن أشباله ، وذلك في قوله :

فكنت أمام الظلم ضيخم غابسة

يذود عن الأشبال من جاء عادياً^٤

-
- (١) شعري ، محمود أبو الوفا ص ١٨٤ .
 - (٢) مصريات ، لأبي شادي ص ٤٧ .
 - (٣) ديوان الأسمري ص ٢٧٦ .
 - (٤) المرجع نفسه ٦٤٨ .

وليس هذا كل ما يؤخذ على صور الشعراء المحدثين ، بل ان هناك
صوراً عندهم اتسمت بعدم الدقة ، ومن ذلك أن الأسعر شبه النساء
بالأغصان في قوله :

مشت غانبات اليوم فوق رؤوسهن

على الشعر المقصوص بيض العمائم ^(١)

خطرن بها مثل الفصون تمايلت

بأزهارها من كل أبيض ناعم

فقد شبه الغانبات المتبخترات وفوق رؤوسهن على الشعر المقصوص
بيض العمائم بأغصان تمايلت بأزهارها البيضاء الناعمة ، وعدم الدقة واضح
من أن الأزهار لا تكون في رأس الفصن وإنما قد تكون على جانبي الفصن
أو قبل الرأس .

على أن بعض الصور البياتية في الشعر الذي تناول قضايا المرأة لم
تخل من اسفاف ، ومن ذلك الصورة التي رسمها علي الجندی لنفسه ، وتمنى
فيها أن يكون كلبا عند فتاة افرنجية اعجب بها ، وقد صور نفسه " جرو هراش "
يسعى اليها ، يقول :

يا ليتني كنت يا صاحبي " كلبيا "

عند رود ربا العظام كصاب ^(٢)

من بنات الفرنجة الفيد يحلسو

في هوى مثلها الصبا والتصابي

.....

جا يسعى اليك " جرو هراش "

وهو لو تعلمين - ضرغام غاب

وعلى الرغم من الأمثلة التي عرضناها ، فلا حظ أنه كلما ابتعد الشاعر
عن المواقف الخطابية والمناسبات العامة ، وخذ الى نفسه يتأمل ، كثرت

(١) المرجع نفسه ٣٥٣

(٢) أغاريد السحر ، علي الجندی ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

الصور البيانية في شعره ، وازدادت جمالا ، أخذ مثلا شعر شوقي وحافظ ،
ففي قصائدهما التي ألقياها أمام الجماهير تلاحظ أن الصور البيانية قليلة ،
أما القصائد التي نظمها بعيدا عن هذا الجو فقد أبدعا فيها صورا جميلة
وجديدة ؛

والى جانب ما أبدعه المحدثون الذين تناولوا قضايا المرأة من
تشبيهات واستعارات ومجازات ، نلاحظ أنهم أبدعوا كنايات جديدة لم
تكن معروفة من قبل ، حيث انتزعوا هذه الكنايات من واقع عصرهم وبيئاتهم ،
ومن ذلك أن أبا شادي كنى عن المال بقوله : (مانثر المعز) والمصروف
أن المعز لدين الله الفاطمي نشر الذهب على رؤوس الناس عندما دخل
مصر ، وقد أشار أبو شادي الى ذلك في قصيدته " الزوجة الطائشة " ،
يقول :

وطلبت مانثر المعز وان يكن أولى بابقا لمهد بنيك ^١

وكنى محمد عبد المطلب في سخرية عن الانجليز بـ " أبناء الحضارة " ،
وهذه الكناية لم تكن معروفة من قبل ، يقول :

ما بال " أبناء الحضارة " أوغلوا في أرض مصر نكايه ونكالا ^٢

وكنى حافظ عن السافرة " بحاسرة اللثام " في قصيدته التي هتأ

فيها عبد الحميد الثاني بعيد جلوسه ، فقال :

أهلا " بحاسرة اللثام " ومن اذا سفرت عنا لجمالها القمران ^٣

وكنى حافظ أيضا عن سنة ١٩١٩ م " بالسنة السوداء " لكثرة

مذاق فيها المصريون من مشاق على أيدي الانجليز ، فقال :

وفي " السنة السوداء " كتنن قسوة

لنا حين طال الموت بالمهجسات ^٤

(١) الشفق الباكي ، لأبي شادي ص ١٢٢ .

(٢) ديوان عبد المطلب ص ١٩٣

(٣) ديوان حافظ ٤٨/١

(٤) المرجع نفسه ١٣٢/١

وأكثر حافظ من الكنايات في قصيدته التي استقبل بها " الامبراطورة أوجيني " عندما زارت مصر للمرة الثانية متكره ، وكانت قد زارتها في المرة الأولى عندما دعاها الخديوي اسماعيل ، لحضور حفلة افتتاح قناة السويس التي أقامها على شرفها ، وكانت زوجة للامبراطور نابليون الثالث الذي طلقها فيما بعد ، فكنى حافظ عن يوم الافتتاح " يوم القنال " ، وكنى عن الامبراطورة أوجيني " برة التاج وشمس المهرجان " وكنى عن اسماعيل بكنايات عديدة ، أكثرها جديدة ، يقول :

أين يوم القنال ياربة التيجان

وياشمس ذلك المهرجان ؟

أين مجري القنال أين سميت الـ

مال أين العزيز ذو السلطان ؟

أين هارون مصر ، أين أبو الأشـ

بال ، أين العزيز ذو السلطان ؟

أين ليث الجزيرة " ابن علي "

واهب الألف مكرم الضيفان ؟

ومن الظواهر التي يلاحظها الدارس في القصيدة الحديثة التي تناولت قضايا المرأة ، أن الشعراء المحدثين استعملوا صيغ القسم ، وأكثروا من الاستفهام والتعجب ، وكثرت في شعرهم صيغ الأمر والنهي والنداء ، حتى أصبحت تلفت النظر ، وهذا يعني أن الشعراء المحدثين أصبحوا يميلون الى استعمال الجملة الانشائية الى جانب الجملة الخبرية .

أما بالنسبة لصيغ القسم ، فمع استعمالهم للصيغ المعروفة منها عند القدماء الا أن بعضهم أبدع صيغا لم تكن معروفة من قبل ، وتدل هذه

الصبيح على عدم اهتمامهم بمخالفة هذه الأيمان للقيم الدينية ، فقد أقسم
علي محمود طه بالخمير والنساء ، ومجلس الشعر ورحلته الى أوروبا ، وذلك
في قوله :

حلفت بالخمير والنساء ومجلس الشعر والغنم "١"
ورحلة الصيف في أوروبا وسحر أيامها الوضئ

وأقسم محمود أبو الوفا بوجه هدى شعراوي وبحسن طلعتها وسهائها ،
لأنه لا مثيل لها على حد تحبيره ، يقول :

أهدى ومن كهدي حلفت بوجهها وبحسن طلعتها ونور سهاها "٢"
وأما صيغ الاستفهام المختلفة فقد استعملها شوقي مرات عديدة فسي
أبيات قليلة ، حيث يقول من قصيدة له بعنوان " زينب المتطوعة في معركة " :

فقلت : من الحامي ؟ أليث فضنفر

من القرك ضار ، أم غزال مرهب ؟ "٣"

أم الملك الغازي المجاهد قد يسعدا

أم النجم في الآرام ، أم أنت زينب ؟

ولو اطلع القاري على ديوانه ، لوجد أنه أكثر من صيغ الاستفهام

والنداء في معظم قصائده ، التي تناول فيها المرأة ، أنظر الى قصيدته
عنت المشيب :

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا . هل للنساء يعصر من أنصار ؟ "٤"

يامعشر الكتاب ، أين بلاؤكم ؟ أين البيان وصائب الأفكار ؟

أيهكم عنت وليس يهكم سيم . بنيان أخلاق بغير جدار ؟

كما أكثر شوقي من استعمال صيغ الأمر والنهي ، انظر الى قصيدته

" مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات " ، تجد أن القصيدة لا تزيد

(١) ديوان علي محمود طه ص ٣١٩ .

(٢) شعري ، محمود أبو الوفا ص ١٨٣ .

(٣) الشوقيات ٤٨/١ .

(٤) المرجع نفسه ١٢٩/١ ، وانظر ١٧٦/١ .

عن كونها أوامر ونواه وتقريرات ، يقول :

قم حيّ هذى النيسرات حيّ الحسان الخيسرات "١"
واخفض جبينك هييسسة للخسيرة المتحفزات
لا تلغ فيه ، ولا تقل غير الفواصل محكمات

ولم يختلف شعر حافظ عن شعر شوقي في هذا المجال ، فقد أكثر حافظ من صيغ الاستفهام أيضا ، حيث كان يبدأ بعض قصائده بهذه الصيغ ، انظر الى قصيدته " رعاية الأطفال " تراها يبدأها بسلسلة من صيغ الاستفهام والتعجب ، فيقول :

شبحا أرى أم ذاك طيف غيسال
لا بل فتاة في العراء حياي ؟ "٢"
ماخطبها ، عجا وماخطبي بهيسا
مالي أشاطرها الفجيعة مالي ؟
وسألتها : من أنت ؟ وهي كأنها
رسم على ظلل من الأطلال ؟

وكما اعتمد شوقي على صيغ الأمر والنهي اعتمد حافظ أيضا ، يقول في قصيدته " مدرسة البنات ببور سعيد " :

فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا
فالشّرّ فسي التقيد والاطلاق "٣"
رأوا البنات على الفضيلة انبسا
في الموقفين لهن خير وشاق
وعلكم أن تستبين بناتكم
نور الهدى وطلو الحياء الباقي

-
- (١) المرجع نفسه ١٠٢/١ .
(٢) ديوان حافظ ٢٧٥/١ . وانظر بعض صيغ النداء في قصيدة حافظ التي رثي فيها باحثة البادية ، ديوان حافظ ١٩٥/٢ .
(٣) المرجع نفسه ٢٨٣/١

ولم يكن الاكثار من هذه الصيغ حكرا على شوقي وحافظ ، بل ان جماعة الديوان الذين حاولوا الخروج على الطريقة التقليدية في نظم القصيدة ، لم تخل قصائدهم من هذه الصيغ ، فقد أكثر عبد الرحمن شكري من صيغ الاستفهام والأمر والتداء في القصائد التي تناول فيها المرأة ، يقول في قصيدته " الزوجة الغادرة " :

لا تمد لي ذكر الغواني فانسي
لم أكن عند ذكرها بجديسد^١
أي شي* أصم صباك بسم^٢
فأراك الجديد فير جديسد
عش بخير ولا يضرك ياسسي^٣
ان ياسي على الحياة نصيري
يا ابن أمي ، ومن أرجسي له عيس
شبة مستجمع المهوى مجسدود

وعلى الرغم من أن العقاد وشكري لم ينظما الشعر كي يلقى أمام جمهور من الناس أو في احتفالات ومناسبات خاصة ، كما فعل شوقي وحافظ ، كثرت أصيغ الأمر والنهي والاستفهام والتداء في شعرهما ، يقول العقاد في وصف المناجات من النساء على " شاطي* استانلي* " :

يا ويح قلبك من هدف^٤ بين الأناقة والطرف^٥ كثر
قف في عبورك غير مأموس^٦ ره ومن يحبر وقف
هي الجمال كما بدا^٧ أولا ، فدئك والجيف
يا ويح قلبك من هدف^٨ بين التعلل واللهمف

وكما كثرت هذه الصيغ عند جماعة الديوان ، كثرت كذلك عند جماعة أبولو ، وكان أبو شادي أشهر شعراء أبولو وأغزهم انطلاقا ، بكثير من استعمال هذه الصيغ في شعره الذي تحدث فيه عن المرأة ، ففي قصيدته " القلب المتفجر " :

(١) ديوان عبد الرحمن شكري (لآلي* الأفكار) ١٨٠ / ٢

(٢) ديوان العقاد ٤٢٦ / ٥ - ٤٢٨

وهي الرمز من أن التذكير والتأنيب لم يندم على شوقي وحافظ ، بل ان جماعة الديوان الذين حاولوا الخروج على الطريقة التقليدية في نظم القصيدة ، كثرت أصيغ الأمر والنهي والاستفهام والتداء في شعرهما ، يقول العقاد في وصف المناجات من النساء على " شاطي* استانلي* " :

التي خاطب فيها احدى العاملات في التمثيل استعمل صيغ الاستفهام والنداء والأمر والتوكيد ، حيث يقول :

سمعت شكاتك يا غائبة
فهل كنت الافوادي الكليم
أعيد عليّ حديث الشجون
أعيد عليّ الهوى والعذاب
وضحكك الحلوة العائبة^١
تفجر بالأدمع القائبة^٢
وقصّي مضارعها الباقية
عليّ فأحيها ثانياً

وأحيانا تتوالى عنده بعض صيغ الاستفهام ، كقوله من قصيدته التي

رث فيها زوجته :

أين ابتسامتك الشذية بالنسي
أين ابتداءك للهديث تفنننا
أين اغتباطك بالمروحة والندى
والنور حين أهدم في الظلماء^٣
وتسلسلا يخفي عن اللدما^٤
والعطف والففران والاسدا^٥

هكذا تهدو الروح الخطابية واضحة وضوحا تاما في الشعر الذي تحدث عن المرأة ، لأن الشعراء كانوا يوجهون قصائدهم الى جمهور الحاضرين مباشرة من خلال المناسبات الاجتماعية ، أو من خلال الصحف والمجلات ، وهذا يعني أن الشاعر عندما كان ينظم قصيدته ، كان يضع في حسبانته من يقرأون شعره ، أو يستمعون اليه ، ولو كان الشعراء معنيين بالتصبير عن مشاعرهم الذاتية فقط ، دون أن يتأثروا بمن حولهم لما شاعت مثل هذه الصيغ في شعرهم بهذه الكثرة .

١٠ -

بعد هذا العرض لخصائص الشكل ننظر في خصائص المضمون من معان وعواطف ، أما المعاني فيبدو من استقراءها أنها تنوعت الى دينية وغير دينية ، قديمة وجديدة ، سامية ومبتدلة ، صادقة وكاذبة ، وغنبي

(١) الينبوع ، لأبي شادى ص ٦٠ .
(٢) من السماء ، لأبي شادى ص ٨٩ .

عن القول أن اصطراع الفكر بين القديم والجديد كان من وراء هذا التسرع إلى حد كبير .

أما المعاني الدينية فكانت من أكثر المعاني بروزاً في شعر الشعراء المحافظين ، فأحمد محرم حين هاجم دعوة قاسم أمين عدّها خروجاً على القيم الإسلامية ، وأنها دعوة لاستباحة خدور النساء وهدم لأركان الإسلام وأخلاق معتنقيه ، يقول :

سلام على الأخلاق في الشرق كلسه

إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم^١

أقاسم ، لا تقذف بجيشك تهتفسي

بقومك والإسلام ما الله عالم

لنا من بناه الأولين بقيسة

تلون بها أعراضنا والمحارم

واتخذ محمد عبد المطلب من الدين دليلاً على صحة ما ذهب إليه من معارضة للسفور وابقاء للحجاب ، حيث عدّ السفر خروجاً على ما ورد في القرآن والسنة من حض على التمسك بالفضيلة وعدم اظهار العفاتن ،

أهي التي فرض الحجا ب لهنها شرع الرسول^٢

جمل الحجاب مما ذهبا من ذلك الداء الوبيل

يامنزل القرآن نسو را للهنائسر والمقبول

وظهر أثر الدين واضحاً في قصيدة شوقي ، التي حثّ فيها النساء أن يحذرن التقليد الأعمى للغرب ، وأن يتخذن من الكتاب والحديث وسيرة السلف الصالح ونساء المسلمين نمواً لهن يهتدين به في نهضتهن النسائية ، يقول :

(١) ديوان أحمد محرم ٦٣/٢ - ٦٤ .

(٢) ديوان عبد المطلب ص ١٨٦ .

خذ بالكتاب وبالحدِيث
ت وسيرة السلف الثقات "١"
يقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريفة
لنساءه المتفهمات
كانت سكنة تملأ الدنيا ، وتمسراً بالرواة
روت الحديث وفسرت
آي الكتاب البينات
وحضارة الاسلام تنطق
عن مكان المسلمات

وهذه باحة البادية ترجع في الحكم على السفور الى رأي الأئمة
السابقين ، حيث تقول :

أما السفور فحكمه
في الشرع ليس بمعضل "٢"
ذهب الأئمة فيه
بيّن محرم ومحلل
ويجوز بالاجماع منهم
عند قصد التأهل

واتخذ القاياتي من الصعاني الدينية التي يؤمن بها المجتمع المصري
وسيلة لتذكيرهم بضرورة منع الفتيات من الاختلاط بالشباب في المتنزهات ،
لما يجرّ عليهن ذلك من خسران وخزي ، وقد دفعه الى ذلك شهوره
بأن الدين النصيحة :

ألا فاحزنوا الدرّ الديد يسركم
فلم أر قطّ الدرّ غير خزين "٣"
.....
جدير بكم أن تتبعوا الدين اتسه
قمن بحسب الداء أي قمين
لكم دين نصح قد مددت به يسدا
قضيت بهذا النصح كل د يونسي

وكان محمد صادق عرنوس من أكثر الشعراء المحدثين في مصر تسكاً
بالقيم الدينية ، ولو تتبعنا شعره ، لوجدنا أن أكثر معانيه نابعة من الدين ،

-
- (١) الشوقيات ١٠٣/١
 - (٢) النساءيات ، باحة البادية ١٤٩/١
 - (٣) ديوان حسن القاياتي ١١/١

فمثلا عندما يتعرض لقضية البغاء ، لا يقف منها موقف شعراء أبولو ، ولا يبرر سلوك البغي ، ولا يكتفي بأن يجعلها شعبانا يلدغ الفضيلة ، بل يرى أن القوانين المدنية المعمول بها هي التي تتيج لها أن تتاجر بجسدها ، وأن الحل الأمثل لهذه المعضلة لا يكون الا بالمعودة الى تطبيق الحدود الشرعية ، وينتهي على المسئولين اغلاقهم باب الأمر بالمعروف ، مما أدى الى انحطاط كرامة الدين في مصر التي تدعى الاسلام :

.....

عقوبة الشرع في التأديب كافيصة

فجددوا عهده تحفظوا بأخلاق^١

.....

الله أعلم منا حين حرّسنا

وحين أوجد نارا ذات احراق

قد ضيقوا حكمة لله واسمسة

عن الرنا وأحاطوها بأطواق

.....

باب التناهي الذي أوصى الكتاب به

الناس قد أغلقوه أي اغلاق

.....

مصر التي تدعى الاسلام قد رضيت

أن يصبح الفسق محروضا بأسواق

على أن هناك شعراء آخرين خالفوا هذه القيم ، وسعوا الى احلال غيرها محلها ، فمثلا دعا صالح الشرنوبى الى عدم التقيد بحدود الدين في نهضة المرأة المصرية ، وقد من يضمن قيودا على حرية المرأة جهلاء ، لأن الحياة في رأيه انطلاق من كل قيد ، وعنده أن من يتخذ حجته من الدين جاهل ، يقول :

أقيودا والكائنات انطلاق ؟ أم ركودا والعالمون اضطرار ؟^٢
أم يقولون : ان للدين حدا تحدد الحرب - دونه - والخصام

(١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٥٠ ، ٦ يونيو / حزيران ١٩٢٩ ص ٤

(٢) ديوان صالح الشرنوبى ص ٥٥٢ .

وهو الدين حجة الجهلان خا ر . . . وأعيان بيان الافحام

ورأى محمود أبو الوفا في الدين عقبة تحول بين المحبين ، وله سندا
طالب النصارى والمسلمين أن يعودوا الى رشدهم ، وأن يتزوجوا معا ،
وألا يبقى النصارى والمسلمون منفصلين بعضهم عن بعض ، هؤلاء نفسي
كنائسهم ، هؤلاء في مساجدهم ، لأنهم جميعا من آدم ، وهو يرفض
أن تفرق العقائد بين القلوب ، ويرفض تحكيم قواعد الدين في الحياة
الاجتماعية ، يقول من قصيدة له بعنوان " من الأعماق " :

مالي للنجارى في كنا	س والحنائف في مساجد
مال للرواشد مالمهم	لا يصهرون مع الرواشد
أوليس آدم واحدا	أوليس دين الله واحد
لم لا يكون الحسب وه	و الأصل رائد كل راشد
من فك بين عرى القلو	ب وشد من عقد العقائد

.....

جعلوا قواعد للحياة ، هل الحياة لها قواعد

وانظر الى عبد الرحمن بدوي ، وهو يصور رفضه لحياة الطهارة ، ويحاول
أن يشبع غريزته الجنسية من أي طريق كان ، ولا يهمه بعد ذلك أن يكون
مسلكه مخالفا للدين والقيم أو موافقا لها ، يقول في وصف بهيميته التي
قادتته الى طرق الشر :

سئمت نفسي من الزهـ	د ومن عوى الطهارة
فتشوقت الى الشـ	ر وفي السروح مراره
لم أدع بنت عفاف	لا ولا بنسبت عهـاره
لي على كل فتاة	بالمنى والعين غاره
والى الشهوة أسعى	بازلا كل مهـاره

وعمر طانيوس عبده عن عدم اقتناعه بما جاء في الكتب السماوية حين

(١) شعري ، محمود أبو الوفا ص ٥٦ - ٥٧ .
(٢) مرآة نفسي ، عبد الرحمن بدوي ص ٢٤ - ٢٥ .

جعلت الأزواج قوامين على نساءهم وأدعى أن لهذه السلطة التي أقرتها الأديان معنى آخر ، لكنه لم يبينه ، حيث يقول :

الله صير كل زوج حليمة رأسا لها في معظم الآيات (١)
يا أيها الأزواج لا تفرركم هذي الرياسة فهي بنت ثوان
لا تأخذوا قول الكتاب بنصه فسلطة الأزواج معنى ثانوي

على أن اعتناق بعض الشعراء لمذاهب أدبية جديدة جعلهم يعدون المرأة رمزا للألوهية ، ويدعون في شعرهم إلى تقديسها وعبادتها ، وكان أبو شادي على رأس هذا الرهط من الشعراء ، يقول :

المرأة الدنيا بحال واحد في صورة الاحسان والحرمان (٢)
أخذت عن الأبد القصي ألوهة وتعيش مفضحة عن الدينان

ويبدو أن أبو شادي كان يؤمن بمذهب وحدة الوجود ، ويرى في المرأة مظهرا من مظاهر هذه الوحدة :

ومثلت لي أنت الحياة جميعها فشهدت فيك الله روحا بعيدا (٣)

ثم لم تكن المعاني الدينية وحدها مجال الصراع بين المعارضين ، بل كانت المعاني الخلقية كذلك ، لأننا نجد كثيرا من الشعراء يلتزمون بالقيم الخلقية والاجتماعية التي سادت المجتمع المصري ، ويدافعون عنها بالحرص على بقاء المرأة في البيت ، لتقوم بواجبها نحو أسرتها وبيتها ، وكانت باهتة البادية ممن دافعوا عن هذه القيم في قولها :

مجد الفتاة مقامها في البيت لا في الممحل (٤)
كم خدمة يقضي نظام البيت ان لم تصلي
من للوليد يمينه في لبسسه والمأكول

(١) ديوان طانيوس عبده ص ٢٩ .

(٢) أطيف الريح ص ٤٦ .

(٣) الكائن الثاني ، لأبي شادي ص ٨ .

(٤) النسائيات ، باهتة البادية (١/١٤٨) .

وكان الحفاظ على الحجاب من القيم التي يحافظ عليها المجتمع ، ويمتدح على أية محاولة لزالته ، وكانت عائشة التيمورية من أوائل الذين دعوا إلى المحافظة عليه ، وافتخرت به ، ورفضت زعم القائلين بأنه يعيق تقدم المرأة ، وذلك في قولها :

بيد الحفاف أصون عزّ حجابي ومحصنتي أسمو على أترابي "١"

.....

مأعاني حجلي عن العلياولا سدل الخمار بلمتي وثقابي

وكانت المحافظة على العرض والحرض على ألا يمس بسوء من أهم القيم الخلقية ، التي كان التفريط فيها يعدّ جريمة كبيرة ، ولم يكن المجتمع يمتدح باقامة علاقات ودّ قبل الزواج ، يقول ثقبلا رزق الله على لسان فتاة أراد مغرم أن يتصباها ، فأجابته :

غير مطرود تجنّبي وانكسر مضمنا قد فزت منه بالاياب "٢"

أنت تبغي قرب عذراء ترى من دون ما ترجوه ضرا للرقاب
وزواج المرء أولى من غرام فيه معنى زلة أو ارتياب

وكانت مراعاة القيم الخلقية والاجتماعية من أهم الأمور التي حرص الشعراء على مطالبة المرأة بها ، فقد كان ستر الرأس وفض البصر ، وطاعة الزوج من أهم صفات المرأة في نهاية القرن التاسع عشر ، يقول نجيب لاذقاني :

ياينة الفضل ان خر لحي فاستري الرأس كشفه كان عارا "٣"

وانا مرة مررت بقوم فاكفني اللحظ حشمة ووقارا

ولكي تحسني بأعين زوج وتحوزي ثناء والاعتبارا

لاترو رضا شخص سواه فرضا القرين يكفي افتخارا

وكان الشعراء يعدون الرقص خروجاً على القيم الخلقية والاجتماعية المرعية في تلك الحقبة ، فحاربوا هذه البدعة الجديدة ، وحدّثوا من مغبة الانجراف

(١) حلية الطراز ، عائشة التيمورية ، ص ٢٦٥ .

(٢) أنيس الجليس ، السنة الثانية ، الجزء الرابع ، ص ٣٠ / أبريل / نيسان

١٨٩٩ م ، ص ١٤٧ .

(٣) الهلال ، السنة السادسة ، الجزء الحادي عشر ، فبراير / شباط ١٨٩٨ م

ص ٤١١ - ٤١٢ .

وراء مظاهر التقليد الأعمى التي أدخلها الأوروبيون معهم ، ومن هؤلاء
اللياس فرحات :

يا أيها الناس ان كانت ضمائركم
تأبى الخداع وما ترضى بتسخير^١
قولوا لكلّ أب في الشرق محتسماً
ان المراقص أبسواب المواخير

لكن هذه القيم الخلقية القديمة لم تعد تراعى من قبل الشعراء
جميعاً ، بل أنّ بعضهم حتى على إهمالها ، وتشبهت بقيم جديدة مستوردة ،
فإذا كان بعض الشعراء يعد كشف الرأس أو النظرة الخاطفة من قبل الفتاة
أمراً يجرح كرامتها ، فان آخرين من دعاة التقليد لم يروا بأساً في عري
النساء على الشواطئ ، بل رأوا فيه معنى سامياً يجعل عن الوصف ،
يقول علي علي الغزبي في وصف مصيف رأس الهر ، وقد أعجبه منظر
السابحين والسباحات ، وقد جلسوا معاً ، أو انفرد كل شاب بفتاة :

وان يجيء ذاك الأصيل الذي يشرحنا من وقته الأسمد^٢
اذن ترى الجنسين في مشهد تجلّه في الشكسل عن مشهد
فأغيد يرنو الى غفادة وفادة ترنمو الى أغيد
تروح هذي مع رفيقاتها وذاك مع اغوانه يفتسدي
وتلك مع هذا جلوس وذا يسير مع تلك يدا في يسد
للشاطيء الأقرب هذا مشى وهذه للشاطيء الأبعد
مرأى يزيد النفس من أنسها وأمس مثل اليوم مثل الغد

ويبدو أنّ تقبل بعضهم لمثل هذه القيم الجديدة ، قد أداهم الى الخروج
على أهم قيمة اجتماعية في تلك الحقبة ونعني بها الزواج ، فقد دعا
داود حبيب الشباب الى العزوبة ، وحذّر من مخبة الاقدام على الزواج ،
يقول :

(١) الفتح ، السنة الثانية ، العدد ٥٥ ، ٢٨ يوليو/ تموز ١٩٢٧ ص ٤

(٢) أنيس الجليس ، السنة الثامنة ، الجزء السابع ، ٣١ يوليو/ تموز ١٩٠٥

أيا سائرا في سبيل السزواج رويدك قف قبل نقل القدم "١"
وحاذر فان وثاق السزواج معط الشقاء ومهد الألم

ما اضطر المرأة أن تكون طالبة بعد أن كانت مطلوبة ، يقول الماحي :
ويحي من الفيد ان حدثنني كرمسا
فما يردن سوى القربى لأبنائي "٢"

على أن انتشار القيم المتأثرة بالحضارة الغربية أتاح للشعراء أن
يمبروا في شعرهم عن معان جديدة ، فبعد أن كان مجرد التلفظ باسم
امرأة في نهاية القرن التاسع عشر يسبب لها متاعب لا حصر لها ، أصبحت
تقبل التهانى من الشعراء في مناسبات مختلفة وتجزل لهم المطاء ، خصوصا
النساء اللواتي كان لهن نشاط ملموس في الحياة الاجتماعية ، حيث أسيفوا
عليهن صفات تدل على أنهم بدأوا ينافسون الرجال في قيادة المجتمع
وتوجيهه ، وجعلوا منهم مثلا أعلى للرجال ، عليهم أن يقتدوا به ،
ومدحوهن بصفات كانت تختص بالرجال وحدهم ، والواقع أن هذه المناقب
لومدحت بها النساء من قبل لعدت ثما لهن وثقيصة في حقهن وجرحسا
لأنوثنتهن ، وهذا يعني أن الشعراء عبروا في مدحهم للنساء عن معانسي
جديدة ، يمكن أن نطلق عليها (ظاهرة استرجال المرأة) ، فهي
أسد مرة ، وأب أخرى ، وقلبيها قلب فحل ثالثة ، وهمتها همة فتیان ،
وحزمها حزم رجال .

(١) الهلال ، السنة السادسة والعشرون ، الجزء العاشر ، يوليو/ تموز
١٩١٨ م ص ٨١١ .

(٢) ديوان الماحي ص ٢٥٤ . وراجع في نفس المعنى قصيدة عبد الله
بكري التي يصف فيها محاولة الفتيات التقرب للشباب أثناء السباحة .
أبولو ، سبتمبر / ايلول ١٩٣٢ م ، العدد الأول ص ١٩ .
وانظر قصيدة حسن الصيرفي التي يصف فيها امرأة ترجو هاجرها
أن يفتح لها الباب ، بعد أن أغلقه في وجهها ، صدى ونورود موع
ص ١١١ .

أثنى علي الجندي على صفة زفلول ، ورأى أنها نجحت في قيادة
الأمة بعد نفي سعد أكثر من الرجال ، ولهذا فهو يدعو المصريين أن يقيموا
لها مراسم وداع ، وهكذا أصبحت المرأة تستقبل وتودع ، يقول :

قف فودّع أم الكنانة فالتسو دمع فرض عليك مثل الصيام "١"
قمت بالأمر من بعد سعد على الرغم من العاديات حق القيام
وشأوت الرجال في حلبة السبق ق وجلّيت في مجال الصدام

وأثارت شخصية صفة زفلول معاني جديدة لدى نبوية موسى ، فجعلتها
كعبة للمعالي ، ومثلا أعلى يفتديه المصريون بأنفسهم ، تقول :

فابق فينا للمعالي كعبسة وجعلنا من أذى الدهر فداك "٢"

ووصفها أبو شادي بالأقدام ، وأنها طهمة ، ولهذا فهي أحق الناس
بالسعي لتوحيد الصفوف

يا أمر مصر ويا صفة سعد ما من ذاك سواك أحق بالأقدام "٣"
ولديك منبجها السليم وحسبنا أن نستقي من ذلك الإلهام

ووصف محمد الأسمر هدى شعراوي بأنها رجل ، بل أسد ، وبأنها
تهني الرجال ، وغيرها من النساء يهنيها الرجال ، يقول :

ان صحت المرأة كانت رجلا بل أسدا وخدرها عرينها "٤"
تلك التي كم أنشأت من رجل وغيرها الرجال ينشئونها

وعبر العوضي الوكيل عن إعجابه بأحدى النساء ، لأنها أعطيت قلب فتى
فحل بيوم المشاق ، فهل يعني قبول المرأة بمثل هذا الاطراء أنها تخلت
عن أنوثتها ؟

أعطى لها الرحمن قلب فتى فحل يوم المركب المسرا "٥"

(١) أغازيد السحر ، علي الجندي ص ١٥٥ - ١٥٦

(٢) ديوان نبوية موسى ٣١/١

(٣) فوق العباب ، لأبي شادي ص ٧٠ - ٧١

(٤) ديوان الأسمر ص ٢٧٥ - ٢٧٦

(٥) أبولو ، الجندي السادس ، فبراير / شباط ١٩٣٤ م ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

ولم يكتف الشعراء بذلك ، بل أصبح بعضهم يقدم ديوانه للمرأة هدية متواضعة ، فقد رفض نجيب الحداد أن يقدم ديوانه لأحد من الرجال ، لأنهم لا يمثلون الرجولة الحقة ، وقدمه لصاحبة مجلة أنيس الجليسيين " الكسندر افرينوه " لأن لديها عم الرجال وحزمهم ، يقول :

هم الرجال لهم شكل الرجال اذا
بدوا ، وان نطقوا أقوال صبيان ^١
وأنت عادة خدر قد جمعت لنسا
حسن الفتاة الى هعات فتيسان

أهديك شمري فأهدى في مجانسة

غصن الهميان الموى غصن من البسان

ومثله في هذا الافراط محمود أبو الوفا في قصيدته " الزعيمة الأولى " التي رثى بها هدى شعراوي ، حيث ذكر توسل الكثيرين بها ، ووصولهم عن طريقها الى أكثر مما كانوا يتمنون ، وهو " لا لو قضوا حياتهم صائمين مصلين لما استطاعوا أن يروموا لها حقاً ، ولم يكتف بذلك ، بل جعلها ملكاً من الملائكة النورانيين ، وأن لها قصراً مشيداً في أعلى هليين ، يقول :

فقوم بها نالوا أمورا بصبيدة وقوم بها طالوا الذي كان أبعدا ^٢
هم اليوم لو صاموا وصلوا وبالغوا فعدوا لها سبابتهم تشهدا
لما خلتهم أدوا عليهم حقوقها ولا بلغوا معابهم بلغت مدى
الى الأرض لا ، لا تنسبوها فانها من النور كانت كالملائك مولدا
اذا لم تشيدوا أبها قهرها على قمة الأهرام حجا ومسجدا
فان لها في الخلد قصرا مشيدا بقمة عليين دراً ومسجدا

على هذا النحو كان بعض الشعراء أبواق دعاية للمرأة ، أو متحمسين بلا هدف نحو دفعها الى تقليد المرأة الغربية ، دون أن يحدوا ما هو صالح للاقتباس ، وما ينبغي تنحيته جانبا ، ويبدو أنهم فعلوا ذلك مجاملة لبعض

(١) ديوان تذكارات الصبا ، نجيب الحداد ص ٢ - ٣ .

(٢) شمري ، محمود أبو الوفا ص ١٧٧ - ١٧٨ .

في تقديرها عند حد الاعتدال ، وجاءت محانيهم تبعاً لاعتدالهم انسانية
سامية ، ومن هذه المعاني الانسانية التي تستحق الخلود ، والتي لا تلبس
مع طول العهد ، تلك المعاني التي صرّ عنها عزيزاً باظه في رثائه زوجته ،
من نحو قوله يمتدراً لا ينته عن اسرافه في الهكاه ، في قصيدة له بعنوان -
" نجوى " .

تقول ابنتي : أسرفت في البهت والهكاه
وأنت لنا اليم الرجس المخلّصا " ١ "

فقلت : وهل بك على عدل نفسك
وقرة عينه من المنهيد مسـسـرف
فقدت نصيم العيش لما فقدت نصيـسا
وكنا معنا والعيش فينيان مسورق

بني اصبروا للخطب ان شبابكم
يرقه من فدح الجوى ويكفكـف
لكن مد في عمري أمنتم ، وان أمست
فربكم أحسن عليكم وأراق
أخاف عليكم ريب دهر يسوءكم
واني من اغفاسة الأهل أخوف

وأما العواطف فتزداد أهمية في الشعر الغنائي والوجداني منه
خاصة ، ذلك أن العاطفة هي التي تمنح الشعر ، صفة الخلود ، فالعلم
الذي كان في زمن ابي الطيب مات وبقي شعره ، لأن العلم خاضع للعقل ،
والعقل سريع التغير حتى في الانسان الواحد من صباه الى كهولته ، فقد
يرى اليوم رأيا ثم يرجع عنه في غده ، أما العواطف فلا تتغير الا قليلا ،
وهي ثابتة في جوهرها عند جميع الأم " ٢ " ، فعاطفة الحب مثلا موجودة عند

(١) أنات حائرة ، عزيزاً باظه ، ص ٦٥ - ٦٧ .
(٢) النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ١ / ٢٢ - ٢٣ .

الأم المختلفة ، وفي كل العصور ، وإن اختلفت طرق التعبير عنها .
وإذا كانت العواطف أساسا من أسس الشعر ، فما هي المقاييس
التي يمكن أن نقدرها بها ؟ رأى بعض النقاد أن هذه المقاييس تتمثل
في صدق العاطفة وقوتها واستمرارها وتنوعها وإنسانيتها " تساميا "
أو ضعفها .^(١)

وسنحاول في ضوء ذلك أن نتبين انفعالات الشعراء المحدثين
وعواطفهم المختلفة نحو المرأة ؛ وما أشارت لديهم من مشاعر عند ما تناولوا
قضاياها .

والواقع أن أول ما يلفت انتباهنا في الشعر الذي تناول قضايا المرأة ،
هو أن بعض هؤلاء الشعراء كان صادقا في التعبير عن رأيه ، لأنه كان
مدفوعا بدافع الحرص على المرأة ، بحكم غيرته عليها ، وشعوره بالمسئولية
نحوها ، ومن هنا كانت صيحات كثير منهم صادرة عن قلب متألم ، بسبب
خروج المرأة عن جادة الصواب في لباسها وزينتها ، خصوصا وأنه يرى
ماتفعله تمدا على القيم الدينية والخلقية ، التي كان يحترمها ويعمل
على بقائها ، ومن هؤلاء باحثة البادية ، التي صوّرت من مشاعرها بصراحة
متناهية ، وكانت صادقة مع نفسها ، حين وقفت تحترض على من دعوا إلى
سفور المرأة ، دون أن تنال قسطا من العلم والأدب ، تستطيع بهما أن تواجه
مصاعب الحياة ، وعدت من يدعون إلى السفور طغرة متلقين ، ويحاولون
التسلق بالخدعة ، وأن مشاعر الحرص التي يهدونها نحوها ليست تابعة
من قلوبهم ، ولهذا صوّرت في قصيدتها " رأي في الحجاب " عن خيبة
ألمها من هذا الصنف من الرجال :

(١) انظر النقد الأدبي لأحمد أمين ، ٣٠/١ - ٣٤ . وانظر النقد
التطبيقي والموازات ، محمد الصادق عفيفي ، مكتبة الوحدة العربية ،
الدار البيضاء ١٩٧٢ م ، ص ٢٩ - ٣٠ . وانظر خليل مطران ،
لجمال الدين الرمادي ص ١٧٤ - ١٧٥ .

أعلنت أقلامي وحينما منطقتسي
وظننت اخلاصي يفيد وهمتسي
أكبرت نفسي أن يقال تمقلت
وإذا تعلق بالخد يعة كاتسب
.....
هل تطلبون من الفتاة سفورها ؟
.....
لا تتقي الفتيات كشف وجوهها
.....
أرضيتمو عن كل شي عندنا
وخشيتمو أمر القناع اذا بقي ؟

وهكذا وصفت الباحثة مشاعر الخوف والقلق التي ساورتها ، من جراء
المحاولات الدائبة التي كان يقوم بها أنصار السفور .

وكان أحمد محرم من الشعراء القلائل الذين التزموا الصدق في التعبير
عن عواطفهم ، دون أن ينساق وراء المصلين والجهال - على حد تعبيره -
اذ كيف لعقله أن يصدق دعاواهم ، ولقلبه أن يطعن الى ما يروجون له ،
ويحاول أن يطمئن الى ما يقولون ، فيجد أن كل ما حوله يدعو الى التشبث
برأيه ، فالرجال لم يصبحوا ملائكة ، ولم يتخلوا عن نزعاتهم ، يقول :

لذلك خطة سوء لست أحمد ها
كيف السلامة والأخلاق واهية
انا نعيش بواد غير موتمن
لو كان من شعبنا قوم ملائكة

منه ، وان رضي الجهال أوحدوا
والجهل منتشر والشر متقد
تتروا القلوب به دعرا وترتعد
قلنا : أصهت ، فلا لهم ولا حرد

كان محرم صريحا مع نفسه ولم يحاول أن يتعلق أحدا ، كما فعل غيره ،
فجاءت عواطفه صادقة ومعبرة عن فطرة سليمة .

وعبر عبد الله فريج عن مشاعر العزن والأسى ، التي تعتمل في نفسه ،
بسبب ما آل اليه محاصروه من سقوط ذريح في أحضان الحضارة الغربية المادية
ومما زاد في أرقه ، أن اقبال الناس على المادة أحال حياتهم شقاء ، ومما

(١) آثار باحثة البادية ، ص ٣٠٧ .

(٢) ديوان أحمد محرم ، ٦٤/٢ .

يوجب له أنهم أخذوا عن الغرب القشور ، وأهملوا ما كان لديهم من فضائل ، فأصبح هم الشاب من الزواج أن يدرّ عليه المال ، ولا يهيمه بمسئد ذلك أن تكون زوجته صاحبة فضل ونسب أو فرساحرونا ، وهذا هو الجنون في رأيه ، يقول :

فديتك ان حال العصر أضحت	تكدّر كل ندي رأي فطين " ١ "
فواويلاه من حمال تبسدت	شقاء للبنسات وللبنين
هبانا الغرب آدابا وعلمنا	لبعض منافع أقوى ضمين
تركنا ذاك الا التدر منه	كأنواع الملاقع والصحون
ولم نحصل على ما فيه نفع	وخضنا في الأخير الى الذقون
فصار المرء يسأل عن نقود	وأملك وأمتعة وصيني
ويطمع في الحلوى طمع الفواني	ولو كانت على فرس حرون
جنون ، أين هذا من سوء	عن الأنساب والفضل المبين ؟

لقد كان الشاعر على حق عندما حذر محاصريه مما هم فيه ، وكانت عواطفه صادقة نحوهم ، لأنه حريص عليهم ، وراغب في الأبقاء على مالد يهيم من فضائل ، ومتخوف مما ينتظرهم من مستقبل مزلّم ، اذا هم استمروا في التقليد الأعمى ، وهكذا صدر عن احساس صادق وشعور لا كذب فيه ولا رياء . وانظر الى قصيدة خليل مردم " الرقص " التي وصف فيها حركات الراقصين وصفا دقيقا يدل على معرفة بها ، الا أنه آثر الصدق مع نفسه ومع الآخرين ، فرفض مزاعم القائلين أنه رياضة وفن ، وانه يورث الجسم نشاطا ، وعدّه لهوا وعيّا وصراعا بين الأهواء والفرائز ، وانه يهون كل صعب ، يقول :

زعموه يورث الجسم اضطلاعا	ونشاطا وهو لهو ود " ٢ "
وأراه بين أهواء صراعا	ريخت النفس به والجسد
* * *	* * *
كل صعب فهو بالرقص يهون	وعسير الأمر فيه كاليسير
ربّ جدّ كما من طي مجنون	وكبير مهتداه من صفيير

(١) الثريا ، الجزء الثامن ، يناير / كانون ثاني ١٨٩٧م ص ٣٠٥ .

(٢) ديوان خليل مردم ص ٢٣ .

على أن العاطفة لا يعني أن تكون قوية دافعة ، فالشعراء الذين عرضنا لأطراف من قصائد هم صدروا في عواطفهم عن قيم روحية واجتماعية وخلقية يؤمنون بها ، وتحتل من نفوسهم ومشاعرهم درجة سامية ، وقد يكون اهتمام بعضهم بأفكارهم سببا في عدم تدفق عواطفهم ومشاعرهم ، ولكن الأسباب التي أثارها تبقى صحيحة .

ومن الشعراء من غلبت قوة مشاعرهم ، فعبثوا عن مواقفهم بحماس منقطع النظر ، ومن هؤلاء أحمد شوقي الذي وقف موقفا حازما وقويا من الرجال الذين شابوا ، أو تقدمت بهم السن ، وهم حريصون على الزواج من الصفيرات ، مع العلم أن زواج الرجل من أهي أصغر منه سنا ليس محرما شرعا ، مادامت قد قبلت هذا الأمر ، ولكن شوقيا اشتد عليهم وعنفهم ، وأثار ضد هم عواطف الكراهية والاشمئزاز ، يقول :

من كل ذي سبعين يكتم شيبه	والشيب في فوديه ضوء نهار ^١
يأبى له في الشيب غير سفاهة	قلب صغير الهم والأوطار
ماحلّه عطف ولا رفق ، ولا	برّ بأهل أو هوى لديار
كم ناهد في اللاعات صغيرة	ألهمته عن حقد بمصر صفار
شغل المشايخ بالمتاب وشغله	بتبدل الأزواج والأصهار

وربما كان حافظ إبراهيم من أوائل الشعراء الذين اندفعوا وراء قاسم يؤيدون دعوته ، ولكنه أصيب بخيبة أمل شديدة من ردود الفعل السلبية التي جوبهت بها ، فلم يجد غير السخرية وسيلة يهاجم بها المعارضين في قوله :

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم	ولم يققموا في السفر ما أنت كاتبه ^٢
الى اليوم لم يرفع حجاب نسائهم	فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو أن شخصا قام يدعو رجالهم	لوضع حجاب لا ستقامت رغائبه

على أن السخرية من تصرفات النساء السافرات المتبرجات أصبحت طابعا

(١) الشوقيات ١٠ / ١٣٠

(٢) الجامعة المشامية ، السنة الثانية ، الجزء العاشر ، يناير / فبراير /

مسيراً عند بعض الشعراء بعد أن نفذ صبرهم ، ولم يعودوا قادرين على تحمل كثير من المظاهر ، التي تعد خروجاً على الحشمة والوقار .

ومن هؤلاء محمد صادق عرنوس ، الذي سخر من يحتفلون بملكة جمال مصر ، كأنهم باحتفالهم هذا يتصورون أن مصر تقدمت ، وأصبحت أهلاً لنيل استقلالها ، ولم يدروا أن تاج الجمال لا يفيد في رفع عزة مصر ، بل على العكس من ذلك ، يدل على خنوع واستسلام للاعداء ، فقال :

مصر قد أثبتت بملك الجمال ملك أبنائها للاستقلال " ١"
ولذا استقبلوا التي منحتمهم ذلك الفخر أحسن استقبال
.....
يالتاج مزيف لم يفد نسا عزة الطاك بل خنوع الموالي

وفي قصيدته " التبرج " سخر من النساء اللواتي يتبرجن بطلاء الوجوه وليس الضيق من الملابس والتبهتك في المشية ، وتساءل عن يكون زوجاً لمثل هذه الدمية التي تبرجت ، كأنها تستعد لدخول مزاد علني ، ثم يطالب الآباء أو الأقارب أن يقفوا في وجه هذا الفساد ، فيمنعوا بناتهم من الخروج على هذه الحال :

هذي فتاة حسنها رائع قد أبرزته فتنة للعبياد " ٢"
.....
من منكم بالله زوجاً لها نهلفه اشهارها في المزاد
في معرض الحسن غدت زوجه بذكرها في كل ناد يشاد
.....
ان لم يكن زوج فهل من أب أو من أخ أو محرم ذي رشاد

وسخر شاعر آخر من النساء اللواتي قصصن شعورهن ، ولبسن لباس الولدان ، وكشفن عن سيقانهن ونحوهن ، ثم خرجن بعد ذلك يطالبن بالسفور ، حيث يسأل ، هل بقي شيء لم يصفون عنه ؟ وإذا لم يكن مافعله سفوراً ، فكيف يكون السفور ؟

(١) - الفتح ، السنة العاشرة ، ٢٠ رجب ١٣٥٤ هـ ، العدد ٤٦٨ ص ١١
(٢) الفتح ، السنة الثالثة ، ١٨ ابريل / نيسان / ١٩٢٩ م العدد ١٤٤ ، ص ٥ .

فخرجن في هذا التبر
 وذهبن للشكوى لمن
 يبغين اننا بالسفو
 ان لم يكن هذا السفو
 قد كان في الحساب هذا

ج بعد تضيخ العطور^(١)
 لهم مقاليد الأمور
 ر أين بطون أم صدور؟
 ر فكيف تعريف السفور؟
 مذ فدون بلا شعور

وسخر عزيز فهمي من النساء اللواتي طالبن بمساواة المرأة بالرجل
 سخرية لاذعة ، وذلك على أثر مطالبتهن بحذف نون النسوة في اللغة
 تحقيقا لمساواتهن بالرجال ، والواقع أنه بسخريته يرفض ما وصلت اليه النساء
 من تبذل وخروج على التقاليد ، فهو حريص على أن توحي النساء رسالتهن
 وألا يضيعين أوقاتهن في أمور لا تجدي ، يقول :

هل أتاك حد يشهنه
 هذا القرار وثيقة

 النون فرض كفاية
 برى النساء من الأنوثة
 مالمغواني والرضاء

النون ليست نونه
 أفصح وذكر جمعنه
 يكفي النساء فروضنه
 مذ ملكن قيادهنه
 عة أن هذا الفرض سنه

ولم يقف الشعراء عند هذا الحد في التحبير عن عواطفهم ، بل مضى
 بعضهم بصور في شعره كثيرا من المشاعر الانسانية السامية ، التي لا تتقيد
 بحدود زمانية أو مكانية أو عرقية ، ومن أسعى هذه العواطف حبّ الوالدين
 لمن ولدا ، على أن عدم انتظار الآباء أن يرد الأبناء الجميل ، هو الذي
 يرفع من قيمة هذه العواطف ويسمو بها ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة
 " ولدي " للشاعرة جليلا رضا ، التي صرّت في قصيدتها هذه عن مشاعر
 الأمومة نحو ابنها المريض ، الذي جعلها تتمنى الهقاء الى جانبه مع
 زهدا في الحياة ، من أجل أن ترعاه ، وتحنو عليه ، وهي الى ذلك
 راضية بحكم القدر مستسلمة لمشيئته :

(١) الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٤ ، ٢٥ ابريل / نيسان ١٩٢٩ م ص ٣
 (٢) الرسالة ، السنة الثالثة عشرة ، العدد ٦٠٤ ، ١٥ يناير / كانون ثاني
 ١٩٤٥ م ، ص ٧٢ ، وانظر ديوان عزيز ص ١٠٩ .

بني ، قدّيت بالعمر القصير
لقد حكم الاله عليك حكما
فحكم الله أهدل كل حكم
بني جعلتني أهوى بقائني
وجرّعتني الزمان كغوس هم
ولكنّي سقيتك ماء قلبني
وكان الشوك في الدنيا نصيبي
أخاف على خطاك حماة أرض
فخذ ما شئت من عهد السرور^١
ومالك غير ربك من نصير
يشعّ عليك نورا فوق نور
فحشت لفصنك الغص النضير
وضنّ عليّ بالعيش القريـر
وجدت عليك بالحبّ الوفير
وكان لك الزهور مع العبير
وقد أطلو المهضاب مع الصخور

انها عواطف أم نحو ابنها ، فيها الحبّ له والاشفاق عليه ، وفيها شعور بالقلق والاضطراب ، ولكن الايمان بعدالة الله والصبر على ما ابتلاها به ، زاد مشاعرها رفعة وسموا .

على أن المشاعر الانسانية اذا سيطرت على الانسان ، جعلت في قلبه مكانا لجميع الناس ، ومن أهدق بالحطف والرحمة من فتاة امتلأت هيوية وجمالا ، لكنها فقدت نعمة البصر ، فهذا العقاد الذي تحامل على المرأة له قصيدة بعنوان " حسناء عمياء " تمنى فيها لو استطاع أن يميّرها نور عينيه ، يقول :

قرّة العين عزاء
ان طرفا يأسر النسا
ان سحرا غاض في عيب
صدت الشمس ضياها
ليت نور العين مصبا
ليس أولى يبكا العيب
وجمال عن جمال ال
لك في الكون المنير^٢
س هو الآن أسير
نيك هيئات يحور
عنك يا أخت البندور
ح محار فقعيـر
ن من الحسن الضير
كون مكشوف حسيـر

(١) - اللحن الباكي ، جلييلة رضا ، ص ٤٦ .

(٢) ديوان العقاد ، المجلد الأول (١/ ١١٨) .

وانما نعدّ مثل هذه المواطف سامية ، لأنّ الدافع اليها لم يكن الحصول على مغنم أو عرض ، ولهذا استحقت الخلود ، على أن هناك من الشعراء المحدثين الذين تناولوا المرأة في شعرهم من باعوا عواطفهم بثمن رخيص ، فاضطروا من أجل ذلك أن يبالفوا ، أو قل أن يكذبوا حتى يخفوا مشاعرهم الحقيقية ، ومن ذلك هذه الأبيات التي مدح بها محمد الأسمر هدى شعراوي ، وعدّها الرجل الوحيد ، الذي ظفر به بعد بحث جاد ، يقول :

مازلت أبحث كل البحث عن رجل فما ظفرت به حتى وجدت هدى^١
هدى هي المثل الأعلى لأمتهمسا حتى الرجال لا مستثنيا أحدا
روض يرفّ على الوادي فان عصفت به المواصف كانت نفوقه الأسدا

فهل نبالغ اذا قلنا ان الشاعر كذب على نفسه وعلينا ، عند ما لم يستثن أحدا من الرجال ، ثم ان الأمر تجاوز العالفة عند بعضهم ، حين عبّروا عن عواطف يمكن أن توصف بأنها مريضة ، ونحني بذلك روح العطف على الخاطئات ، التي روّج لها شعراء أبولو وغيرهم ، لأنهم لم يروا في تصرفاتهن ما يشين ، ولم يروهنّ الا مضطرات الى السير في هذا الطريق ، فهذا طانيوس عبده في قصيدته " الريال الزائف " يرى أن يأس المرأة من الحصول على قوتها وقوت طفلها هو الذي سوّغ لها مثل هذا التصرف ، وكأنه بذلك يخفف من وقع الجريمة ، ويسهّل الأمر على كل معوزة ، يقول :

وقد لقيت فتاها فاشراً بست
وقالت: ربّ انت عرفت ما بي
وأنت غضضت عني الطرف حتى
أجلّك عن معاقبتي بذنوب
الى وجه السماء كمستجير^٢
من البلوى فكُن فيها عذيري
يئست وكان من يأسى فجورى
أموت به لكي يحيى صفيري

ولم يكتف صالح جودت بالكفاح عن الخاطئات والعطف عليهن ، بل جعل من نفسه صديقاً لهن ، في قوله :

(١) ديوان الأسمر ص (٢٨) .
(٢) ديوان طانيوس عبده ص (٤) .

قلت: لا أبغي متاعا ليس لي جنبه ما أنا الا صد يسبق^١
على أن هذا الصديق هو الذي دعا المرأة في قصيدته " الثوب البنفسجي"^٢
الى التبرج والتعطر زيادة في الفتنة ، فهل نستطيع أن نصف هـنـسـده
العواطف بشيء آخر غير المرض ؟

وكان ظهور الشاعرات في مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر من
الظواهر الجديدة ، التي ميّزت الشعر المصري الحديث الذي عني
بالمرأة ، فكانت عائشة التيمورية في مقدمة هؤلاء الشاعرات ، ثم تلتها
باحثة البادية ، ونهوية موسى ، وجلييلة رضا وغيرهن كثيرات ، وان كنا
نلاحظ أن الشاعرات كنّ أقل حماسا من الشعراء في الدفاع عن قضاياهنّ
وكنّ أميل الى الهدوء والتعقل في معالجة هذه الأمور .

ومن أهم الظواهر الفنية التي يمكن للدارس أن يميزها في الشعر
الحديث الذي تناول قضايا المرأة ، أن وحدة الموضوع غلبت على أكثر
قصائده ، حيث انتقل الشعراء من وحدة البيت الى وحدة القصيدة ، لا سيما
عند شعراء جماعة الديوان وأبولو ، بحيث أصبحت القصيدة لديهم تشكل
في مجموعها وحدة موضوعية متكاملة ، وفدا من الصعب حذف بعض
أجزائها ، لشدة الترابط بين أبياتها^٣ ، وربما كان ذلك ناجما عن
تأثر الشعراء بما استوعبوه من نماذج الأدب الغربي ، هذا الى أن موضوع
المرأة كان من الموضوعات المصرية التي تقتضي وحدة الموضوع وترابطه ،
ولهذا بدت الوحدة الموضوعية في الشعر الاجتماعي واضحة أكثر من وضوحها
في أبي غرض آخر ، وقد نجم عن ظاهرة وحدة الموضوع في القصيدة التي

-
- (١) أبولو ، ابريل / نيسان ١٩٣٢ ، العدد الثامن ص ٨٧٥ .
 - (٢) ليالي الهم ، صالح جودات ، ص ١٤ .
 - (٣) انظر الشعر المصري بعد شوقي " الحلقة الأولى " مكتبة نهضة مصر
ومطبعتها ، ص ٣ - ٢٤ . وانظر النقد الأدبي الحديث ، محمد
غنيمي هلال ، ص ٣٩٤ - ٤٠٧ . وانظر النقد التطبيقي
والموازنات لمحمد الصادق عفيفي ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

تناولت قضايا المرأة ظاهرة أشمل ، ونعني بها وحدة الديوان ، حيث
ظهرت دواوين كاملة ، تضمها وحدة نفسية وموضوعية تمثلت في ديوان " أنات
حائرة " لعزیز أباطه ، وديوان " من وحي المرأة " لعبد الرحمن صدقي (١)
ومن الظواهر التي لفتت انتباهنا أن الشعراء الذين تناولوا قضايا
المرأة في أوائل القرن العشرين كانوا يهتمون بمجتمعهم ، ويوجهون
حدیثهم اليه مباشرة ، بينما عبر شعراء جماعة الديوان وأبولو عن موقفهم
من هذه القضايا من خلال مواقف شخصية غير مرتبطة باحداث عامة الانسي
حالات قليلة ، مما يدل على أن الطابع الشخصي بدأ يظهر عند هؤلاء
الشعراء ومن بعدهم ، متأثرين في ذلك بما قرأوا في الآداب الأوروبية ،
ولم يقف الأمر ببعضهم عند الأخذ برومانسية الغرب ، بل أغرق في غموضه ،
فمال الى رمزية مفرقة في الرومي والأحلام كما فعل أبوشادي في بعض
قصائده .

(١) انظر مقدمة ديوان " من وحي المرأة " التي كتبها عباس محمود العقاد
ص ٥ - ١٢ . وانظر ديوان " أنات حائرة " ص ١٣٢ .
وانظر خصائص الشعر الحديث ، نجمات أحمد فؤاد ، مطبعة
مخيم ، الناشر دار الفكر العربي ص ٢٨ .

الفصل الثاني خصائص النماذج القصصية

- ١ -

تدور القصيدة القصصية في الغالب حول حكاية تاريخية أو اجتماعية عن شخصية رئيسية معها شخصية أو شخصيات ثانوية ، ويختلف الشعر القصصي عن الغنائي في أنه شعر موضوعي لا يعبر فيه الشاعر عن عواطفه الشخصية مباشرة كما يحدث في الشعر الغنائي ، ولكنه يختفي خلف الشخصية أو الشخصيات التي يقيم عليها قصته "١" ، وقد كانت المشكلات الاجتماعية من أنسب الموضوعات للشعر القصصي بدليل أنني وجدت فيما تناول قضايا المرأة سبعة نماذج قصصية : هي : "وفاء" "٢"

(١) انظر النقد الأدبي ، أحمد أمين (١/٨٠ - ٨١) .
وعرف أحمد الشايب الشعر القصصي ، بأنه : فن روائي موضوعي يتناول الشاعر فيه الأحداث التاريخية أو الخرافية للأمة ، فينظمها ملاحم طويلة تنشد أو توقع على الرباب ، وذكر أنه أسبق أنواع الشعر الى الوجود ، ورأى أن الشعر القصصي يعني بتسجيل ألسوان البطولة للجماعة على لسان الشاعر ، ثم تزداد مادته بتوالي الأيام ، وقد يتوارد عليه الشعراء يضاعفون فيه ، حتى ينمو ويطول بما يضاف اليه من أساطير ووقائع ، فكان لذلك أثرأمة لا فرد ومجهود عصور لا عصر ، تكاد تختفي فيه شخصية الفرد وان ظهرت عليه آثار براعة من نقحوه وهذبوه ، ويظهر أن القصص من العصور الماضية ، لأنه يعتمد على أعمال خارقة تستخلص من ركم الحوادث السابقة ثم تصاغ صياغة جميلة . انظر اصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب

ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

ورأى أحمد أمين أن الشعر القصصي صنف عام والملحمة نوع منه ، فكل قصيدة تقص قصة يكون الغرض الظاهر منها حكاية هذه القصة تسمى شعرا قصصيا ، فاذا كانت القصيدة تتناول الرجال المشهورين والأعمال المشهورة في التاريخ فتلك ملحمة . انظر النقد الأدبي ، أحمد أمين (١/٨٠) ، وانظر الأدب المقارن ، محمد غنيمي هلال من

١٤٣ - ١٥٩ .

(٢) انظر ديوان الخليل (١/١٠٥ - ١١٠) .

و " الجنين الشهيد " ١" لخليل مطران ، و " الزوجة الغادرة " لعبد الرحمن شكرى " ٢" ، و " سليم وسلمى " لخليل شيبوب " ٣" ، و " البائسة " ٤" لعبد العزيز عطية ، و " غرفة الأحزان " ٥" لعبد العزيز عتيق ، و " الدخيل المعتدى " ٦" لمختار الوكيل ، و " ريفية تسقط في المدينة " ٧" لمحمود حسن اسماعيل .

وبهذا الترتيب نفسه كان نظمها وظهورها في مطلع القرن العشرين ، فقد نشر مطران قصته اللتين أشرنا اليهما عام ١٩٠٨ " ٨" ، ونشر عبد الرحمن قصته " الزوجة الغادرة " عام ١٩١٢ م " ٩" ، بينما نظم خليل شيبوب قصته " سليم وسلمى " عام ١٩١٧ م ونشرها في ديوانه " الفجر الأول " الذى أصدره في الاسكندرية عام ١٩٢١ م ، ونشر عبد العزيز عطية قصته " غرفة الأحزان " عام ١٩٣٤ م ، ونشر مختار الوكيل قصته " الدخيل المعتدى " عام ١٩٣٤ م ، بينما نشر محمود حسن اسماعيل قصته " ريفية تسقط في المدينة " في ديوانه أغاني الكوخ الذى أصدره عام ١٩٣٥ م .

-
- (١) المرجع نفسه ٢٢٣/١ - ٢٤٥ .
 - (٢) ديوان عبد الرحمن شكرى ١٨٠/٢ - ١٨٤ . وانظر ص ٤٠١ - ٤٠٤ من هذا البحث .
 - (٣) الفجر الأول ص ١١٧ - ١٢٥ . وانظر من هذا البحث ص ٣٧٨ - ٣٨٢ .
 - (٤) السياسة الأسبوعية ، ٨ نوفمبر ١٩٣٠ م ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٤ ص ٢٣ ، وانظر من هذا البحث هامش ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .
 - (٥) أحلام النخيل ، عبد العزيز عتيق ص ٢٣٩ - ٢٤٣ . وانظر هامش ص ٤٠٩ من هذا البحث .
 - (٦) أبولو ، مايو ١٩٣٤ م ، العدد التاسع ص ٨٤٢ - ٨٤٥ . وانظر هامش ص ٤٠٧ من هذا البحث .
 - (٧) أغاني الكوخ ص ١١٨ - ١٢٣ . وانظر هامش ص ٣٤٢ من هذا البحث .
 - (٨) انظر خليل مطران ، جمال الدين الرمادى ص ٥٨ .
 - (٩) انظر الأدب العربي المعاصر ، شوقي ضيف ص ١٣٠ .

وهذا يعني أن مطران كان من أوائل الشعراء العرب الذين اتجهوا إلى نظم القصيدة ، حيث حاكى الغربيين في هذا الاتجاه ، ونظم قصصه في أسلوب درامي لأعهد للعبودية به "١" ، وقد اتضح ذلك في قصته " الجنين الشهيد " "٢" التي كانت موضع تقدير كثيرين ، حتى لقد عدّها بعضهم اليانعة العصر الحديث لطولها وقيمتها الأدبية ، وما يتصل بتقدير قصته عند المعاصرين أنهم نسجوا على منوالها ، واعتزفوا بريادته لهم فيها ، كما فعل خليل شيبوب الذي نظم قصته " سليم وسلمى " وأهداها إلى خليل مطران ، وأشاد في معرض أهدائه بفضلها في إدخال هذا اللون من الشعر إلى العربية ، ودعا أن يعير قصته شيئاً من اهتمامه ، يقول شيبوب في مقدمة قصته : " إلى نادرة العصر وعظم النظم والنثر ، نجدنا الصناعيتين ، وناطقة القطرين :

هذه قصة قلبين	قضى كل شهيدا
صفتها في قالب	لولا ما كان جديدا
فغدا في ذاك عندي	مبدى الفضل معيدا "٣"

وقريب من مطران في السبق إلى نظم القصة ، والتأثر بالغربيين في ذلك عبد الرحمن شكرى في قصته " الزوجة الغادرة " في ديوانه الذي أصدره عام ١٩١٢ م ، بعد عودته من بعثة دراسية إلى إنجلترا .

وبالتأمل في موضوعات القصص التي أشرنا إليها ، نلاحظ أنها جزء من الواقع ، فقد تناول مطران في قصته " وفاء " حكاية فتاة أوروبية قدمت إلى مصر بقصد العمل ، فأراها أحد الأثرياء ، فأغرم بها وتزوجها ، لكن الموت لم يمهلهما فمات أسفا عليها ، وتناول في قصته " الجنين الشهيد "

-
- (١) المرجع نفسه ص ١٢٧ .
 - (٢) خليل مطران ، جمال الدين الرمادى ص ١٤٩ .
 - (٣) الفجر الأول ، خليل شيبوب ص ١١٧ .

حكاية فتاة عطيت في ملهى ، وغرر بها أحد الشباب ، فلما تخلّى عنها أسقطت جنينها ، وحكى خليل شيبوب في قصته " سليم وسلي " قصة سلمي التي أحببت سليما وأبى والدها أن يزوجه بها ، كما حكى عبد الرحمن شكرى في " الزوجة الغادرة " قصة رجل غدرت به زوجته ، وأرادت أن تضع له السم في الماء ، حتى تتخلص منه وتتزوج بأخيه ، وحكى عبد العزيز عطية قصة فتاة تزوجت من رجل لا يقيم وزنا للرابطة الزوجية ، أما مختار الوكيل فقد صور في قصته محاولة قام بها شخص ضعيف النفس للاعتداء على عرض فتاة ، وأما محمود حسن اسماعيل فقد وصف في قصته مشاعر فتاة فقدت عرضها ، بينما حكى عبد العزيز عتيق في " غرفة الأحزان " قصة زوجة وأطفال ستة فقدوا والدهم ، فحرموا من مشاركة أمثالهم في العيد .

وغني عن القول أن الشعراء قد دلّوا على موضوعاتهم دلالة قوية بما اختاروا لها من عناوين دقيقة ، وانهم وان أخذوا من الواقع قد اختلفوا فيها صوروه منه ، حيث كان التصوير في القصة الأولى لوفاة الزوج وصدق تعلقه ، وفي الثانية لتفريغ وغدر أدبا بالمقدور بها الى قتل جنينها وفي الثالث لحب حرم طرفاه من الزواج بسبب التقاليد ، وفي الرابعة لغدر الزوجة الطامحة وموتها بالسم الذي أعدته لزوجها . . . بينما كان التصوير في الخامسة لمعاناة المتزوجة من لا يقيم لرابطة الزواج وزنا ، وفي السادسة لحفاظ فتاة قتلت نفسها نجاة بعرضها ، وفي السابعة لندم أخرى كانت ضحية التفريغ ، وفي الثامنة لحرمان أرملة ذات أولاد . . .

أما الشخصيات التي قامت عليها هذه القصص فمن الواقع أيضا - كالموضوعات - لكنها تختلف في طبيعتها ودرجة أهميتها من قصة الى أخرى ، فمثلا في " ريفية تسقط في المدينة " قامت القصة على شخصية وحيدة هي تلك الريفية الساذجة التي خدعت بمظاهر المدنية فسقطت ، وفي " البائسة " نجد الزوجة الحريصة على سلامة بيتها هي الشخصية الرئيسية ، بينما زوجها الضائع في الملاهي في الدرجة الثانية ، أما باقي القصص فقد كانت على

شخصيتين رئيسيتين هما في " وفاء " فتاة أوروبية فقيرة وشاب مصري شري ، وفي " الجنين الشهيد " هما ليلي فتاة الملهى وجميل أحد رواده ، ومن ورائهما شخصيتين ثانويتين هما والد الفتاة ووالدتها ، وفي " سليم وسلمى " نجد سليما النابه الفقير وسلمى الجميلة الفتية شخصيتي القصة ، ومن ورائهما ابو الفتاة وشخص آخر شري أجبرت على الزواج منه ، وفي " الزوجة الغادرة " قامت القصة على الزوجة الخادعة وزوجها المخدوع ، يحيط بهما شخصيات ثانوية هي صديق الزوج وخادمه وشقيقه ، وفي " الدخيل الممتدى " خاطب يستغل ظروف الآخريين ومخطوبة رفضت أن تسام ، ومعها والدها الحريص على سلامتها ، أما غرفة الأحران فتقوم على أم ولأطفالها الستة بعد أن فقدوا عائلهم .

وكما اختلف أصحاب هذه القصص في طبيعة الموضوعات والشخصيات ، اختلفوا في طريقة الحكاية ، فمنهم من اعتمد على سرد أحداث القصة سردا ، كما فعل خليل مطران في قصته " وفاء " وفي قصته " الجنين الشهيد " ، حيث لم يفسح مجالا لنقل الحوار بين الشخصيات ، وانما اعتمد على وصف هذا الحوار باستعمال صيغ معينة مثل : قالت له ، قال لها نحو :

وقالت له : اني فتاة عليقة على موعد من طارىء متوقع^١

فقال لها : بل يشهد اللهينا وأسقام قلبي الواله المتوجع
فقلت له مسرورة وهي قد جثت لديه بذل العاشق المتعبد

وكذلك اعتمد خليل شيبوب في قصته " سليم وسلمى " على وصف الأحداث والشاعر ، ولم يسمح للشخصيات أن تعبر عن وجهات نظرها مباشرة ، انظر اليه وهو يجمل الحوار الذى دار بين سلمى ووالدها في قوله :

وجاءت أباهما مرة وشكت له غرام سليم وهو ان طال أقصد^٢
وقالت له ماضر لو زوجت به وما كان الا كامل الخلق أيدها
فان يك عنهم قد تدانى مقامه فمن يتزوج سيدها كان سيدها
أتعشق بنت الشوم ثم تحببته ليسعفها فيمن تحب وينجدها
ولا تستحي فيما تقول ومن له مكان سليم أن يزوجه السردى

(١) ديوان خليل ١٠٧/١ - ١١٠

(٢) الفجر الأول ص ١٢٠ .

بينما حاول عبد الرحمن شكرى في قصته " الزوجة الغادرة " أن يعتمد على عنصرى السرد والحوار معا ، مما أتاح للشخصيات أن تعبر عن نفسها وللقارىء أن يراها وهي ممثلة حيوية ونشاطا ، فقد بدأ قصته بحوار أجراه بين الزوج الذى اكتشف خيانة زوجته وبين صديق له أراد أن يعرف السبب فى عزوفه عن الفوانى ، ومن خلال هذا الحوار أبان عن السبب الذى جعل الزوج يعزف عن التفكير فى وصل الفوانى ،

أى شيء يهفوبليك عن وصل الفوانى وعيش أهل الجدود " ١"
قائما فى النعيم مثل مقام طالب الرى فى جوار الغدير ؟

* * *

لا تعد لى ذكر الفوانى فانى لم أكن عند ذكرها بجليد
كل حسناء فى لحاظى عظام عاريات من البهاء المنير

ومما يلاحظ على قصة عبد الرحمن شكرى أيضا أنه لم يعتمد على الحوار فقط ، بل سمح لشخصيات قصته أن تروى الأحداث بنفسها دون أن يشعروا بأنه حاول أن يتدخل فيما يجرى حولها ، مما ساعد على توضيح الحالة النفسية لهذه الشخصيات وأضفى عليها مزيدا من الحيوية ، فجعلنا نصفى الى حد يشها ، يقول على لسان الزوج المخدوع وهو يروى قصة تعرفه على الزوجة الغادرة :

كنت فى صحة من العيش دهرًا أتمنى زيادة المستزيد " ٢"
فألاحت لى الخطوب لحينى بفتاة كيفية المستجيد
ولجت فى الصميم منى ونالت مايشاء الهوى بدل غريير
فرأيت الحياة بغيه من يهوى ، وان الهوى قرين الخلود
وتنادى بى الفرور فىا لهوى فى على نشوة الهوى والفرور
عينت موعدا فبت أنا جيا ه الى أن دعا نذير الوفود

- ٥ -

وتبعًا لتفاوتهم فى ترتيب الحكاية كان تفاوتهم فى ترتيب الأجزاء وتسلسلها ونموها من جهة أخرى ، أما الذين لم ينجحوا فى إجراء الحوار

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى ٢ / ١٨٠ .

(٢) المرجع نفسه ٢ / ١٨١ .

واكتفوا بوصفه بالتعبير المباشر لم تسلم موضوعيتهم من غنائيتهم ، وعند ما حاول بعضهم ترتيبها وتسلسلها في سياق نام ، كمطران في " الجنين الشهيد " لم يتم له ما أراد بسبب غنائيته التي قطعت السياق في غير موضع ، كقوله ناقدًا بعد أن ذكر احتيال العشاق على فتاة قصته :

أعدلا بياهي عصرنا زما خلا

وقد عود الأطفال فيه التسولا "١"

وسيمت به الابكار سوما محللا

وباعت نساء ولدها واشترت حلبي

وربي طفل البيت تربية السخل

ويبدو أن عبد الرحمن شكرى في قصته " الزوجة الغادرة " كان أقدر الجميع على نظم القصة الشعرية وأعرف بخصائصها ، حيث بدأ قصته بحوار مهّد به للدخول في القصة ، ثم ترك الأحداث تنمو وتتابع بتسلسل منطقي ، فكل حدث من الأحداث التي أتى عليها يكون نتيجة لما قبله وسبباً لما بعده ، فمثلاً جعل حدث عقد الزواج على " أسماء " منوطاً بحدث آخر سبقه وهو موافقتها على الاقتران به ، ثم مهّد لأهم حدث في القصة وهو محاولة الزوجة الغدر بزوجها ، بحدث سبقه وهو زيارة شقيق الزوج المقيم بالزوجة واتفاقهما معا على التخلص من الزوج ، وجعل حدث اتفاقهما مهّداً لحدث آخر وهو وضع السم من قبل الزوجة في كأس زوجها ، وجعل وضع السم في الكأس واكتشاف الزوج للمؤامرة سبباً للحدث الأخير وهو استبدال الزوج بالكأس المسموم الذي وضع أمامه كأس الزوجة الذي كان أمامها ، دون أن تدرى ما أدى الى موتها ، وعليه يكون النجاح الذي حققه شكرى في قصته راجعاً في الحقيقة الى تتابع الأحداث ، وتوزيع الأدوار على الشخصيات ، وعدم السماح لمواطنه الشخصية بالظهور بطريقة مباشرة ، هذا الى جانب استعانهه بعنصر الحوار ، واعتماده على المفاجآت التي كان لها دور في تأجيل نهاية القصة مرات عديدة ، فالمفاجأة الأولى كانت

(١) ديوان الخليل ١/٢٣١ .

في حضور أخيه الذي جاء يبلغه أن أسماء التي ينتظر أن يعقد قرانه عليها لا تحبه .

فإذا طارقي أخي صنو نفسي
جاء يسعى سعي اللهيف ويهتز
قال والنسع ملء عينيه واللحم
ان أسماء لا تحبك فاستق
ونصيري على المنى وعقيدى "١"
اهتزاز المحسوم والمقرور
ظ شريد في اثر دمع شريد
بل بحزم فواقر المقذور

وكنا نتوقع أن تنتهي القصة بعد ذلك ، ولكن الشاعر استمر في قصته وأتى أثناءها على مفاجآت أخرى ، ليوقفنا في نهاية القصة عند مفاجآت الكبيرة ،

نحن حول الخوان ننتظر الطعم
وهي قد أفرغت لي السم في كو
ثم غافلتها وأفرغت كوي
مما قد هيأت في القدر "٢"
بي وقامت تمر غير بعيد
فوق ماء بكوبها من زور

وقد حاول شكرى أن يجعل من المفاجأة الأخيرة عقدة القصة ، لكن كثرة المفاجآت التي أتت عليها في قصيدته أضعفت عقدة القصة أو المفاجأة الكبيرة على الرغم من نجاحه في اختيار النهاية المناسبة لقصته ، على أنه يمكننا القول ان العقدة ليست واضحة تماما في القصيدة القصصية ، وربما كانت أوضح في القصص النثرية منها في الشعرية ، لأنها تعتمد في ظهورها على عناصر متعددة منها كثرة الشخصيات وتحديد أبعادها النفسية وتقديمها للقارئ بشكل واضح ، وكل هذه الأمور لا تتيحها طبيعة القصة الشعرية التي اتسمت بالسذاجة في أغلب الأحيان .

وقد حاول ناظمو القصة الشعرية أن ينطقوا كل شخصية بما يناسبها فمثلا عبر محمود حسن اسماعيل في قصته " ريفية تسقط في المدينة " عن ندم هذه الريفية وأسفها لما آلت اليه حالها ، وأفسح لها المجال كي تدافع عن سقوطها ، وتعبر عن رأيها في شباب العصر الذين جعلوا من اللهو غاية لهم ، ان يقول على لسانها :

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى ١٨١/٢ .
(٢) المرجع نفسه ١٨٤/٢ .

واها على دنيای ما صنعت
فتكت بعصمته ولو عدلت
.....
ونزلت في بلد شهدت به
.....
وشبابه غاو قصاراه
من عيشه لهو وتجميل
وسلب الأنوثة من عذاراه
ومشى عليه العار مسدول

وأیضا أفصح مطران في قصته " وفاء " للفتاة التي اتخذت من الضرب
على العود مسهنة لها ، كي تعبر عن مشاعرها وتكشف عن حقيقتها للشباب
الذي أغرم بها ، وأراد أن يتزوجها ، حتى يكون على بينة من أمره ،
وكان الشاعر أراد أن يعطيها فرصة للتعبير عن مخاوفها ، لأنها تشعر أن
زواجها يتم بين فتاة فقيرة مريضة وشاب ثرى ينتمي الى أسرة عريقة هو زوج غير
متكافي ، يقول مطران على لسان هذه الفتاة :

وقالت له : اني فتاة عليلة على موعد من طاريء متوقع " ٢"
تناوطني جوع وبرد فأقلقا دعائم صدرى الخائر المتصدع
وبي صعة في الحال حان رقاصها ومثلك ان يقرن بمثلي يوضع
واياك حبا دونه كل شقوة تعاني به دائي وتفجع مفجعي
لك الجاه فاختر كل ناضرة الصبي ربيبة مجد ذات قدر مرقع

وكما عبّر مطران عن مشاعر الخوف التي انتابت هذه الفتاة ووصف حالتها
النفسية ، نجح مختار الويكيل في التعبير عن موقف الرفض الذي أبدته
احسان احدى شخصيات قصته عندما طلب الدخيل المعتدى من والدها
أن يتزوج بها ثمنا لانقاده من مرضه ، لأنها لا تسمح أن تكون موضوع
مساومة من قبل أحد :

(١) أغاني الكوخ ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٢) ديوان الخليل ١٠٧/١ .

قال : كل ما أرجوه احسان الفتاة الناعمة "١"
زوجة لي في ضفاف النيل تمشي حالمة
صرخت احسان : يا جور الحياة الظالمه
كيف ترضى يا أبى أن اغتدى كالسائمه ؟

على أن الشعراء الذين نظموا النماذج القصصية وعالجوا فيها قضية
العلاقات الزوجية قد حاولوا في قصصهم أن يعبروا عن المعاني الجديدة ،
التي شاعت بين أفراد المجتمع في القرن العشرين ، فمثلا عبر خليل مطران
عن سوء ظنه في شباب عصره ، الذين ليس لهم عمل غير الاعتناء بمظهرهم
والحصول على المال بالطرق غير الشريفة ، يقول من قصته "الجنين الشهيد" :

وكان جميل كالنساء له حلى ويكسى جلابيب الحرير تبدلاً "٢"

.....
فيأخذ مال السحت والعيب رشوة ويسخو كما لو كان يملك ثروة

ووصف عبد العزيز عتيق الدور الذي يقوم به الوالد في حياة الأسرة ،
ورأى أن أى انسان آخر لا يمكن أن يملأ الفراغ الذي يخلفه رحيله ، وذلك
على لسان طفل افتقد أباه :

فاستمض عن أبيك خالك خالي أين خالي من والدى اليوم أيننا "٣"
وعبر خليل شيبوب عن سخطه على العادات القديمة ورغبته في احلال
عادات جديدة محلها ، لأن التقليد القديم في رأيه يفضي بالمجتمع الى
الهلاك ، حيث يقول :

يقلد بعض الناس بعضهم وهمل يعيش الذى يقضى الحياة مقلدا "٤"

ألا انها العادات سلعة خاسر ولن يترقى القوم الا تجردا

وعبر مختار الوكيل عن رغبته أن تعامل الفتاة المصرية معاملة انسانية ،

(١) أبولو ، مايو ١٩٣٤ م ، العدد التاسع ص ٨٤٤ .

(٢) ديوان الخليل (١) / ٢٤٠ .

(٣) احلام النخيل ص ٢٤٣ .

(٤) الفجر الاول ص ١٢١ .

وأن ينظر الرجل اليها نظرة تكريم واحترام ، وألا يعدها من سقط المتاع :

ومتى كانت فتاة النيل تشرى وتبتاع "١"
ومتى احسان كانت تقتني مثل المتاع

لكن خليل مطران في قصته " الجنين الشهيد " أتى على بعض المعاني التي لم يأت عليها شاعر غيره ، حيث وصف قدرة النساء اللواتي يعملن في الملاهي على تصيد الرجال والوصول الى أسرارهم وكشفها واستغلالها في سبيل كسب المزيد من المال ، يقول مطران :

يحدثها كل بأمر تجدد ا ويفشي لها أسرارها متوددا "٢"
وما يكشف البدر الظلام اذا بدا كما تكشف الأسرار ليلي وما الصدى
بأسرع منها في الحكاية والنقل

وعلى الرغم من أن هذه النماذج القصصية واقعية كما أسلفنا ، يبدو أن خيال الشعراء تدخل في نهاياتها أحيانا كما في قصة " وفاء " التي نظمها مطران ، والتي اختار لها نهاية قد تكون أقرب الى الخيال ومن الصعب حدوثها في الواقع ، فقد جعل الزوج يقضي نحبه في نفس اللحظة التي فارقت فيها الزوجة الحياة ، يقول :

ولما أجابت داعي البين موهنا أجاب كما شاء الوفاء وما داعي "٣"
أصابت سهام اليأس مقتل قلبه فما نعت حتى على اثرها نعي

وأنهى شيبوب حياة سلمى بطلاة قصته بالموت ، وجعل سليما بطل القصة يقضي نحبه قتلا ،

فماتت وغصت الأسى في فؤادها

ومقلتها في الأفق ترقب فرقد ا "٤"

.....

فلزّ الى أضلاعه النصل خارقا

وغيب في المعظم الحديد وأغصدا

(١) أبولو ، مايو ١٩٣٤ ، العدد التاسع ص ٨٤٤ .

(٢) ديوان الخليل ٢٣٣/١ .

(٣) المرجع نفسه ١١٠/١ .

(٤) الفجر الأول ص ١٢٣ - ١٢٤ .

ومال صريحا كالمنارة ان هوت

وكالجدع ملقيا طريحا مسددا

وكذلك فعل عبد العزيز عطية عندما أنهى قصته بأن جعل
" البائسة " تغارق الحياة حزنا :

واستراحت في حفرة غيّبتها يطر المزن تريبها والسحابا "١"

ولا يبعد في هذا الموقف أن يكونوا متأثرين بالأدب الغربي الذي
كان طابع الحزن والرومانسية غالبا عليه في القرن التاسع عشر ، لأنهم
اطلعوا على هذا الأدب اما في لغته الأصلية ، كما فعل مطران وشكري
واما مترجما الى العربية كما فعل غيرهما .

ومع هذا التجديد نجد لهم بعض الصور الجزئية التي تأثروا فيها
بما ورثوه عن الشعر القديم ، أو بما حولهم على قلة هذه الصور ، لأن
ناظم القصة في الحقيقة يصب كل اهتمامه على الأحداث والشخصيات
من ذلك تشبيه عبد العزيز عطية البيت الذي نزلت فيه بطله قصته بالقفر
واليباب حيث يقول :

ورأت داره وقد دخلتها تشبه القفر واليباب خرابا "٢"

ومن الصور الجديدة المتأثرة بالبيئة تشبيه مطران للتربية التي يلاقيها
الطفل المتسول بتربية السخل ، يقول :

وربي طفل البيت تربية السخل "٣"

أما اللغة التي عبر بها الشعراء عن شخصيات قصصهم ، فقد
اختاروها ما يناسب هذه الشخصيات ، ويدل على بيئاتها ويصور الحقبة
الزمنية التي كتب فيها القصة ، فمثلا استعمل محمود حسن اسماعيل كلمات

(١) السياسة الأسبوعية ، العدد ٢٤٤ ، ص ٢٣ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٣ .

(٣) ديوان الخليل (١/٢٣١) .

وجملا تناسب طبيعة وبيئة الريفية التي زلت قدمها في المدينة ، ومن هذه الكلمات والجمال : " واهما على دنياك ، الآثم الجاني ، عذراء ، العفاف السامي ، عصفت بي الأرزاق ، قدس الحجاب ممزق الستر ، تفرى بحسن القدّ والقامة ، العار مسدول ، يسام ، ألقاه مبتذلا ، سقطت . . . " .

وعبر عبد العزيز عتيق في قصته " غرفة الأحزان " عن مشاعر الأبطال الذين فقدوا والدهم بلغة تناسب سنهم وتصور مشاعرهم ، دون أن يلجأ الى التأنق في اختيار الألفاظ ؛ ومن ذلك : ((جنوا حول أمهم ، أين يا أم والدي ؟ ناشديه بأن يعود ، ألا يعود قريبا ؟ أين خالي من والدي ، سرى النوم في الجفون ، ثغور أطفأ اليتيم حسنها . .)) .

وإذا كان شعراء النماذج الغنائية قد استفادوا من تنويع القافية ، فان شعراء النماذج القصصية لم يكونوا أقل استفادة ، لأننا لانجد لهم على قافية واحدة الا " وفاء " و " سليم وسلمى " .

أما الجنين الشهيد فقد قسمها مطران الى خمس عشرة ومائة مقطوعة كل مقطوعة من بيتين وشطر خامس ، ولكل منها عدا الشطر الخامس قافية أما الخامس فعلى اللام في القصيدة كلها .

وأما " الزوجة الفادرة " لشكري فقد استعمل قافية الدال في البيت الأول والراء في البيت الثاني ، ثم كرر هاتين القافيتين في كل أبيات القصيدة .

وأما " البائسة " لعبد العزيز عطية فقد جعلها مقطوعات ، ونظم كل مقطوعة من خمسة أبيات ، التزم في البيتين الأولين من كل مقطوعة قافية واحدة ، ثم التزم في الأبيات الثلاثة الأخرى التي تليها قافية أخرى تختلف عن التي قبلها .

وأما " غرفة الأحزان " لعتيق فقد نظمها على شكل مقطوعات تتكون كل مقطوعة من ستة أبيات تضمها قافية واحدة تختلف عن قافية السداسيات الأخرى .

وأما " الدخيل المعتدى ، فعلى شكل رباعيات ، وصل عددها الى ثمانى عشرة مجموعة ، لكل مجموعة قافية واحدة تختلف عن قافية المجموعة التي قبلها .

وأما " ريفية تسقط " لمحمود حسن اسماعيل ، فعلى شكل ثنائيات ، جعل لكل بيتين قافية تختلف عن قافيتي البيتين اللذين سبقا .
لكن شعراء النماذج القصصية وان شاركوا شعراء النماذج الغنائية ميلهم الى تنويع القافية قد خالفوا في الميل الى البحور الكثيرة التفاعيل ، حيث نجد من هذه النماذج ثلاثة منظومة على الطويل " ١ " ، وواحدة على الكامل " ٢ " وثلاثة على الخفيف " ٣ " وواحدة فقط على مجزوء الكامل . " ٤ "

(١) راجع ديوان الخليل ٢٢٣/١ ، قصة " الجنين الشهيد " ، ومطلعها :

أتت مصر تستعطي بأعينها النجل وعرض جمال لا يقاس الى مثل
وانظر ديوان الخليل ١٠٥/١ ، قصة " وفاء " ومطلعها :

أشيري الى عاصي الهوى يتطوع ونادى المنى تقبل عليك وتسرع
وانظر الفجر الأول قصة " سليم وسلمى " ص ١١٧ ، ومطلعها :

يقاتبها فيه الفؤاد مفندا فتفريه حتى ينثني متوددا

(٢) راجع ديوان أغاني الكوخ ص ١١٨ ، قصة " فتاة ريفية " ومطلعها :

واها على دنياء ماصنعت بالحسن في كنف الصبا الغاني

(٣) راجع ديوان عبد الرحمن شكرى ١٨٠/٢ ، قصة " الزوجة الغادرة " ومطلعها :

أى شي يهفوبليك عن وصل الفواني وعيش أهل الجدود

وراجع أحلام النخيل ، عبد العزيز عتيق ص ٢٣٩ ، قصة " غرفة الأحران " ومطلعها :

مالت الشمس في طريق المغيب ومشى النور خلفها للمغيب

وراجع السياسة الأسبوعية ، ٨ نوفمبر ١٩٣٠ م ، العدد ٢٤٤ ،

ص ٢٣ ، قصة عبد العزيز عطية " البائسة " ومطلعها :

مزق القلب طعنة آلمتها ورمها القضاء سهما فصاها

(٤) راجع أبولو ، مايو ١٩٣٤ م ، العدد التاسع ، ص ٨٤٢ ، قصة

مختار الوكيل " الدخيل المعتدى " ومطلعها :

أرسل الأنثى من قلب أمضته السنون

الفصل الثالث خصائص النماذج التمثيلية

- ١ -

الشعر التمثيلي أدب موضوعي "١" يعد الحوار من أهم عناصره ، وهو الذي يميزه عن الشعر القصصي ، على الرغم من اتفاقهما في أمور كثيرة ، ذلك أن القصة لا تحتاج الى مسرح تستعين به في أدائها ، بينما تقتصر التمثيلية الى مسرح يبرزها ، فالمسرح مكمل لها ، ولا يمكن أن تنهض بدونه ، والمسرحية تكتب أولا ثم تمثل ، أي أنها عمل أدبي يسمع بينما يرى ، وهو عمل لا يسمعه شخص أو أشخاص وإنما يسمعه ويراه جمهور غفير من المتفرجين "٢" على أن هذا اللون من الشعر لم يكن معروفا عند العرب من قبل ، وهو أثر من آثار اتصال الشرق بأوروبا . ولدينا من هذا الشعر فيما يعالج قضايا المرأة نموذجان : ملهية الست هدى لأحمد شوقي ، والفصل الثالث من مسرحية "سماء" لمحمد فريد عين شوكة .

أما أحمد شوقي فأبرز رواد الشعر التمثيلي وممهدي سبيله في الأدب العربي الحديث "٣" ، بعد أن كان هذا الأفق حلما ذهبيا لكل من

-
- (١) أنظر النقد الأدبي ، أحمد أمين ص ٧٩ ، ٨١ .
 - (٢) أنظر في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، ص ٢١٦ . وانظر أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ص ٣١٢ . حيث ذكر أن الشعر التمثيلي يمتاز بأنه حوار عملي يصور الشخصيات المختلفة ويخضع لوحدة القصة وخطتها العامة ، فيجمع بذلك بين خاصتي القصص الموضوعية والفنناء الذاتية ، ويتطلب من مؤلفه جهدا خطيرا وتجارب واسعة ، واتصالا بجميع البيئات والطبقات ، حتى يتيسر له عرضها بثقاليدها ولغتها وأسلوب فهمها الحياة وآمالها وغرائزها وأخلاقها .
 - (٣) أنظر في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي ٢٨٤/٢ . حيث ذكر ==

تحدثوا عن التجديد ، فقد ألف مسرحيات أعجب بها معاصروه ، وكان الجو خالياً إلا من محاولات ضعيفة ، وكانت اللغة العامية تطفئ على المسرح فسي مصر ، ولا تعرض على الجمهور سوى حكايات مضحكة تتخللها الأغاني والألحان ، فلما أخرج شوقي مسرحياته الفصيحة عدواً ذلك منه عملاً جديداً ، وقد ترك شوقي بعد رحيله ومسرحيات سبعمه ، ست مآسٍ ومطهاة واحدة ، حيث بدأ منذ سنة ١٩٢٧ م في إخراج مسرحياته تباعاً ، فكانت ثلاث من مآسيه تسترزي الحافظة الوطنية لدى المصريين ، وهي : مصرع كليوبترا ، وقمبيز ، وعلي بك الكبير ، وكانت ثلاث أخرى تسترزي العواطف العربية والإسلامية ، وهي : مجنون ليلى ، وفتنه ، وأميرة الأندلس ، أما المطهاة فقد اتخذ موضوعها من الحياة المصرية الشعبية .^١

وأهم ما يميز الشعر التمثيلي أن الشاعر يجد فيه سعة في التعبير المستفيض عن آمال النفوس والآمال ، وشرح أحوال المجتمع واستخلاص العبر منها بسبب تعدد الشخصيات في التمثيلية الشعرية ، ونظم ما يتصور الشاعر أنه يجري على ألسنتها ، على أن طبيعة هذا الشعر تسمح بتعدد الأوزان فسي الموقف الواحد أو المواقف المتعددة ، وهذا ما كان بعض الشعراء والنقاد يعدونه عيباً ، ويرون فيه علامة عجز .^٢

ومع أن شوقياً قد أبدى اهتماماً بالحوادث التاريخية في أول الأمر^٣

== أن خليل البارزجي سبق شوقي ، فنظم تمثيلية " المروءة والوفاء " عام ١٨٧٦ في ألف بيت من الشعر ، ونظم محمد عبد المطلب عام ١٩٠٩ عدداً من المشاهد المسرحية . وذكر أيضاً أن شوقياً الذي بدأ عام ١٩٢٧ م في تأليف عدة مسرحيات شعرية كان قد بدأ محاولاته فسي فترة مبكرة تعود إلى أيام دراسته في باريس من سنة ١٨٨٧ - ١٨٩١ م فاختار مأساة علي بك الكبير موضوعاً لمسرحية شعرية ، لكنه تراجع عن المضي في هذا الطريق إلى أن عاد إليه في أخريات حياته ، وراجع مقدمة مسرحية الست هدى التي كتبها أحمد زكي ص ٨ - ٩ . وذكر عبد المحسن عاطف سلام في كتابه " مسرحيات عزيز أباظه أن الشيخ عبد الله الهسقاني كان ممن نظموا المسرحية الشعرية قبل شوقي انظر ص ٥٧ .

- (١) شوقي شاعر العصر الحديث ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ص ١٧٤ .
- (٢) التيارات المعاصرة في النقد الحديث ، بدوى طبانه ص ١٤ .
- (٣) المسرح ، محمد مندور ، مطابع دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ١٩٦٣ ص ٧٢ .

نجده ينظم قبل موته بتليل ملهبة " الست هدى " التي استقى موضوعها من الحياة المحاصرة له في الحي الذي كان يسكن ، حيث كان يشاهد عن قسرب علاقات الرجال بالنساء ، وما كانوا يتمتعون من عادات وتقاليد ، والمسرحيسة الى ذلك تعالج مشكلة اجتماعية حية وهي مشكلة طمع الأزواج في مال زوجاتهم .

والواقع أن مسرحيته هذه تعطينا فكرة دقيقة عن الحياة الاجتماعية

التي سادت مصر في نهاية القرن التاسع عشر ، فقد اختار شوقي عام ١٨٩٠ وقتا للأحداث التي تناولها ، ولم يكتف بذلك بل جعل حي الحنفي الذي سكنه مكانا لأحداث مسرحيته .

أما أشخاص المسرحية فانهم يمثلون قطاعات مختلفة من المجتمع المصري ، فالست هدى الشخصية الرئيسية في المسرحية ، والتي سُمي المسرحية باسمها ، والتي تمثل نمطا من النساء كان موجودا حتى تلك الفترة ، فهي على علاقة طيبة بجاراتها ونساء الطبقة الراقية ، وهي امرأة ثرية يطمع الرجال في مالها ، فلا تكاد تدفن أحد أزواجها أو يطلقها أو تطلقه ، حتى يقبل عليها زوج آخر ، لا حبا فيها ولا رغبة في جمالها ، بل طمعا فسي مالها وأرضها وحليها ، وقد ظلت تتزوج وتطلق حتى بلغ عدد من تزوجتهم عشرة رجال .

أما الشخصيات الأخرى ، فهي زينب جازة الست هدى وصديقتها ، وخبيرة وأسماء وبهية واقبال من بنات الجيران ، وعبد المنعم المحامي زوج الست هدى التاسع ، وكاتبه حلمي ، والسيد العجيزي زوجها الماشسر وهو آخر الأزواج ومن أعيان الريف ، ومحمد وأحمد وعامر والشيخ الحلبي ومصطفى النشاشقي ، وهم من أصدقاء السيد العجيزي ، وألماظ وهو أغا حريم القصر ، ورضوان خادم الست هدى ، وسلمان المرابي .

وجميع هذه الشخصيات التي ذكرناها أظهرها شوقي على المسرح ، ولكن أدوارها كانت جانبية " ١ " .

(١) الست هدى ص ١١ ، حيث ذكر شوقي في التمهيد زمن المسرحية ومكانها وأشخاصها .

قسم شوقي مسرحيته الى فصول ثلاثة ، جعل الفصل الأول منها في أربعة مشاهد ، كان المشهد الأول عبارة عن حوار بين الست هدى وجارتها زينب حول مايقوله الناس عن كثرة الأزواج الذين اقترنت بهم ، فحاولت أن تدافع عن نفسها بأنها انما تزوجت بمالها ، وبأن الفدادين الثلاثين التي لديها هي التي كانت سببا في اقبال الرجال عليها ، وكأنها بذلك تعترف بأنها لم تكن على حظ من الجمال ، على أن ذلك لا ينفى أن يمنحها حقها في الحياة الزوجية ، وهي لذلك لا ترى مانعا من التلويح بثروتها في سبيل اغراء الرجال واستدراجهم ، وقد عبرت عن ذلك في حديث لها مع صديقتها وجارتها زينب .

الست هدى :

يقولون في أمرى الكثير وشغلهم
يقولون اني قد تزوجت تسعة
وما أنا "عزيريل" وليس بمالهم
وتلك فداديني الثلاثون كلصا
حديث زواجي أو حديث طلاقى "أ"
واني وارىت التراب رفاقي
تزوجت ، لكن كان ذاك بمالي
تولى رجال جثني برجال

وتبدأ الست هدى في ذكر أسماء من تزوجت بهم ، وتوقف عند كل واحد منهم لتقول رأيها فيه ، وتصف حياتها معه ، ويبدو أن ذكرى الزواج الأول ظلت عالقة في ذهنها ، فعلق الرغف من بعد عهدها به ، لم تنسه ، وما زالت تذكره بخير ، وهذا يعني أن الزوج الأول في حياة المرأة يظل الحدث الأهم في حياتها ، والدليل على ذلك أنها جزعت لموته أكثر من جزعها على أي زوج آخر ، تقول :

لست ماعشت ناسيسه
لست أسلو حياتيسه

وأول البخت "مصطفى"
"مصطفى" كان ساريه

.....

مات فكدت أموت حزنا
وكان عمري عشرين عاما

أما الزوج الثاني ، فقد اعترفت هدى أنها لم تختره حبا فيه ، أو رغبة في حياة مستقرة ، وإنما كان طمعها في ماله هو الذي رجح عندها هذا الاختيار ، كما كانت رغبته في مالها سببا في زواجه منها :

ذاك لمالي اختارنسي واخترته لماله "١"
ماكان الا مفسسا وقعت في حباله

أما زوجها الرابع فقد كان كاتباً في اللوا تارة وفي المؤيد أخرى ، وعلى الرغم من ذلك ظلّ مفسساً ، وقد بين شوقي أن مهنة الصحافة لم تكن ذات تأثير قوى في تلك الحقبة ، وأن المجتمع كان ينظر الى الصحفي نظرتة الى العاطل عن العمل .

رائج أكثر الزمان على الصحف مفتدى "٢"
يكتب اليوم في " اللوا " وغدا في " المؤيد "
ليلسه أو نهاره فارغ الجيب واليـد

أما زوجها الخامس ، فقد كان ضابطاً في الجيش ، جميل المحييا ، تمت لو أنها بقيت على عصمته ، فقد كان ينهى ويأمر ، وهذا يعني أنها أعجبت بقوة شخصيته ، لكن زواجها منه لم يدم ، لأنه أراد حليها ، حتى يقامر بئمنه ، ويشرب الخمر ، وعند ما لم تسلّم له بما أراد طلقها ، تقول :

لحاه الله كان منسى فوادى وفاكيتي وريحاني وراحي "٣"
وكنت أحبه ويحب طينسي ويحلم بالقلادة والوشاح
وكان مقامرا شريب خمسسر يجي البيت في ضوء الصباح

أما الزوج السادس ، فقد تزوجته في العشرين من عمرها - على حسنة زعمها - وهو موظف ، ماكانت تدري أحبيه أم قفاه أنظف ، ومع ذلك كان " جفاها " يدعو الى بيتها في كل يوم وزيرا أو رئيسا ، لكنه لم يصبح واحدا منهم ، بل ظلّ موظفا صغيرا يطمع في خواتمها ، ويحدث نفسه بسرقتها ، مما اضطرها عند وفاته أن تنفق على ماتمه من مالها :

-
- (١) المرجع نفسه ص ١٥ .
 - (٢) المرجع السابق ص ١٧ .
 - (٣) المرجع السابق ص ١٨ .

ماكان في وجنتي يقبلنسي بل همّه في يدى يقبلها "١"
وعينه في خواتمي أبسدا يحدث النفس كيف ينشلها

أما زوجها السابع ، فقد جملة شوقي فقيها " كهلا أخوا خمسين لكن
في نشاط الأمر " ، وكان سلوكه يختلف عن سلوك الأزواج السابقين ، فقد
كان كثير الفيرة عليها ، وكان يحاسبها على أية التفاتة أو حركة ، وكان يستعمل
معها القوة ، فقد أدبها " بيده ورجله والمصا " ، وكان ذلك منه أول تجربة
لها مع رجل غيور :

رأى غبارا عالقا بجبهتسي
فقال : هذا التراب من نافذة
وهاج حتى خفت أن يقتلنسي
وجاء بالتجار من ساعتسه
فقلت يهواني وتلك غيسرة
وقبله لم أر من غسسارولا
ولم أكن أعلم من أين أتى ؟ "٢"
من كنت منها تنظرين ياترى ؟
وشمر الذيل وجرّد العصا
سدّ الشبايك وسمر الكوى
ياهبذا الزوج الفيور هبذا
من ظنّ في قلبي لغيره هوى

أما زوجها الثامن ، فهو مهدي المقاول ، الذي جاءت به صاحبتها
زينب ، والذي كان على ثرائه وكثرة ماله ، يطمع في فدادينها ، ويأكل من
مالها ، وهو يمثل جشع أصحاب هذه المهنة ، وحرصهم على الكسب ،
تقول :

لم ينس أن يذكر " أهداديتي " ماللغبي ، ولطيني ماله ؟ "٣"
ولم يكن عند الطعام يستحسي
يأكل مالي ويعسدّ ماله

وظلت بحد مهدي عامين دون زوج ، ومايزال عمرها عشرين عاما ، ثم
تزوجت غيره ، فهل فعلت سوءا ؟
ظللت عامين في بسسلا
ومات مهدي فاعتضت عنيه
وكان عمرى عشرين عاما "٤"
من ذا يرى فعلتي حراما ؟

-
- (١) المرجع السابق ص ٢٠ .
 - (٢) المرجع السابق ص (٢١) .
 - (٣) المرجع السابق ص ٢٣ .
 - (٤) المرجع السابق ص ٢٤ .

تزوجت بعدهما بزوجها التاسع عبد المنعم المحامي العاطل السكير ،
وهنا ينهي شوقي المشهد الأول بعد أن أعطى الفرصة لهدى كي تتكلم
عن زيجاتها السابقة ، دون أن يضطر الى عرضهم على خشبة المسرح .
ويبدأ المشهد الثاني بدخول عبد المنعم وهو ينادى على زوجته :

هدى ضلال أين أنت يا هدى أين العجوز أين جدتي هدى ؟

وتسمعه هدى وصاحبيتها وهو يسب ويشتم ، وتحدث معها عن مجونسه
وخمره ، ويقترّب مترنحا وفي يمينه العصا وفي الشمال المكنسة ، فتهرب مع
صاحبيتها الى غرفة نومها ، وبعد أن يهدى يذكر أطيانها وحليها ، يفليه
النوم فيستلقي في القاعة .

ويبدأ المشهد الثالث في صباح اليوم التالي ، فتسمع جلبة على السلم ،
وتدخل أربع فتيات من بنات الجيران ، جئن يحيين هدى تحية الصباح ،
وهنّ خديجة وأسماء وبهية واقبال ، وبعد ترحيبها بهن ، يستطردن معها
في حديث عن زواجهن ، فيخبرنها أن أسماء خطبت لعمدة في الصعيد ،
أما بهية فخطبت لضابط في الجيش ، فتظهر هدى اعجابها باختيار بهية ،
وتحذر أسماء من الموافقة على الزواج بالعمدة ، وهنا يوضح شوقي على لسان
بهية بعض عادات الزواج المعمول بها في مصر ، وينتقد هذه العادات ،
يقول :

اقبال : أسماء يا عمدة مخطوبة "أ"
الست هدى : لمن ؟
اقبال : لشيخ عمدة في الصعيد
الست هدى : قولي له العمدة جريته
أسماء : أقول ؟ من يسمع أو من يعني ؟
ان أبي صعب ولا أجتري
الست هدى : اذن دعيني أنا أفعل دعني
الست هدى لبهية : وأنت يا ابنتي ؟
بهية : طبت من زمن

- الست هدى : من زمن ؟ تبارك الله لمن ؟
بهية : لضابط في الجيش
الست هدى : ضابط ؟
بهية : أجل ؟
الست هدى : أحسنت أحسنت تخيرت الرجل
بهية : ما اخترت ياعمتي ولكن
أبي وأمي تخيرا لبي
بنات مصر يخطبن
لكن لا يتناقشن في الرجال
نباع ياعمتي ونشترى
مانحن الا عروض مال

ويبدأ المشهد الرابع بحضور "الأغا" وهو خادم الباشا " ليستد في هدى لحرم الباشا ، وهنا يكشف شوقي عن العادات التي كانت سائدة حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث كان من عادة الحكام الأتراك في مصر أن يختاروا لنسائهم خدما من الرجال فقدوا نكورتهم ، ولهذا لانعجب عندما نرى الأغا يدخل على هدى ويشرب القهوة عندها دون احراج ، وقد وضح شوقي الموقف نفسه ، عندما جعل عهد المنعم زوج هدى يصفه " بالطواشي " ، كذلك كشف شوقي عن حرص هدى ومباهااتها أمام الجيران بعلاقاتها بزوجات الباشا ، لأنها تريد بذلك أن تكشف عن رفعة شأنها ، ثم يصف العربات المقلدة ، التي كانت تستعملها نساء الطبقة الراقية ، ويذكر بعد ذلك الزي النسوي الذي كان سائدا ، واهتمام النساء بالروائح والمراوح ، التي تعد من علامات الترف والبخ عند نساء الباشا وحاشيتهن :

- الأغا : أرسلتني حرم الباشا "أ"
الست هدى : أعد ؟
الأغا : أرسلتني حرم الباشا اليك

الست هدى : بالله " الماز " الا جلست بالقرب مني
تحب بنو فجبسرب بن السراى وبنى
كاللهوانم " الماز " ليس يسألن عنى ؟
الأغا : نسيت يا سيد تسي أمس أما كنّ هنا
والهم يا سيد تسي أرسلنني بالمركبة
الست هدى : أيتها يا أغا
الأغا : " فيكتوريا " المقلّة
ذات الرفارف الخفا ف والستور المسدلة

وهنا تستعد الست هدى للخروج مع " الأغا " ، فتطلب من
الفتيات مساعدتها في ارتداء ملابسها واستكمال زينتها :
الست هدى : الجوانتي هناك " أسماء " انظريه
انظري " يا خديجة " الفرجية
انظري " اقبال " ما أجمل هذي الفرجية
انظري شالي " أسما " كيف حلّى كتفيا
ثم انظرا هناك يا بنتي " فوق الكنبه
مروحة من النمسام بيد مذهبه
أسماء : ماتصنمين خالتي بهذه المراوح ؟
الست هدى x أنا ابنتي مولعة بها وبالروائع ؟

وفي الفصل الثاني يصور شوقي الست هدى غاضبة ، بسبب استمرار
زوجها عبد المنعم في الادمان على الخمر ، ويحاول زوجها مع كاتبه حلمي أن
يبحثا عن حيلة يستطيعان بها أن يسلبا بعض مالها ، ويطلب منها الزوج أن
تساعده حتى يتخلص من بعض ديونه ، ويعرض عليها أن تبيع أرضها ، فتخاطب
نفسها قائلة :

لولا فداك يني وغلّاتها
لولا فداك يني وغلّاتها
مطاف انسان على بابي " ١"
كفنت أزواجي وخطّابي

ويغضب زوجها ويصارحها ، بأنه لم يتزوجها لفرط حسنها ولا لصفى سنها ، وإنما طمعا في أرضها ، ويطلب حلها ، ولكنها تردّه ، فيقول لها : أأست زوجك ؟ فتقول له : لا ما أنت زوج ، وتصفه بأنه طفيلي ، وتستجسد هدى بجاراتها فيحضرن وفي أيديهن المكانس والمغارف ، ويهجمن على المحامي ، وعندئذ تخرج هدى عقد زواجها من جيبتها ، وتذكره أن عصمتها بيدها ، وتطرده من البيت قائلة :

عصمتي منك في يمدى شهدت لي الوثائق "١"
امض يانذل لا تصسد انك اليوم طالق

أما الفصل الثالث فيخصمه شوقي للحديث عن آخر الأزواج وهو "السيد المجيزي" أحد أعيان الريف الذي جلس بعد موتها فرحا مبتهجا بما تركته له زوجته ، فقد أصبح البيت والعمال ملكا له ، بعد أن فشل تسعة من الرجال قبله في الحصول على شيء مما تملك ، يقول المجيزي :

العمال صار ياعجوز مالي وأصبح البيت وماحوى لي "٢"
من بعد عشرة من الرجال

نعم رجال كثير ماتوا بحسرة مالك
كنت الموفق وحسدي لما ظفرت بذلك

ويتوافد عليه أصدقاؤه ، فيلاحظون أنه ارتدى الحرير ، ولكنه يفاجئهم بأن زوجته المتوفاة تركت وصية عند الباشا من عام ، وأشهدت عليها مفتى القطر وقاضي الاسلام ، وعندما أتى أفا الباشا وقرأ الوصية تبين أنها أوصت بمصاغها :

لعشر من نساء الحاره من كل جارة وبنات جاره "٣"
وأما البيت والأثاث :

وقفته لهنت أول زوج ان هذا قضاء حق قديم
وأما الغدادين فقد جعلتها وقفًا :

لهبيت الله والروضة قبر المصطفى

-
- (١) المرجع السابق ص ٥٦ .
 - (٢) المرجع السابق ص ٥٧ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٧٩ - ٨١ .

وفي هذا الفصل تناول شوقي موقف المجتمع واستهجانه عادة أصحاب الرجال للنساء في المحافل العامة ، عندما تعرّض لزيادة داود المغني لصاحبه السيد العجيزي ، فقد جاء ومعه زوجته حميدة ، كي يريها دار صديقه الجديدة ، فوصف شوقي اضطراب العجيزي من هذه الزيارة ، واضطراره أن يصرفه مع صداقته له ، حتى لا يخرجه أمام الحاضرين باصطحابه زوجته معه ، لأنّ هذا التصرف يعد تفرنجاً ، وهذا يعني أن عادة الاختلاط بين الجنسين كانت مرفوضة :

العجيزي : ذاك داود المغني قد أتى يسأل عني "١"
داود : لقد أتيت ومعي حميدة لكي أريها دارك الجديدة
العجيزي يحدث نفسه : الويل لي الويل لي حميدة في مهزلي
كيف أوارى خجلي ؟
العجيزي للحاضرين : أسمعون ؟ معه زوجته ؟
أحد الحاضرين : مال داود والتفرنج ؟

وأشار المؤلف كذلك الى عادة استعمال "النشوق" من قبل النساء ، وذلك على لسان مصطفى أحد تجار هذه البضاعة من خلال حوار بينه وبين الجالسين :

مصطفى : الباشوات كلهم قد أقبلوا عليه والمفتي وشيخ الأزهر "٢"
وسيدات الخط من عين الى آخر يبعثن الأغا فيشتري
عامر : مانا مصطفى ؟
مصطفى : لاتنس يا أخي يا أعز الناس
أمك كانت من غرامها به تأخذه مني بالأكياس

(١) المرجع السابق : ص ٧٠ - ٧١ .
(٢) المرجع السابق : ص ٧٤ - ٧٥ .

ونظرة أخرى في مسرحية " الست هدى " ومقارنتها بما قدّمه من أعمال سابقة تدفعنا الى القول أنه تغلّص من أكثر العيوب التي أخذها النقاد عليه فـ في مسرحياته السابقة ، وعلى الأخص التراخي في الحوار والفتور في الحركة ، بسبب ما كان يدخله من قصائد فغائية طويلة على تمثيلياته .

فالحوار في هذه العظماء سريع ، وهو يجري بشعر سهل لا يسفّ السوا حدّ الابتذال ، ولا يرتفع الى حدّ الجفاف ، ولم يعتمد على الحوار الذي دار بين الشخصيات فقط ، وإنما اعتمد على حركاتهم أيضا ، وهذا يعني أنّه تنبه الى أهمية التركيز والايجاز ، حتى لا يسمح للتفكك ، أو الاضطراب أن يجد طريقه اليه ، وكذلك فانه لم يكثر من عرض الحوادث والشخوص في المسرحية ، واكتفى بتلخيص كثير من هذه الحوادث على لسان هدى بطلّة المسرحية في الفصل الأول ، عندما حكّت قصتها مع كل زوج من الأزواج ، دون أن يعرض على المسرح ما حدث لهما مع كل واحد منهم ، ودون أن يضطر لظهارهم جميعا ، ان اكتفى باظهار اثنين منهم ، وهما عبد المنعم المحامي ، والسيد العجيزي آخر الأزواج ، وكذلك استغل شوقي عنصر المفاجأة في نهاية المسرحية ، فبعد أن شعرنا أنّ كل ما يحدث في البيت سيجعل من الزوج الأخير الوارث الشرعي لزوجته المتوفاة ان بالمؤلف يواجه جمهوره بمفاجأة غير متوقعة ، وهي أن الزوجة التي كانت تعلم أن أزواجها الذين تماقّبوا عليها ، كانوا جميعا يطمعون في ثروتها ، قررت أن تنتقم منهم وأن تستهزئ بهم ممثلين في السيد العجيزي .

وهكذا استطاع شوقي أن يجسم أمانا شخصية حية موجودة في الواقع لا امرأة ثرية ، فقد وصف شكلها وثيابها وانفعالاتها وعواطفها وعلاقاتها بمن حولها " ١ " ، ونهش ماضيها من خلال تعاملها مع أزواجها العديدين ، وصلاتها بجاراتها .

وحتى الشخوص الثانوية لم يهملها شوقي على قصر أوارها ، بل استطاع

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ص ٢٦٧ .

أن يعرفنا بمواقف الفتيات من زواجهن .

هذا إلى أن المؤلف وفق في اختيار الزمان المناسب لمسرحيته ، فالفترة التي جرت فيها أحداث المسرحية ليست بعيدة عن القارئ أو المشاهد كسل البعد ، والمكان ما يزال ماثلاً للميان ، والتقاليد والعادات لم تتغير كل التغيير ، أضف إلى ذلك أن شوقيا اختار شخصيات كان لها وجود ملموس ، فالأغا والمحامي وبائع النشوق ، والمرابي والمغني والعمدة والباشا وسيدات القصر ، وكل هؤلاء كان يراهم ويتعامل معهم ، حتى الأدوات التي ذكرها في مسرحيته كانت تناسب الجو العام ، فلم يجعل السيارة وسيلة للمواصلات ، بل اتخذ العربة المستورة الجوانب ، والتي تناسب العادات وسيلة للتنقل ، ولم يذكر المروحة الكهربائية ، بل أشار إلى المراوح اليدوية المرصعة بالعاج أو الذهب ، والتي تتناسب وبذخ نساء الطبقة الراقية ، ولم يشر إلى العطور الصناعية ، بل ذكر أن النساء كن يستعملن عطر الورد والياسمين ، وحتسى الملابس التي أظهر بها الست هدى ، هي ملابس تركية بهيئتها وأسمائها ومناسبة للزمن الذي اختاره .

وأما الفاظ المسرحية ، فقد كانت في جملتها سهلة مستساغة تناسب مستوى شخصيات مسرحيته ، ومستوى الجمهور الذي يقبل على مشاهدة المسرحية ، ولم يتحرج شوقيا أن يستعمل بعض الألفاظ العامية ، سواء كانت من صميم اللهجة المصرية أو من أصل تركي ، ولا غرابة في ذلك ، لأنه صور عصرا كان ما يزال فيه للأتراك وجود في مصر ، ومن هذه الألفاظ : ((أبحادي ، يوزاشي ، صاغ ، ريال ، جخاخ ، الخط ، الجرايه ، الدبش ، الدش ، الماز ، أفا ، حرم الباشا ، الهوانم ، الجوانتي ، الفرجه ، الشال ، حمدانه ، الطواشي ، المتر (المحامي) ، كشعير ، البردعة ، خرجه ، النشاشقي ، شيخ الحارة ، الفرنسي " نابليون " ، الكوز)) .

هذا إلى أن شوقيا لم يقتصر على استعمال الكلمات العامية أو التركية ، بل أتى في مسرحيته بصور بيانية منتزعة من الحياة الاجتماعية ببساطتها وبعدها عن التكلف ، فكما أن شخوص مسرحيته كانوا من بيئة شعبية ، كذلك كانت صورته البيانية ، ومن ذلك أن هدى شبهت أول أزواجها بالسارية وبخلسة المرج :

أول البحث كان "مصطفى" مصطفى " كان ساريه "١"
حين يمشي تظن نفسه نخلة " المرج " ماشيه

وشبه شوقي الست هدى بالقردة ، في قوله على لسان زوجها عبد المنعم ؛
هدى ، عجوز النعم أنت قردة خطوطك الوحل وكحكك العمى "٢"
وأيدع على لسان زوجها تشبيهات جديدة كثيرة الورود على السنسة
العامة ، فقد جعلها بومة ، وجعل خديها ضفدعين ، وأذنيها عقربين ،
وحاجبيها دودتين ، يقول :

هدى ، هدى ، أين هدى	أين المعجوز الباليه ؟ "٣"
أين مضيت بومثسسي ؟	أين ذهبت خفتسي ؟
خداك ضفدعان قد أسنتنا	وأذناك عقربان من قنا
وحاجباك والخطوط فيهمسا	كدودتين اكتظتا من الدما

وشبه شوقي أذني عبد المنعم ، وقد سيطر عليه السكر بأذني الحمار ،
وشبه ثيابه بما عليها من قذارة بفوظة الخمار ، وذلك على لسان زوجته هدى ؛
ياويلتي واخجلسي وعاري لي رجل بأذني حمار "٤"
أضحوكة الجارة شغل الجار لم يرا الا طافحا في الدار
ثيابه كفوظة الخمسار تنضح بالليل وابلنهار
وصور هدى على لسان أحد أصدقاء العجيزي آخر الأزواج بأنها دجاجة
تبيض :

ان هدى " دجاجة باضت له في القفص "٥"

ولم يفت شوقي أن يستغل روح النكتة والدعابة التي عرف بها المصريون
تارة بالحركات وأخرى بالألفاظ ، ومن ذلك أن عبد المنعم يجيب كاتبه عندما
يسأله عما في يده ، وهو يتناول الفول ، فيجيبه : أنه زبيب ، فيستغرب كاتبه ،
لأنه يشرب الخمرة ، قائلا : على الريق ؟ فيجيبه عبد المنعم : لا ياغبسي

-
- (١) الست هدى ص ١٥ .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٢٥ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٢٧ - ٢٨ .
 - (٤) المرجع السابق ص ٥٢ .
 - (٥) المرجع السابق ص ٦٣ .

على الفول "١".

هذا الى أن شوقيا في طلباته استغل العروض استغلالا حسنا وموفقا ، فلم يلجأ الى استعمال روي واحد أو بحر عروضي واحد فقط ، بل تحكم في هذا الأمر ، ولم يجد غضاضة أن ينظم بعض الأبيات في تفصيلة واحدة ، وهذا يدل على أنه استطاع بطلباته هذه أن يطوع الشعر العربي ليتقبل الحياة الجديدة بلغة سهلة قريبة من لغة الحياة اليومية .

وأيا استطاع من خلال شخوص المسرحية أن يعرض للأفكار التي كانت سائدة في عصره ، فقد وصف لنا كيف تتم الخطبة ، وكيف تجهز الفتيات على القبول بمن يختاره الأبوان ، وبين حب النساء للتفاخر بالصلوات الاجتماعية ، وورغبتهم في اقامة العلاقات مع نساء الطبقة الراقية ، وأبان عن عدم رغبة المحاصرين له في السماح للمرأة بالظهور ، سواء من نوافذ البيت أو المرات ، ثم كشف عن تساهل معاصريه بالسماح للخصيان بمخالطة النساء ، واتخاذهم خدما لهن ، وأظهر مدى تعلق النساء بالملابس والحلي وأدوات الزينة والرياش ، كما صور اعتراض معاصريه على تفرنج المرأة وختلاطها بالرجال ، ثم كشف عن استعمال نساء عصره " للنشوق " ، كما أمارط اللثام عن أن بعض نساء القرن التاسع عشر كن يشترطن عند الزواج أن تكون العصمة في أيديهن .

هذا وقد عرض شوقيا هذه الأفكار من خلال الفكرة الرئيسية ز ، التي أدار حولها طلباته ، وهي استغلال المرأة لأموالها في سبيل الحصول على الزوج .

- ٤ -

ويبدو أن شوقيا بصنيعة هذا قد شجع غيره من الشعراء المحدثين ، وفتح الطريق أمامهم ، كي يلتقطوا موضوعاتهم من الحياة المعاصرة "٢" ، فقد اتخذ محمد فريد عين شوكة من قضية اجبار الفتاة على الزواج ممن يريد أهله لا من

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) كان عزيز أباظة من الشعراء الذين هدوا حدو شوقيا ، فبعد أن كتب ست مسرحيات تاريخية ، نظم عام ١٩٥٧ ، مسرحية شعرية بعنوان " أوراق الخريف " عالج فيها قصة امرأة تزوجت من رجل كانت تحب غيره ، وتمرّ عشرون سنة =

تختاره موضوعا لمسرحية أسماها "سعاد" ^١ ، حيث نشر المشهد الأخير من الفصل الثالث في مجلة أبولو ، وقد جهدت أن أحصل على الفصلين الأول والثاني بالبحث هنا وفي مصر ، فلم أجدهما ،

أدار المؤلف في هذا المشهد حوارا بين والد الفتاة وعمها حول ضرورة مراعاة مشاعر ابنته وأخذ رأيها ، لأنها أحرص الناس على مصحتها ، وطالب الآباء أن يكفوا عن المتاجرة ببنايتهم ، بتزويجهم لأغنياء أكبر منهم سنا ، وذلك من خلال حوار بين والدها وعمها الذي لجأت إليه سعاد ، ليتوسط لها عند أبيها ، كي يعفيها من الزيجة التي أراد فرضها عليها :

عمها : لقد جئتني مرة زائرا
ونفسك جدلانة هانية ^٢
وقلت: أتاني برجو (سعاد) غني ومن أسرة راقية
وما كان إلا سنا قضى زمان الفتوة والعافية

.....

ويحاول الأب أن يقنع ابنته بحسن اختياره ومزايا خطيبها ، ولكنها تجرأت بتشجيع من عمها ، وأعلنت رفضها ، فلم يجد والدها أمامه من وسيلة لاقناعها غير التهديد ،

== على زواجها ، دون أن ترى الشخص الذي أهبطه ، وعندما تلتقي به تحاول التخلص من زوجها ، دون أن تبالي أنها أصبحت في خريف العمر ، ودون أن تهتم بسمعة ابنتها ، التي تنتظر أن تخطب ، وعلى الرغم من أن أباطة في مسرحيته هذه عالج موضوعا يتعلق بالمرأة ، إلا أننا لسنا معنيين بالوقوف عندها ، لأنها خارجة عن نطاق الحقبة الزمنية التي تدخل ضمن دراستنا . راجع مسرحيات عزيز أباظه ، لصيد المحسن سلام ، نشر المعارف بمصر ، مطابع نصر ١٩٦١ م ص ٧٥ .

(١) مجلة أبولو ، فبراير ١٩٢٢ ، العدد السادس ص ٦٨٤ - ٦٨٧ .
وهذا يعني أن عين شوكة نشر هذا المشهد من مسرحيته بعد وفاة شوقي بأربعة أشهر فقط ، حيث توفي شوقي في أكتوبر تشرين أول

١٩٢٢ م .

(٢) مجلة أبولو ، فبراير / شباط ١٩٢٢ م ، العدد السادس ص ٦٨٥ .

والدها في عنف ؛ أقول مهدداً لا بدّ أن ترضي بمن أختار "١"
وتحاول أختها أن تتدخل إلى جانب أبيها ، فتقرّع أختها ، وتتهمها
بأنها أساءت الأدب في عصيائها له ، فتردّ سعاد :
أنا لست مخطئة ولست عصية بل ذاك حقّي في الحياة ونظرتي "٢"
ويظهر لنا من هذا العرض السريع أن الشاعر كان جاداً في طرح الموضوع ،
وقد وفق في اختيار الشخصيات ، حيث جعلها جميعاً من أسرة واحدة ، وهي
والد سعاد وعصا وأختها ، ووزّع عليها الأدوار توزيعاً جيداً من خلال حوار
متسق ومتوازن ، فلم يخص شخصية دون أخرى بدور رئيسي ، ولم يتجه إلى
الاعتماد على القطع الشعرية الطويلة ، التي قد تؤدي إلى قطع الحوار ،
وكانت حركة الشخصيات في هذا المشهد تمازجاً بالحيوية ، فهناك تهكم بالأب
من قبل العم ، وهناك هياج وعنف من قبل الأب ، وبكاء وتحدّ من قبل سعاد ،
وامتعاض من قبل أختها .

أما عن لغة المسرحية فقد تأنق " عين شوكة " في اختيار الألفاظ ، ولكنه
لم يتكلف ولم يخرّب ، ولم يلجأ إلى استعمال كلمات عامية أو أجنبية فسي
المشهد الذي نظمه ، وكذلك عمد إلى تلوين السروي ، حتى لا يضيق على
نفسه .

ولكن ما ذكرناه عن مسرحية عين شوكة يبقى في حدود ما رأينا من مسرحيته ،
لأننا لم نتمكن من الاطلاع على المسرحية كاملة .

هذا وبعد أن استعرضنا نماذج من الشعر القصصي والتمثيلي ، يمكن القول
أن إطار الشعر الغنائي لم يكن الإطار الوحيد الذي تناول الشعراء من خلاله
قضايا المرأة ، بل إن الشعريين القصصي والتمثيلي شاركوا كذلك في هذا
التناول ، وأصبح لهما تأثير على الشكل والمضمون .

(١) نفس المجلة ص ٦٨٢ .

(٢) نفس المجلة ص ٦٨٢ .

على أننا بعد أن درسنا بعض الخصائص الفنية التي اتسم بها الشعر
الذي تناول قضايا المرأة ، لانسطيع أن ندعي أن هذه الخصائص كانت
هكرا على الشعر الذي درسناه ، ولكن أقصى ما يمكن أن ندعيه أن هذه الخصائص
كانت أكثر وضوحا في الشعر الذي تناول قضايا المرأة من أي شعر آخر .

خاتمة

* * * *

قصدت بهذه الدراسة القاء الضوء على مسيرة المرأة المصرية في العصر الحديث وعلى مواقف الشعراء المحدثين من قضاياها ، ويمكن ايجاز أهم ماتناولته فيما يلي :

أولا : كشفت عن الوضع الجيد الذي كانت تتمتع به المرأة المسلمة في مصر ، وما كانت تلاقي من تقدير واحترام في عهد العثمانيين على الرغم من فساد الحياة السياسية في عهدهم ، وبينت أن ما يسمى "نظام الحريم" الذي عدّه كثير من المستشرقين والمؤرخين العرب وصمة عار في جبين الشرق ، لم يكن وكرا للشهوات ومعهدا للفسق والفجور كما ادعوا ، وانما هو نظام دقيق يقصد منه صيانة المرأة وتكريمها وحمايتها من كل مكروه ، وكذلك بينت طبيعة المرأة المصرية التي كانت تعرف حدودها ، وتتخذ من العادات والتقاليد النابعة من الدين مقياسا لتصرفاتها .

ثانيا : بينت أن الفرنسيين عند ما دخلوا مصر أرادوا أن يحلوا "البرضة" محل النظام الاجتماعي الذي كان يراعي الروح الدينية ، لأنهم رأوا في ثبات أخلاق الشرقيين واعتمادها على الدين مشكلة تواجههم ، وتعيق محاولاتهم الرامية الى السيطرة على الشرق ، فحاولوا أن يوهنوا المصريين بأنهم لن يتقدموا مالم يتخلصوا من سيطرة الدين ، ومن أجل ذلك بذلوا كل ما في وسعهم لنقل مآلديهم من قيم مادية تتعلق بالأسرة والمجتمع ، فأنشأوا المسارح والملاهي وأظهروا نساءهم متبرجات ، ولم يتورع بعضهم عن اعلان اسلامه ليتزوج مسلمة من بنات الأعيان المصريين ، وهذا يعني أنهم حاولوا أن يعطوا القيم الموروثة بكل وسيلة ممكنة .

ثالثا : بينت الأثر العميق الذي تركته البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا الى فرنسا على الحياة الاجتماعية في مصر بعد عودته

أفرادها بفكر جديد متأثر بما شاهدوه في فرنسا ، وقد مثلت على ذلك بموقف رفاعه الطمطأوى من الحضارة الغربية ، وأشترت الى تقبله لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية الفرنسية المتعلقة بالمرأة ، وقد اتضح ذلك في موقفه من الاختلاط وعمل المرأة . . . ، كما بينت أثر الأوروبيين الذين استعان بهم محمد علي على التقاليد الاجتماعية ، حيث عادوا الى بناء المسارح ثانية ؛ كما أوضحت أنه كان أول من أعطى اننا بفتح أول مدرسة تبشيرية للبنات في مصر ، وكان أول من علم بناته على أيدي مدرسات أجنبيات .

رابعاً : بينت دور سعيد باشا واسماعيل في ارساء قواعد المدارس التبشيرية بما أقدقا عليها من مساعدات ؛ وأوضحت أن اهتمامها الشديد بمظاهر الحياة الغربية وترحيبها بالأجانب ومشروعاتهم ؛ كانا من أهم الأسباب التي أفسحت لانتشار مظاهر الحياة الغربية ووقوع مصر تحت طائلة الديون ، ثم عرضت بعد ذلك للمحاولات المتكررة التي بذلها اسماعيل لفرض التقاليد الغربية على المصريين، حتى يجعل مصر قطعة من أوروبا ، بحيث يصح أن يقال انه رائد العلمانية في مصر .

خامساً : بينت الدور الذي قام به الأفغاني وتلاميذه على صعيد الحياة الاجتماعية والفكرية في مصر ؛ وأوضحت آراءهم فيما يتعلق بالمرأة ؛ وكيف حاول هو وتلاميذه أن يصححوا الأوضاع الفاسدة في عهد اسماعيل ومن بعده توفيق باعتمادهم على المحافل الماسونية ظناً منهم أنها ستوصلهم الى الغاية المنشودة ؛ ثم كشفت عن مواقف النديم من الفساد الذي أصاب المجتمع المصري بعد دخول الانجليز؛ ثم أوضحت دور الصحافة التي كان يسيطر عليها النصارى في دفع نساء مصر للسير على طريق المرأة الغربية .

سادساً : سلطت الضوء على صالون نازلي فاضل ؛ وبينت دورها في الجمع بين تلاميذ الأفغاني بعد رحيله وتوجيههم من خلال علاقتها بالانجليز؛ وأشترت الى أنها كانت أول امرأة سفرت في مصر وقابلت الرجال ؛

وأن كتاب " تحرير المرأة " الذى وضعه قاسم أمين بمساعدة الشيخ محمد عبده كان ثمرة من ثمرات صالونها .

سابعاً : عرضت لكتاب " المرأة الجديدة " الذى أبان فيه قاسم أمين عن رأيه في عدم صلاحية الحضارة الاسلامية للحياة الجديدة ؛ وكشف عن اعجابه الشديد بالحضارة الغربية ؛ وبينت أن منهجه في هذا الكتاب اختلف عن المنهج الذى اتبعه في كتابه الأول ؛ حيث عدل فيه عن الاستشهاد بالأدلة الشرعية ؛ حتى لا يتيح الفرصة لعلماء الدين للرد عليه ؛ وكشفت عن الاعجاب الشديد الذى قوبل به كتابه من قبل الصحافة النصرانية ورجال الحكم في مصر على الرغم من معارضة آخرين له .

ثامناً : كشفت عن المحاولات المتعددة التي قام بها حزب الأمة " الوفد فيما بعد " من أجل تطبيق دعوة قاسم أمين عن طريق استغلاله للثورة الوطنية التي أبدتها النساء في مظاهرات عام ١٩١٩ م ، والتي كوّن على أثرها اللجنة المركزية للسيدات الوفديات التي كانت وليدة الكنيسة المرقسية .

تاسعاً : كشفت عن دور هدى شعراوي في قيادة الحركة النسائية ونزوعها بها نحو النشاطات الاجتماعية ؛ وبينت دورها في الترويج للسفور ، وتبينها لدعوة قاسم أمين وتطبيقها عملياً ؛ كما اتضح ذلك من موقفها من الاختلاط ؛ حيث سخّرت كل مaldiها من أجل الترويج لهذه الدعوة دون التنبيه الى أخطارها ، وقد فعلت ذلك حبا للجاه والشهرة .

عاشراً : بينت أن الدعوة الى تفرنج المرأة وسفورها لم تكن مقصودة على مصر وحدها ، بل كانت المحاولات المبذولة لفرنجة العالم الاسلامي تسير جنبا الى جنب سواء في مصر أو تركيا أو ايران أو أفغانستان . . . وأن هذه المحاولات كانت تستهدف المرأة المسلمة وتدعوها الى تقليد المرأة الغربية .

حادى عشر : أوضحت في هذه الدراسة أن قضية الحجاب والسفور كانت من أهم القضايا التي شغلت بال الشعراء المحدثين في مصر والعالم العربي ؛ وأثارت اهتمامهم ؛ وحددت مواقفهم من القضايا الأخرى التي تفرّعت عنها ؛ فوقفوا منها مواقف متعارضة ؛ تمثلت في سخط بعضهم على دعوة قاسم ووقوف آخرين بين وبين وتشجيع جماعة ثالثة لها ؛ حيث دافع بعضهم عن الحجاب وتشبث به باعتباره من القيم الاجتماعية النابعة من الدين والتقاليد الموروثة ؛ وكان أحمد محرم ومحمد عبد المطلب ممن يمثلون هذا الاتجاه بحكم ثقافتهم الدينية ، ورأى الفريق الثاني أنه لا مانع من رفع حجاب المرأة على ألا يتجاوز سفورها كشف الوجه واليدين ، وألا يكون سببا لاختلاطها بالرجال ؛ وقد حاول هؤلاء أن يوقفوا بين القديم الموروث والجديد الطارىء ؛ وربما كان شوقي وحافظ وباحثة البادية خير من يمثلون هذا الاتجاه ؛ بينما دعا فريق ثالث الى السفور المطلق ؛ والى تشبه المرأة المصرية المسلمة بالفريية في كل نواحي الحياة عن طريق الازراء بالحجاب باعتباره مظهرا من مظاهر الجهل أو عن طريق الدعوة الى هدم السدود التي تحول بين الرجل وروءيته للمرأة التي يؤدّ خطبتها أو عن طريق الاعلاء من شأن النساء اللواتي قدن حركة السفور .

وقد بينت أن التناقض الذى ظهر في مواقف الشعراء المحدثين من الحجاب والسفور كان ناجما عن الصراع بين أنصار الجامعة الاسلامية التي كان السلطان عبد الحميد الثاني من أقوى دعائها والخدويى عباس الثاني والحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل من أشد مؤيديها ، وبين أنصار الحضارة الغربية الذين نادوا بفصل الدين عن الدولة واحلال الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية والذين علوا بدعهم وتشجيع الانجليز ومثل حزب الأمة وجهة نظرهم .

ثاني عشر : بينت في هذه الدراسة أن الشعراء المحدثين في مصر والعالم العربي على اختلاف نزعاتهم وميولهم كانوا يؤيدون تعليم المرأة وتهذيبها ؛ ولكنهم اختلفوا في الوسائل والغايات ، فقد رأى المحافظون أن تعليم المرأة سيخلصها مما علق في ذهنها من خرافات ؛ ويعينها على القيام بواجباتها نحو أسرتهـ وأطفالها ، على أن يتمشى مع تعاليم الكتاب والسنة ، وعلى أن تتخذ من نساء السلف قدوة لها ، وأن تحافظ مع ذلك على حجابها ، بينما دعا أنصار السفور الى تعليمها ؛ كي يمدوها للعمل خارج البيت ، ويتيحوا لها فرصة الاختلاط بالرجال و منافستهم ؛ وقد طالب هؤلاء أن يكون تعليمها على الطريقة الغربية ؛ وهذا يعني أن نظرتهم الى تعليمها تأثرت بنظرتهم الى حجابها وسفورها ، وأنهم صدروا في كلا الموقفين عن نفس الدوافع .

ثالث عشر : كشفت في هذه الدراسة عن مواقف الشعراء المحدثين من عمل المرأة ؛ حيث شجعها بعضهم على دخول ميدان العمل في المجلات والصحف ، وعلى اشتراكها في المظاهرات باعتبارها عملا وطنيا يقصد به اطلاق شأن مصر ؛ أما النساء اللواتي قُدن العمل النسائي ودخلن ميدان السياسة مثل صفية زغلول وهدى شعراوي فقد نوهوا بدورهنّ وبحضور بعضهنّ للمؤتمرات النسائية العالمية وانشاء المستوصفات والجمعيات الخيرية ؛ دون أن يحاولوا تذكيرهن بما يكتنف مسيرتهن من أخطار ؛ ولم يكتف بعض الشعراء بذلك بل وقفوا الى جانب المرأة عندما طالبت بمنحها حق الانتخاب أسوة بالمرأة الغربية ؛ ودافعوا عما وصلت اليه من انحطاط بعملها في الملاهي والتمثيل والفناء ؛ كما اتضح ذلك في موقف شعراء أبولو وخصوصا أحمد زكي أبوشادي الذي تأثرت أراؤه بمبادئ الماسونية ؛ كما بينت مواقف الشعراء الذين كانوا حريصين على سلامة المجتمع ، والذين عبروا عن جزمهم من بعض التصرفات التي صدرت عن المرأة أثناء

عملها أو خروجها من بيتها متبرجة وخصوصا محمد صادق عرنوس الذي وقف شعره على محاربة مثل هذه الظواهر .

وقد اتضح لي أثناء هذه الدراسة أن الشعراء الذين أيدوا سفور المرأة هم الذين شجعوها على العمل ، لأنهم كانوا شديدي الإعجاب بنموذج المرأة الغربية من ناحية ، ولتأثرهم بالثقافة الأوروبية من ناحية أخرى .

رابع عشر: حاولت في هذه الدراسة أن أكشف عن بعض الطادات المتعلقة بالزواج كعادة " الدوطة " التي انتشرت بين نصارى الشرق ، وأدت الى كساد سوق الزواج بين الفتيات ؛ وكانت مظهرا من مظاهر تأثر الشرق بالغرب ؛ وذلك من خلال استعراض مواقف الشعراء منها ؛ ثم بينت مواقف هؤلاء الشعراء من عادة زواج بعض الرجال من النساء ذوات الثراء أو اللواتي ينتمين الى أسر عريقة ، وكشفت عن الملابس التي أحاطت بزواج الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المويد ، ثم أبيت موقف الشعراء الراض لتحكم النسب أو الفنى والفقير في اختيار الزوج أو الزوجة ؛ كما أوضحت مواقف الشعراء من الآباء الذين يزوجون بناتهم الصغيرات من يكبرونهن سنا طمعا في المال أو الجاه أو كليهما معا ؛ ورفضهم لمثل هذا الزواج غير المتكافئ ؛ والذي عدّه بعضهم أقرب الى البيع منه الى الزواج ؛ كما بينت سخط بعض الشعراء على فكرة تعدد الزوجات وغدر بعض الزوجات ؛ وبينت موقفهم من الاعتداء على الأعراض .

وقد لاحظت أن الشعراء كانوا يصدرون في مواقفهم هذه عن رغبة لديهم في اصلاح الحياة الاجتماعية وتخليصها مما علق بها من شوائب ؛ لكن رغبة أكثرهم هذه لم تكن نابعة من مشاعر دينية ؛ وانما كانوا يميلون في بعض مواقفهم الى تقليد الغربيين ، هذا الى أنهم أهملوا بعض المشكلات مثل الطلاق والزواج بالأجنبيات .

خامس عشر : كشفت عن المشاعر الانسانية الرفيعة التي عبّر عنها بعض الشعراء المحدثين في مصر نحو المرأة أما زوجة على أساس كونها انسانية وزيّة بيت لا على أساس ما تقوم به من عمل خارج بيتها .

وقد تبين لي أن هذه المشاعر الانسانية نحو المرأة من قبل بعض الشعراء قولت بمشاعر من الحقد والكراهية من قبل آخرين بسبب تعاملهم مع المرأة غير السويه .

سادس عشر : تبين لي أثناء دراسة مواقف الشعراء المحدثين من قضايا المرأة أن الشعر تأخر عن المشاركة في تناول هذه القضايا ؛ وأن الفرصة لم تتح له كي يتناول هذه القضايا الا في أواخر القرن التاسع عشر ؛ وانما كان البعض قد عبّروا عن مواقفهم ضمن القصائد التي نظموها في مناسبات عامة أو خاصة أو من خلال أغراض أخرى كالمديح والثناء والغزل ، فان آخرين قد عبّروا عن مواقفهم في قصائد مستقلة .

سابع عشر : تبين أن الشعراء المحدثين في مصر لم يقتصروا في تناولهم لقضايا المرأة على لون واحد من الشعر ؛ وانما اتخذوا من ألوان الشعر المختلفة وسائل للتعبير عن آرائهم ؛ فكان منه الغنائي والقصصي والتمثيلي على كثرة في الأول واضحة .

ثامن عشر : كشفت هذه الدراسة عن الخصائص الفنية للشعر الذي تناول قضايا المرأة بأنواعه الثلاثة ؛ وتوصلت الى خصائص لم ينشر اليها الباحثون من قبل سواء في الشكل أو المضمون .

عادل محمد محمود ابو عمسه

مكة المكرمة

أولا : قائمة بأسماء المصادر والمراجع العامة :

- ١ - أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث ، تأليف
دكتور كمال نشأت، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة
١٩٦٧ م .
- ٢ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، تأليف أنيس الخوري
المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٧٧ م
- ٣ - الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ، تأليف دكتور محمد
محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،
الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٤ - آثار باحثة البادية ، تأليف باحثة البادية (ملك حفني ناصف)
جمع مجد الدين حفني ناصف ، المؤسسة المصرية العامة ، سلسلة
تراثنا (دون تاريخ) .
- ٥ - آثار الزعيم سعد زغلول ، جمع وترتيب محمد ابراهيم الجزيري ،
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م .
- ٦ - الآثار الفكرية ، تأليف عبد الله فكرى ، المطبعة الأميرية ببولاق ،
الطبعة الاولى ، ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م .
- ٧ - أحمد فارس الشدياق ، تأليف محمد عبد الغني حسن ، السدار
المصرية للتأليف والترجمة ، الناشر مكتبة مصر ، سلسلة أعلام العرب
رقم ٥٠ (د . ت) .
- ٨ - أحمد لطفي السيد (استاذ الجيل) تأليف د . حسين فوزي
النجار ، المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة
(د . ت)
- ٩ - الأدب العربي المعاصر في مصر ، تأليف دكتور شوقي ضيف ،
مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٦ م .
- ١٠ - الأدب العصري ، الجزء الثاني ، تأليف روفائيل بطي ، القاهرة
١٩٢٣ م .
- ١١ - الأدب المقارن ، تأليف دكتور محمد غنيمي هلال ، دار العودة
ودار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الخامسة (د . ت) .

- ١٢ - أسرار ثورة ١٩١٩ م (الكتاب المنوع) تأليف مصطفى أمين ،
الجزء الأول ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤ م .
- ١٣ - الاسلام والتجديد ، تأليف تشارلز آدمز ، ترجمة عباس محمود ،
مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م .
- ١٤ - الاسلام والحضارة الغربية ، تأليف دكتور محمد محمد حسين ،
المكتب الاسلامي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٥ - أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى ، دكتور محمود فهمي
حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م .
- ١٦ - أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ م .
- ١٧ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة (د . ت) .
- ١٨ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، جمع وتحقيق محمد عماره ،
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة (د . ت)
- ١٩ - الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ، دراسة وتحقيق محمد عماره ،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ م .
- ٢٠ - الأعمال الكاملة لقاسم أمين ، دراسة وتحقيق محمد عماره ، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٦ م .
- ٢١ - الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، جمع وتحقيق محمد عماره ، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م .
- ٢٢ - الامام محمد عبده ، تأليف عبد الحليم الجندى ، سلسلة أعلام الاسلام
دار المعارف ، (د . ت)
- ٢٣ - بلاغة النساء في القرن العشرين ، تأليف فتحية محمد ، مطبعة
السعادة ، الناشر المكتبة المصرية ، (د . ت) .
- ٢٤ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تأليف محمود شكرى الألوسى ،
شرح محمد بهجة الأثرى ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ،
الطبعة الثالثة ، الجزء الثاني ، ١٣٤٣ هـ .
- ٢٥ - البيان والتبيين ، تأليف الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الجزء الاول ،
١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

- ٢٦- تاج العروس ، محمد مرتضى الزيدى ، الطبعة الأولى بالمطبعة
الخيرية ١٣٠٦ هـ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،
- ٢٧- تاريخ الأستان الامام محمد عبده ، تأليف محمد رشيد رضا ، مطبعة
المنار ، الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م .
- ٢٨- تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، تأليف الدكتور
جمال الدين الشيال ، مطبعة الاعتماد بمصر ، نشر دار الفكر
العربي ، ١٩٥١ م .
- ٢٩- تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين ،
تأليف جرجس سلامة ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
والعلوم الاجتماعية ، دار مطابع الشعب بالقاهرة ، ١٣٨٢ هـ ،
١٩٦٣ م .
- ٣٠- تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، الجزء الأول ، الطبعة
الثانية (د . ت) .
- ٣١- تاريخ الشعوب الاسلامية ، تأليف كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه أمين
فارس ومنير يعليكي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ،
بيروت ١٩٦٥ م ، والطبعة السابعة ، ١٩٧٧ م .
- ٣٢- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تأليف عبد الرحمن الجبرتي ،
الجزء الثاني ، دار الفارس للطباعة والنشر ، بيروت (د . ت) .
- ٣٣- تاريخ الفكر المصري الحديث ، تأليف دكتور لويس عوض ، الجزء
الثاني ، دار الهلال ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ م .
- ٣٤- تاريخ مصر الحديث ، تأليف جرجي زيدان ، مطبعة الهلال
بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٢٥ م .
- ٣٥- تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، تأليف الياس الأيوبي ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٣ م .
- ٣٦- تحرير المرأة ، تأليف قاسم أمين ، مطبعة عين شمس ، الطبعة الثالثة
(د . ت) .
- ٣٧- تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، تأليف أنور الجندی ،
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م .

- ٣٨ - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، جزءان ، تأليف جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د . ت) .
- ٣٩ - تربية المرأة والحجاب ، تأليف محمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٣ هـ .
- ٤٠ - تطور الأدب الحديث في مصر ، تأليف دكتور أحمد هيكل ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ م .
- ٤١ - تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، تأليف دكتور عبد المحسن طه بدر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، (د . ت) .
- ٤٢ - تطور الشعر العربي الحديث في مصر ، تأليف دكتور ماهر حسن فهمي ، مكتبة نهضة مصر ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٨ م .
- ٤٣ - تيارات أدبية بين الشرق والغرب ، تأليف دكتور ابراهيم سلامة ، مطبعة أحمد مخيمر ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ م .
- ٤٤ - التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، تأليف دكتور بدوى طبانة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الناشر مكتبة الانجلو مصرية ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ٤٥ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور الشعالي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، ١٣٨٤ - ١٩٦٥
- ٤٦ - ثورة سنة ١٩١٩ م ، تأليف عبد الرحمن الرافعي ، مطبعة دار الشعب بالقاهرة ، (د . ت) .
- ٤٧ - ثورة في البرج العاجي ، تأليف منيرة ثابت ، دار المعارف بمصر (د . ت) .
- ٤٨ - جامع البيان ، لابن جرير الطبري ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الجزء الرابع والخامس عشر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٤٩ - المجلس الأنيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس تأليف محمد حسنين البولاقي ، مطبعة المعارف الأهلية ، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م .
- ٥٠ - جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ، تأليف دكتور عبد العزيز الدسوقي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

- ٥١ - جمال الدين الأفغاني ، تاريخه ورسالته ومبادئه ، تأليف محمود أبو ربه ، اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٥٢ - حاضر المصريين أوسر تأخرهم ، تأليف محمد عمر ، مطبعة المقتطف ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م .
- ٥٣ - حديث عيسى بن هشام ، تأليف محمد ابراهيم العويلحي ، مطبعة مصر ، الطبعة الرابعة ، (د . ت) .
- ٥٤ - حديث القمر ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٥٥ - حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، تأليف جاك تاجر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٥ م .
- ٥٦ - الحركة النسائية الحديثة (قصة المرأة العربية على أرض مصر) ، تأليف دكتورة اجلال خليفة ، المطبعة العربية الحديثة (د . ت)
- ٥٧ - حسن العطار ، تأليف محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م .
- ٥٨ - حصوننا مهددة من داخلها ، تأليف دكتور محمد محمد حسين ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٥٩ - حقوق النساء في الاسلام (نداء الى الجنس اللطيف) تأليف محمد رشيد رضا ، المكتب الاسلامي بيروت دمشق (د . ت) .
- ٦٠ - الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، تأليف دكتور محمد فؤاد شكرى ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د . ت) .
- ٦١ - خصائص الشعر الحديث ، تأليف دكتورة نعمات أحمد فؤاد ، الناشر دار الفكر العربي ، مطبعة مخيمر ١٩٧١ م .
- ٦٢ - خليل مطران شاعر الأقطار العربية ، دكتور جمال الدين الرمادى ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثاوية ، ١٩٧٢ م .
- ٦٣ - خمسة من شعراء الوطنية ، مجموعة أبحاث لكتاب مختلفين (مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الناشر وزارة الثقافة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

- ٦٤ - خمسون عاما على ثورة ١٩ ، مؤسسة الأهرام ، مطابع الأهرام التجارية ، مركز الوثائق والبحوث التاريخية ، ١٩٦٩ م .
- ٦٥ - دائرة معارف القرن العشرين ، تأليف محمد فريد وجدى ، دار المعرفة بيروت ، المجلد الثالث ، ١٩٧١ م .
- ٦٦ - دراسات في حضارة الاسلام ، تأليف هاملتون جب ، ترجمة دكتور احسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ٣ ، ١٩٧٩ م
- ٦٧ - الدر المنثور في طبقات ربات الخدور تأليف زينب فواز ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثالثة ، مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٢ هـ .
- ٦٨ - الديوان في الأدب والنقد ، تأليف عباس محمود العقاد و ابراهيم المازني ، الطبعة الثالثة ، (د . ت) .
- ٦٩ - رحلة الى مصر تأليف كارستن نييور ، ترجمة مصطفى ماهر ، المطبعة العمالية ١٩٧٧ م .
- ٧٠ - رسائل من مصر بقلم أحمد خاكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م .
- ٧١ - رفاة رافع الطهطاوى ، تأليف دكتور جمال الدين الشيال ، دار المعارف بمصر ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، ١٩٧٠ م .
- ٧٢ - روح المعاني ، تأليف محمود شكرى الألوسي ، الجزءان الثاني والرابع ، دار احياء التراث العربي بيروت .
- ٧٣ - زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩ م .
- ٧٤ - الساق على الساق فيما هو الفاريق ، تأليف احمد فارس الشدياق منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د . ت)
- ٧٥ - سعد زغلول سيرة وتحية ، تأليف عباس العقاد ، مطبعة حجازى بالقاهرة ، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
- ٧٦ - سلافة النديم في منتخبات عبد الله النديم ، جمع شقيقه عبد الفتاح النديم ، مطبعة هندية بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .
- ٧٧ - سنين أبي داود ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول والثاني والرابع ، دار احياء السنة المحمدية (د . ت) .

- ٧٨ - السيد رشيد رضا وأخاه أربعين عاما تأليف شكيب أرسلان ،
مطبعة ابن زيد وبن دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
- ٧٩ - شاعر العروبة والاسلام أحمد محرم ، تأليف محمد ابراهيم الجيوشي ،
الناشر دار مكتبة العروبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨١ - ١٩٦١ م
- ٨٠ - الشعر الحديث في الاقليم السوري ، تأليف دكتور سامي الدهان ،
نشر معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ م .
- ٨١ - شعراء الوطنية ، تأليف عبد الرحمن الرافي ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،
الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- ٨٢ - الشعر العراقي الحديث مراحل وتطوره ، تأليف دكتور جلال الدين
الخياط ، دار صادر ودار الآداب بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٨٣ - الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ،
تأليف دكتور يوسف عز الدين ، دار القومية للطباعة والنشر ،
١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٨٤ - الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه ١٨٧٥ هـ - ١٩٤٠ م ،
أنور الجندى (د . ت) .
- ٨٥ - الشعر المصري بعد شوقي ، تأليف دكتور محمد مندور (الحلقة
الأولى) مكتبة نهضة مصر ومطبعتها (د . ت) .
- ٨٦ - الشوقيات المجهولة جمع الدكتور محمد صبري ، مطبعة دار الكتب
١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- ٨٧ - شوقي شاعر العصر الحديث ، تأليف دكتور شوقي ضيف ، دار
المعارف بمصر (د . ت) .
- ٨٨ - الصحائف السود ، تأليف ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف
والمقطم ، الطبعة الاولى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م .
- ٨٩ - صحيح البخارى للامام البخارى ، الجزء السادس ، دار الفكر ،
عن طبعة دار الطباعة باستانبول . (د . ت) .
- ٩٠ - صحيح مسلم للامام أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، الجزء الرابع
والثامن ، مطبعة الجمهورية العربية ، مصر (د . ت) .

- ٩١ - صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، تأليف دكتور طه وادي ، مركز
كتب الشرق الاوسط ١٩٧٣ م .
- ٩٢ - عائشة التيمورية تأليف مي زيادة ، مؤسسة نوفل بيروت ، الطبعة الاولى
١٩٧٥ م .
- ٩٣ - عصر اسماعيل تأليف عبد الرحمن الرافي ، الجزء الاول ، الطبعة
الثانية ، مطبعة دار الفكرة ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ٩٤ - عصر محمد علي تأليف عبد الرحمن الرافي ، الناشر مكتبة النهضة
المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٠ - ١٩٥١ م .
- ٩٥ - علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي اسماعيل ، تأليف دكتور احمد
عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م .
- ٩٦ - علم الدين تأليف علي مبارك ، مطابع جريدة المحروسة بالاسكندرية
١٢٩٩ - ١٨٨٢ م .
- ٩٧ - العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الجيل - بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ .
- ٩٨ - الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر ، تأليف سعد عيسى ،
المكتبة الوطنية في بنغازي ، الطبعة الاولى ١٩٧١ م .
- ٩٩ - فصول من النقد والادب عند العقاد ، تقديم محمد خليفة التونسي ،
مطبعة دار الهناء القاهرة (د . ت)
- ١٠٠ - الفن المسرحي في الادب العربي الحديث تأليف دكتور محمود حامد
شوكت ، مطبعة عابدين ، دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠ م .
- ١٠١ - في الادب الحديث ، تأليف عمر الدسوقي الجزء الاول مطبعة الرسالة ،
الناشر دار الفكر العربي الجزء الاول الطبعة الثامنة ، ١٩٧٠ م .
- ١٠٢ - في الأدب الحديث تأليف عمر الدسوقي الجزء الثاني ، مطبعة الرسالة ،
الطبعة الثالثة ١٩٥٩ م .
- ١٠٣ - في النقد الأدبي ، تأليف دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة
الثالثة (د . ت) .
- ١٠٤ - قاسم أمين تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر ، وزارة الثقافة والارشاد
القومي (د . ت) .
- ١٠٥ - القرن العشرون ماكن وسيكون ، عباس العقاد ، الناشر دار الكتاب العربي
بيروت (د . ت)

- ١٠٦ - قصة الأدب في العالم ، الجزء الثالث ، تأليف أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ١٠٧ - قطرة من يراع في الأدب والاجتماع تأليف أحمد زكي أبو شادي ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٦ م .
- ١٠٨ - قول في المرأة (مشكلاتنا الاجتماعية في ضوء الاسلام) تأليف مصطفى صبري ، المكتبة العربية بحلب (د . ت) .
- ١٠٩ - الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المرزوق ، الجزء الأول ، نشر مكتبة المعارف - بيروت (د . ت) .
- ١١٠ - كشف المخبا عن أحوال أوروبا ، تأليف أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٩ هـ .
- ١١١ - لمحة عامة الى مصر ، تأليف كلوتيك ، تعريف محمد مسعود ، مطبعة أبي الهول ، القاهرة ، (د . ت) .
- ١١٢ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، تأليف أبي الحسن الندوي ، مطابع علي بن علي الدوحة ، الطبعة العاشرة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١١٣ - ماذا عن المرأة ، تأليف دكتور نور الدين عتر ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١١٤ - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل محمد النيسابوري الميداني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، الجزء الثاني ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ١١٥ - مجموعة أعلام الشعر (شعراء مصر وبيئاتهم في القرن الماضي) ، تأليف عباس محمود العقاد ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
- ١١٦ - المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام ، تأليف أنور الجندی ، مطبعة الرسالة (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م)
- ١١٧ - المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ، تأليف دكتور عبد الرحمن عميره ، الرياض ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م .
- ١١٨ - مذكراتي في نصف قرن ، تأليف أحمد شفيق باشا ، الجزء الأول ، مطبعة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .

- ١١٩ - مذكراتي في نصف قرن ، الجزء الثاني ، تأليف احمد شفيق باشا ، مطبعة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
- ١٢٠ - مذكرات قليني فهمي ، الطبعة الثانية ، القاهرة (د . ت) .
- ١٢١ - مذكرات محمد فريد ، القسم الأول ، حققه دكتور رؤوف عباس حامد ، مطبعة الجبلأوى ، الناشر عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ١٢٢ - المرأة بين الفقه والقانون ، تأليف دكتور مصطفى السباعي ، المكتب الاسلامي بيروت ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م)
- ١٢٣ - المرأة الجديدة تأليف قاسم أمين ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م .
- ١٢٤ - المرأة الحديثة وكيف نسوسها ، تأليف عبد الله حسين المحامي ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية (د . ت) .
- ١٢٥ - المرأة في الاسلام تأليف دكتور علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ م .
- ١٢٦ - المرأة في حياة العقاد ، تأليف دكتور عبد الحى دياب ، مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ، (د . ت) .
- ١٢٧ - المرأة في الشعر الجاهلي ، دكتور محمد أحمد الحوفي ، الناشر دار الفكر الحديث ، مطبعة المدني ، القاهرة (د . ت) .
- ١٢٨ - المرأة في عالمي العرب والاسلام تأليف عمر رضا كحالة ، الجزء الثاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٢٩ - المرأة في القرآن تأليف عباس محمود العقاد ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت - الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ م .
- ١٣٠ - المرأة المسلمة تأليف محمد فريد وجدى ، مطبعة الترقى ، الطبعة الأولى ، ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م .
- ١٣١ - المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم تأليف درية شفيق ، الناشر مطبعة مصر ، ١٩٥٥ م .
- ١٣٢ - مروج الذهب للمشمودي ، الجزء الثاني ، دار الأندلس ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

- ١٣٣ - المسرح تأليف دكتور محمد مندور ، سلسلة فنون الأدب العربي ،
دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ م
- ١٣٤ - مسرحيات شوقي تأليف محمد مندور ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة
الثالثة ، (د . ت) .
- ١٣٥ - مسرحيات عزيز أباظة تأليف دكتور عيد المحسن عاطف سلام ،
الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦١ م .
- ١٣٦ - المسرحية في الأدب العربي الحديث تأليف دكتور محمد يوسف نجم
دار الثقافة - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ م .
- ١٣٧ - مطالعات في الكتب والحياة ، تأليف عباس محمود العقاد ،
دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- ١٣٨ - مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، تأليف دكتور محمود
شوكت ، ودكتور رجاء عيد ، الناشر دار الفكر العربي ، القاهرة
١٩٧٥ م .
- ١٣٩ - من رسائل الرافعي تأليف محمود أبوريه ، دار المعارف بمصر ،
الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ م .
- ١٤٠ - الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب بالقاهرة ومؤسسة فرانكلين ،
الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .
- ١٤١ - موسيقى الشعر ، تأليف دكتور ابراهيم أنيس ، مطبعة لجنة
البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .
- ١٤٢ - مي زياده ، التوهج والأفول ، تأليف روز غريب ، مؤسسة نوفل ،
بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ م .
- ١٤٣ - مي حياتها وآثارها ، تأليف وداد سكاكيني ، دار المعارف
بمصر ، ١٩٧١ م .
- ١٤٤ - محي في حياتها المضطربة ، تأليف جميل جبر ، دار بيروت
للطباعة والنشر ، ١٩٥٣ م .
- ١٤٥ - نساء شهيرات من الشرق والغرب ، تأليف وداد سكاكيني وتماضر
توفيق ، عيسى البابي الحلبي وشركاه بالاشتراك مع مؤسسة
فرانكلين ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

- ١٤٦ - النسائيات بقلم باحثة البادية (ملك حفني ناصف) ، مطبعة
التقدم بمصر (د . ت) .
- ١٤٧ - النظرات ، تأليف مصطفى لطفي المنفلوطي ، الناشر المكتبة
التجارية بمصر ، دار الثقافة ، بيروت (د . ت) .
- ١٤٨ - النقد الأدبي تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢ م .
- ١٤٩ - النقد الأدبي الحديث ، تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٣ م .
- ١٥٠ - النقد التطبيقي والموازنات ، تأليف دكتور محمد الصادق عفيفي ،
مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، ١٩٧٢ م .
- ١٥١ - الوساطة في معرفة أحوال مالطه ، تأليف أحمد فارس الشدياق ،
مطبعة الجوائب القسطنطينية ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٩ هـ ،
وهو مطبوع مع كتاب كشف المخبا في مجلد واحد .
- ١٥٢ - وحي القلم ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، مطابع دار المعارف
بمصر ، ١٩٧١ م .
- ١٥٣ - ودخلت الخيل الأزهر ، تأليف محمد جلال كشك ، الدار العلمية
بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م .
- ١٥٤ - وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية (الكتاب الأول من تأليف
ج . دي شابرول) ترجمة زهير الشايب ، الناشر مكتبة الخانجي
بمصر ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ١٩٧٩ م .
- ثانياً قائمة بأسماء الدواوين والمجموعات الشعرية
-
- ١٥٥ - أخلام النخيل ، عبد العزيز عتيق ، دار مصر للطباعة ، مكتبة
مصر (د . ت) .
- ١٥٦ - أشعة وظلال ، أحمد زكي أبو شادي ، مطبعة الشباب بمصر ،
الطبعة الأولى ١٩٣١ م .
- ١٥٧ - أصداء بعيده ، العوضي الوكيل ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٥ م .

- ١٥٨ - أطيار الربيع ، احمد زكي أبوشادى ، مطبعة التعاون ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٣ م .
- ١٥٩ - أغاريد السحر ، علي الجندى ، الناشر دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى (د . ت) .
- ١٦٠ - أغاني الربيع ، العوضي الوكيل ، مطبعة وادى النيل بميت غمر ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٩ م .
- ١٦١ - أغاني الكوخ ، محمود حسن اسماعيل ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .
- ١٦٢ - ألحان الأصيل ، علي الجندى ، مطبعة الاعتماد ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د . ت) .
- ١٦٣ - أنات حائرة ، عزيز أباطه ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (د . ت) .
- ١٦٤ - أنين ورنين ، أحمد زكي أبوشادى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م .
- ١٦٥ - ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر شعر ودراسة ، دار اليقظة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ م .
- ١٦٦ - حديقة الورد ، ورده ناصيف اليازجي ، مطبعة هندية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، (د . ت) .
- ١٦٧ - حلية الطراز (ديوان عائشة التيمورية) ، مطبعة دار الكاتب العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ١٦٨ - حواء والشاعر ، عبد الرحمن صدقي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ م .
- ١٦٩ - دموع وشموع ، محمد البرعي ، القاهرة ، (د . ت) .
- ١٧٠ - ديوان ابراهيم ناجي ، دار العودة - بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ١٧١ - ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت (د . ت) .
- ١٧٢ - ديوان أحمد بن محمد الحلاوى ، تصحيح مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٧٦ - ١٩٥٧ م .
- ١٧٣ - ديوان أحمد محرم ، الجزء الأول ، مطبعة الجريدة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٨ م .

- ١٧٤- ديوان أحمد محرم ، الجزء الثاني ، مطبعة الفتوح بدمنهور ،
الطبعة الأولى ، ١٣٢٨ هـ - ١٩٢٠ م .
- ١٧٥- ديوان اسماعيل صبرى أبو أميه ، حققه محمد القصاص وآخرون ، نشر
وزارة الثقافة ، القاهرة ، (د . ت) .
- ١٧٦- ديوان اسماعيل صبرى باشا ، ضبطه أحمد الزين ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
- ١٧٧- ديوان الأسمر ، محمد الأسمر ، شركة فن الطباعة ، القاهرة (د . ت)
- ١٧٨- ديوان البارودى ، محمود سامي البارودى ، حققه على الجارم ،
محمد شفيق معروف ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ١٧٩- ديوان الينم ، شرح سليم الزركلي وعدنان مردم ، المطبعة الهاشمية
بدمشق ، الجزء الأول (د . ت) .
- ١٨٠- ديوان تذكارات الصبا ، نجيب الحداد ، مطبعة جورجى غرزونى
بالاسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٥ م .
- ١٨١- ديوان جميل صدقي الزهاوى ، دار العودة - بيروت ، المجلد
الأول ، ١٩٧٢ م .
- ١٨٢- ديوان حافظ ابراهيم ، ضبط أحمد أمين وآخرين ، جزان ، دار
العودة - بيروت (د . ت) .
- ١٨٣- ديوان حسن القاياتي ، الجزء الأول ، مطبعة كردستان العلمية
بمصر ، ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .
- ١٨٤- ديوان حلیم ، حلیم دمس ، الجزء الأول ، مطبعة دار الأيتام
السورية بالقدس ، الطبعة الثانية ، ١٩٢٠ م .
- ١٨٥- ديوان حمام ، محمد مصطفى حمام ، المكتبة العربية ، وزارة الثقافة
القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١٨٦- ديوان خليل مردم ، مطبوعات المجتمع العلمي العربي بدمشق (د . ت)
- ١٨٧- ديوان الخليل ، خليل مطران ، اربعة أجزاء ، الناشر دار الكتاب
العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧ م .
- ١٨٨- ديوان الرافعي ، مصطفى دق الرافعي ، الجزء الأول ، المطبعة
العمومية بمصر ، ١٣٢١ هـ .

- ١٨٩- ديوان الشبيبي ، محمد رضا الشبيبي ، القاهرة ، ١٩٤٠ م .
- ١٩٠- ديوان شوقي ، احمد شوقي ، الجزء الثاني ، طبعة مصر ، ١٩٤٨ م
- ١٩١- ديوان صالح الشرنوبى ، تحقيق عبد الحى دياب وأحمد كمالزكى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة (د . ت) .
- ١٩٢- ديوان صالح مجدى ، المطبعة الأميرية ببولا ق مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣١١ هـ .
- ١٩٣- ديوان الصيرفي ، عبد العزيز الصيرفي ، مطبعة الملاجيى العباسية بـ مدرسة محمد علي ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ١٩٦٨ م .
- ١٩٤- ديوان طانيوس عبده ، مطبعة الهلال بمصر ، ١٩٢٥ م .
- ١٩٥- ديوان عبد الحليم المصرى ، الجزء الثالث ، مطبعة المعارف بمصر ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ م .
- ١٩٦- ديوان عبد الرحمن شكرى ، جمعة نقولا يوسف ، طبعة المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ م .
- ١٩٧- ديوان عبد المطلب ، تصحيح ابراهيم الابهارى وعبد الحفيظ شليبي ، الناشر مطبعة الاعتماد ، الطبعة الأولى ، القاهرة (د . ت) .
- ١٩٨- ديوان عزيز ، عزيز فهمي ، دار المعارف بمصر . (د . ت) .
- ١٩٩- ديوان العقاد ، عباس محمود العقاد ، مجلدان ، منشورات المكتبة العصرية - بيروت (د . ت) .
- ٢٠٠- ديوان علي الجارم ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر (د . ت) .
- ٢٠١- ديوان علي الدرويش ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ .
- ٢٠٢- ديوان علي محمود طه ، دار العودة - بيروت ، ١٩٧٢ م .
- ٢٠٣- ديوان عماد ، محمود عماد ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م
- ٢٠٤- ديوان الغاياتي ، علي الغاياتي ، مطبعة عطايا بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م .
- ٢٠٥- ديوان الغلابيني ، مصطفى الغلابيني ، المطبعة العباسية بتحيفا ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م .
- ٢٠٦- ديوان الماحي ، محمد مصطفى الماحي ، الناشر دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

- ٢٠٧ - ديوان المازني ، ابراهيم عبد القادر المازني ، مراجعة محمود عماد ، مطبوعات المجلس الأعلى للفنون ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م
- ٢٠٨ - ديوان محمود صفوت الساعاتي ، جمع مصطفى رشيد ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م .
- ٢٠٩ - ديوان معروف الرصافي ، جزءان ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٥٧ م .
- ٢١٠ - ديوان ملثقى العبريات ، محمد طاهر الجبلاوى ، مطبعة الشعراني بمصر ١٩٢٥ م .
- ٢١١ - ديوان من دواوين ، عباس محمود العقاد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة (د . ت) .
- ٢١٢ - ديوان نبويه موسى ، الجزء الأول ، مطبعة مجلة الفتاة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٨ م .
- ٢١٣ - ديوان نسيمات الأوراق ، خليل اليازجي ، مطبعة دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٨ م .
- ٢١٤ - ديوان ولي الدين يكن ، مطبعة المقتطف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م .
- ٢١٥ - ذكريات شباب ، عبد القادر القط ، دار مصر للطباعة ، الناشر مكتبة مصر ، ١٩٥٨ م .
- ٢١٦ - الرمزيات ، محمود رمزي ، تنظيم ، جمع محمد علي أبو طالب ومحمد علي الخزالي ، نشر محمد أبو طالب ، القاهرة ، (د . ت)
- ٢١٧ - زهر وخمر ، علي محمود طه ، شركة فن الطباعة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، (د . ت) .
- ٢١٨ - سبحات الخيال ، علي الجارم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .
- ٢١٩ - الست هدى ، أحمد شوقي ، مطابع دار الكتاب العربي ، بيروت (د . ت) .
- ٢٢٠ - شعر حفني ناصف ، جمع مجد الدين حفني ناصف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ م .
- ٢٢١ - شمري ، محمود أبو الوفا ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ م .

- ٢٢٢ - الشفق الباكي ، احمد زكي أبوشادى ، المطبعة السلفية ،
القاهرة ، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٢٢٣ - الشوق العائد ، علي محمود طه ، دار احياء الكتب ، القاهرة ،
١٩٤٥ م .
- ٢٢٤ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، مجلدان ، الناشر دار الكاتب العربي
بيروت ، (د . ت) .
- ٢٢٥ - صدى ونور ودموع ، حسن كامل الصيرفي ، الشركة العربية للطباعة
والنشر ، ١٩٦٠ م .
- ٢٢٦ - علي محمود طه ، شعر ودراسة ، سهيل أيوب ، دار اليقظة
العربية ، دمشق ، ١٩٦٠ م .
- ٢٢٧ - العيون اليواظ في الحكم والأمثال والمواعظ ، محمد عثمان
جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ م .
- ٢٢٨ - الفجر الأول ، خليل شيبوب ، مطبعة جريدة المصير بالاسكندرية
١٩٢١ م .
- ٢٢٩ - فوق العباب ، احمد زكي أبوشادى ، مطبعة التعاون ، القاهرة ،
١٩٣٥ م .
- ٢٣٠ - الكائن الثاني ، احمد زكي أبوشادى ، مطبعة التعاون ،
القاهرة ، ١٩٣٥ م .
- ٢٣١ - اللحن الباكي ، جلييلة رضا ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة
(د . ت) .
- ٢٣٢ - ليالي الهرم ، صالح جودت ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة
الأولى ، ١٩٥٧ م .
- ٢٣٣ - مختارات من وحي العام ، أحمد زكي أبوشادى ، دار العصور ،
الطبعة الأولى ، القاهرة (د . ت) .
- ٢٣٤ - مرآة نفسي ، عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- ٢٣٥ - مصريات ، أحمد زكي أبوشادى ، المطبعة السلفية ، الطبعة الأولى
القاهرة ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م .

- ٢٣٦ - من النساء ، احمد زكي أبوشادى ، مطبعة جريدة الهدى ،
نيويورك ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩ م .
- ٢٣٧ - من نبع الحياة ، محمد عبد الفنى حسن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٠ م .
- ٢٣٨ - من وحي الاسكندرية ، عادل الفضيان ، مطابع دار المعارف بمصر ،
١٩٦٣ م .
- ٢٣٩ - من وحي المرأة ، عبد الرحمن صدقي ، الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ٢٤٠ - من وراء الأفق ، محمد عبد الغنى حسن ، دار المعارف بمصر ،
١٩٤٧ م .
- ٢٤١ - الينبوع ، أحمد زكي أبوشادى ، مطبعة التعاون ، القاهرة ،
١٩٣٤ م .

الثالث : قائمة بأسماء الدوريات ومكان صورها وتاريخه .

- ٢٤٢ - أبولو ، رئيس التحرير احمد زكي أبوشادى ، القاهرة ، ١٩٣٢ م .
- ٢٤٣ - الأزهر ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- ٢٤٤ - الأسبوع ، ادوار عبده سعيد ، القاهرة ، ١٩٣٣ م .
- ٢٤٥ - الأستان ، عبد الله النديم ، مصر ، ١٨٩٢ م .
- ٢٤٦ - الاستقلال ، نجيب شقرا المحامي ، مصر ، ١٩٠٢ م .
- ٢٤٧ - الاعتصام ، احمد عيسى عاشور ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .
- ٢٤٨ - الانسان ، حسن حسني ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ .
- ٢٤٩ - أنيس الجليس ، الكسندرة أفريونه ، الاسكندرية ، ١٨٩٨ م .
- ٢٥٠ - البلاغ الأسبوعي ، عبد القادر حمزة ، ١٩٢٧ م .
- ٢٥١ - الأهرام ، سليم تقلا ، الاسكندرية ، ١٨٧٥ م .
- ٢٥٢ - البيان ، عبد الرحمن البرقوقي ، مصر ، ١٣٣٠ هـ .
- ٢٥٣ - الثريا ، ادوارد جدى ، القاهرة ، ١٨٩٦ م .
- ٢٥٤ - الجامعة الاسلامية ، محمد علي الكحال ، حلب ، ١٣٤٨ هـ ، ١٩٢٩ م .
- ٢٥٥ - الجامعة (الجامعة العثمانية) ، فرع أنطون ، الاسكندرية ، ١٣١٦ هـ .
- ١٨٩٩ م .

- ٢٥٦ - الجنان ، بطرس البستاني ، بيروت ، ١٨٧٠ م .
- ٢٥٧ - الحسان ، فريده فوزى وفرج سليمان فؤاد ، القاهرة ، ١٩٢٥ م .
- ٢٥٨ - الحقائق ، عبد القادر الاسكندراني ، دمشق ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .
- ٢٥٩ - الحكمة ، عبد العزيز نظمي ، مصر ، ١٩٠٤ م .
- ٢٦٠ - الرسالة ، احمد حسن الزيات ، القاهرة ، ١٩٣٣ م .
- ٢٦١ - الريحانة ، جميلة حافظ ، مصر ، ١٩٠٧ م .
- ٢٦٢ - سركيس ، سليم سركيس ، القاهرة ، ١٩٠٥ م .
- ٢٦٣ - السياسة الأسبوعية ، محمد حسين هيكل ، القاهرة ، ١٩٢٦ م .
- ٢٦٤ - صحيفة دار العلوم ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ - ١٨٢٧ م .
- ٢٦٥ - الضياء ، ابراهيم اليازجي ، القاهرة ، ١٨٩٨ م .
- ٢٦٦ - الطليعة ، لطفي الخولي ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ٢٦٧ - العروة الوثقى ، الأفغاني ومحمد عبده ، باريس ١٣٠١ ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٠ م .
- ٢٦٨ - العصر الجديد ، سليم النقاش ، مصر ، ١٨٨٠ م .
- ٢٦٩ - العصور ، اسماعيل مظهر ، القاهرة ، ١٩٢٧ م .
- ٢٧٠ - فتاة الشرق ، لبيبة هاشم ، القاهرة ، ١٩٠٦ م .
- ٢٧١ - فتاة مصر الفتاة ، أملي عبد المسيح ، القاهرة ، ١٩٢١ م .
- ٢٧٢ - الفتح ، محب الدين الخطيب ، القاهرة ، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٢٧٣ - اللطائف ، شاهين مكاريوس ، مصر ، ١٨٨٦ م .
- ٢٧٤ - اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ، ١٩٠٠ م .
- ٢٧٥ - المويد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ، ١٨٨٩ م .
- ٢٧٦ - مجلتي ، احمد الصاوي محمد ، مصر ، ١٩٣٤ م .
- ٢٧٧ - المجلة الجديدة ، سلامة موسى ، القاهرة ، ١٩٣٠ م .
- ٢٧٨ - مجلة المجلات العربية ، محمود حسيب ، القاهرة ، ١٩٠٠ م .
- ٢٧٩ - مجلة مصر الحديثة المصورة ، توفيق اليازجي ، مصر ١٩٢٨ م .
- ٢٨٠ - المحيط ، عوض واصف ، مصر ، ١٩٠٣ م .
- ٢٨١ - المرأة في الاسلام ، ابراهيم رزى ، مصر ، ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م .
- ٢٨٢ - المستقبل ، اسماعيل وهبي المحامي ، مصر ، ١٩٢٨ م .

- ٢٨٣ - المستقبل ، سلامة موسى ، القاهرة ، ١٩١٤ م .
- ٢٨٤ - المصرية ، لصاحبيتها ، هدى شعراوي ، رئيسة التحرير ، سيزا
نبراوى ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .
- ٢٨٥ - المصور ، صدرت عن دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٢٤ م .
- ٢٨٦ - المعرفة ، عبد العزيز الاسلامبولي ، مصر ، ١٩٣١ م .
- ٢٨٧ - المقتطف ، يعقوب صروف وفارس نمر ، القاهرة ، ١٨٧٦ م .
- ٢٨٨ - المنار ، محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٨٩٨ م .
- ٢٨٩ - الموسوعات ، حافظ عوض ، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م .
- ٢٩٠ - الهلال ، جرجي زيدان ، القاهرة ، ١٨٩٢ م .
- ٢٩١ - الوقائع المصرية ، باشراف حسن العطار ، القاهرة ، ١٨٢٧ م .

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
شكر وتقدير	ج
المقدمة	د - ١١
<u>التمهيد</u>	
وضع المرأة بين الجاهلية والاسلام	٢ - ١٢
<u>الباب الأول</u>	
أثر التطور الحديث في مصر على المرأة والشعر ١٣ - ١٦٩	
الفصل الأول :	
المرأة المصرية في مواجهة التطور	١٤ - ١٣١
الفصل الثاني :	
تطور الشعر الحديث في مصر	١٣٢ - ١٦٩
<u>الباب الثاني</u>	
مواقف الشعراء المحدثين في مصر من قضايا المرأة ١٧٠ - ٤٣٣	
الفصل الأول :	
قضية الحجاب والسفور	١٧١ - ٢٦٨
الفصل الثاني :	
قضية تعليم المرأة	٢٦٩ - ٢٩٦
الفصل الثالث :	
قضية عمل المرأة	٢٩٧ - ٣٥٦
الفصل الرابع :	
قضية العلاقات الزوجية	٣٥٧ - ٤١٣
الفصل الخامس :	
القيمة الانسانية للمرأة عند الشعراء المحدثين في مصر	٤١٤ - ٤٣٣

الباب الثالث

الخصائص الفنية للشعر الذي تناول قضايا المرأة

٥٣٢ - ٤٣٤

٥٠٠ - ٤٣٥

٥١٤ - ٥٠١

٥٣٢ - ٥١٥

٥٣٩ - ٥٣٣

٥٥١ - ٥٤٠

٥٥٧ - ٥٥١

٥٥٩ - ٥٥٧

٥٦١ - ٥٦٠

الخصائص النماذج الفنائية

الفصل الأول :
الخصائص النماذج الفنائية
الفصل الثاني :

خصائص النماذج القصصية

الفصل الثالث :

خصائص النماذج التمثيلية

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع العامة

فهرس الدواوين والمجموعات الشعرية

فهرس الدوريات

فهرس الموضوعات

الباب الثالث

٥٣٢ - ٤٣٤	الخصائص الفنية للشعر الذي تناول قضايا المرأة	الفصل الأول :
٥٠٠ - ٤٣٥	خصائص النماذج الغنائية	الفصل الثاني :
٥١٤ - ٥٠١	خصائص النماذج القصصية	الفصل الثالث :
٥٣٢ - ٥١٥	خصائص النماذج التمثيلية	
٥٣٩ - ٥٣٣	الخاتمة	
٥٥١ - ٥٤٠	فهرس المصادر والمراجع العامة	
٥٥٧ - ٥٥١	فهرس الدواوين والمجموعات الشعرية	
٥٥٩ - ٥٥٧	فهرس الدوريات	
٥٦١ - ٥٦٠	فهرس الموضوعات	
